كنيسة القديسين مارمرقس الرسول
و البابا بطرس خاتم الشهداء

اقرأ و افهم
كتابنا المقدس



كنيســـة القديســـين مارمرقس الرســـول
والبابا بطرس خاتم الشهداء بالإسكندرية

اقـــرأ وافهـــم
كتابنـــا المقـــدس

تفسير رسالة أفسس



اسم الكتاب: تفسير رسالة افسس
الناشر: كنيسة القديسين مارمرقس والبابا بطرس خاتم الشهداء
المطبعة: الأنبا رويس ـــ العباسية
رقم الايداع: ٤٠٨٦ / ٢٠٠١

كم نشكر الله الذى سمح لنا بالعودة لنتأمل فى كلمة الحياة ، ومنحنـــا فرصـــة ذهبية لكيما نُحلق مع حبيبنا كاروز الأمم نحو السماويات ، فهذه يا صديقـــى هـــى سمة رسالتنا هذه ، وكالعادة نبدأ التفسير بالتمهيد ملتمسين من إلهنا المحب أن يفتـــح عيون أذهاننا لنقرأ ونفهم ونسلك كما يليق بأبناء الله .

وفى هذا التمهيد نتعرض للأمور الآتية :

أولاً : مدينـــــة أفســـس .

١- جغرافيــــاً .

٢- تاريخيــــاً .

٣- معالم المدينة .

ثانياً : النور يسطع فى أفسس .

ثالثاً : رسالــــــة السمــــاء .

١- سمـــــات الرســـــالة .

٢- قانونيــــة الرســـــالة .

٣- مكان وزمـــان الرســـالة .

٤- الرسالة والكتب المقدسة .

٥- محتويـــــات الرســالة .

أولاً : مدينـــة أفســـس

١- جغرافيـــاً : تقع مدينة أفسس فى منتصف الساحل الغربـــى لآســـيا الصغـــرى (الآن تركيا) على الشاطئ الأيسر من نهر الكايستر وبالقرب من مصب النـــهر، وعلى بعد ثلاثة أميال من شاطئ بحر إيجة ، وتتوسط أفسس المسافة بين مدينـــة سميرنا التى تقع شمالها بنحو ٥٠ ميلاً ومدينة ميليتس التى تقع جنوبـــها بنحـــو ٥٠ ميلاً أيضاً ، وبالقرب من المدينة جبلان متجاوران هما "بريون" و" كوربسوس"

وأمامهما وادى خصيب يمتد لمسافات بعيدة ، وبذلك تعتبر أفسس هى المدخل الرئيسى إلى قلب آسيا الصغرى ، وملتقى الطرق التجارية ولا سيما الطريق الرئيسى بين روما والشرق ، ومنها تتفرع الطرق إلى مختلف جهات آسيا الصغرى .

وكان لأفسس ميناء صناعى تجاه مدينة أثينا يسع السفن الضخمة، وعن طريق هذا الميناء ارتبطت المدينة بموانى دول أوروبا ولا سيما كورونثوس ، مما خلق منها مدينة تجارية حتى صارت أعظم مدن آسيا الصّغرى وعاصمتها، وبلغ طول محيط أسوارها أربعة أميال .

٢- **تاريخياً** : أسَّس مدينة أفسس " أندروكليس " واتباعه الأثينيون على منحدرات جبال آسيا الصغرى المتاخمة للبحر، وفى القرن الحادى عشر قبل الميلاد أحتل المدينة الأيونيون Ionians وهم من أصل يونانى ، وفى سنة ٥٥٥ ق.م إستولى عليها كرُيسس Craesus ملك ليديا عاصمة ساردس ، الذى عرفه العرب باسم " قارون " وهو مضرب الأمثال فى الغنى ، وأمدَّ كرُيسس أفسس بالأعمدة الضخمة التى أُستخدمت فى بناء هيكل أرطاميس .

وخلال تاريخ أفسس تعرضت إلى عدة حرائق مدمرة فأعيد تجديدها سبع مرات ، ويقال إنه فى سنة ٣٦٥ ق.م فى الليلة التى وُلد بها الإسكندر الأكبر المكدونى احترقت أفسس ، وعندما صار الإسكندر إمبراطوراً أراد تجديد المدينة وهيكلها فرفض أهلها بحجة إنه إله ، والإله لا يبنى معبداً لإله آخر، وظل أهلها يجدّدون المدينة وهيكلها على مدى مائتى عام ، وفى عام ١٣٣ق.م خضعت مدينة أفسس للحكم الرومانى ، وترك لها الرومان الحرية فى استخدام قوانينها ومجالسها الشرعية وآلهتها التى تعبدها ، واكتفوا بتعيّين ممثل لهم يحكم المدينة التى صارت عاصمة آسيا الصغرى ، وفى عام ٢٩ م تعرضت أفسس

لزلزال مُدمر فتولى الأمبراطور طباريوس بنائها .

أما سكان أفسس فكان معظمهم من اليونانيين الذين هاجروا إليها من الجهات المقابلة ومن آسيا الصغرى ، بالإضافة إلى جالية يهودية كانت تعمل كالعادة بالتجارة فحصل الكثير منهم على الجنسية الرومانية ، وكانت اللغة الرسمية المستخدمة فى أفسس هى اللغة اليونانية ، بالإضافة إلى اللغة الأسيوية ، وعندما انتشر فيها نور الإنجيل استضاءت بضيائه وهربت منها الظلمة رويداً رويداً، وصارت أفسس مدينة مسيحية أنارها المسيح بمجده .

وفى عام ٤٣١م اجتمع فى مدينة أفسس مائتى أسقف من أنحاء العالم بقيادة بابانا الحبيب البابا كيرلس عمود الدين لعقد المجمع المسكونى الثالث حيث تمت محاكمة نسطور الذى قسَّم طبيعة المسيح الواحدة إلى طبيعتين منفصلتين وقال أن اللاهوت حلَّ بالناسوت فى العماد (تفسير رسالة أفسس للقمص تادرس يعقوب صـ٧) وأيضاً تم محاكمة بيلاجيوس ، فحكم المجمع بنفى نسطور إلى مدينة أخميم مدينة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين الذى حضر المجمع ، وذلك لضمان عدم إنتشار بدعته ، وفعلاً مات ودُفن فى أخميم مدينة الشهداء ولم يقدر أن يكسب دخيلاً واحداً للبدعة النسطورية، ووضع مجمع أفسس مقدمة قانون الإيمان " نعظمك يا أم النور الحقيقى ... " .

وفى عام ١٣٠٨م سقطت أفسس فى يد الأتراك فقتلوا بعض سكانها وشتَّتوا البعض ، فتحولت أفسس إلى مدينة مهجورة تخرَّبت مع الأيام ، ونشأت بجوارها قرية صغيرة تدعى " أبا سلوك " وهى إختصار لثلاث كلمات يونانية هى " كلمة الله المقدسة ".

ومازال التاريخ يذكر الأنبا مرقس مطران أفسس للروم الأرثوذكس وشجاعته النادرة فى مجمع فلورنسا عام ١٤٣٨/١٤٣٩م ، فقد عُقد هذا المجمع فى ظروف طارئة بين الكاثوليك والروم الأرثوذكس ، وحضرهُ البابا أوجينيوس

بابا روما والأنبا يوسف بطريرك القسطنطينية وميخائيل إمبراطورهـا ، وكل يسعى نحو مبتغاه ، فميخائيل يسعى للحصول على حماية ملوك الغرب لإنقـاذ القسطنطينية من السقوط في يد الأتراك ، والأنبا يوسف يسعى للخـلاص من سلطة الأمبراطور ميخائيل ، والبابـا أوجينيـوس يسـعى لخضـوع الـروم الأرثوذكس له وموافقتهم على ما يؤمن به من انبثاق الروح القـدس من الآب والابن ، والمطهر، وتقديم القربان من الفطير بدل الخبز في سرّ الأفخارسـتيا ، ورئاسة بابا روما، وخضع الوفد القسطنطيني كله باستثناء مرقس مطران أفسس الذى دافع عن الإيمان الأرثوذكسى بكل جوارحه ، ولم يُوقّع على الإتفاق الـذى تم بين اللاتين والروم الأرثوذكس [1] .

لقد تخرَّبت أفسس تماماً وتزحزت منارتها (رؤ ٢: ٥) ولم يعد هنـاك إلا بقايـا أثار لكنيسة القديس يوحنا الحبيب، ومسرح المدينة، والقلعة التركّيـة ، وبقايـا أسوار المدينة، وفى عام ١٨٧٠م إستطاع " ل.ت.وود " بعد إثنى عشرة عامـاً من التنقيب أن يكتشف آثار هيكل أرطاميس خارج أسوار المدينة.

٣- **معالم المدينـة** : كان من أهم معالم مدينة أفسس هيكل أرطـاميس ومسـرح المدينة ، فكان المسرح يعتبر من أكبر مسارح العالم حيث يحـوى بداخلـه ٦٦ صفاً من المقاعد تكفى لعدد ٢٤٥٠٠نفس ، وفيه كانت تقام الأنشطة الرياضيـة المختلفة من عدوٍ ومصارعة للوحوش من أسود ونمور كـانوا يجلبونـها مـن غابات أفريقيا ، وعندما كان يكتظ المسرح بالمشاهدين يهتفون ويصفقون يصعد دويهم إلى عنان السماء .

أما هيكل ديانا فكان سبب شهرة مدينة أفسس ، فالإلهة ديانا هى إلهـة آسـيوي تمثل أم الحياة ، وكان أهل أفسس يعتقدون إنها وُلِدت فـى الغابات بالقرب من

[1] راجع كتابنا يا أخوتنا الكاثوليك .. متى يكون اللقاء ؟ - مجمع فاورنسا .

المدينة، وأن تمثالها هبط من السماء " زفس " (أع ١٩:٣٥) ، أيضاً إعتقـدوا أن مدينتهم خادمة ديانا لأنها قد بُنيت عن طريق محاربات أسطوريات كنّ يعبـــدنَ الإلهة ديانا.

وعُرفِت ديانا لدى اليونانيين باسم أرطاميس ، وأطلقوا عليها " مَلِكة أفســـس " .

أما تمثال ديانا فكان مصنوعاً من الحجر الأسود (وكان غالباً نيزك) على شـــكل فتاة عذراء فارعة الطول بارعة الجمال يعلو رأسها تاج منقوش عليـــه ســـور مدينة حصينة ، والنصف العلوى للتمثال من الأمام ممتلئ بصفوف مـــن الأثِـد (جمع ثدى) علامة الحياة ، وعلى ذراعيها تقف الأيائل والأسود ، أما النصـــف الأسفل فيظهر ملفوفاً مثل موميات قدماء المصريين ، وكان الصناع والصيـــاغ يصنعون نماذج لها مختلفة الأحجام من الفخار أو الفضة فيشتريها الحُجَّاج حيث يقدمونها للهيكل أو يحملونها إلى بلادهم ليقدموا لها العبـــادة ويلتمســـون منـــها البركة والمعونة (راجع دائرة المعارف جـــ١ صـــ ١٧٠،١٧١) .

أما هيكل أرطاميس فكان أحد عجائب الدنيا السبع حتى قيل أن الشمس لم تـــرَ فى مسيرتها منظراً أفخم وأروع من هذا الهيكل ، فقد بلـــغ طولـــه ٤٢٥ قدمـــاً وعرضه ٢٢٠ قدماً ، وكان قائماً على ١٢٧عموداً فخماً بارتفاع نحو ٦٠ قدمـاً أما صحن الهيكل فكان بدون سقف ، وأرضية المعبد مرتفعـــة عـــن مســـتوى الأرض بنحو عشرة سلالم ، واستغرق بنائه نحو مائتى عام ، وقدمـــت نســـاء أفسس حليهنَّ وجواهرهنَّ من أجل تشيّيده .

وكان لهيكل أرطاميس عدد ضخم من الكهنة وعدد أكثر من الكاهنات ، وشملت طقوس العبادة تقديم الذبائح وممارسة الدعارة الدينية ، وكان للكهنة سلطاناً على الشعب الذى يخشاهم ويقدسهم حتى أن الأغنياء كانوا يثقون فى هؤلاء الكهنـــة ويودعونهم أموالهم فصار الهيكل كأنه أحد بنوك الأموال ، وأيضا كان الـــهيكل يعتبر متحفاً رائعاً حوى داخله تماثيل ولوحات فنية على مستوى عالٍ من الفن ،

ومن هذه اللوحات لوحة تمثل الإسكندر الأكبر وهو يقـــذف بصاعقـــة للفنـــان المشهور " أبيليس " الأفسسى .

وكان لهيكل أرطاميس عيداً سنوياً يقام فى شهر مايو من كل عـــام ، ويؤمـــه آلاف القادمين من جزر اليونان وبلاد آسيا ودول أوربا فيصعـــدون الدرجـــات الرخامية إلى الرواق الأعلى ثم يجوزون الأبواب إلى الردهة الكبرى المزدانـــة بالتماثيل الرائعة على جانبيها ، وفى نهايتها يسجدون أمام ستارة تخفى ورائـــها تمثال للإلهة ديانا ، لأن الكهنة كان يمنعون الناس من رؤيتها فـــلا يراهـــا إلا المطهرون ، وكان الكهنة والكاهنات يحملون فى العيد تمـــاثيل الإلهـــة ديانـــا (أرطاميس) داخل آرائك مذهبة ويسيرون بها فى المدينة فـــى موكـــب عظيـــم وهتافاتهم تدوى فى الفضاء " عظيمة هى أرطاميس الأفسسيين " .

ومن كثرة تقديس الناس لهيكل أرطاميس اعتبروا مدينة أفســس كلـــها مدينـــة مقدسة ، فلا يجوز لأحد القبض فيها على متهم داخلها أو خارج أسوارها بمقدار رمية حجر ، مما شجع المجرمين واللصوص على الإقامة فى قرية قريبة مـــن الهيكل يتمتعون بالأمن والآمان .

ولكن أرطاميس بكل عظمتها التى جذبت الآلاف والملاييـــن لـــم تثبـــت أمـــام المصلوب بل خرَّت تحت قدميه ، وفى عام ٢٦٢م هجم القوطيون على مدينـــة أفسس وهدموا هيكلها العظيم فى ساعات فصار خراباً وضاع تمثال أرطـــاميس وسط الأنقاض والحطام ، ولم يفكر أحد فى إعادة تشـــيِّيده مـــرة أخـــرى ، لأن المدينة كانت قد إستضاءت بنور الإنجيل ، ونقلوا كثيراً من أعمدتها الفخمة إلـــى إيطاليا وإلى القسطنطينية حيث أستخدمت فى بناء كنيسة آجيـــا صوفيـــا ، أمـــا الرواسب الطينية فقد غطـــت منطقة المعبد حتى صارت مجهولـــة مع الأيام .

ثانياً : النور يسطع فى أفسس

كيف وصل نور الإيمان إلى مدينة أفسس ؟

بدأت المسيحية تنتشر فى أفسس عن طريق اليهود الذين حضروا يوم الخمسين فى أورشليم ، ولكن المؤسس الحقيقى لكنيسة أفسس هو بولس الرسول خلال رحلته التبشيرية الثانية والثالثة ، ففى يوم الخمسين كان هناك قوماً من آسيا (أع ٢: ٩) لمسوا حضور الروح القدس وولادة الكنيسة ، وسمعوا بطرس يتكلم بلغته الآرامية وهم يسمعونه بلغتهم الأسيوية ، ونُخسوا فى قلوبهم فآمنوا بالرب يسوع ، وأبصروا دخول الآلاف إلى حظيرة الإيمان ، وشاهدوا المعجزات العجيبة التى تُجرى باسمه، وعندما عادوا إلى بلادهم ومنها مدينة أفسس قصُّوا على ذويهم ما كان .

وفى عام ٥٤م ومع نهاية الرحلة التبشيرية الثانية لمعلمنا بولس الرسول وقد ترك كورونثوس بعد ما أمضى بها نحو عام ونصف أقبل إلى أفسس على ظهر سفينة شراعية قطعت نحو ٢٥٠ ميلاً، وكان معه أكيلا وبرسيكلا لعلهما يجدان سوقاً رائجاً للخيام التى يصنعونها .. دخل بولس مجمع اليهود بالمدينة وبشَّرهم بالمسيح يسوع فأحبوه وقبلوا كلامه ، ولكنه لم يمكث بالمدينة إلا فترة قصيرة جداً حتى قال البعض إنه لم يحضر المجمع إلا مرة واحدة، وعندما طلبوا منه أن يمكث معهم إعتذر لأنه يريد أن يقضى عيد الفصح فى أورشليم ووعدهم بزيارة قريبة (أع١٨: ١٩-٢١) وترك بولس أكيلا وبرسيكلا وأقلع من أفسس .

وبعدما غادر بولس الرسول أفسس جاء إليها رجل يهودى من الإسكندرية يدعى أبلوس وكان حاراً بالروح فكرز لليهود ببشارة الملكوت وعمَّد بعضهم بمعمودية يوحنا ، فاستضافه أكيلا وبرسيكلا فى منزلهما ، وقصَّا عليه قصة الخلاص كما سمعاها من بولس الرسول وعلماه طريق الرب بأكثر تدقيق فقبل

كلامهما وصار تلميذاً غيوراً للمسيح . ثم ترك أفسس قاصداً كورنثوس فكان يفحم اليهود باشتداد مبيناً من أسفار العهد القديم أن يسوع هو المسيا المنتظر (أع١٨ : ٢٤-٢٨) .

وفى بداية الرحلة التبشيرية الثالثة نحو ٥٤م جاء معلمنا بولس الرسول إلى أفسس وهو لا يعلم كم من الوقت سيمكث هناك .

عاين بولس مدينة أفسس وهيكلها العظيم واشتاق أن يكون هناك هيكلاً للرب مبنى من حجارة حية يسكنه روح الله القدوس ، وهذا ما نستشفه من الرسالة إلى أفسس " ***مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية .. ينمو هيكلاً مقدساً .. مسكناً لله فى الروح " (أف٢ : ٢٠-٢٢) .***

إلتقى بولس الرسول بمجموعة من التلاميذ فسألهم هل قبلتم روح قدس لما أمنتم. قالوا له ولا سمعنا إنه يوجد الروح القدس. فقال لهم بماذا إعتمدتم ؟ .. فقالوا بمعمودية يوحنا. فقال بولس .. ولما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم حلّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون .

وكان جميع الرجال نحو اثنى عشر (أع ١٩: ٢-٧) وولدت كنيسة أفسس على يد كاروز الأمم الذى ظل يبشر ويكرز ويُعلّم ويُعمّد لمدة ثلاثة أشهر فى المجمع اليهودى ، ولكن البعض رفضوا بشدة شاتمين الطريق ، فتركهم واعتزل عنهم وأفرز التلاميذ ، وبذلك أصبح للكنيسة المسيحية كيان مستقل عن المجمع اليهودى ، وأجّر مدرسة رجل يدعى "تيرأنس" فظل يُعلّم فيها لمدة سنتين حتى " سمع كلمة الرب جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيّين . وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة. حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة " (أع١٩: ١٠-١٢) وازداد عدد المؤمنين سواء كانوا من أصل يهودى أو أممي .

وفى أفسس حدثت حادثة هجوم الرجل الذى به روح نجس على أبناء سكاو

السبعة الذين أرادوا تقليد بولس الرسول فى إخراج الشياطين حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرَّحين.. " *فوقع خوف الرب على جميعهم وكان إسم الرب يتعظم" (أع١٩: ١٣-١٧)* ونجحت الكرازة جداً وصارت كنيسة أفسس كنيسة قوية اهتزت أمامها مملكة الشيطان والسحر والشعوذة وجمعوا كتب السحر وحرقوها " وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة . هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة " (أع١٩: ١٩-٢٠) .

وكانت السنوات التى أمضاها بولس فى أفسس سنوات صراع بين الخير والشر، والنور والظلمة ، فلم يكف اليهود عن تدبير المكائد له حتى قال بولس الرسول " *إن كنت إنساناً فقد حاربت وحوشاً فى أفسس " (اكو١٥: ٣٢)* ولم يَكِل الرسول ولم يَمِل بل إنه كان ينظر إلى المعاكسات الشيطانية على إنها دليل واضح وصريح على نجاح الخدمة فيقول " *ولكننى أمكث فى أفسس إلى يوم الخمسين . لأنه قد انفتح لى باب عظيم فعَّال ويوجد معاندون كثيرون " (اكو١٩: ٨-٩)* ، وظل بولس الرسول يصارع قوات الظلمة ويطاردها من بيت إلى بيت بجهاد طويل ، وهذا ما كشف عنه خطابه الوداعى لكهنة أفسس وهو فى ميليتس " *كيف كنت معكم كل الزمان . أخدم الرب بكل تواضع وبدموع كثيرة وبتجارب أصابتنى بمكايد اليهود . كيف لم أؤخر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلَّمتكم به جهراً وفى كل بيت .. إسهروا متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد " (أع٢٠: ١٨-٣٠)* ومن هذا الخطاب نلمس محبة بولس الراعى الصالح لرعيته إذ يوصي القسوس بالرعية ويحذرهم من الاضطهادات التى ستواجههم ومن البدع والهرطقات التى ستنبع منهم ، ونلمس أيضاً عظم محبة أهل أفسس لراعيهم الأمين " *وكان بكاء عظيم من الجمع ووقعوا على عنق بولس يقبلونه. متوجعين ولا سيما من الكلمة التى قالها لهم إنهم لن يروا وجهه أيضاً " (أع٢٠: ٣٧-٣٨)* .. لقد كانت آلام بولس هى آلام المخاض التى تُولِّد فيها النفوس الحرة النقية " *فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة ضيقتنا التى أصابتنا فى آسيا إننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من*

الحياة أيضاً .. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم من الأموات " (٢كو١: ٨-٩) وفعلاً كم أقام الله من أموات أفسس على يد القديس بولس ؟!

لقد نجحت الكرازة في مدينة أفسس وآمن الكثيرون من عبَّاد أرطاميس ، فلم يعودوا يدخلوا هيكلها ولا يشتروا تماثيلها حتى اهتزت تجارة الصنَّاع والصَّيَّاغ ، وكان من أشهر صناع أهل أفسس ديمتريوس صانع هياكل الفضة لأرطاميس ومطلعاً على الأمور التي تجرى حوله ، فربما يكون قد شاهد الحريق الذي أشعله السحرة في كتبهم التي تقدر بنحو خمسين ألفاً من الفضة ، وربما عاين القوات غير العادية التي يصنعها بولس واحاديثه التي تجذب الكثيرين بعيداً عن أرطاميس ألهته، فجمع ديمتريوس الصنَّاع وعزف لهم لحن الحسد والغضب والأنتقام على وترين حساسين هما وتر الرزق ووتر العبادة ، فوجود بولس خطر على رزقهم وخطر أيضاً على هيكل أرطاميس ، فأمتلؤا غضباً وهاجوا وماجوا حتى امتلأت المدينة اضطراباً وأغلقت الحوانيت وأندفعوا بنفس واحدة نحو مسرح المدينة في مظاهرة ضمت العبيد والغوغاء والرياضيّين والفقراء والأغنياء وأكثرهم لا يعلمون لماذا اجتمعوا ، واختطفوا غايس وأرسترخس رفيقي بولس الرسول ، وأراد بولس نفسه أن يواجه الموقف فلم يدعه التلاميذ، وأرسل إليه أصدقاؤه من وجهاء آسيا طالبين أن لا يسلم نفسه للمشهد المضطرب، وهنا خشى اليهود أن ينقلب الموقف ضدهم لأن معظم أهل أفسس لا يميزون بين المسيحية واليهودية ، ولذلك دفعوا بأحد قادتهم وهو إسكندر الحداد الذي صنع ببولس شروراً عظيمة (٢تي٤: ١٤) فوقف أمام المشهد يبرئ اليهودية من بولس الرسول وأعوانه ، وصار صراخ نحو ساعتين " عظيمة هي أرطاميس التي للأفسسيّين " ، ولم ينقذ الموقف إلا كاتب المدينة وهو أقرب موظف إلى الوالي الروماني الذي هدأ الجمع وصرفهم (أع١٩: ٣٥-٤٠) .

وبعد هذه الثورة وجد بولس أن إقامته فى أفسس أصبحت شـــبه مســتحيلة ، فودع التلاميذ متجهاً إلى مكدونية ، ولكن هــل ترك بولس الخدمة فى أفســـس ؟ كلا .. أنه ظل يخدم المدينة عن طريق تلاميذه، فقد ترك تيموثاوس فـــى أفســس عندما غادرها إلى مكدونية (١تي ١:٣) وكان تيموثاوس أميناً فى خدمته والإهتمـلم بخدام أفسس فكتب إليه معلمه بولس الرسول " ***وكل ما كان يخدم فــى أفســس أنــت تعرفه جيداً " (١تي١:١٨)*** ، وفى وقت لاحق وبولس فى سجنه الثانى بروما يعلم أن وقت إنحلاله قد قرب يُرسِل تيخيكس ليتابع الخدمة فى أفسس " ***أما تيخيكـــس فقــد أرسلته إلى أفسس " (٢تي٤:١٢)*** .

ثالثاً : رسالة السماء

١- **سمات الرسالة :** تختلف رسالة أفسس عن بقية رسائل بولس الرسول فــهى لا تحمل إشارات شخصية ولا تحيات الرسول ورفقائه إلـــى أشــخاص معينيــن بالإسم من أهل أفسس الذين عاش بينهم نحو ثلاث سنوات ودخـــل بيوتـــهم ، وأيضاً لم يكتب بولس هذه الرسالة لمعالجة مشاكل إيمانيَّة أو أمور عقائديَّــة أو خطايا متفشيَّة فى الشعب ، ولكنه كتب هذه الرسالة كعظة بليغة سامية تـــدور حول مقاصد الآب الأزليَّة التى تمَّمها فى شخص الرب يســوع وحقَّقــها مــن خلال الكنيسة جسد المسيح ، وتبدأ الرسالة بأنشودة سمائيه رائعة . ثم تنســاب الأفكار حرة مُحلّقة فى السماويات بدون عائق ، والخط السماوى واضح جــداً فى الرسالة، فالكنيسة سماويَّة لأن عريسها سماوى جـــالس فـــى الســماويَّات وأجلسنا معه ، ونحن نصارع قوات الظلمـــة التـــى تريــد أن تبعدنـــا عــن السماويَّات ، وإن كانت معظم رسائل بولس الرسول تحدثنا عن المسيح المتــألم فإن هذه الرسالة ترفع أنظارنا إلى الآب إله المجد وإلى الســيد المســيح رب المجــد المُمجَّد الجالس فى المجد، ورسالة أفسس التى تُحلّق بنا فى السماويَّات

تعيش معنا الحياة الواقعية لترفعنا من الأرضيَّات إلى السمائيات ، ولذلك إختارت الكنيسة فصلاً من الرسالة (أف٤: ١-٦) لتصلى به كل يوم فى صلاة باكر، وفصلاً أخر (أف٥: ٢٢-٦:٣) لتتلوه فى سر الزيجة المقدس .

رسالة أفسس هى تاج الرسائل البوليسية ..

رسالة أفسس هو القلب الخافق لرسائل بولس الرسول ..

رسالة أفسس هى رسالة الحياة الباطنيَّة ، فالكلمات المميزة للرسالة مثل الملأ والغنى والنعمة تحدثنا عن الحياة الداخلية ..

رسالة أفسس هى رسالة النعمة ولذلك يتكرَّر ذكر النعمة فى الرسالة اثنى عشرة مرة

رسالة أفسس هى رسالة القديسين فى المسيح ولذلك يتكرر لفظ القديسين فيها نحو أربعة عشر مرة .

رسالة أفسس هى رسالة الكنيسة الجامعة التى تجمع الكل ما فى السماوات وما على الأرض فى شخص الرب يسوع ..

رسالة أفسس هى أنشودة كنسيَّة رائعة تشبه إلى حد كبير لغة القداسات الإلهية [١: ٣،٤،٢٠-٢٣، ٢: ٤-٧،١٤-١٨،٣: ٢٠-٢١،٤: ٤-٦، ٥: ٢،٢٥-٢٧]

رسالة أفسس تُعلِن لنا عمل الثالوث القدوس فى الكنيسة ، فالآب اختارنا وعيَّننا للنبوة ، والإبن اقتنانا بدمه ، والروح القدس يقودنا للسماء ، وقد تكرَّر ذكر الروح القدس نحو ثلاث عشرة مرة .

رسالة أفسس تدعونا للعمل لتحقيق قصد الله ، ولذلك نجد فى الرسالة ٢٣١ فعلاً مقابل ١٥٨ إسماً ، بينما فى رسالة غلاطية نجد ١٣٩ فعلاً مقابل ٢٠٢ إسماً ، وفى رسالة رومية نجد ٣٩٣ فعلاً مقابل ٣٧٧ إسماً ، وفى الـ ٢٣١ فعلاً التى وردت فى رسالة أفسس منهم نحو مائة فعل تدعو للفعل والعمل المثمر .

رسالة أفسس هى الرسالة التى يذكر فيها إسم الله أو الضمائر التى تشير إليه مثل " الذى " أو " فيه " أو " خلاله " كثيراً .. رسالة أفسس سجّلها الوحى

الإلهى على لسان معلمنا بولس الرسول فى هدوء السجن . إنها قارورة طيـــب تفوح رائحتها من بين يدى أسير فى سلاسل ، وكلماتها العميقة تُعبّـــق قلوبنـــا فتسمو وتُحلّق فى السماويّات .. فيها نتلامس مـــع الأســلوب الأدبـــى الرفيـــع والكلمات المنتقاة بدقة وحكمة وغنى ، ولكيما يؤكد المعنى يستخدم أكثر من لفظ للتعبير عن نفس الشئ مثل قوله " غنى نعمته " ، و " غنى مجده " ، و " عظمـة قدرته " ، و" شدة قوته " .

ورسالة أفسس كإحدى رسائل السجن الأربعة تتناغم معاً ، وقال أحد الأفــاضل فى هذا " فى رسالة أفسس نجد أصداءاً متجاوبة مع رسالة كولوســـي ، وفـــى رسالة كولوسى نسمع نغمات مشتركة مع ألحان رسالة فيلبى ، وفـــى رســالة فيلبى نصغى إلى نبرات متفقة مع أناشيد رسالة فليمون [٢] . أما مفتاح الرســـالة وقلبها النابض وهدفها الفائق فهو أحنى ركبتيَّ لدى أبى ربنا يسوع المســيح .. لكى يعطيكم بحسب غنى مجده ، أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الإنسان البــاطن. ***" ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم .. وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفـــة لكـــى تمتلؤا إلى كل ملء الله " (أف٣: ١٤-١٩) .***

٢- **قانونيـــة الرسالـــة** : منذ القرون الأولى قبلت الكنيسة الرسالة ، ولم يشك أحد فى أن بولس الرسول كتبها إلى أهل أفسس بدليل :

الأدلـــة الداخليـــة : يذكر الرسول إسمه صراحة فى صدر الرســـالة" ***بولـــس رسول يسوع المسيح" (أف١:١)*** ، وفى ثنايا الرسالة يشير إلى شخصه قائلاً " ***أنـــا بولس أسير يسوع المسيح لأجلكم أيها الأمم " (أف ٣:١). " أنا الأسير فى الـــرب " (أف ٤:١) . " الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل " (أف ٦:٢٠) .***

أ-وأيضـــاً أسلــوب الرســـالة يتفــق تماماً مع أسلوب بولس الرسول ، وبناء

[٢] تفسير رسالة أفسس للدكتور القس إبراهيم سعيد صـــ٤ .

وتركيب الرسالة يتفق تماماً مع ما يتبعه بولس إذ يبدأ بالمقدمة والشكر ثم تقسيم الرسالة إلى جزأين الأول يتناول التعليم العقائدي الإيماني ، والثاني ينصَب على التعليم العقائدي العملي السلوكي ثم الختام .

ب- الأدلة الخارجية :

١- أقتبس منها كثير من الآباء مثل أكليمنضس الروماني عام ٩٠ في رسالته إلى كورنثوس (C46) ، وبوليكاربوس في رسالته إلى فيلبي (C.12) ، وأغناطيوس في رسالته إلى أفسس (C.12) ، وهرماس في كتابه الراعي عام ١٤٨م ، وإيريناؤس في كتابه الهرطقات في القرن الثاني الميلادي ، وأكليمنضس السكندري ، وقال عنها ترتليان إنها رسالة لاودكية ، واستشهد بها أوريجانوس (دائرة المعارف جـ١ ص٣٥٠) .

٢- اقتبس منها بعض الهراطقة مثل الباسيليين والفالنتينين ، وقال ماركيون إنها رسالة لاودكية .

٣- ورد اسم الرسالة في قائمة موراتوري Muratorian نحو عام ١٧٠م ، ضمن الرسائل القانونية (سطر ٥١) ، وفي القرن الثالث الميلادي أكد " هورت " أن الرسالة كانت موجودة عام ٩٥م .

الشك في الرسالة : بدأ الشك في كاتب الرسالة والموجه إليهم الرسالة . في القرن التاسع عشر عندما شكَّك " دي ويت " عام ١٨٢٩م في نسبة الرسالة إلى بولس الرسول وتبعه في هذا بعض الأشخاص ، وساقوا الحجج الآتية :

١- اختلاف اللغة والأسلوب والألفاظ فقد استخدم بولس الرسول ٤٢ كلمة لم يستخدمها في الرسائل الأخرى بينما الرسالة قريبة جداً من رسالة أكليمنضس الروماني .

توضيح :

أسلوب بولس الرسول واضح في الرسالة ، وأيضاً تركيب الرسالة يتفق مع طريقة بولس الرسول في تركيب رسائله ، وإن كان هناك قليل من الخلاف في

الأسلوب فمرجعه أن بولس كتب معظم رسائله فى خضم الكرازة والأسفار . أما هذه الرسالة فقد كتبها فى هدوء وسكون السجن، ولذلك نلاحظ التقارب الشديد بينها وبين توأمها رسالة كولوسي . أما عن تميز الرسالة بإثنين وأربعين كلمة فهذا ليس بالأمر الغريب فرسالة رومية تميزت بمائة كلمة ، وكورونثوس الثانية بخمسة وتسعين كلمة وفيلبى بواحد وأربعين كلمة لم ترد فى الرسائل الأخرى ، وسر تقارب الرسالة مع رسالة إكليمنضس الروماني لأن القديس إكليمنضس قرأ رسالة أفسس واقتبس منها وليس العكس ، ومع هذا فإن الدارس للرسالتين يلاحظ أن مفهوم " وحدة الكنيسة " يختلف فى الرسالتين ، فبولس يركز على الوحدة الروحيَّة بينما إكليمنضس يركز على الوحدة التنظيميَّة الكنسيَّة تحت قيادة الأسقف .

٢- الرسالة خلت من تحيات بولس الرسول أو أحد رفقائه إلى بعض الأشخاص الذين تربطهم به صلات حميمة بعد أن أمضى فى مدينتهم نحو ثلاث سنين ودخل بيوتهم .

توضيح :

لقد أراد بولس الرسول أن تصل هذه الرسالة ليس إلى كنيسة أفسس فقط بل إلى كنائس آسيا الصغرى ، ولذلك لم يصبغها بالصبغة الشخصية لكنيسة معينة ، ولهذا خلت الرسالة من التحيات والإشارات للصلات الشخصية الحميمة التى تربط الرسول بالأفسسيّين .

٣- يظهر من الرسالة إنه لا توجد معرفة شخصية بين كاتب الرسالة والمُرسَل إليهم الرسالة بدليل قوله " ***إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم..*** " ***(١٥:١)*** و" ***إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم*** " ***(٢:٣)*** وهذا لا يتفق مع بولس الرسول الذى أمضى نحو ثلاث سنوات ودخل بيوت المؤمنين هناك (أع ٢٠:٢) .

توضيح :

ذلك لأن بولس الرسول كتب هذه الرسالة كرسالة دورية عامة لكل كنائس آسيا، ولو قال البعض لماذا لم يسجل الرسول هذا فى المقدمة كما كتب بطرس الرسول لليهود الذين فى الشتات ، فذلك لأن الرسالة التى توجه إلى كنيسة بالإسم تكون ذو تأثير أكبر، ومحل موضع وافتخار لأبناء هذه الكنيسة، وإن كان بولس الرسول لم يسبق له استخدام مثل هذا الأسلوب ، فليس معنى هذا أن استخدامه له يعد ضرباً من الاستحالة.

٤- يظهر من الرسالة استقرار الصراع بين اليهود والأمم ، وهذا لم يتحقق إلا بعد عصر الرسل .

توضيح :

لقد وحَّد السيد المسيح اليهود والأمم فى كنيسته ، وبالمعمودية نسى اليهودى ماضيه وكذلك الأممي ، وكل منهما صار جديداً فى المسيح ، ومع أن محاولة التهود حاولت خلق فاصل جديد بين المؤمنين الذين من أصل يهودي والمؤمنين الذين من أصل أممي إلا أن معلمنا بولس الرسول تصدى لها بقوة وشجاعة، وحكم عليها مجمع أورشليم . كما أن هناك دليل قاطع على أن الرسالة كُتبت قبل خراب أورشليم عام ٧٠م لأن الرسول أشار إلى حائط السياج المتوسط (١٤:٢) ولم يُشر إلى خراب الهيكل اليهودي .

٥-من أين جاءت للرسول وحدة كل الأشياء فى المسيح يسوع ؟

توضيح :

فكرة وحدة الأشياء فى المسيح يسوع هى بلا شك من الروح القدس الذى أوحى للكاتب ، وأيضاً من البذرة التى وصفها الرسول فى رسالته إلى كولوسي عندما أكد أن فى السيد المسيح كل الكفاية ، وقد تكون كثرة أسفار بولس ولما لمسه من السلام الرومانى Rax Roman إذ نجحت الإمبراطورية الرومانية فى

إنهاء الصراع والمعارك الطاحنة بين الشعوب المختلفة وحطمت الحواجز فهذه الصورة الجميلة قد تكون أوحت للرسول بوحدة كل الأشياء ما فى السماوات وما على الأرض فى شخص السيد المسيح .

٦- يظهر من الرسالة التوقير الشديد للرسل واعتبارهم قديسين ، وهذا التوقير ظهر بعد استشهاد الرسل وليس فى حياتهم .

توضيح :

إن كان بولس الرسول يدعو المؤمنين فى كنيسة رومية (رو١:٧) وأهل كورونثوس (١كو١:٢) وأهل كولوسى (كو١:٢) بالقديسين .. فهل نستكثر دعوته للرسل بالقديسين ؟!

٧- خلت بعض النسخ القديمة مثل البردية الأخميمية chester Beaty التى ترجع إلى عام ٢٠٠م والنسخة الفاتيكانية، والسينائية، والمخطوط ٦٧ (codex 67) من كلمتى " فى أفسس " .

توضيح :

لقد أراد معلمنا بولس الرسول أن تكون هذه رسالة عامة لعدد كبير من كنائس آسيا الصغرى ، فلذلك وُجِد فراغ مكان كلمتى " فى أفسس " لكى توضع إسم كل كنيسة توجه إليها نسخة من الرسالة ، وإلى هذه الرسالة أشار معلمنا بولس الرسول على إنها الرسالة إلى لاودكية (كو٤:١٦) ، ولأن أفسس كانت عاصمة آسيا الصغرى حينذاك وتمثل أم المدائن وحمل تيخيكس النسخة الأصلية لها لذلك نسبت الرسالة إلى أفسس ، واستقر هذا الوضع فى الكنيسة منذ القرون الأولى .

٨- قال "جود سبيد" العالم الأمريكي أن أحد تلاميذ بولس الرسول جمع رسائله بعد إستشهاده فى مدينة أفسس نحو عام ٩٠م ، وتطوع بكتابة مقدمة لمجموع الرسائل يحاكى فيها معلمه ، فأشتهرت هذه المقدمة ودعيت برسالة أفسس .

توضيح :

دائماً المحاكاة تأتى أقل من الأصل ، أما رسالة أفسس فإنها لا تقل عن سائر رسائل بولس الرسول بل قد تفوقها، ولو كان الكاتب تلميذ بولس الرسول فبأى حق ينتحل شخصية معلمه ويقول عن نفسه " *أنا الأسير فى الرب* " *(أف ٤:١)* ؟! وبأى حق يقلل من شأن معلمه قائلاً " *أنا أصغر جميع القديسين* " *(أف ٣:٨)* ؟! ولو كان بولس الرسول قد أُستشهد وقت كتابة الرسالة فلماذا يطلب الكاتب بلسان بولس صلوات أهل أفسس عنه (أف٦: ١٨، ١٩) ؟! ولو كُتِبت الرسالة فى وقت متأخر فلماذا لم يُشر الكاتب إلى الاضطهاد الواقع على أهل أفسس؟

إذاً بولس الرسول هو كاتب الرسالة إلى كنائس آسيا الصغرى ولا سيما أفسس .. كتبها على درج من البردى وطواها وربطها بخيط غير إنه لم يختم عقدة الخيط بالشمع كما كانوا يفعلون فى ذلك الزمان للرسائل السريَّة والشخصيَّة ، وقام تلميذه تيخيكس بعمل خدمة البريد التى لم تكن متوفرة حينذاك إلا للبريد الحكومي الإمبراطوري .

٣- مكان وزمان وهدف رسالة أفسس :

كتب معلمنا بولس رسالته إلى أهل أفسس نحو عام ٦٢م وهو فى أواخر فترة سجنه فى روما حيث استأجر بيتاً لمدة عامين، ففى هدوء السجن وتحت الحراسة الدورية كتب هذه الرسالة بعيداً عن ضجيج العالم وبعيداً عن الإضطرابات من ضرب ورجم وجلد ، وكتب بولس الرسول هذه الرسالة بعد أن كتب رسالته لأهل كولوسي بوقت قصير.

وقال البعض أن بولس الرسول كتب هذه الرسالة فى سجن قيصرية قبل سفره إلى روما ، وساقوا الأدلة على ذلك لكن جميع أدلتهم مردود عليها ، ومن هذه الحجج ما يأتى :

أ- كان من الأقرب أن يلتقى أنسيمس ببولس الرسول فى قيصرية وليس فى روما .

توضيح :

كان أنسيمس عبداً هارباً من سيده ومهدَّداً بعقوبة الإعدام ، ولذلك كان من الأفضل له الهروب إلى مدينة بعيدة وكبيرة مثل روما ولا يذهب إلى مدينة صغيرة وقريبة مثل قيصرية .

ب- قالوا لو أن الرسالة كتبت فى روما لكان من الطبيعى أن يذهب تيخيكس مع أنسيمس إلى أفسس أولاً ثم إلى كولوسي ، وهذا لم يحدث لأن إسم أنسيمس لم يرد فى هذه الرسالة بينما ورد فى رسالة كولوسي .

توضيح :

قد يكون تيخيكس مع أنسيمس وصلا أولاً إلى أفسس ولكن بولس الرسول لم يجد هناك داع لإضافة اسم أنسيمس ولا سيما أن رسالة أفسس دورية .

جـ - كتب بولس الرسول إلى فليمون يطلب منه أن يعدَّ له منزلاً (فل٢٢) وحمل هذه الرسالة تيخيكس مع رسالتى كولوسي وأفسس ، وذلك لأن بولس كان فى قيصرية قريباً من كولوسى وليس فى روما .

توضيح :

الرسول لم يكتب لفليمون عن مجيء سريع ، ولكن وعده بالذهاب إليه متى أُفرج عنه . كما أن بولس الرسول الذى إعتاد الذهاب إلى أبعد الأماكن ليس بعيداً عليه أن يذهب من روما إلى كولوسي .

د- يقولون أن قول بولس الرسول " ولكن لكى تعلموا أنتم أيضاً أحوالى.." (أف٦:٢١) إشارة إلى أن تيخيكس عبر أولاً إلى كولوسى وعن فهم لأحوال بولس الرسول ثم ذهب إلى أفسس .

توضيح :

كلمة " أيضاً " لا تعنى بالضرورة المفهوم السابق لكنها تحتمل معانى كثيرة منها أن رسالة كولوسى كتبها الرسول أولاً وحملت أخبار الرسول للمنطقة ككل ،

ثم جاءت رسالة أفسس تستكمل الحديث .

هدف الرسالة : لم يكتب بولس الرسول هذه كرسالة جدلية ترد على بدع وهرطقات عويصة ، ولم يكتبها لعلاج ظروف خاصة ألمت بكنيسة أفسس . لكنها رسالة تأملية تتناول موضوع " الكنيسة جسد المسيح " وتهدف إلى تثبيت إيمان أهل أفسس وبناءهم فى المحبة والقداسة ، ولذلك حوى **الجزء التعليمى** بعض المواضيع مثل الكشف عن قصد الله الأزلي تجاه الخليقة بأكملها إذ أراد أن يجمع كل ما فى السماء وما على الأرض فى شخص الرب يسوع لكيما يعيد الإنسجام للخليقة ، ومن أجل هذه الوحدة ومن أجل عودة الإنسجام تصاعد بخور صلاة أسير السلاسل فى ثنايا الرسالة إلى عرش النعمة ، ثم شمل **الجزء العملي السلوكي** على بعض الوصايا والنصائح الخاصة بالسلوك .

٤- رسالة أفسس والكتب المقدسة :

أ- **بين أفسس وسفر يشوع** : فى سفر يشوع يقوذ يشوع شعب الله إلى أرض كنعان ، وفى رسالة أفسس يقودنا يشوعنا الجديد الرب يسوع إلى أرض كنعان الجديدة أورشليم السمائية .

ب- **بين أفسس وسفر المزمير** : سفر المزامير يحدثنا عن السموات المادية *" السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه " (مز ١:١٩)* ، ورسالة أفسس تحدثناعن السموات الروحية التى دخل إليها السيد المسيح .

جـ- **بين أفسس وكتابات يوحنا الحبيب** : ومن أمثلة بينهما ما يلي :

- كل منهما يستخدم الكلمات المفتاحية الرنانة مثل " النور" و " الحياة " و " الموت " و" المحبة " و" المعرفة " .
- الوحدة فى المسيح (أف ص١ مقابل يو ص١٧) .
- الجلوس مع المسيح فى السماويات (أف ٢٠:٢ = رؤ٢١:٣) .

- الرسل هم أساس الكنيسة (أف ٢٠:٢ = رؤ ١٤:٢١) .
- حلول المسيح بالإيمان فى قلوبنا (أف ١٧:٣ = يو ٢٠:١٤) .
- الله يعطى النعمة ليس بكيل (أف٤:٧ = يو٣:٣٤) .
- نزول المسيح وصعوده (أف٤:٩ = يو٣:١٣) .
- غضب الله المعلن على أبناء المعصية (أف٥:٦ = يو٣:١٦) .
- رفض أعمال الظلمة (أف٥ :١١،١٣ = يو٣: ١٩،٢٠) .
- الكنيسة عروس المسيح (أف٥:٢٥ = رؤ١٩:٧، ٢١: ٢،٣، ٢٢:١٧) .
- المسيح يُقدّس ويُطهر الكنيسة بدمه (أف٥:٢٦ = يو ص١٧،١٩، ايو ١:٧)
- السلوك فى النور (أف ٥:٢٨ = ايو ١:٦) .

د- **بين أفسس وكتابات لوقا الإنجيلى** : من أوجه التشابه بين رسالة أفسس وإنجيل لوقا وسفر الأعمال :

- صعود المسيح وجلوسه عنه يميــن الآب (أف١:٢٠، ٤:٨ = لــو٢٤:٥١، أع١:٩، ٢: ٣٢-٣٦، ٧:٥٥) .
- هدف المسيح القداسة والبر (أف٤:٢٤ = لو١:٧٥) .
- الإيمان بالمسيح ينقل الإنسان من الظلمـــة إلـــى النـــور (أف٥: ٨-١٣ = أع٢٦:١٨) .
- لتكن أحقاؤكم ممنطقة (أف٦:١٤ = لو١٢:٣٥) .

هـ- **بين أفسس ورسالة بطرس الرسول** : هناك تشابه كبير بين الرسالتين، فربما بطرس الرسول إطلع على رسالة أفسس أو تناقش مع بولس الرســول ، ومــن أمثلة هذا التشابه ما يلى :

- بداية تسبحة الشكر ***"مبارك الرب أبو ربنا يسوع المسيح" (أف١:٣ = ابط١:٤)*** .
- الميراث الأبدى (أف١:١٨ = ابط١:٤) .
- الآب أقام المسيح من الأموات ورفعه إلى المجد (أف١:٢٠ = ابط١:٢١).

- مجد المسيح وخضوع القوات له (أف١: ٢٠-٢٢ = ١بط٣:٢٢) .
- شهوات الجسد ، وأولاد الله وأبناء المعصية (أف٢:٢ = ١بط١:١٤، ١١:٢٤) .
- المؤمنون حجارة حيَّة مبنيون على حجر الزاوية يسوع المسيح (أف٢: ٢٠-٢٢ = ١بط٢: ٤-٦) .
- طرح الخبث والكلام الذميم (أف٤: ٢٥،٣١ = ١بط٢:١) .
- العلاقة بين العبيد والأسياد (أف٦: ٥-٩ = ١بط٢:١٨) .
- الحروب الروحية (أف ٦:١٠-١٧ = ١بط٥: ٨-١٠) .

و- **بين أفسس ورومية :** من أوجه التشابه بين أفسس ورومية ما يلى :

- تساوى اليهود والأمم في بر المسيح والبركات والمواعيد (أف١:٣، ٢:٦، ٧ = رو٣:٢٢، ١٠:١٢) .
- خلاص الأمم ورجوع إسرائيل (أف٣:٦ = رو١١:٢٥،٢٦) .
- المصالحة بين اليهود والأمم (أف٢:١٤ = رو٥: ١٠،١١) .
- ما تحمّله كاروز الأمم من أجل الكرازة للأمم (أف٣:١، ٤:١، ٦:٢٠ = رو١١:١٣، ١٥:١٩) .

ز- **بين أفسس وكولوسى وفليبى وفليمون :** رسالتى أفسس وكولوسى تمثلان توأمان، ولا يوجد تشابه بين سفرين فى الكتاب المقدس كله مثل التشابه بين هاتين الرسالتين. ففى أفسس ٧٣ آية (من إجمالى ١٥٥ آية) تجد لها الشبيه فى كولوسى ، وثلث مفردات كولوسى تجدها فى أفسس (راجع مقدمة كتابنا رسالة كولوسي) وإن كانت رسالة كولوسي تحدثنا عن مجد المسيح رأس الكنيسة فان رسالة أفسس تحدثنا عن الكنيسة جسد المسيح ، وإن كانت رسالة كولوسى تقدم السيد المسيح باعتباره الملء *" لأنه فيه سُر أن يحلّ كل الملء" (كو١:١٩) " فإن فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسدياً " (كو٢:٩)* فأن رسالة أفسس تقدم السيد المسيح الذى يملأ الكل فى الكل (أف١:١٣) ، وإن كانت رسالة كولوسي تقدم

السيد المسيح الذى فيه كل الكفاية ، فإنه فى رسالة أفسس يستثمر بولس الرسول هذه الفكرة وينميها ، ففى المسيح يجتمع الكل ما فى السماوات وما على الأرض .

وعندما قال السيد المسيح *" أنا فى أبى وأنتم فيَّ وأنا فيكم " (يو ١٤: ٢٠)* نرى تحقيق وتفسير هذه الآية فى رسائل بولس الرسول الثلاثة كولوسى وأفسس وفيلبى ، ففى رسالة كولوسى نرى المسيح فى الآب " أنا فى الآب "، وفى أفسس نرى أنفسنا مع المسيح " أنتم فيَّ " ، وفى فيلبى نرى المسيح فينا " أنا فيكم " وقال أحد الأفاضل " فى رسالة أفسس نجد أصداء متجاوبة مع رسالة كولوسى ، وفى رسالة كولوسى نسمع نغمات مشتركة مع ألحان رسالة فيلبى ، وفى رسالة فيلبي نصغى إلى نبرات متفقة مع أناشيد رسالة فليمون [٣] .

٥- محتويات الرسالة :

تشمل رسالة أفسس المقدمة (١: ١،٢) وجزء عقيدي تعليمي (١،٣-٣:٢١) وجزء ثانى عملي سلوكي (٤: ١-٦: ٢٠) ثم الختام (٦: ٢١-٢٤) ويمكن وضع الخطوط العريضة للرسالة فى الإطار الآتى :

أولاً : عنوان الرسالة : (١: ١،٢) .

ثانياً : الجزء التعليمى : (١: ٣-٣: ٢١) ويشمل الآتى :

أ- ترنيمة شكر لله الواحد المثلث الأقانيم مانح البركات السمائية فالآب إختارنا وتبنانا، والإبن فدانا وغفر خطايانا ومنحنا الحكمة والفطنة وعرّفنا سر مشيئته (١: ٣-١١) .

ب- الله إختار إسرائيل ثم أتى بنا نحن الأمم إلى الإيمان ببشارة الإنجيل ، والروح القدس يمنحنا الختم وعربون الميراث السمائي (١: ١١-١٤) .

---

[٣] تفسير رسالة أفسس للدكتور القس إبراهيم سعيد صـ٤ .

جـ- بولس يشكر الله من أجل إيماننا ، ويصلى من أجلنا ليمنحنا الله روح الحكمة ومعرفة رب المجد يسوع رأس الكنيسة (١: ١٥-١: ٢٢) .
د- بولس الرسول يُذكّرنا بأننا كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا ، والسيد المسيح أحيانا من موت الخطية ، وأقامنا معه ، وأجلسنا معه فى السماويات ، وخلّصنا بالنعمة وأعدّ لنا الأعمال الصالحة لنسلك فيها (٢: ١-١٠) .
هـ- نحن الأمم الذين كنا قبلاً بدون مسيح أجنبيين صرنا فى المسيح قريبين (٢: ١١-١٣) والمسيح هو سلامنا الذى جمع الأمم مع اليهود ، وصالح الإنسان مع الله فى الصليب ، وبه نصلى لله الآب (٢: ١٤-١٨) .
و- لسنا بعد غرباء بل رعية لله مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء وحجر الزاوية الرب يسوع لنكون هيكلاً مقدساً يسكن فيه روح الله (٢: ١٩-٢٢) .
ز- من أجل خلاصنا نحن الأمم صار بولس الرسول أسيراً ، فخلاصنا كان سراً مكتوماً من قبل ولكن الله أعلنه للرسول فصار خادماً لهذا السر (٣: ١-١٣)
حـ- صلاة بولس الرسول من أجلنا نحن الأمم ليؤيدنا الرب بقوته ويحل المسيح بالإيمان فى قلوبنا ولنتأصل فى المحبة ، ونتلامس م محبة المسيح الفائقة (٣: ١٤-٢١) .

ثالثاً : الجزء العملى السلوكى (٤: ١-٦: ٢٠) ويشمل الآتى :

أ- طلبة بولس الأسير لكى نسلك فى التواضع والوداعة وطول أناة والمحبة والوحدانية ، لأننا جسد واحد ويسكن فينا الروح الواحد ، ولنا رجاء واحد فى الله، وجميعنا أخوة لأننا أبناء معمودية واحدة (٤: ١-٦) .
ب- إن الله منحنا المواهب المتنوعة من أجل بنيان الكنيسة وحتى نصل إلى معرفة إبن الله ، فنثبت ضد كل تعليم غريب وننمو فى كل شئ فى المحبة (٤: ٧-١٦) .

جـ- إلحاح بولس الرسول لكى لا نعود إلى السلوك فى الشرور والآثام وفساد الحياة الأممية السابقة من دعارة ونجاسة وشهوات الغرور ، بل نلبس الإنسان الجديد (٤: ١٧-٢٤) .

د- نصائح الرسول لنا للبعد عن الكذب والغضب والكلام الردىء والخبث حتى لا نحزن روح الله القدوس ، بل نكون لطفاء (٤: ٢٥-٣٢) .

هـ- بولس الرسول يؤكد على السلوك فى المحبة وتجنب الرذائل من زنى ونجاسة وطمع وقباحة وكلام سفاهة وهزل حتى لا يأتى علينا الغضب الإلهي ، فيجب أن لا نشترك فى أعمال الظلمة بل بالحرى نوبخها (٥: ١-١٤)

و- يد عوناً بولس الرسول للسلوك بتدقيق والبعد عن المُسكِرات ، والشبع بالتسابيح والتراتيل والأغانى الروحية شاكرين الله كل حين (٥: ١٥-٢١) .

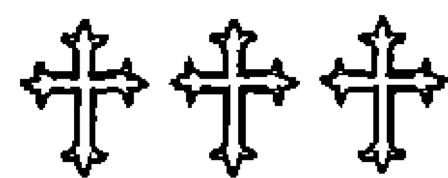
ز- وصية الرسول للنساء ليخضعنّ لرجالهنّ كما تخضع الكنيسة للمسيح عريسها، ووصيته للرجال ليحبوا نساءهم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها (٥: ٢٢-٣٣) .

حـ- وصية الرسول للأولاد لإطاعة والديهم، ووصيته للأباء حتى لا يغيظوا أبناءهم (٦: ١-٤) .

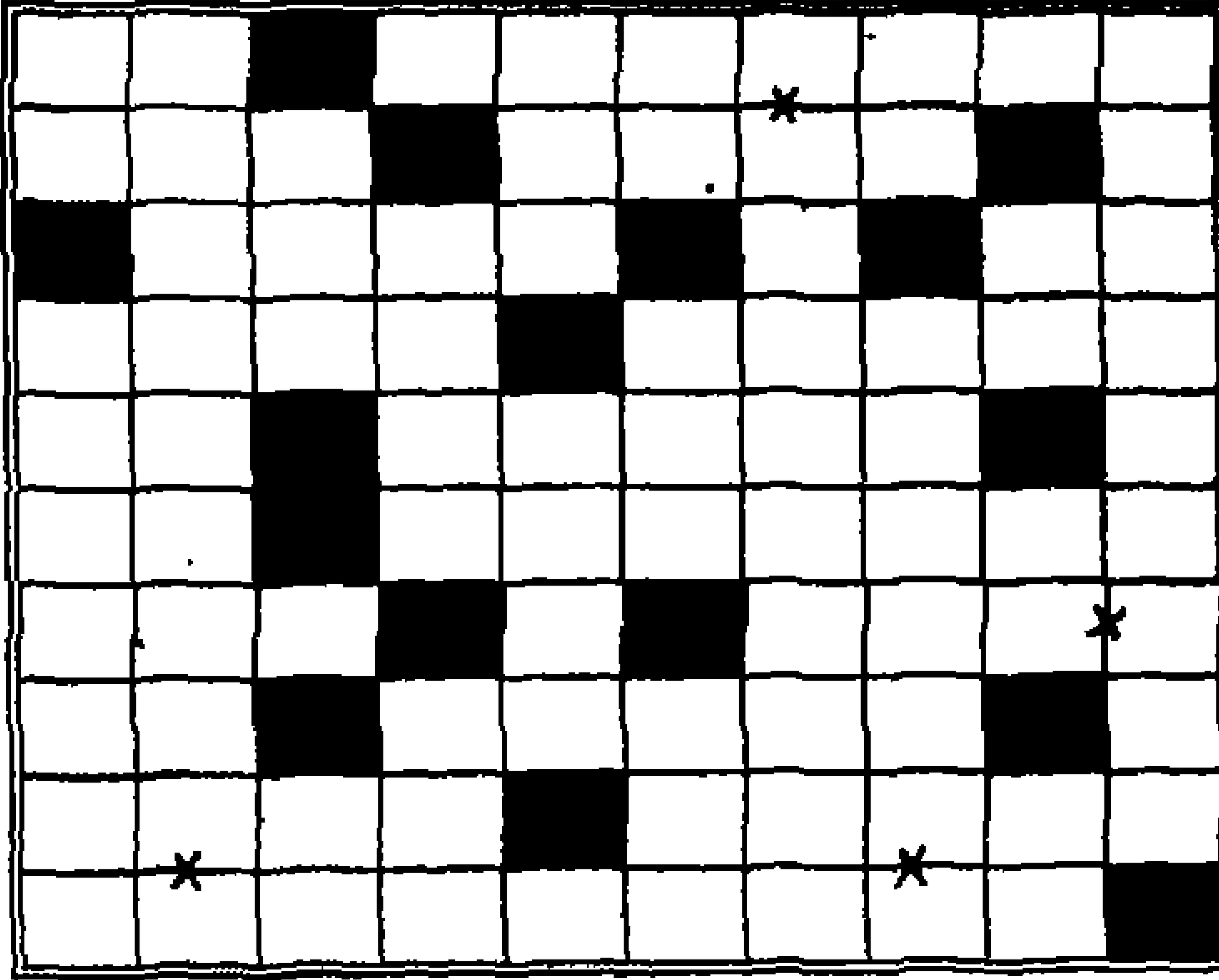
ط- وصية الرسول للعبيد لطاعة أسيادهم كما يطيعون المسيح ، ووصيته للسادة بالعدل والرحمة (٦: ٥-٩) .

ك- دعوة الرسول أيانا لنتقوى فى جهادنا الروحي ونتسلح بسلاح الله الكامل ضد مملكة الظلمة (٦: ١٠-٢٠) .

رابعاً : ختام الرسالة : حيث يوضح بولس الرسول لأهل أفسس أنه أرسل لهم تيخيكس ليعرفهم بجميع أحواله ، ولكيما يعزى قلوبهم ، ثم يختم الرسالة بالسلام والنعمة (٦: ٢١-٢٤) .



السؤال الأول : كلمات متقاطعة



الكلمات الرأسية :

١- مؤسس مدينة أفسس .

٢- أنت (بالإنجليزية)- ثلثى وكر- أداة نفى

٣- من الطيور (معكوسة)-من الرتب الكهنوتية (مبعثرة) .

٤-من قراءات القداس الإلهي .

٥- نصف عملة مصرية قديمة - حرف هجائى (معكوسة) - يتعب (معكوسة) .

٦- فترة زمنية - جسد (بالقبطية) .

٧- مدينة أحترقت ليلة ميلاد اسكندر الأكبر- حرف هجائى . ٨- يغطى الجسم- عملة يابانية (معكوسة)

٩- اللغة الأساسية لمدينة أفسس . ١٠- نصف مدينة الله - استولوا على أفسس عام ١٣٣ ق.م

الكلمات الأفقية :

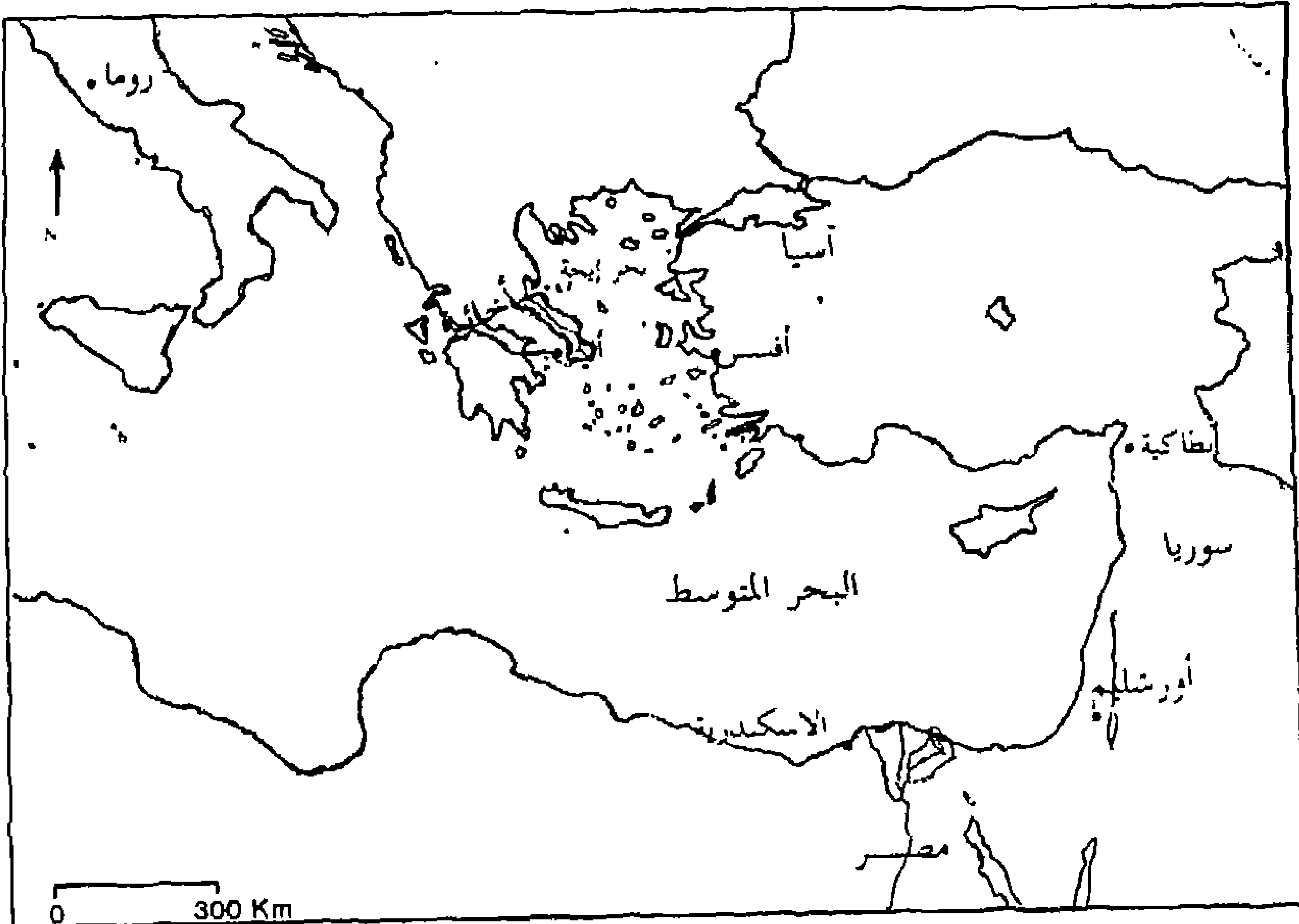
١-من الهياكل الوثنية -أداة تعريف . ٢- من مؤسسي الإيمان المسيحي فى أفسس (مبعثرة) - فى السماء

٣-من أعضاء الجسم (معكوسة)- يُنْتَهر (معكوسة) ٤- حوكم فى أفسس لهرطقته(معكوسة) - قادم (مبعثرة)

٥- يعرف عند العرب باسم قارون - أداة نفى (معكوسة) . ٦- أحد الجبال القريبة من أفسس - ثلثى أرى

٧- قُيِّدَ - عَزْم (مبعثرة) . ٨- الهة تمثل أم الحياة (مبعثرة) - ثلثى يمر .

٩-من أباتنا البطاركة ذهب إلى أفسس معكوسة -أخف مبعثرة ١٠-أحتلوا أفسس فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد



الاصحاح الأول

فى مقدمة هذا الأصحاح يهدى بولس الرسول النعمة والسلام لأهل أفسس ، ومن خلال تسبحته الرائعة (٣-١٤) يفتح الرسول أذهاننا لندرك عمل الله المثلث الأقانيم لأجلنا ، فالآب إختارنا وعيَّننا للبنوة منذ الأزل ، والإبن فدانا بدمه وغفر لنا خطايانا ، وهو يجمع الكل في شخصه سمائيّين وأرضيّين .. يهود وأمم فى وحدة واحدة ، والروح القدس يضع على قلوبنا ختم القداسة ، فالروح هو عربون ميراثنا.

ثم نتلامس مع محبة بولس الرسول وحنانه ولطفه من خلال الصلاة الأولى فى هذه الرسالة (١٥-٢٣) وهو يطلب من الله روح الحكمة والإعلان والإستنارة لنا لندرك عظم الدعوة الموجهة لنا ، وعظم الميراث المُعَد لنا ، وعظم قدرة الله الفائقة العاملة فينا ، فالآب بقدرته أقام السيد المسيح من الأموات وأجلسه عن يمين العظمة في السموات ، وأخضع كل قوة ورياسة وسلطان تحت قدميه ، وجعله رأساً للكنيسة .. كل هذا لأجلنا .

ومن العبارات التى تتكرر كثيراً فى هذا الأصحاح " فى المسيح " أو مرادفاتها التى تُذكّرنا بأن كل بركة روحيَّة وكل نعمة إلهيَّة لا نحصل عليها إلاَّ من خلال المسيح يسوع ، وعبارة " فى السماويات " تُذكّرنا بأننا مواطنون سمائيون ، و عبارة " لمدح مجده " تعتبر قرار جميل يتردَّد فى السيمفونية التى عزفها الرسول ، و " المشيئة الإلهيَّة " التى تكشف لنا بأن الآب يشاء بل ويسرُّ بأن يمنحنا كل النعم الإلهيَّة من خلال إبنه المحبوب .

ويمكن تقسيم الأصحاح كالتالى :

١- مقدمة الرسالة (١-٢) .

٢- عمل الثالوث القدوس (٣-١٤) .

٣- صلاة وطلبة (١٥-٢٣) .

أولاً : مقدمة الرسالة (١-٢)

" ١ بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القدّيسين الذين فى أفسس والمؤمنين فى المسيح يسوع ٢ نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح " (١-٢)

" بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله إلى القدّيسين الذين فى أفسس والمؤمنين فى المسيح يسوع "(١)

كان النظام السائد عند كتابة الرسائل حينئذ أن يُصدّر الكاتب الرسالة بإسمه ثم يذكر وظيفته وإسم المُرسَل إليه ، فإتبع بولس الرسول نفس النظام ، ولكن الجديد فى الأمر أنه نسب كل من المُرسِل والمرسَل إليهم للرب يسوع فالمُرسِل هو رسول يسوع المسيح ، والمُرسَل إليهم هم القديسون فى المسيح يسوع .

بولس ..إسم يونانى معناه " صغير" ، وإسمه بالميلاد شاول وهو إسم عبرى معناه " المُطوَّب " أو " المرغوب فيه " ، وهو من سبط بنيامين الذى خرج منه شاول أول ملوك بنى إسرائيل ، وإن كان الإسم الأول العبري يحيط به الفخر والزهو فإن الإسم الثانى اليوناني يُدلنا على التواضع والبساطة ، وربما يكون شاول قد تسمَّى بإسم بولس بعد إيمان سرجيوس بولس والي بافوس (أع ١٣: ٦-١٢) ، وربما يكون شاول حمل الإسمين منذ طفولته كما كان يفعل الكثيرون من اليهود فمثلاً مرقس الرسول كان إسمه هذا يوناني ، وفى ذات الوقت حمل إسم " يوحنا " العبرى .

رسول يسوع المسيح .. بولس لسان العطر العظيم فى الرسل صاحب الإمكانات الجبارة والمواهب الفذة والخبرات الروحيَّة والرؤى السمائية والقوات غير المعتادة .. إلخ لم يشاء إن يُقدِم نفسه بهذه الصفات وتلك الألقاب إنما كان إفتخاره الأول أنه رسول يسوع المسيح الذى أفرزه من بطن أمه (غل١: ١٥) والذى دعاه من الضلال والظلمة والشر وحياة الجريمة إلى الحياة السامية السماوية ، والذى إختاره ليكون إناءاً مختاراً يحمل إسمه أمام أمم وملوك بنى

إسرائيل (أع٩: ١٥) ، والذى أرسله إلى الأمم بعيداً ليفتح عيونهم (أع٢٢: ٢١) ، والذى منحه السلطان للكرازة ، فقد كان مجمع السنهدريم يملك السلطة على جميع اليهود فى العالم كله ، فمتى أرسل هذا المجمع رسولاً بقرار معين منه إلى أى إنسان يهودي فإن هذا الرسول يحمل سلطة المجمع ، وهكذا كان يحمل بولس الرسول سلطة رب المجد يسوع "*بولس رسولاً لا من الناس ولا بإنسانٍ بل بيسوع المسيح*" (غل١:١) ، وهذا كان يلقى عليه عبء المسئولية فيخدم بكل أمانة وجهاد بلا ملَّل ولا كلَّل (٢كو٦:٤-١٠،١١: ٢٣-٣٣) .. كان إحساس بولس الرسول دائما أنه عبد يسوع المسيح (في١:١) وأسير محبته .

بمشيئة الله .. ما يذكره بولس إنه رسول يسوع المسيح ليس من قبيل الفخر والكبرياء والبرّ الذاتي ، ولكن من قبيل مشيئة الله الصالحة .. أنه يشعر بما ناله من نعمة لا يستحقها "*لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم ..*" *(أف٣: ٨)* فمشيئة الله الصالحة هى مصدر خدمة بولس الرسول التى تباركت بها البشريَّة على مدى الأجيال . لقد شاء إلهنا الصالح أن يحمل بولس أسمي الإعلانات السمائيَّة للبشريَّة .. ياأحبائى . ألا نشكر الله على مشيئته الصالحة التى وهبتنا شخصية عظيمة كشخصية بولس الرسول ؟!

" **إلى القديسين .. والمؤمنين** .. القديسون هم المفروزين والمكرَّسين والمخصَّصين لله ويعيشون حياة القداسة ، والمؤمنون هم الأمناء الثابتون فى حياة القداسة ، ومعلمنا بولس لا يوجه كلامه لفئة معينة ويعتبرهم قديسين دون سواهم ؛ إنما يعتبر الجميع قديسين على أساس ما ينبغى أن يكونوا عليه ، ولذلك فهو يوجه كلامه للآباء والأمهات والأبناء والسادة والعبيد معتبراً إياهم جميعاً قديسين فى المسيح يسوع .

إلى القديسين الذين فى أفسس والمؤمنين .. فى العهد القديم كان بنو إسرائيل هم الشعب الوحيد المقدَّس لله دون شعوب الأرض جميعاً التى ضلَّت فى غياهب

الوثنية أما فى العهد الجديد فكل المؤمنين من كل أمة ولسان هم قديسون ، وكأن بولس الرسول يريد أن يُطمئن أهل أفسس أجمعين ، فالذين هم من أصل يهودي لم تزل القداسة عنهم ، والذين من أصل أمَّمى قد دخلوا فى حياة القداسة .

القديسين الذين فى أفسس .. أفسس مركز الشر والفساد وهيكل ارطاميس بكل نجاساته هل يوجد فيها قديسون ؟! .. أنها معجزة عجيبة يُشبِهُها البعض بوردة بيضاء فى محيط أغبر أو جذوة نار فى قلب البحر أو بنفسجة نابتة فى قلب الصخر.

فى أفسس .. فى المسيح يسوع .. هذا هو مقر المومنين ومكان سكناهم وعنوانهم الأرضي ، ولكن هؤلاء القديسون لهم مقر وعنوان آخر سماوي وهو " فى المسيح يسوع " .

فى أفسس .. هاتان الكلمتان ليس لهما وجود فى كثير من النسخ القديمة بل يوجد مكانهما فراغاً .. لماذا ؟ لأن الرسالة وجهها معلمنا بولس لكنائس آسيا الصغرى عامة ، ولذلك تُرِك المكان خاليا لكيما يُدّون النساخ فيه إسم الكنيسة التى ستوجه إليها النسخة .

فى المسيح يسوع .. يكرر الرسول هذه العبارة ١١ مرة خلال الآيات من ١-١٤ فى هذا الأصحاح ليؤكد أن كل بركة لا يمكن أن نحصل عليها إلاَّ من خلال يسوع المسيح ، فحياة الإيمان والقداسة يستحيل على الإنسان أن يحصل عليها خارج دائرة السيد المسيح لأنها لا تنبع من الإنسان إنما تنبع من قدوس القدوسين وتجرى فينا كما تجرى عصارة الكرمة فى الأغصان فتمنحها حياةً ونضارةً ونمواً وأثماراً .

نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح " (٢)

نعمة لكم وسلام .. هذه هى التحية التى إعتاد بولس الرسول أن يفتتح بها

رسائله . أما بطرس ويهوذا الرسولان فيضيفان لهذه التحية " الرحمة " .

والنعمة هى التحية اليونانية ، فالأصل اليونانى لكلمة النعمة تعنى " الجمال " ، وقد إختار اليونانيون الذين يعيشون فى بلاد الجمال ويعشقون الجمال ويعبدون فينوس إلهة الجمال كلمة النعمة كتحية لهم أما النعمة فى المفهوم المسيحي فالمقصود بها العطية التى تنساب من قلب الله المحب السخى لنا نحن غير المستأهلين لها .

نعمة لكم وسلام .. السلام ليس بالمفهوم اليهودى أى الأمن الخارجي من الأعداء المحيطين ، وليس السلام بالمعنى السلبى أى البعد عن المشاكل والمتاعب والآلام وليس بالمعنى العالمي أى توافر الحماية والأمان والإمكانات والكماليات ، ولكن بمعناه المسيحي الإيجابي الذى يحمل الاستقرار والرضى والهدوء والطمأنينة بغض النظر عن الظروف المحيطة ، ولذلك لا عجب أن نرى بولس الرسول فى أسره وسجنه يملك السلام فى قلبه ، ولا عجب أن نبصره وهو مُنقاد إلى سفك دمه والسلام يرفرف عليه .

نعمة لكم وسلام .. النعمة مرتبطة بالسلام ، فالنعمة هى عمل الله لأجلنا ، والسلام هو استجابتنا لعمل النعمة فينا .. من يحصل على النعمة يعيش تلقائياً فى سلام ، ومن يتمتع بسلام الله يعيش تلقائياً فى النعمة .. النعمة تُعيننا فى جهادنا والسلام يحفظنا هادئين ثابتين ، والنعمة والسلام معاً هما المناخ الذى تنمو فيه القداسة ويترعرع فيه الإيمان ، ولهذا يُكرّر بولس الرسول فى هذه الرسالة كلمة " السلام " سبع مرات ، ويكرّر كلمة " النعمة " اثنى عشرة مرة .

من الله أبينا والرب يسوع المسيح .. أن الله أبينا هو نبع النعمة ، فلأنه أبونا فهو يهبنا نعمته بغض النظر عن استحقاقاتنا ، وأعظم نعمة وهبها الآب لنا أنه بذل إبنه فداءاً عنا (يو٣: ١٦) وأرسل روحه القدوس " ***بما أنكم أبناء أرسل الله روح إبنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب*** " *(غل ٤: ٦)* .

من الله أبينا والرب يسوع المسيح .. يضع الرسول إسم يسوع المسيح بجوار إسم الله علامة المساواة بين اقنومي الآب والإبن ، فكون الرسول الذى من أصل يهودى ويتمسك جداً جداً بوحدانية الله ويصيغ هذه الجملة بهذه الطريقة وتأتى الجملة فى سياق الكلام بدون سابق جدال أو نقاش حول موضوع التثليث فهذا أكبر دليل على إستقرار عقيدة الثالوث القدوس منذ إنتشار المسيحية . كما أن هذه الآية ترد على الأفكار الغنوسية التى إدعت أن إله العهد القديم هو إله عادل وصارم ، أما إله العهد الجديد فهو إله غفور ورحوم ، فلذلك يؤكد بولس الرسول أن كل من الآب والإبن يهبان لنا النعمة والسلام .

ثانيا : عمل الثالوث القدوس (٣-١٤)

" ٣ مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركةٍ روحيَّة فى السماويَّات فى المسيح يسوع ٤ كما إختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لومٍ قدامهُ فى المحبة . ٥ إذ سبق فعيَّننا للتبنّى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرَّة مشيئته ٦ لمدح مجد نعمتهِ التى أنعم بها علينا فى المحبوب ٧ الذى فيه لنا الفداء بدمهِ غفران الخطايا حسب غنى نعمتهِ ٨ التى أجزلها لنا بكل حكمةٍ وفطنةٍ ٩ إذ عرَّفنا بسرّ مشيئتهِ حسب مسرَّته التى قصدها فى نفسهِ ١٠ لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئٍ فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك ١١ الذى فيه أيضا نلنا نصيباً معيَّنين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كلَّ شئٍ حسب رأى مشيئتهِ ١٢ لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤُنا فى المسيح ١٣ الذى فيهِ أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحقّ إنجيل خلاصكم الذى فيه أيضاً إذ آمنتم خُتِمتم بروح الموعد القدوس ١٤ الذى هو عربون ميراثنا لفداء المُقتنَى لمدح مجدهِ " (٣-١٤) .

هنا يبدأ القسم الأول من رسالة أفسس (١: ١٣-٣: ٢١) حيث يبدأ بتسبحة (١: ٣-١٤) وينتهى بتسبحة أخرى (٣: ٢٠-٢١) وبين التسبحتين نلتقى بغنى مجد المسيح ، وتمثل التسبحة الأولي فى الأصل اليوناني جملة واحدة طويلة تعتبر أنشودة شكر وتسبيح ، وربما تمثل تسبحة من تسابيح الكنيسة الأولى فى العصر

الرسولى ، ولعلها من ليتورجية العماد لأنها ترتبط ببركات المعمودية مثل التبنى (ع٥) ومغفرة الخطايا (ع٧) وختم الروح القدس (ع١٣) والتمتع بالميراث الأبدى (ع١٤) .

وبهذه التسبحة يدخل بنا بولس الرسول إلى مدينة الأنوار وقمم المجد ، فالتسبحة تشمل ١٢ آية تمثل ١٢ حلقة متصلة تشكل سلسلة ذهبية ، فتحلق الحلقة الأولى بنا فى عنان السماء " مبارك الله ... " وتمسك الحلقة الأخيرة بحياتنا ونحن على الأرض حيث نتمتع بعربون الميراث السمائى .

لقد صارت الكلمات البشرية ضعيفة ومفردات اللغة عاجزة عن التعبير ، ولذلك نرى الرسول يلجأ إلى تكرار كلمات معينة ليؤكد المعنى الذى يريد أن يُظهِره ، فمثلاً لكيما يؤكد أن كل بركة روحيَّة لا يمكن أن نحصل عليها إلاَّ من خلال السيد المسيح نجده يُكرّر كلمة " الذى " فى هذا المقطع ٧ مرات ، وكلمة " فيه " خمس مرات ، وكلمة " الذى فيه " أربع مرات ، وإن كانت التسبحة توضح ثلاث مراحل فى رحلة خلاصنا ، فإن كل مرحلة تنتهى بقرار جميل هو " مدح مجده " ، فالمرحلة الأولى تشمل عمل الآب قبل الآزل (٣-٦) وتنتهى بـ " مدح مجد نعمته " ، والمرحلة الثانية تشمل عمل الإبن فى الزمن (٧-١٢) وتنتهى بـ " مدح مجده " ، والمرحلة الثالثة تشمل عمل الروح القدس فى نقل استحقاقات الفداء لنا (١٣،١٤) وتنتهى بـ " مدح مجده " .

" مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركةٍ روحيَّة فى السماويَّات فى المسيح يسوع " (ع٣)

تمثل هذه الآية رأس التسبحة التى تضعنا أمام العرش الإلهي الملتهب ناراً ومجداً وبهاءاً وجمالاً ..

مبارك الله .. هى أنشودة الخليقة الأولى .. مبارك الله خالق السماء وكل ما

فيها والأرض وما عليها والبحار وما فيها .. مبارك الله الذى شاء منذ الآزل أن يخلقنا ويفدينا ، وفعل ذلك فى الزمن ، وهو فى إنتظارنا فى الأبدية لكيما نبارك إسمه إلى الأبد .

مبارك الله .. هى لغة البركة فى العهد القديم التى قدمها رجال الله ، فأيوب فى تجربته المُرَّة بارك الله " ***فليكن إسم الرب مباركاً*** " ***(أي١: ٢١)*** ، وداود عندما نجَّاه الله من يد شاول الملك بارك الله " ***مبارك صخرتى ومرتفع إله خلاصى*** " ***(مز١٠٨: ٤٦)*** وسليمان فى مجده بارك الله " ***مبارك إسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده*** " ***(مز٧٢: ١٩)*** ودانيال النبى فى سبيهِ لم يكُف عن مباركة الله " ***ليكن إسم الله مباركاً من الآزل وإلى الأبد*** " ***(دا٢: ٢٠)*** ، وأيضاً العبادة اليهودية فى هيكل سليمان احتوت ١٨ صلاة كل منها تبدأ بالبركة " مبارك الله .. " ، ودعى الله بالمبارك ولذلك سأل رئيس الكهنة السيد المسيح قائلاً " ***أأنت المسيح إبن المبارك*** " ***(مز١٤: ٦١)*** ، و " مبارك " فى الأصل اليونانى تعنى القول النبيل وقد وردت فى العهد القديم نحو ٤٠٠ مرة ، وعكسها كلمة يلعن ، وكانت البركة تمنح منذ القدم بوضع اليد اليمنى .

مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح .. عرف الإنسان الله فى العهد القديم بأنه الإله الحي ، والإله الحقيقى ، والإله القدير ، والإله العلي ، والملك الأبدي ، وإله السماء ، وإله إسرائيل .. إلخ ، ولكن لم يعرف أحد من العهد القديم أن الله هو أبو ربنا يسوع المسيح ، فهذه لغة العهد الجديد بعد التجسد وبعد أن كشف الله لنا سر التثليث والتوحيد ، ولذلك إن كانت تسبحة " مبارك الله " هى تسبحة الخليقة الأولى والعهد القديم ، فإن تسبحة " مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح " هى تسبحة الخليقة المفديَّة بالدم ، ونفس التسبحة يضعها الروح القدس على فم معلمنا بطرس الرسول " ***مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات*** " ***(١بط١: ٣)*** ونحن يا أحبائى عندما نشكر الله

ونحمده ونسبحه ونمجد إسمه فنحن نباركه ، أى تتبارك حياتنا وتتقدس أفواهنا بتلاوة إسمه القدوس ، وعندما تتقدس حياتنا لا نكف عن مباركة الله .. إسمك حلو ومبارك فى أفواه قديسيك .. مبارك أنت يا الله فى جوهرك الإلهى .. مبارك أنت يا الله لأنك مصدر جميع البركات .. مبارك أنت يا الله يا من خلقت فينا اللسان لكيما يباركك ، والعقل لكيما يسبحك ، والقلب لكيما يلهج بحبك .

وكنيستنا الواعية تدعونا كل يوم لكيما نبارك الله فى الهوس الثالث مع الثلاث فتية القديسين " مبارك أنت أيها الرب إله آبائنا ومتزايد بركة ومتزايد علواً إلى الأبد .. مبارك إسم مجدك القدوس ومتزايد .. مبارك أنت فى هيكل مجدك المقدس ومتزايد .. مبارك أنت أيها الناظر إلى الأعماق الجالس على الشاوربيم ومتزايد .. مبارك أنت فى عرش ملكك ومتزايد .. مبارك أنت فى فلك السماء ومتزايد .. باركى الرب يا جميع أعمال الرب وسبحيه وزيديه علواً إلى الأبد .. إلخ " .

الذى باركنا .. فى خلقة آدم وحواء باركهم الله وقال لهم " ***إثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها " (تك ١: ٢٨)*** وفى تجديد الخليقة بعد الطوفان " ***بارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم إثمروا واكثروا واملأوا الأرض " (تك٩: ١)*** وعندما إختار الله إبراهيم باركه الله وجعله بركة " ***وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (تك١٢ : ٣)*** وكان وعد الله لإسحق " ***أكون معك وأباركك " (تك٢٦ : ٣)*** وصارع أبونا يعقوب الله ولم يتركه حتى باركه ودعى إسمه إسرائيل (تك٣٢: ٢٦-٢٨) .

الذى باركنا .. من جهة الله فإنه باركنا (فى الماضى) فهل نخضع برؤوسنا لقبول هذه البركات السمائيَّة .. من جهة الله منحنا غنى عظيم جداً جداً حتى وقف بولس الرسول متعجباً بقول " ***الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ ؟! " (رو٨: ٣٢)*** وهل مازلنا نعيش فى فقرنا وعوزنا ؟!

بكل بركةٍ روحيَّة .. كانت بركات العهد القديم مادية ومجالها الأرض ، أما بركات العهد الجديد فهى روحيَّة ومجالها السماويَّات .. بركات العهد القديم كانت

أرضيَّة " *مبارك تكون فى المدينة . ومباركاً تكون فى الحقل . ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك ..* " *(تث٢٨: ٣-٦)* وارتبطت بركات العهد القديم بطاعة الوصية " *إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض وإن آبيتم وتمرَّدتم تُوكَلون بالسيف* " *(اش١: ١٩، ٢٠)* أما فى العهد الجديد فالبركات روحيَّة سمائيَّة أشار إليها الرب يسوع فى الموعظة على الجبل بملكوت السموات عدَّة مرات (مت٥: ٣-١٠) ، وهذه البركات الروحيَّة لا ترتبط بالخيرات الأرضيَّة ، ولذلك نجد معلمنا بولس الرسول الذى يعانى من الجوع والفقر والعوز والعرى والسجن والإهانة والرجم .. إلخ ومع ذلك فهو يتمتع بملء البركات الروحيَّة السمائية ، وبينما كانت السلاسل تُكبِل يديه يقول لأهل فيلبى " *فإن سيرتنا نحن هى فى السموات* " *(فى ٣: ٢٠)* ، والبركات الروحيَّة نحصل عليها عن طريق الروح القدس ، وتخص أرواحنا البشرية ، وهى بركات غير زائلة نتمتع بها على هذه الأرض وتكمُل لنا فى السماء ..

فى السماويَّات .. هذه العبارة لم ترد فى الكتاب المقدس إلاَّ فى هذه الرسالة حيث وردت خمس مرات ، ولم يقصد الرسول بأننا سنتمتع بالبركات الروحيَّة فى المستقبل عندما نصل للملكوت ، لأننا نتمتع بهذه البركات ونحن ما زالنا مقيمين فى الجسد فترتفع أفكارنا وتسمو مشاعرنا وأحاسيسنا إلى السماء ، ولذلك يقول الرسول فى الأصحاح التالى " *وأجلسنا (فى الماضى) معه فى السماويات* " *(أف ٢: ٦)* والرب يسوع يوصينا " *إكنزوا (وأنتم على الأرض) لكم كنوزاً فى السماء* " *(مت٦: ٢٠)* وبولس الرسول يحفزنا " *إهتموا بما فوق لا بما على الأرض* " *(كو٣: ٢)* .

فى المسيح .. السيد المسيح مُذخَّر فيه كل البركات بحكم لاهوته ، وأيضاً حامل جميع البركات بحكم ناسوته .. لماذا ؟ لأنه أطاع الآب إلى المنتهى ، والبركة مرتبطة بالطاعة فإبن الطاعة تحل عليه البركة ، فهو إبن الطاعة الكاملة .. ياليتنا نتعلم منه لكيما نستحق أن ننهل من بركاته .

فى المسيح .. هذا هو فكر بولس الرسول اللاهوتي الذى طالما كـرَّره فى رسائله ، ويكرّره فى هذه الرسالة أكثر من ثلاثين مرة ، فكل نعمةٍ وكل بركةٍ روحيَّة هى نابعة من الآب فى المسيح ، فجميع الذين فى المسيح يتمتعون بها ، والروح القدس هو الذى يحمل هذه البركات الروحيَّة إلى النفوس العطشى الجائعة لهذه البركات .

" كما إختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لومٍ قدامهُ فى المحبة " (ع٤)

ما ذكره بولس الرسول فى العدد السابق مجملاً يفصله هنا إبتدأ من هذه الآية ، ولذلك نجد فى هذه الآية إجابة لأربعة أسئلة :

س١ : ماذا فعل الآب لأجلنا ؟ .. أنه إختارنا .

س٢ : كيف إختارنا ؟.. فى إبنه يسوع المسيح .

س٣ : متى إختارنا ؟ .. قبل تأسيس العالم .

س٤ : لماذا إختارنا ؟ .. لنكون قديسين وبلا لوم قدامه .

كما إختارنا فيه .. أنه سفر الخليقة الجديدة فإن كان سفر تكوين الخليقة المادية بدأ هكذا *" فى البدء خلق الله السموات والأرض " (تك١:١)* ، فإن سفر تكوين الخليقة الجديدة بدأ " قبل تأسيس العالم إختارنا الآب فى إبنه .. فى آدم الأول سقطنا ونفينا من فردوس النعيم ، و " **فيه** " أى فى آدم الثانى نهضنا ودخلنا للملكوت .

كما إختارنا فيه .. إشارة لسر التجسد فبالتجسد أخذ الإبن طبيعتنا البشرية وإتحد بها .. بالتجسد ظهر اختيار الله لنا ، فلولا التجسد لظلَّ إختيار الله لنا موضوع نظرى لا ندركه ، ولكن بالتجسد لمسنا اختيار الله لنا فى إبنه .

كما إختارنا فيه .. واختيار الله لنا لا يقاس بالمنطق ولا بالعقل البشرى إذ كيف يختارنا الله القدوس نحن الخطاة ، وكيف يختار جهال العالم ليخزى الحكماء ، والضعفاء ليخزى الأقوياء ، والأدنياء والمُزدَرى وغير الموجود ليبطّل الموجود

(١كو ١: ٢٧-٢٨) .

كما إختارنا فيه .. لقد إختار الله فى العهد القديم شعباً خاصاً يتكلم بلغة خاصة وله أرض خاصة " *وقد اختارك الرب لكى تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض* " *(تث١٤: ٢)* ، " *الرب قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل لخاصته* " *(مز١٣٥: ٤)* أما فى العهد الجديد فالاختيار لا يتوقف على جنس أو لغة أو منطقة جغرافية بل شمل جميع البشرية يهود وأمم " *من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة* " *(رؤ٧: ٩)* .

كما إختارنا فيه .. والإختيار ليس لفئة دون الأخرى وليس لشخص دون الأخر لأن الله " *يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون* " *(١تى٢: ٤)* ولذلك فهو " *الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان ان يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل* " *(أع١٧: ٣٠)* و " *لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة* " *(٢بط٣: ٩)* فالله لم يحدد هذا للملكوت وذاك للهلاك ولكن إيمان كل إنسان وأعماله هو الذى يحدد مكانه ، ومشيئة الله الصالحة لا يمكن أن تلزم أحداً على فعل الخير .

كما إختارنا فيه .. الآب إختارنا منذ الأزل قبل أن نُوجد ، والإبن إختارنا فى الزمن وقال لرسله القديسين " *ليس أنتم اخترتمونى بل أنا الذى اخترتكم* " *(يو١٥: ١٦)* .. أنه إختارنا بل انتشلنا من هوة الهلاك إلى قمة المجد .

قبل تأسيس العالم .. أن أعمال الله كلها بحكمة صُنعت وفق خطة إلهيَّة مُحكَمة منذ الأزل ليست وليدة اللحظة " *معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله* " *(أع١٥: ١٨)* ، فمثلاً أمر خلاصنا لم يكن فكرة طارئة فى ذهن الله ليصحح الخطأ الذى سقطت فيه البشرية ، بل أن قصة الخلقة وقصة الفداء كلتاهما كانتا واضحتان تماماً فى ذهن الله الذى لا تفاجئه الأحداث ، فالمستقبل كالماضى كالحاضر أمامه ، ولذلك دبَّر لنا أمر الفداء قبل أن يأتى بنا إلى الوجود " *بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح .. معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم* " *(١بط١: ١٩، ٢٠)* .

قبل تأسيس العالم .. بالرغم من الله إختارنا لنكون فى إبنه ، وعيَّننا أبناءاً لـه منذ الأزل ، لكن سقوط الإنسان حجب عنه هذه الرؤية ، وبينما كان الإنسان يعيش فى شقاء وألم وموت مطحوناً بخطاياه كانت هناك دعوة له بالإختيار والتبنى ، وظلَّ الإنسان فى عماه إلى أن أشرق علينا شمس البر وأعلن لنا المجد المُعَد لنا قبل الدهور " ***الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا "(١كو٢: ٧)*** " ***حسب إعلان السرّ الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية " (رو١٦: ٢٥)*** .

لنكون قديسين .. الشئ المقدس أى المخصَّص والمكَّرس لله لا يجوز إستخدامه فى غرض آخر ، فمثلاً الأوانى المقدَّسة لا يجوز إستخدامها فى غرض آخر غير تقديم جسد الرب ودمه ، وهكذا الإنسان المُقدَّس للرب نجده مُقدَّساً فى جميع سلوكه وتصرفاته وحياته .

لنكون قديسين .. عندما نكون فى المسيح تظهر صورته فينا " لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه " (رو٨: ٢٩) ، فالقداسة هى إنطباع صورة المسيح فينا ، وبدونها لا يعاين أحد الرب ، ولذلك فهى وصيَّة الله لشعبه فى القديم " ***أنى أنا الرب إلهكم فتتقدَّسون وتكونون قديسين لأنى أنا قدوس" (لا ١١: ٤٤)*** وفى العهد الجديد أيضاً " ***نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين .. " (١بط١: ١٥، ١٦)*** وفى كلتا الوصيتين يربط الوحى بين القداسة ونسبتنا لله ، فالقداسة تنبع من وجود الله فى حياتنا وليس إلاَّ ذلك ، والقداسة هى إرادة الله فى حياتنا " ***هذه إرادة الله قداستكم .. لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل فى القداسة " (١تس٤: ٣، ٧)*** .

بلا لوم .. هذه صفة الذبيحة المقبولة ، ولذلك فى العهد القديم كان الكاهن يفحص الذبيحة جيداً قبل ذبحها وبعد ذبحها ليتأكد أنها بلا عيب خارجاً وداخلاً لأنها تشير إلى حمل الله الذى بلا عيب (١بط١: ١٩) ، ويستحيل على الإنسان أن يكون بلا لوم بعيداً عن ذبيحة الصليب " ***وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين .. قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه " (كو١: ٢١، ٢٢)*** ..

حقاً أن السيد المسيح سلَّم نفسه من أجل الكنيسة لكى يُحضِرها لنفسه كنيسة مقدسة وبلا عيب (أف٥: ٢٥-٢٧) ولذلك فإن الإنسان الذى يعيش ملوماً بسبب خطاياه ولا يحاول الخلاص منها يقع تحت غضب الآب الذى ضحى بابنه من أجل هذا القصد وذاك الهدف .

بلا لوم .. كان البعض يسلكون فى العهد القديم بلا لوم فى إطار وصايا الناموس كما كان زكريا الكاهن وزوجته " سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم " (لو١: ٦) وقال بولس الرسول عن نفسه ***" من جهة البرّ الذى فى الناموس بلا لوم " (فى٣: ٦)*** .

قديسين وبلا لوم .. عدم اللوم هو الحالة السلبية الخارجية أما القداسة فهى الحالة الإيجابية الداخلية ، فالقداسة هى الأصل وعدم اللوم هو أحد ثمار القداسة ، وعدم اللوم لا يعنى أمام الناس فقط بل أمام انفسنا ***" إن لم تَلُمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله " (١يو٣: ٢٠)*** .

قدامه فى المحبة .. فى الأصل اليوناني عبارة " فى المحبة " يمكن أن تُنسَب إلى ما قبلها أو إلى ما بعدها ، فإذا نُسبت إلى ما قبلها أى " قديسين وبلا لوم فى المحبة " فالمحبة تنسب لنا لأنه بدون محبتنا لله لن نصل إلى حياة القداسة وعدم اللوم ، وأيضاً نحن نعيش حياة القداسة وعدم اللوم فى جو من المحبة بعضنا لبعض ، وهذا يتفق مع قول معلمنا بولس الرسول فى نفس الرسالة ***" ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم . وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة " (أف٣: ١٧،١٨)*** وأيضاً تتفق مع (أف٤: ٢،١٥،١٦ ـ ٥: ٢) .

أما إذا نُسبت عبارة " فى المحبة " إلى ما بعدها أى " فى المحبة سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح " فإن المحبة هنا تنسب لله ، فالمحبة الإلهيَّة هى الدافع لإختيارنا وتعيّننا للبنوة ، وما أجمل قول فم الذهب " لا من محبته فقط ، ولا من محبتنا ، بل من الاثنين " .

قدامه .. هناك من يظهر أمام الناس باراً وقديساً ولكن أمام الله كل شئ

مكشوف ، ولذلك يا ليتنا نجتهد أن نشعر دائماً بأننا أمام الله "*حي هو ربُّ الجنود الذى أنا واقف أمامه*" *(امل١٨: ١٥)* .

" إذ سبق فعيَّننا للتبنىّ بيسوع المسيح لنفسهِ حسب مسرَّة مشيئته " (ع٥)

إذ سبق فعيَّننا للتبنى ..فى هذه الآية يستكمل الرسول عمل أقنوم الآب معنا الذى لم يكتف باختيارنا ، وبعد سقوطنا لم يكتف بأن يرسل إبنه للعالم ليُخلِصنا من سطوة الخطية والشيطان وينتشلنا من واقعنا المرير ويعيدنا إلى صورة أبينا آدم قبل السقوط ، بل عيَّننا للتبنى لنصير أبناءاً له ليس من ذات طبيعته الإلهيَّة بل أبناء بالنعمة .. ربما يكون موضوع التبنى اليوم سهلاً ولكن فى القديم وفى ظل القانون الرومانى كان موضوع التبنى صعباً للغاية ، لأن الآب كان له سلطاناً مطلقاً على إبنه فيضربه أو يجلده أو يسجنه أو يبيعه عبداً أو يقتله والقانون من خلفه يحميه فى كل هذه التصرفات ، فلذلك كان من الصعب أن يتنازل الآب عن سلطانه هذا ، وقلّما كان يوافق أب على التخلى عن إبنه ليتبناه آخر ، وكان للتبنى طقس مؤثر إذ يبيع الأب الحقيقى للأب المتبنى إبنه مرتين ويعود ويشتريه منه ، وفى المرة الثالثة يبيعه ولا يعود يشتريه ، ويقوم الأب المتبنى بتوثيق إبنه الجديد لدى احد كبار الحكام الرومان فيصبح له كافة الحقوق القانونية للإبن الطبيعى .

إذ سبق فعيننا للتبنى .. وبالتبنى صرنا مسكناً لروح الله القدوس "*بما أننا أبناء أرسل الله (الآب) روح إبنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب*" *(غل٤: ٦)* وأيضا بما أننا صرنا أبناء فنحن ورثة للملكوت "*إذا لست بعد عبدا بل إبنا وإن كنت إبنا فوارث لله بالمسيح*" *(غل٤: ٧)* .

إذ سبق فعيننا للتبنى .. قامت البنوة فى العهد القديم على أساس الإنتساب الجسدى فكل نسل إبراهيم هم أبناء الله حتى لو سقطوا فى الآثام "*ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا علي*" *(اش١: ٢)* أما فى العهد الجديد فبنوتنا لله تقوم على إيماننا بالسيد المسيح كقول يوحنا الحبيب "*وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن*

يصيروا أولاداً الله أى المؤمنين بإسمه . الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله " (يو١: ١٢،١٣) ، ومعلمنا بولس الرسول يؤكد نفس المعنى " ولأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع " (غل٣: ٢٦) وعندما تبنانا الله لم يكن فى حاجة على الإطلاق لهذه البنوة لأن بنوة الإبن المحبوب فيها كل الكفاية ، ولذلك صارت بنوتنا للآب مثار العجب والتعجب " *انظروا أيَّة محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله " (ايو٣: ١)* .

بيسوع المسيح لنفسهِ .. بعصياننا صرنا أبناء إبليس ومشيئة أبينا نعمل ، وبطاعة الإبن الحبيب حتى الموت موت الصليب صرنا أبناءاً للآب ، وبعيد عن المسيح يستحيل على الإنسان أن يصير إبناً لله ، وخارج دائرة المسيح يظل الإنسان إبناً للظلمة والشيطان .

حسب مسرَّة مشيئتهِ .. لقد سرَّ الله القدوس منذ الأزل أن يتبَّنانا ، وعندما جئنا إلى هذا العالم فى الزمن صيَّرنا أبناءاً له بالمعمودية ، فبالمعمودية صرنا مشابهين صورة إبنه فسرَّ وفرح بنا ، فياليتنا نحفظ هذه البنوة حتى نحتفظ بميراثنا السمائى والمجد العتيد أن يستعلن فينا .

حسب مسرَّة مشيئتهِ .. إستخدم بولس الرسول كلمة " حسب " فى هذه الرسالة عدة مرات ، ففى الأصحاح الأول إستخدمها أربع مرات (أف١: ٥،٧،٩،١١،١٩) وفى الأصحاح الثالث استخدمها أربع مرات (أف٣: ٧،١١،١٦،٢٠) وفى الأصحاح الرابع مرتين (أف٤: ٤،٢٤) وذلك ليوضح أن كل ما نحصل عليه من نعم وبركات وخيرات هو بحسب مسرة الله محب البشر وبحسب مشيئته الصالحة وبحسب إرادته الخيرَّة .

" لمدح مجد نعمتهِ التى أنعم بها علينا فى المحبوب " (٦)

لمدح مجد نعمتهِ ..إن كان السبب الذى جعل الله يختارنا ويتبنَّانا هو مشيئته الصالحة وحبه المتفاضل ورحمته اللانهائية ، فإن الهدف من هذا الإختيار وذاك

التبنى هو مدح هذه المشيئة الصالحة والحب المتفاضل والرحمة اللانهائية ، أى مدح مجد نعمته ، والله لا يحتاج لهذا المديح ولكن الإنسان الذى يكتشف نعم الله ويشكره ويمدحه عليها تثبت فيه هذه النعم تزداد أكثر فأكثر .

لمدح مجد نعمتهِ .. ما هو مجد النعمة ؟ أنه الفداء المقدم لنا نحن غير المستحقين ولا مستأهلين ، وبلا مقابل " ***متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح*** " *(رو٣: ٢٤)* .

لمدح مجد نعمتهِ .. فى القديم إختار الله إسرائيل لإظهار مجده " ***هذا الشعب جبلته لنفسى . يُحدّث بتسبيحي*** " *(اش٤٣: ٢١)* ولكن إسرائيل لم يسعَ ليحقق مجد الله ، وللأسف فنحن أيضاً فى العهد الجديد وبعد ما فعله الله معنا ولأجلنا مازلنا لا نهتم بإظهار مجد الله . أنه إله المجد ونعمته مملؤوة مجداً ، وكل من يتأمل فى هذه النعم الإلهيَّة ومجدها لا يسعه إلاَّ تقديم الشكر والتسبيح والتعظيم والمديح والتكريم لصاحب هذه النعمة العظيمة ، وإن كنا ونحن فى الجسد لا ندرك حقيقة غنى ومجد النعمة الإلهيَّة ، ولكن بعد انتهاء جهادنا على الأرض ، وفى اليوم الأخير عندما نُزَفُّ للعريس السمائي سنصير موضع دهشة وتعجب السمائيِّين والأرضيِّين الذين يُعظّمون إسم الله لأنه رفع الخطاة البائسين إلى رتبة القديسين ، وحوّل الزناة إلى بتوليِّين .

التى أنعم بها علينا .. يُشبِه فم الذهب هذا الإنعام " كأن إنسان أخذ شخصاً أبرص شوهه المرض والشيخوخة والفقر والجوع ، وحوّله فجأة إلى شاب وسيم الطلعة يفوق كل البشر فى الجمال ، توردّت وجنتاه ، يشع النور من عينيه ، وبعد ذلك أعاد إليه شبابه ، والبسه الأرجوان ، وتوّج رأسه بإكليل ، وزينه بكل المظاهر الملكية . هكذا مجَّد الله نفسنا وزينها ، وألبسها الجمال ، وجعلها موضوع مسرته ومحبته . مثل هذه النفس تشتهى الملائكة النظر إليها بل رؤساء الملائكة وكل القديسين . لقد سكب علينا هذه النعمة ، وجعلنا أعزاء جداً عنده " [٤]

---

[٤] تفسير رسالة بولس الرسول لأهل أفسس للقديس يوحنا ذهبي الفم – تعريب القمص مرقس داود صـ١٨ .

فى المحبوب .. الآب يحبنا ولذلك سلَّم إبنه عنَّا ، وعندما مات الإبن عنَّا ازداد حب الآب لنا " *الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شئ* " *(رو٨: ٣٢)* ، وعندما أراد الله أن ينقل لنا ملامح هذه الصورة أجاز إبراهيم أب الآباء فى أصعب إمتحان يمكن أن يجتازه إنسان إذ قال له " *خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب إلى جبل المرِّيا وأصعده هناك محرقة* " *(تك٢٢: ٢)*

فى المحبوب ..أن نهر الحب ينبع من الآب ويجرى فى إبن محبته (كو١: ١٣) منذ الآزل ، ومن خلال إتحادنا بالإبن المحبوب نرتوى حباً ونحيا ، ومن خلال إتحادنا بالمحبوب صرنا محبوبين " عالمين أيها الأخوة المحبوبون من الله .." (١تس١: ٤،٢تس٢: ١٣،كو٣: ١٢) .

فى المحبوب .. تعبير يُذكِّرنا بالمعمودية التى جزنا فيها لأنه فى العماد أستعلن صوت الآب لنا " *أنت إبنى الحبيب الذى به سررت* " *(مر١: ١١)* وهذا يُغلِب الظن بأن هذه التسبحة كانت من تسابيح العصر الرسولى التى كانت تستخدم فى المعمودية .

" الذى فيه لنا الفداء بدمهِ غفران الخطايا حسب غنى نعمتهِ " (٧)

بعد أن حدثنا الرسول من خلال الجزء الأول من التسبحة عن عمل أقنوم الآب فى الآزل إذ أختارنا وعيَّننا للبنوة ، يحدثنا هنا فى الجزء الثانى عن عمل أقنوم الإبن فى الزمن إذ فدانا وغفر لنا خطايانا ، فالفداء يمثل الهبة الإلهيَّة الثالثة التى نلناها بعد الإختيار والتبنى ، والحقيقة أن الآب عندما إختارنا وعيَّننا للبنوة كان أمام عينيه دم الإبن الحبيب الذى يتقاطر قطرة قطرة على عود الصليب ، ولذلك فإن ثمننا عند الله يساوى دم الإبن المحبوب .

الذى فيه لنا الفداء .. " فيه " أى فى المسيح صار الفداء ، وتعبير " فيه " أقوى من تعبير " به " أو " بواسطته " لأن الفداء ليس عملاً خارجاً عن الإبن بل هو معمول بالإبن ، فالفداء لم يكن مجرد رغبة إلهيَّة ولا كلمة تفوه بها الآب بل

كلّفه سفك دم إبنه الحبيب ، فالإبن هو الذبيحة والفدية وثمن الخلاص ، وكلمة "فيه" أو " في " تتكرر فى الأعداد (٣-١٤) عشر مرات لتأكيد أن كل بركة روحيَّة لا يحصل عليها الإنسان إلاَّ فى المسيح يسوع ..

" **لنا** " .. نحن المؤمنين فقط لنا أن نتمتع بهذا الفداء العظيم أما الخارجون عن الإيمان فهم يحرمون أنفسهم بأنفسهم من الفداء وبالتالى يظل حكم الموت الأبدى سارياً عليهم .

الذى فيه لنا الفداء .. كما يعيش الإسفنج فى الماء والماء فيه ، وإن خرج من الماء يتوقف نموه ، هكذا نحن نعيش فى المسيح والمسيح فينا ، ومن ينفصل عنه هل يمكن ان يرى حياة ؟! .. كلا ، لأنه خارج دائرة المسيح لا يوجد إلاَّ الموت الأبدى .

الفداء بين العهدين .. كلمة " فداء " فى الأصل اليوناني تعنى تحرير وفكاك الأسير من أسرهِ مقابل دفع الفدية ، فالفداء فى العهد القديم كان يشير إلى التحرر من العبودية الخارجية فعندما نجى الله شعبه من عبودية فرعون تغنى موسى قائلاً ***" ترشد برأفتك الشعب الذى فديته " (خر١٥: ١٣)*** وقال لشعبه ***"أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية " (تث٧: ٨)*** وأعتبر أشعياء النبى إطلاق الشعب من الاسر البابلى فداء ***" اخرجوا من بابل .. قولوا قد فدى الرب عبده يعقوب " (اش٤٨: ٢٠)*** ، فبالفداء إنتقل الشعب من دائرة العبودية سواء فى أرض مصر أو أرض بابل إلى دائرة الحرية بأرض الموعد حيث الهيكل المقدس . كما حدثنا العهد القديم عن فكاك الأرض ***" إذ إفتقر أخوك فباع مُلكِه يأتى وليّه الأقرب إليه ويفكُّ بيع أخيه " (لا٢٥:٢٥)*** وفكاك الشخص اليهودى الذى يباع كعبد (لا٢٥: ٤٧-٥٥) أى إطلاقه إلى الحرية وفداءه من العبودية .

أما فى العهد الجديد فالفداء له معنى جديد هو التحرر من العبوديَّة الداخليَّة عبودية الخطية المُرّة .. هو الفداء فكاك من رباطات الخطايا وإطلاقنا للحرية

مقابل الفدية ، وهذه الفدية هى الدم الثمين للإبن المحبوب ، ولذلك دعاه الرسول " الفداء " (معرف بالألف واللام) فأى فدية أخرى تقف عاجزة أمام الفداء ، فلا يوجد فدية أخرى تقدر أن تفدى الإنسان من حكم الموت وسلطان الشيطان غير فدية الصليب ، ولن توجد فدية أخرى تستطيع أن تهبنا البنوة لله وسكنى الروح القدس فينا والملكوت السمائى غير فدية إبن محبته .. حقاً إن الإنسان كان فى حاجة إلى التهذيب والتأديب والتعليم وإنارة الذهن ، ولكنه كان بالأكثر فى حاجة ماسة إلى الفداء الذى يحطم الأسر الشيطانى ويحل الإنسان من قيوده .

الذى فيه لنا الفداء بدمهِ .. كان لابد أن يموت الإبن المحبوب بسفك دمه لأنه " ***بدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (عب٩: ٢٢)*** .. لقد تمزَّق جسده بالسياط وإكليل الشوك والمسامير ونزفَ دمه حتى الموت موت الصليب " ولنا أن نتصور المسيح مصلوباً والدم يتقطر من جسده قطرة قطرة فى نزيف أفضى إلى الموت ، كان ذلك أفزع عملية منظورة إنطبعت على جبين العالم والدهر ، إرتعدت لها السماء واظلّمت ، واهتزت لها الأرض وتزلزلت ودخلت صورتها أعماق قلب الإنسان لتقنعه بفظاعة خطيته ، وصدق وكمال غفرانها بآن واحد " [٥]

وما أعظم بركات الفداء بدم المصلوب :

بدمه تجلت محبة الآب لنا وتبرَّرنا من خطايانا وخلصنا من الغضب الآتى " ولكن الله بيَّن محبَّته لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا . فبالأولى كثيراً ونحن مُتبرّرين الآن بدمه نخلص به من الغضب " (رو٥: ٨،٩) .

بدمه تصالحنا مع الآب " ***عاملاً الصلح بدم صليبه " (كو١: ٢٠)*** .

بدمه اشترانا " ***لأنكم قد أشتريتم بثمن " (اكو٧: ٢٠)*** .

بدمه اقتنانا له شعباً مقدساً " ***كنيسة الله التى اقتناها بدمه " (أع٢٠: ٢٨)*** .

بدمه نتطهر من خطايانا " ***دم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطية (ايو١: ٧)*** .

---

[٥] شرح رسالة أفسس للأب متى المسكين صـ١٠٧ .

بدمه نغتسل من خطايانا "*وقد غسلنا من خطايانا بدمه*" *(رؤ١: ٥)* .

بدمه ننال الغلبة "*وهم غلبوه بدم الخروف*" *(رؤ١٢: ١١)* .

ولذلك ياأحبائى عندما نستهين بالدم الثمين فإننا نهين الآب الذى بذل إبنه ، ونهين الإبن الذى سفك دمه ، ونهين الروح القدس الذى ينقل لنا استحقاقات الفداء "*فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس إبن الله وحسب دم العهد الذى قُدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة*" *(عب١٠: ٢٩)* .

غفران الخطايا .. معنى " غفر " أى نقل أو حمل بعيدا ، فليس معنى الغفران إلغاء العقوبة لكن معناها نقل العقوبة كقول ناثان لداود عقب اعترافه بخطيته "*الرب أيضاً نقل عنك خطيتك لا تموت*" *(٢صم١٢: ١٣)* وداود النبى طلب من الله أن يبعد العقوبة عنه "*كبعد المشرق من المغرب إبعد عنا معاصينا*" *(مز١٠٣: ١٢)* .

وكلمة " الخطايا " الواردة هنا فى أصلها اليوناني " البرابتوما " لا تعنى بداية الإنحراف عن وصايا الله إنما تعنى السقوط والعثرة والتعدى ، فالخطية هنا تعنى عبودية العقل والإرادة والأعضاء ، فلقد رزخ العالم كله تحت ثقل خطاياه وظل يعانى من الشعور بالذنب واجتاحته المخاوف والآلام كنتيجة لآثامه ، وظهر هذا واضحاً ليس فى كتب العهد القديم فقط "*النفس التى تخطئ هى تموت*" *(حز١٨: ٤)* بل وفى كتابات الفلاسفة الوثنيين أيضاً الذين أكدوا أن العقاب لابد أن يلحق المخطئ حتى ينال منه ، ولكن بدم المصلوب نلنا بركات عظيمة وأولها غفران الخطايا ، فبدون المغفرة تظل خطايا الإنسان مربوطة عليه وبالتالى لن يكون هناك لقاء مع الله قط . غفران الخطايا هو رفع غضب الله عنا .. هو بسط محبة الله ورحمته علينا .. هو فرصة النجاة من النار الأبدية ..هو فرحة الإنتقال للملكوت.. هو حياة بعد موت .. هو نهوض من وهدة الخطيئة .. هو حل النفس من قبضة الشيطان .. هو إنطلاق النفس لسماء الحرية .. هو تحرير العقل والإرادة والأعضاء .. هو عودة السلام المفقود .. هو راحة الضمير الثائر ضد الإنسان .. هو تضميد القلب المجروح والمطحون بالخطايا والآثام .. غفران الخطايا لم يعد قاصراً على أبناء

إبراهيم فقط بل اتسعت دائرته لتشمل المؤمنين فى كل آن ومكان .

حسب غنى نعمتهِ.. س١: ماهو مقياس هذا الفداء العظيم الذى أثمر لنا غفران الخطايا ؟

أنه حسب نعمة الله الغنية .

س٢ : كيف يغفر الله لنا نحن الذين أخطأنا فى حقه وحطمنا وصاياه ؟

الله يغفر لنا خطايانا وآثامنا وتعدياتنا حسب غنى نعمته .

حسب غنى نعمتهِ .. عندما حدثنا معلمنا بولس عن إختيارنا الأزلى وتعيّننا للبنوة قال " مجد نعمته " وهنا يضيف بولس الرسول الغنى إلى النعمة لإظهار فيض المحبة الإلهية لنا نحن غير المستحقين .. هذه النعمة الغنية التى تفوق تصورنا ***" الله الحي الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع " (١تي٦: ١٧)*** وإن كنا نلمس غنى جمال الله فى جمال الطبيعة ، وغنى حكمته فى دقة الكون ، وغنى قدرته فى انتظام الخليقة ، وغنى عظمته فى القبة الزرقاء وفى زرقة مياه البحار والجبال الشامخه ، فإننا نلمس غنى نعمته فى نعمة الفداء المُقدَّم لنا مجاناً ، فهو الذى تعب وسار مشوار الصليب إلى نهايته أما نحن فإننا نقبل الفداء بلا تعب ولا عذاب ولا أشواك ولا جلدات ولا مسامير ولا موت .

" التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة " (٨)

التى أجزلها لنا .. تعود على غنى نعمته ، فالله أجزل لنا غنى نعمته التى أفاضها علينا بوفرة ومجاناً بلا مقابل ، فلم يكتف الله بمغفرة خطايانا بل وهبنا كل حكمة وفطنة .. الحكمة والفطنة اللتان تمتع بهما أبونا آدم قبل السقوط حتى أنه إستطاع أن يسمى كل حيوانات البرية وطيور السماء ، ولكن بالسقوط فقدهما ، ثم أعادهما لنا آدم الثانى .

س : هل الحكمة والفطنة ينسبان لله أم للإنسان ؟

إن نسبنا الحكمة والفطنة لله فهذا حق لأن كل أعمال الله ملتحفه بالحكمة

والفطنة " *الرب بالحكمة أسّس الأرض . اثبت السموات بالفهم* " *(أم٣: ١٩)* وفى التجسد تجلّت حكمة الله لنا " *المسيح يسوع الذى صار لنا حكمةً من الله وبرّاً وقداسةً وفداءً* " *(١كو١: ٣٠)* ، وفى الفداء ظهرت حكمة الصليب التى اختفت بجوارها كل حكمة عالية " *لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء .. ألم يجهّل الله حكمة هذا العالم ؟ .. لأن اليهود يسألون آية واليونانيين جهالةً .. فبالمسيح قوة الله وحكمة الله . لأن جهالة الله أحكم من الناس* " *(١كو١: ١٩-٢٥)*

وإن نسبنا الحكمة والفطنة للإنسان فهذا صحيح ، وبذلك تمثل الحكمة الهبة الإلهيَّة الرابعة بعد الإختيار والبنوة والفداء ، فالإنسان يحتاج لهذه الحكمة وتلك الفطنة ليدرك مقاصد الله فى الاختيار والتبنى والفداء .

وهناك فرق بين الحكمة والفطنة ، **فالحكمة** هى القدرة على إدراك ومعرفة مقاصد الله كقول معلمنا بولس لأهل كولوسي " لم نزل مصلّين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمةٍ " (كو١: ٩) .. بالحكمة نفهم ما عمله الآب معنا من خلال إبنه يسوع المسيح ، وبالحكمة ندخل فى دائرة أفكار الله العليا ، وبالحكمة ندرك مشيئة الآب الصالحة من نحونا . أما **الفطنة** فهى ضد الغباء ، وهى إستخدام الحكمة فى الحياة العملية ، والتطبيق العملى للحكمة . الفطنة هى الفهم والتميز والتدبير وقد طوَّب الحكيم الرجل الحكيم الفطن " *طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة وللرجل الذى ينال الفهم* " *(أم٣: ١٣)* .

" إذ عرَّفنا بسرّ مشيئتهِ حسب مسرَّته التى قصدها فى نفسهِ " (٩)

بعد أن أفاض بولس الرسول فى حديثه عن النعمة بدأ حديثه عن سرّ مشيئة الله. لقد وضع فلاسفة آسيا الصغرى بذور الغنوسية وادَّعوا أنهم أصحاب المعرفة والأسرار وكانوا يستخدمون بعض الكلمات مثل الحكمة والفطنة والملء ، ولذلك يؤكد بولس الرسول أن الحكمة والفطنة هما هبتان إلهيتان للإنسان ، وإن المعرفة لا تأتى من العقل وبالعقل بل هى إعلان إلهي ، وكان الغنوسيون يدَّعون بأن أسرارهم لا يدركها إلاَّ الخاصة من الأذكياء وأصحاب الإمكانات الخارقة ولذلك

يؤكد الرسول أن هذه الأسرار الإلهيّة متاحة لجميع البسطاء ، وهذا ما أكده الرب يسوع فى صلاته للآب " ***أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه (الأسرار) عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال " (مت١١: ٢٥)*** وقال لتلاميذه البسطاء " ***قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات " (مت١٣: ١١)*** ، وأيضاً " ***سرُّ الله لخائفيه " (مز٢٥: ١٤)*** ، و " ***أن السيد الرب لا يصنع أمراً إلاّ وهو يعلن سرّه لعبيده الأنبياء " (عا٣: ٧)*** .

عرّفنا بسرّ مشيئتهِ .. لقد وهبنا الله الحكمة والفطنة لكيما ندرك سرّ مشيئته ، وما هو سرّ مشيئة الله ؟ أنه سرّ الفداء كما رأينا . السرُّ الذى كان مخفياً منذ الأزل ولكنه ظهر فى ملء الزمان ، فمن كان يصدق أن الله يظهر فى صورة العبد ويُسلّم نفسه للموت ؟! ومن كان يدرك أن ابن الله بموته سيدوس الموت الذى قهر البشرية جمعاء ؟! ، ومن كان يفهم أن الله سيصنع بالضعف ما هو أعظم من القوة ؟! .. حقاً أن خطة الله لخلاصنا نحن الأمم لم يدركها أحد إلاّ بعد القيامة وحلول الروح القدس " إعلان السرّ الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية . ولكن ظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم " (رو١٦: ٢٥، ٢٦) ورغم أنه كان هناك إشارات فى العهد القديم لقبول الأمم ، ولكن مساواة الأمم باليهود فى كل شئ لم يكن أمراً معروفاً ولا متوقعاً ولا من الرسل أنفسهم ، ولذلك تعرَّض بطرس الرسول للعتاب والملامة والمخاصمة بسبب دخوله بيت كرنيليوس وقبوله مع أسرته فى الإيمان .

عرّفنا بسرّ مشيئتهِ .. عن طريق كلمته المقدسة وروحه القدوس ، فالإنسان سيقف عاجزاً عن إدراك سرّ مشيئتهِ حتى يعلن له الروح القدس هذه الأمور " ***نتكلَّم بحكمة الله فى سرّ الحكمة المكتومة (المجهولة والغير المعروفة) التى سبق الله فعيّنها قبل الدهور لمجدنا .. فأعلنه الله لنا بروحه " (١كو٢: ٧-١٠)*** ، وستظل أسرار الله فى التجسد والفداء مبهمة ومغلقة أمام غير المؤمنين . أما بالنسبة لنا فإن الله إذ صار صديقاً فإنه يعلن لنا خبايا قلبه عن طريق روحه القدوس الساكن فينا " ***لا أعود إسميّكم عبيداً .. لكن قد سميتكم أحبّاء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى " (يو١٥: ١٥)*** .

حسب مسرَّته التى قصدها فى نفسهِ .. فخطة الله لخلاصنا نابعة من نفسهِ بدون مشورة أحد من الخلائق السمائية .

" **لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك** " (ع١٠)

لقد قادنا بولس الرسول فى رحلة طويلة مُفرِحة كشف لنا فيها عن خطة الله لخلاصنا ، ففى الأزل اختارنا الآب وعيَّننا للبنوة ، وفى الزمن فدانا الإبن وغفر لنا خطايانا ووهبنا الحكمة والفطنة وعرَّفنا بسر مشيئته ، وستكتمل فرحتنا عندما تتحد كل الخليقة العاملة المؤمنة فى السيد المسيح .

لتدبير ملء الأزمنة .. كلمة " تدبير " فى الأصل اليونانى ايكونوميا " Oikonomia " تعنى تحمل مسئولية إدارة شئون البيت ، والله هو الذى يدبر شئون الكنيسة التى هى بيته عن طريق الخدام " ***كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة*** " ***(١بط٤: ١٠)*** ، " ***القسوس المدبرون حسناً*** " ***(١تى٥: ١٧)*** .. إن كنا نثق أن الله يدبر كل شئ فى الوجود ألا يدبر أمور حياتنا الصغيرة ؟!

لتدبير ملء الأزمنة .. أى فى نهاية الدهور عندما تكتمل خطة الله لخلاصنا . لقد حدثت أحداثاً عظيمة كان لكل حدث منها ملء زمان تتحقق فيه ، فالتجسد حدث فى " ***ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة*** " ***(غل٤: ٤)*** وفى الزمن المُحدَّد من قبل العناية الإلهيَّة كان حلول الروح القدس ، وبالمثل فى ملء الزمان دخل الأمم إلى حظيرة الإيمان ، وفى ملء الأزمنة عندما يقسم الملاك أنه " ***لا يكون زمان بعد*** " ***(رؤ١٠: ٦)*** عندئذ ندخل فى الأبدية السعيدة .

ليجمع كل شئ فى المسيح .. بالخطية دخل الإنقسام والتشتت والعداوة للبشرية ، وانفصمت علاقة الإنسان بجابله ، فانقسم الإنسان على ذاته وأصبح الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد ، والعاطفة صارت فى صدام مع

العقل ، والغرائز فى تصادم مع الإرادة ، فالإنسان يحب الشرور ويكرهها فى آن واحد ، ويفعل الشرور التى يرفضها ولا يفعل الصلاح الذى يريده ، وثارت المنازعات والمشاحنات داخل الإنسان ، وبين الإنسان وأخيه ، وصارت هوة عظيمة بين السماء والأرض ، ولهذا جاء ابن الله ليصنع بدمه صلحاً وسلاماً بين السمائيين والأرضيّين ، وبين اليهود والأمم ، وليجمع أشلاء البشرية المتنافرة والمبعثرة ليخلق منها عالماً جديداً متناسقاً .

ليجمع .. فى الأصل اليوناني تعنى يجمع أو يُوحّد كل الأشياء ويبرزها ككل فى شئ واحد ، فقد اعتاد اليونانيون جمع الأرقام فى أعمدة رأسية ووضع الناتج أعلى العمود وليس أسفله كما نفعل الآن ، وبولس الرسول استخدم هذا الأسلوب عندما جمع الوصايا فى وصية واحدة ***"لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك "*** *(رو١٣: ٩)* وهكذا يجتمع كل المؤمنين فى السيد المسيح رأس الكنيسة ليكون هو الكل فى الكل ، وتجثو بإسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، وكم ستكون السماء باهرة إذ لا يوجد فيها أى تنافر ولن يشوبها عيب ما بل كل ما فيها يسير فى تناسق رائع ووحدة كاملة .

وأيضاً أُستخدم فعل " يجمع " فى البلاغة ، فبعد أن يلقى الخطيب خطابه يلخصه فى النهاية أى يجمع معانيه فى عبارات موجزة .

يجمع كل شئ فى المسيح .. ***" لأن منه وبه وله كل الأشياء "*** *(رو١١: ٣٦)* ، وأشار معلمنا بطرس الرسول لهذه الحقيقة قائلاً ***" الذى (السيد المسيح) ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شئ "*** *(أع٣: ٢١)* ، وليس معنى يجمع كل شئ أن يجمع غير المؤمنين مع المؤمنين أو أنه يجمع الأشرار مع الأبرار أو الطالحين مع الصالحين .. كلا ***" لأن الإيمان ليس للجميع "*** *(٢تس٣: ٢)* أنه سيجمع المفديّين بالدم الذين غُفِرت خطاياهم وعرفوا سر مشيئته وتبعوه بكل قلوبهم وقدسوا إسمه فى

حياتهم ، يجمعهم من أرجاء الدنيا وشتات الأزمنة ليكونوا واحداً معه .

فى المسيح .. فى ذاك .. تكرار لتأكيد المعنى ، فإن كانت الشمس تمثل رأس ومركز النظام الشمسي ، فإن السيد المسيح هو مركز الخليقة لأن فيه يقوم الكل وهو حامل كل الأشياء بكلمة قدرته ، وهو رأس الكنيسة وهو رأس السماء .

" الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معيّنين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كلَّ شيءٍ حسب رأى مشيئتهِ " (١١)

وفى ترجمة أخرى (كلمة الحياة) جاءت الآية " وفى المسيح أيضاً قد حصلنا على الميراث الذى سبق أن عُيّنا له وفقاً لقصده وهو الذى يعمل كل شيء كما تقتضى مشيئته " .. بعد أن كشف لنا بولس الرسول عن أربع بركات إلهيَّة نلناها وهى : ١- الإختيار ٢- التبنى ٣- الفداء وغفران الخطايا ٤- الحكمة والفطنة يكشف لنا هنا فى الآيتين (١١،١٢) البركة الإلهيَّة الخامسة وهى الميراث السمائي ، وتلاحظ ياصديقى أن هذه الآية مرتبطة بالآية الخامسة التى أخذنا فيها التبنى لله ، وبالتالى أصبح الميراث أمراً طبيعياً للأبناء *" فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح " (رو٨: ١٧)* .

الذى فيه أيضاً نلنا .. ما زال بولس الرسول يؤكد محبة الله لنا من خلال إبنه " الذى فيه " ، فكل البركات الإلهيَّة نحصل عليها فى المسيح ، وجاء فعل " نلنا " فى الماضى علامة الضمان التام وإن كنا الآن فى وضع الوارث القاصر الذى لا يقدر أن يتمتع التمتع الكامل بالميراث ، و" نلنا " جاءت فى صيغة الجمع ، فالجميع نالوا الكاتب والمكتوب إليهم ، الذين من أصل يهودي والذين من أصل أممي . جميع الذين فى المسيح يسوع فى كل آن ومكان .

الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً .. كلمتى " نلنا نصيباً " فى الأصل اليوناني تجمعهما كلمة واحدة " اكليروغين " وهى من أصل الكلمة " كليروو " ومعناها

يختار بالقرعة ، فقد نلنا الميراث بطريقة سهلة كما بإلقاء قرعة لأن الإبن الوحيد هو الذى داس المعصرة لوحده ومن الشعوب لم يكن معه أحد .. فى القديم وزع يشوع بن نون الميراث الأرضي لشعب بنى إسرائيل عن طريق القرعة (يش١٥. ١؛١٦: ١؛١٧: ١) وليس إلقاء القرعة معناه أن الأمر تم بطريق الصدفة . إنما تم بحسب قصد الله ومشيئته .

الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً.. فنحن صرنا ورثة مع المسيح ، والمعنى الأقوى أننا أنفسنا صرنا ميراثاً لله ، ففى العهد القديم كان شعب إسرائيل هو نصيب الرب ***" حين قسم العليّ للأمم ..أنّ قِسْم الرب هو شعبه يعقوب حبل نصيبه "(تث٣٢: ٨،٩)*** وقال الرب لشعبه ***" فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب " (خر١٩: ٥)*** .. بالفداء صرنا ميراث الله ونصيبه ***" كنيسة الله التى اقتناها بدمه " (أع١٠: ٢٨)*** .

الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً .. حقاً أننا سنفرح بميراثنا السمائي الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل (١بط١: ١٤) ولعظم هذا الميراث ولصعوبة وصفه فإننا نجد لغتنا الضعيفة تصفه وصفاً سلبياً فنقول المكان الذى هرب منه الحزن والتنهد والبكاء والمرض والشقاء والآلم والموت والجوع والعطش .. إلخ . أما ما هو هذا المكان ؟ وما الذى بداخله ؟ فيجيبنا الإنجيل ***" ما لم ترَ عين ولم تسمع آذن ولم يخطر على بال إنسان " (اكو٢: ٩)*** كم ستكون فرحتنا بالميراث السمائى ، ولكن الفرح العظيم هو بالرب نفسه ***" الرب نصيب قسمتى وكأسي " (مز١٦: ٥) " نصيبى هو الرب قالت نفسي من أجل ذلك أرجوه " (مراثى ارميا ٣: ٢٤)*** فأعظم نصيب لنا هو الله ذاته ، ونحن لا نشتاق للملكوت إلاّ لأنه ملكوت الله وموضع سكناه مع البشر .

الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً .. من أجل هذا النصيب جال بولس الرسول فى أرجاء المسكونة شرقاً وغرباً بتكليف من الله الذي يشتاق أن يهب ميراثه للتائهين فى وادى ظل الموت والمتسلط عليهم إبليس ***" حتى ينالوا بالإيمان بي (بالرب يسوع) غفران الخطايا ونصيباً مع القديسين " (أع٢٦: ١٨)*** .

معيّنين سابقاً .. يشير بولس الرسول وللمرة الثانية فى هذه التسبحة إلى عمل الآب معنا حيث أختارنا وعيَّننا للبنوة ، وعيَّن لنا الميراث السمائى قبل إنشاء العالم

حسب قصد الذى يعمل كلَّ شئٍ حسب رأى مشيئتهِ .. عندما يقصد الله شيئاً فإنه يفعله ، وعندما يفعله فإنه يفعله حسب مشيئته ، وكل الظروف والأمور تخضع له ، وهنا يؤكد بولس الرسول مراراً وتكراراً بمختلف الألفاظ أن الله سرَّ ان يمنحنا الميراث السمائى حسب قصده وحسب رأيه وحسب مشيئته ، ويعيد إلى أذهاننا كلمات الرب يسوع "***لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم سرَّ أن يعطيكم الملكوت***" *(لو١٢ : ٣٢)* .. عندما تهب علينا العواصف الشيطانية تريد أن تجتاح حياتنا وتقتلعنا من جذورنا فلنتذكر مشيئة الله الصالحة من نحونا إذ أعدَّ لنا الميراث السمائى ، وليس عن استحقاق منا إنما هذا هو قصده وهذه هى إرادته ومشيئته .. أننا سنرث الملكوت بحسب عمل الله معنا وفينا .. سيصير هو ذاته ميراثاً لنا ، ونحن أنفسنا ميراثاً خاصاً له .

" لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح " (١٢)

فى هذه الآية يشير بولس الرسول إلى نفسه وإلى اخوته المؤمنين الذين هم من أصل يهودي " نحن " ، وفى الآية التالية يشير للمؤمنين الذين من أصل أممي " أنتم " .

لنكون لمدح مجده .. ختم بولس الرسول حديثه عن عمل الآب بقوله " لمدح مجد نعمته " ، وهنا يختم الحديث عن عمل الإبن بقوله " لمدح مجده " أى لنكون واسطة لمدح مجده ، فلأجل هذا السبب أختار الله شعبه " ***هذا الشعب جبلته لنفسي يحدث بتسبيحى*** " *(اش٤٣ : ٢١)* ، وبلا شك فإن هناك ترابط بين عمل الآب وعمل الإبن من أجلنا ، فمثلاً الميراث الأبدي هو ثمرة من ثمار التبنى .

نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح .. يفتخر بولس الرسول بأن شعبه

أول شعب أختاره الله ، وهو الشعب الذى كان يتوقع رجاء وتعذية وفداء إسرائيل (لو٢: ٣٨،٢٥) وهو أول شعب عرف المسيح الفادى حتى كادت الكنيسة الأولى أن تصطبغ بالصبغة اليهودية ، ويقول لأهل كولوسي *" المسيح فيكم رجاء المجد " (اكو١: ٢٧)* ، ولهذا يغبط بولس نسيبه اندرونكوس ويونياس لأنهما كانا فى المسيح قبله (رو١٦: ٧) .

" الذى فيهِ أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحقّ إنجيل خلاصكمْ الذى فيه أيضاً إذ آمنتم خُتِمتم بروح الموعد القدوس " (١٣)

بالآيتين (١٤،١٣) نصل إلى الجزء الثالث والأخير من تسبحة الرسول حيث نرى عمل أقنوم الروح القدس الذى يحقق قصد الآب فينا وعمل الإبن لأجلنا ، وهنا نتلقى البركة السادسة من البركات الإلهيَّة وهى ختم الروح القدس بعد الإختيار ، والتبنى ، والفداء وغفران الخطايا ، والحكمة والفطنة ، والميراث السمائى ، وإن كان حسب الترتيب الزمنى أن ختم الروح القدس بالمعمودية يسبق غفران الخطايا والميراث السمائى .

" **الذى فيهِ** " .. ما زال الرسول يؤكد مراراً وتكراراً أن كل بركة روحيَّة هى فى المسيح يسوع ربنا الذى فيه وحَّد الناسوت باللاهوت .. الإنسان بالله .. الأرض بالسماء ..

" **أيضاً أنتم** " .. بعد أن حدثنا الرسول عن المؤمنين الذين هم من أصل يهودى الذين ولدت الكنيسة فى بيئتهم ، وفى عاصمتهم أورشليم حيث الهيكل اليهودى ، وعرفوا المسيح قبل غيرهم . بدأ الرسول يوجه حديثه إلى المؤمنين الذين من أصل أممي الذين آمنوا بالسيد المسيح بعد اليهود ، وكان باكورة الأمم كرنيليوس وأسرته الذين نالوا العماد بيد بطرس الرسول بناء على رؤية سماوية . ثم إختار الله بولس وأرسله ليكرز وينقذ الأمم من الخطيئة المدلهمة التى أعمتهم

" وأنتم (أيها الأمم) إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا .. لذلك أذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً .. بدون مسيح أجنبيين .. لا رجاء لكم وبلا إله فى العالم .. صرتم قريبين بدم المسيح " (أف٢: ١-١١) .

إذ سمعتم كلمة الحقّ إنجيل خلاصكم .. الأمم لم يبصروا ولم يروا المسيح أثناء تجسده على الأرض ، ولكنهم سمعوا به فقط فآمنوا واعتمدوا ، وفى هذه الآية نجد ثلاث أفعال هامة سمعتم ، وأمنتم ، وخُتمتم ، فالسمع يسبق الإيمان وبدون سماع كلمة الله يستحيل الوصول إلى الإيمان " *وكيف يؤمنون بمَنْ لم يسمعوا به ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ " (رو١٠: ١٤) .*

إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم .. كلمة الحق لأنها تخص الإله الحق ، وتحدثنا عن إبن الله الطريق والحق والحياة ، وتحتوى التعاليم الحق .

كيف سمع الأمم كلمة الحق ؟ .. سمعوا كلمة الحق بالكرازة بإنجيل الخلاص أى ببشرى الخلاص ، فالإنجيل يعلن لنا الخلاص بل يقودنا للخلاص .. أنه *" بشارة الملكوت " (مت٩: ٣٥)* التى بدأها الرب يسوع وأكملها رسله الأطهار ويكملها الكارزون فى كل آن ومكان .. هو *" إنجيل يسوع المسيح ابن الله " (مر١:١)* الذى جاء بالخلاص للعالم وهو *" إنجيل مجد المسيح " (٢كو٤:٤)* لأنه يعلن مجد المسيح وسط الأمم .. وهو *" إنجيل الله " (رو١:١)* لأن الله هو مصدره وهو محوره .. وهو *" إنجيل مجد الله " (اتي١: ١١)* لأنه يعلن مجد الله للبشرية التى فقدت مجدها .. وهو *" إنجيل السلام " (أف٦: ١٥)* لأنه يحمل سلام الله للخطاة التائبين .

الذى فيه أيضا .. إذ أمنتم خُتِمتم .. كان بعض المكرَّسين للآلهة الوثنية يوشمون أنفسهم بصورة إلههم علامة تبعيتهم لهذه الآلهة ، وكانت بعض الجماعات الدينية عندما تقبل عضواً جديداً تشترط أن توشمه فى جسده كختم يثبت عضويته فى هذه الجماعة . كما كان بعض الرعاة يختمون خرافهم علامة الملكية والتمييز بين قطيعهم والقطعان الآخرى ، وكانت علامة شعب الله فى العهد القديم هى

الختان الذى يعتبر ختماً كقول بولس الرسول عن إبراهيم " ***وأخذ علامة الختان ختماً لبرّ الإيمان" (رو٤: ١١)*** أما فى العهد الجديد فإن الختم الذى نناله هو المعمودية وبها نصير أبناء الله ونتمتع بحمايته ، والمعمودية ختم لا ينفك وبذلك فإن بنوتنا لله لا تتغير .

إذ آمنتم خُتِمتم .. الإيمان مطلوب قبل المعمودية ، والروح القدس هو الذى يضع الختم على نفوسنا فى المعمودية "***ولا تُحزِنوا روح الله القدوس الذى فيه خُتمتم ليوم الفداء" (أف٤: ٣)*** ، وليس سرّ المعمودية فقط الذى يعتبر ختماً ولكن سرّ الميرون أيضاً ولذلك يقول لأهل كورنثوس "***الذى يثبّتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا" (٢كو١: ٢١، ٢٢)*** وختم المعمودية والميرون هنا ليس مجرد علامة كما يقول البعض إنما هو إعادة تشكيل للطبيعة البشرية ، وهو سكني روح الله القدوس فينا ، وبه نتذوق عربون الملكوت السمائى .

والختم يُثبِت الملكية والشرعية " ***لكن اساس الله الراسخ قد ثبت إذ له هذا الختم .. يعلم الرب الذين له" (٢تي٢: ١٩)*** وملاك سفر الرؤيا الطالع من شرق الشمس " ***معه ختم الله الحيّ نادى بصوت عظيم .. لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الأشجار حتى نختم عبيد إلهنا على جباههم" (رؤ٧: ٢، ٣)*** ، والسلطات تطبع الختم على الأشياء التابعة لها مثل عربات السكة الحديد وأوراق البنكنوت ، والمستند لا يأخذ صفته الشرعية إلاّ بعد ختمه بخاتم شعار الدولة والخزائن المتحركة متى خُتِمت بخاتم الدولة تصير بعيدة عن العبث .

بروح الموعد القدوس .. أى الروح القدس روح الموعد الذى وعد به الله البشرية منذ القدم على لسان حزقيال النبى " ***وأجعل روحاً جديداً فى داخلكم .. وأجعل روحي فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضي وتحفظون أحكامى وتعملون بها " (حز٣٦: ٢٦، ٢٧)*** ، وقال الله بلسان يوئيل النبى " ***أنى أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم .. وعلى العبيد وعلى الإماء أسكب روحي فى تلك الأيام "***

(يؤ٢: ٢٨، ٢٩) ، وكان حلول الروح القدس وولادة الكنيسة الأولى تحقيقاً لوعد السيد المسيح لتلاميذه (يو١٥: ١٦، ١٧، ٢٦-أع١: ٤) .

والروح القدس هو قدوس بطبيعته لأنه واحد مع الآب والإبن في الجوهر الإلهي ، وهو قدوس فى أعماله ، وهو الذى يقودنا إلى حياة القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب .

" **الذى هو عربون ميراثنا لفداء المُقتنَى لمدح مجدهِ** " (١٤)

عربون ميراثنا .. كلمة " عربون " أدخلها التجار الفينيقيون إلى اللغة اليونانية ، فهو يمثل جزء من الثمن يدفعه المشترى للبائع لضمان إتمام الصفقة ، وهو يشبه خاتم الخطوبة الذى يؤكد عزم العريس على إتمام الارتباط بالعروس ، فميراثنا الكامل نحصل عليه فى الأبدية بل أن ميراثنا هو الله ذاته كقول المرنم " ***الرب نصيب قسمتى وكأسي*** " *(مز١٦: ٥)* ، والله منحنا عربون هذا الميراث بسكنى روحه القدوس داخلنا " ***ولكن الذى صنعنا لهذا عينه هو الله الذى أعطانا أيضاً عربون الروح*** " *(٢كو٥:٥)* والروح القدس هو الذى يطمئنا ويُفرِحنا ويُشكّل فينا صورة المسيح ، ويمنحنا مذاقه الملكوت ، ويثير فينا الإشتياقات الداخلية للملكوت ، ويمنحنا القوة الدافعة للسير نحو الجلجثة ، ولذلك يحذرنا الإنجيل قائلاً " ***لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء*** " *(أف٤: ٣٠)* .. إذاً فلنصلح يا إخوتى مصابيحنا ونقتنى زيتاً نقياً فى متسع الوقت لأن الوقت قريب والأيام شريرة ، وقد اقتربنا جداً من لقاء العريس .

عربون ميراثنا .. نحن المؤمنين سواء من أصل يهودي أو من أصل أممي ، فالروح القدس الساكن داخلنا " ***يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً الله ووارثون مع المسيح*** " *(رو٨: ١٦، ١٧)* .

لفداء المُقتنَى .. المُقتنَى هم شعب الله الخاص ، وبولس الرسول ينتقل هنا من

كون الله ميراثنا كما كان سبط لاوى "***وأما سبط لاوى .. الرب إلـــه إســرائيل هــو نصيبهم*** " ***(يش١٣: ٣٣)*** إلى كوننا نحن نصيب الرب كما كان إسرائيل فى القديـــم " ***لأنهم شعبك وميراثك . الذى اخرجت من مصر من وسط كور الحديد*** " ***(١مل٨: ٥١)*** .

لفداء المُقتنَى .. المُقتنَى هم مؤمنوا العهد القديم الذين قال لهم الرب " ***وأنتــم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدَّسة*** " ***(خر١٩: ٦)*** والمُقتنَى هم نحن المؤمنين فـــى العهد الجديد " ***وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدَّســة وشــعب اقتنــاء*** " ***(١بط٢: ٩)*** الذين اقتنانا الرب بدمه " ***كنيسة الله التى اقتناها بدمه (أع٢٠: ٢٨)*** .

لفداء المُقتنَى .. والمقصود بالفداء هنا تمام عمل الفداء ، فالفداء وإن كـــان قـد تم فى ظلمة الصليب ولكنه يكمل فى صورته النهائية فى فجر القيامة حيث نصل إلــى فداء أجسادنا " ***الذى سيغير جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده*** " ***(فى٣: ٢١)*** .

لمدح مجدهِ .. إختار الله شعب إسرائيل فى العـــهد القديـم لفخــره ومجــده " ***ليكونوا لي شعباً وإسماً وفخراً ومجداً ولكنهم لم يســمعوا*** " ***(ار١٣: ١١)*** أما شعب إسرائيل فقد فشل فى إعلان مجد الله لذلك لنحذر يا إخوتى نحن إســرائيل الجديد لئلا نفشل أيضاً فى إعلان مجد الله فى حياتنا .

لمدح مجدهِ .. هذا هو القرار الثالث والأخير فى هذه التسبحة الذى ردَّدهُ معلمنـــا بولس الرسول فى نهاية كل مرحلة من مراحل خلاصنـــا ، فكــل العطايــا والــهبات الروحيَّة التى نلناها هى لمدح مجد الله فى حياتنا ، وكل خاطئ يخلص وكل ضال يعود سيكون لمجد إلهنا حيث أن كل الخلائق المسيحية ستُمدح الله فى مجده .

لمدح مجدهِ .. ذكر معلمنا بولس الرسول ثلاث اصطلاحات هى :

١- مجد نعمته (ع٦) ٢- غنى نعمته (ع٧) ٣- مدح مجده (ع١٤)

فمجد نعمته ظهر فى المحبوب ، وغنى نعمته ظهر فى عمله على الصليـــب للخطاة التائبين ، ومدح مجده سيظهر ويستعلن فى اليوم الأخير أمام الجميع " ***متــى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون انتم أيضاً معه فى المجد*** " ***(كو٣: ٤)*** .

ثالثاً : صـــلاة وطلبــة (١٥-٢٣)

" ١٥ لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعتُ بإيمانكم بالرب يسوع ومحبَّتكم نحـو جميـع القدّيسـين ١٦ لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إيَّاكم فى صلواتى ١٧ كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسـيح أبـو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفتهِ ١٨ مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوتهِ وما هو غنى مجد ميراثهِ فى القدّيسين ١٩ وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنيـن حسب عمل شدَّة قوَّتهِ ٢٠ الذى عملهُ فى المسيح إذ أقامهُ من الأموات وأجلسهُ عن يمينه فـى السماويَّات ٢١ فوق كلِّ رياسةٍ وسلطانٍ وقوةٍ وسيادةٍ وكل إسم يُسمَّى ليس فى هذا الدهر فقـط بل فى المستقبل أيضاً ٢٢ وأخضع كلَّ شيءٍ تحت قدميه وإيَّاهُ جعل رأساً فوق كل شيءٍ للكنيسـة ٢٣ التى هى جسدهُ ملء الذى يملأُ الكلَّ فى الكلِّ " (١٥-٢٣) .

بعد أن **حلَّق** معلمنا بولس بفكره فى السماء وقدم لنا **التسبحة الرائعة** السـابقة (٣-١٤) مقدماً الشكر لله الواحد المثلث الأقانيم على خطته لخلاصنا ، يرفـع هنـا صلاة رائعة من أجل أولاده . أو قل أنه يقدم لهم نصائحه فى صورة صلاة نابعـة من قلب أب محب لتشق عنان السماء وتصعد أمام العرش الإلهي ، وهذه الصـلاة من الصلوات الرائعة لأسير السلاسل التى سجلها لنا الكتاب المقدس .. حقاً عجيـب هو كاروز الأمم الذى انسكب فى توسلاته فتصاعد بخور صلاته أمام عرش النعمة من أجل كل هذه الكنائس وكل هـؤلاء الأشـخاص .. حقـاً أن السلاسـل التـى استطاعت أن تُقيِّد هاتين اليدين لم تقوَ على تقيِّيد تلك الروح الحرة الطليقة .

دعنا ياصديقى نُحلِّق مع بولس الرسول فى صلاته التى ترفعنا لله الآب " إلـه ربنا يسوع المسيح " من أجل استنارة حياتنا والتى تحتوى على :

١- **الدافع للصلاة** وهو سماعه بإيمانهم ومحبتهم (١٥) .

٢- **تقديم الشكر** لله على إيمانهم ومحبتهم ، والصلاة من أجل نموهم الروحي (١٦)

٣- **التوسل لله** لكيما يمنحهم روح الحكمة والإعلان (١٧) .

٤- **طلب الإستنارة** لهم ليعرفوا رجاء دعوة المسيح لهم وما هو غنى مجد ميراثـه وما هى عظمة قدرته الفائقة التى تعمل لحسابنا (١٨،١٩) .

٥- **الكشف عن عمل شدة قوة الله** التى تظهر فى إقامة الآب للسيد المسيح وإجلاسه عن يمينه وإخضاع كل شئ تحت قدميه (٢٠-٢٣) .

وفى الأصحاح الثالث (١٤-١٩) نلتقى بالصلاة الثانية لبولس الرسول التى يرفعها لله الآب " أبى ربنا يسوع المسيح " لأجل محبته لنا .

" لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعتُ بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين "(١٥)

تعتبر هذه الآية بداية فقرة طويلة تحمل صلاة الرسول من أجل الكنيسة ، ونلتقى فى هذه الآية بالدافع لهذه الصلاة وهو الأخبار السارة التى بلغته عن إيمانهم القوى ومحبتهم الثمينة .

لذلك أنا أيضا .. لذلك أداة وصل بين السابق ***" إذ سمعتم (أنتم) كلمة الحق .. آمنتم وختمتم " (ع١٣)*** وبين اللاحق " إذ سمعتُ (أنا أيضاً) بإيمانكم .. ومحبتكم " ، وقد تشير " أنا أيضاً " إلى الخدام الذين كانوا يعملون مع بولس الرسول ولهم خدمة ظاهرة فى أفسس مثل تيخيكس وتيموثاوس وغيرها ، ويقدمهم على نفسه فيقول " أنا أيضاً " أى هم أولا ثم أنا أيضاً .

إذ قد سمعت .. ربما لا تتناسب هذه الكلمات مع أهل أفسس الذين أمضى الرسول بينهم ثلاث سنوات ودخل بيوت الكثيرين منهم ، ولكننا لا نغفل أن بولس الرسول وجه هذه الرسالة إلى كل كنائس أسيا الصغرى سواء التى أسَّسها أو التى لم يؤَسِّسها ، وربما أنه كان يعرفهم جيدا ولكنه لم يراهم منذ خمس سنوات تقدموا فيها أكثر فأكثر وسمع عن إيمانهم القوى ومحبتهم للجميع ، ويؤيد هذا أن بولس الرسول يكتب بنفس الأسلوب لفليمون الذى كان يعرفه جيدا ***" سامعاً بمحبتك والإيمان الذى لك .. " (فل٥)*** .. أنه كالعادة يشكر الله على نمو الإيمان وزيادة المحبة ***" ينبغى أن نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الإخوة كما يحق لأن إيمانكم ينمو كثيراً ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد " (٢تس١: ٣)*** .

بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم .. الإيمان يمثل علاقة الإنسان بالله ، والمحبة تمثل عضوية المؤمن فى الكنيسة .. الإيمان أمر داخلي خفى غير منظور ولا مسموع ، ومع هذا فإنه منظور ومسموع فى أعمال المحبة الظاهرة .. الإيمان القويم لابد أن يثمر أعمال المحبة ، وأعمال المحبة هى برهان الإيمان القويم .. الإيمان القويم يمثل العقيدة القويمة والمحبة الصادقة تمثل السلوك القويم .. الإيمان والمحبة صنوان لا يفترقان بل هما وجهان لعملة واحدة .

يا إخوتى عندما يعتقد الإنسان أنه يعيش حياة الإيمان بينما تشوب محبته النقائص .. تُرى هل يكون إيمانه أرثوذكسياً (مستقيماً) ؟! .. لنتذكر يا أحبائى أن محبتنا للمسيح لا يمكن أن تعيش بدون محبتنا للآخرين . كما أن محبتنا للآخرين لا يمكن ان تثبت بدون محبتنا للمسيح .

بإيمانكم .. ومحبتكم .. رغم أن بولس الرسول إعتاد أن يحدثنا فى رسائله عن الإيمان والمحبة والرجاء ، فإنه هنا يركز على الإيمان والمحبة فقط .. لماذا ؟ لأنه سميَ وارتفع بأهل أفسس إلى السموات موضع رجاؤنا .

بإيمانكم بالرب يسوع .. لفظة " الرب " تأتى هنا مُعَّرفة لأنه هو الرب الوحيد المساو للآب فى جميع الكمالات الإلهيَّة والواحد معه فى الجوهر الإلهي .

ومحبَّتكم نحو جميع القدّيسين .. بدون استثناء وبدون تميّيز . حباً ليس موقوفاً على الأشخاص الذين يشاركوننا نفس الأفكار والآراء والميول والأهداف والعقيدة . حب نابع من جنب الحبيب الذى أحب الجميع فحتى الأعداء سامحهم وغفر لهم ويشهد بهذا لنجينوس قائد المئة الذى طعنه بالحربة .

" لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إيّاكم فى صلواتى " (١٦)

لا أزال .. علامة المداومة والاستمرارية ، فمنذ أن سمع بولس بأخبارهم وهو مازال يشكر الله ويصلى من أجلهم حتى كتابة هذه الرسالة ، وأيضا بعد كتابتها لم

يكف عن الشكر والصلاة ، ولم يزل يصلى ليس من أجل أهل أفسس فقط بل من أجل كل الكنائس وكل النفوس كقوله لأهل كولوسي " ***منذ يوم سمعنا لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم ..*** " ***(كو١: ٩)*** ويقول لأهل روما " ***كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعاً ..*** " ***(رو١: ٩، ١٠)*** ولأهل تسالونيكى " ***أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله ..*** " ***(اتس١: ٤)*** . بل أنه ما زال يشكر الله ويصلى من أجلنا وهو فى الفردوس الآن .

لا أزال .. عندما يتذكر الإنسان أعمال الله معه في الماضى يتأكد من تحقيق وعوده فى المستقبل ، فيستمر فى تقديم الشكر لمانح العطايا والبركات السمائية .

لا أزال شاكراً لأجلكم .. فى الرسائل الأخرى يبدأ الرسول بالشكر (رو١: ٨- اكو١: ٤-في١: ٣-كو١: ٣ - اتس١: ٢-٢تس١: ٢-٢تي١: ٣-فل٤) أما فى هذه الرسالة فإن الحديث عن البركات الروحيَّة وعما سمعه عن أهل أفسس من أخبار سارة أخذه قليلا ، وفيما هو يتحدث عن هذه العطايا السماويَّة لم يسعه إلاَّ ان يقدم شكره العميق لله .

لا أزال شاكراً لأجلكم .. فهذه عادة الرسول العظيم الذى يعيش حياة الشكر ، والشكر والصلاة والطهارة والاتضاع فى المسيحية ليست مجرد فضائل نظرية مجرَّدة لكنها حياة معاشة ولذلك نقول حياة الشكر وحياة الصلاة وحياة الطهارة وحياة الاتضاع .. إلخ .

لا أزال شاكراً لأجلكم .. يتبع بولس الرسول منهج سيده فى تشجيع الكل ، فبالرغم من أن أهل أفسس كان لهم ضعفاتهم ونقائصهم ، ولا سيما أنهم أمضوا عمرهم فى الشرور والفجور ورذائل الوثنية ، لكن بولس الرسول يرى فيهم عروس المسيح الجميلة ويرى ما حققوه من نجاح وما قطعوه من مسافة شاسعة بين الوثنية والمسيحية ، فيشيد بإيمانهم . أما ضعفاتهم ونقائصهم فإنها موضع صلواته وطلباته وتوسلاته وتضرعاته ودموعه .. حقا هذا هو قلب الخادم الذى يحمل روح التشجيع والرجاء ، وعيناه حمامتان بعيدة كل البعد عن العين الناقدة التى لا تبصر

إلا ما هو قاصر وردئ وقبيح .

ذاكراً إيَّاكم فى صلواتى .. اقتران الشكر بالصلاة خط عام فى رسائل معلمنا بولس الرسول .. أنه يشكر الله على النعم والبركات التى نالوها فى الماضى والحاضر ، ويصلى من أجل المزيد فى الحاضر والمستقبل ، فإن كنا نسمع عن نجاح وتفوق أخوتنا فلنصلى من أجلهم لكيما يثبتوا فى هذا النجاح ويزدادوا فى كل عملٍ صالحٍ .

ذاكراً إيَّاكم فى صلواتى .. أنها صلاة تشفعيَّة يقدمها بولس الرسول من أجل أولاده . أنه فى عمق صلواته يحمل أولاده على اكتافه ويقدمهم للمسيح ، وما زال يصلى من أجلنا ، فاذكرنا أيها الكاروز العظيم ليعطنا الرب الإله نصيباً صالحاً فى ملكوته .

" كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفتهِ"(١٧)

كى يعطيكم .. بولس الرسول الذى يحب أولاده يطلب من أجلهم لكى يمنحهم الله روح الحكمة والإعلان ، فالله هو الغنى الذى يعطى بسخاء ولا يعير .

كى يعطيكم .. أى يفتح أذهانكم لتفهموا وتدركوا ما لا يستطيع أن يدركه الإنسان الطبيعى لأن ***" الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة . ولا يقدر أن يعرفه .. " (١كو٢ : ١٤)*** .

إله ربنا يسوع المسيح .. الآب هو إله ربنا يسوع بالنظر إلى ناسوت الإبن وليس بحسب لاهوته ، لأن السيد المسيح بحسب لاهوته هو فى الآب والآب فيه ، وهو والآب واحد فى الجوهر الإلهى .. لكن عندما دخل إلى العالم فى ملء الزمان ولبس جسداً وأخذ صورة العبد نادى الآب وهو على الصليب قائلاً ***" إلهي إلهي لماذا تركتنى " (مت٢٧ : ٤٦)*** وعقب القيامة قال لمريم المجدلية ***" اذهبى إلى اخوتي وقولي لهم أنى أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " (يو٢٠ : ١٧)*** ، ولئلا يظن أحد

أن معلمنا بولس يريد أن ينتقص من جوهر الإبن لم يقل يسوع المسيح فقط إنما سبق الإسم بلقب الربوبية " ربنا يسوع المسيح " .

أبو المجد .. الآب هو ***" إله المجد " (أع٧: ٢)*** ، والإبن هو ***" رب المجد " (١كو٢: ٨،يع٢: ١)*** والروح القدس هو ***" روح المجد " (١بط٤: ١٤)*** هذا هو الثالوث القدوس المملوء مجداً .

أبو المجد .. هو الآب الكائن في المجد ***" ساكناً في نور لا يُدنى منه " (١تي٦: ١٦)*** .. الذى عاين موسي القليل من مجده فاستضاء وجهه حتى لم يقدر أن ينظر إليه قومه .. الذى سبحه المرنم قائلاً ***" مجد وجلال قدامه " (مز٩٦: ٦) " الرب عادل فوق كل الأمم . فوق السموات مجده " (مز١١٣: ٤)*** ، والإبن فهو رب المجد الذى سبحته الملائكة في ولادته ***" المجد لله في الأعالي " (لو٢: ١٤)*** وهو الذى ننتظر جميعاً ظهوره في مجده ***" متى جاء بمجده ومجد الآب " (لو٩: ٢٦)*** .

أبو المجد .. الآب هو أبو المجد أى نبع المجد ومصدره ، والآب هو ***" أبو الرأفة " (٢كو١: ٣)*** لأنه هو الذى تراءف علينا فأرسل إبنه الوحيد لكيما ينقذنا من موت كهذا ويطلقنا من سجن جهنم ، والآب هو ***" أبو الأرواح " (عب١٢: ٩)*** لأنه هو رب الملائكة والملائكة أرواح ، وهو رب البشر والبشر أرواح وأجساد ، والآب هو ***" أبو الأنوار " (يع١: ١٧)*** لأنه هو مصدر النور الذى أنار الظلمة في بدء الخليقة ، وهو الذى ينير ظلمة حياتنا بروحه القدوس .

كى يعطيكم روح الحكمة .. لا يكتفى بولس الرسول بطلب الحكمة لأولاده إنما يطلب الروح نفسه مانح الحكمة والإعلان ، أى الروح القدس ***" روح الرب روح الحكمة والفهم .. " (اش١١: ٢)*** وقال الحكيم ***" الحكمة تنادى .. هأنذا أفيض لكم روحي أعلمكم كلماتي " (١: ٢٠-٢٣)*** .. أن بولس المحب لا يكتفى بطلب الثمار لأولاده إنما يطلب لهم أصل الشجرة التى تثمر في حياتهم اليوم وكل يوم .

كى يعطيكم .. روح الحكمة .. ليس المقصود هنا جوهر الروح القدس لكن

مواهب الروح ، فالروح القدس عندما يشرق فى الإنسان فإنه يمنحه القلب الحكيم والذهن المستنير والجسد الطاهر ، والحكمة صوفيا " Sophia " المقصود بها ليست الحكمة العالمية إنما الحكمة السمائية الخاصة بالأمور الإلهية العميقة التى قال عنها أيوب الصديق "*أما الحكمة من أين توجد ؟ .. لا توجد فى أرض الأحياء .. الله يفهم طريقها وهو عالم بمكانها*" *(أي٢٨: ١٢-٢٣)* وقال عنها يشوع بن سيراخ "*لمن أستعلن أصل الحكمة ؟ ومن عرف خفاياها ؟ لمن تجلَّت معرفة الحكمة ؟ ومن أدرك كثرة خبرتها ؟ واحد هو حكيم عظيم المهابة جالس على عرشه . الرب هو حازها ورأها وأحصاها . وأفاضها على جميع أعمالها .. رأس الحكمة مخافة الرب .. كمال الحكمة مخافة الرب*" *(يشوع بن سيراخ ١: ٦-٩،١٤،١٦)* وقال أرميا النبي "*هكذا قال الرب . لا يفتخرنَّ الحكيم بحكمته (الأرضيَّة) بل بهذا ليفتخرنَّ المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى أنى الرب (الحكمة السمائيَّة) .. لأنى بهذه أسرُّ يقول الرب*" *(ار٩: ٢٣،٢٤)* ومعلمنا يعقوب يحذرنا من الحكمة الأرضيَّة النفسانيَّة الشيطانيَّة ، ويحفزنا لاقتناء الحكمة الطاهرة المسالمة المترفقة (يع٣: ١٣-١٨) .

روح الإعلان .. الإعلان فى الأصل اليوناني " ابوكالبسيس " أى الرؤيا ليس بمعنى أن يكون الإنسان صاحب رؤئ كما كان دانيال ويوحنا الرائي ، ولكن بمعنى إكتشاف الحقائق اللاهوتية المخفية عن الأذهان ، وليس الإعلان بمعنى التنبؤ ومعرفة المستقبل ولكن بمعنى فهم التعليم الإلهي "*يكون الجميع متعلمين من الله*" *(يو٦: ٤٥)* .. الإعلان هو إكتشاف مشيئة الله فى كل أمور حياتنا "*لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته فى كل حكمةٍ وفهمٍ روحي*" *(كو١: ٩)* ، والإعلان هو كشف أسرار الملكوت "*أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات*" *(مت١٣: ١١)* ، والإعلان هو استنارة البصيرة الروحيَّة لكيما ندرك مجد المسيح وغنى ميراث القديسين ، والإعلان هو ما فعله الرب يسوع مع تلاميذه بعد قيامته إذ فتح أذهانهم ليفهموا الكتب .. حقاً أن حياتنا فى المسيح ليست حياة جامدة ساكنة لكنها حياة متحركة ومتجددة ، وفى كل يوم يكتشف الإنسان

المزيد والمزيد حتى يصل إلى ملء قامة المسيح .

روح الحكمة والإعلان .. لقد اقتنى بولس الرسول روح الحكمة والفهم ، وظهرت حكمته فى طلب الأمور الروحيَّة التى لا تفنى له ولأولاده ، وظهر تمتعه بروح الإعلان من خلال تسبحته الرائعة إذ كشف لنا بالروح القدس الأمور التى حدثت منذ الأزل مثل إختيار الله وتبنّيه لنا .أما الذى يفتقد هذا الروح فإنسه يجهل تماماً الغاية من وجوده فى هذا المكان وهذا الزمان بالذات ، وفى هذه الأسرة بالذات ، وفى هذا المجتمع بالذات .

روح الحكمة والإعلان .. هو الروح القدس الذى يفحص كل شئ حتى أعماق الله (١كو٢: ١٠) .. هو *" روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب " (اش١١: ٢)* ، هو *" روح الحق " (يو١٤: ١٧)* وهو *" روح القداسة " (رو١: ٤)* وهو *" روح التبنى " (رو٨: ١٥)* وهو *" روح الوداعة " (١كو٤: ٢١ ، غل٦: ١)* وهو *" روح الإيمان " (٢كو٤: ١٣)* وهو *" روح القوة والمحبة والنصح " (٢تى١: ٧)* وهو *" روح النعمة " (عب١٠: ٢٩)* وهو *" روح النبوة " (رؤ١٩: ١٠)* .. تُرى كم يكون غنياً من يسمح للروح النارى بقيادة حياته ؟!

فى معرفتهِ .. المعرفة هى بذرة الإيمان ، والمعرفة المسيحيَّة هى معرفة اختباريَّة ، وقمة المعرفة هى معرفة الله ذاته " ***وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (يو١٧: ٣)*** .. فالآب قد أرسل لنا إبنه ليُعرِفنا بذاته حتى إذا عرفناه ننال الحياة الأبدية ، ولذلك ينظر إلينا بطرس الرسول ويوصينا قائلاً *" انموا فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح " (٢بط٣: ١٨)* .

فى معرفتهِ .. كلما أعلن الله لنا أقل القليل من الأمور اللاهوتيَّة السمائيَّة كلما نشتاق لمعرفته أكثر فأكثر ، فقد كلم موسي الله فما لإذن ومع هذا فإنه لم يكتف بهذا بل إشتاق أن يرى أكثر فقال لله " أرني مجدك " ، ومهما وصل الإنسان فى معرفته لله وهو لابس الجسد الترابي فإن هذه المعرفة ستظل قاصرة حتى نخلع

بيت خيمتنا الأرضي فعندئذ نعرفه أكثر فأكثر " *الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ ساعرف كما عرفته " (١كو١٣: ١٢)* .

روح الحكمة والإعلان فى معرفتهِ .. الإنسان من جانبه يطلب الحكمة ويجتهد فى اقتنائها ، والله من جانبه يعلن للإنسان الأمور اللاهوتيَّة الغامضة إذ يجعلها تلمع أمام عينيه .. الإعلان يمنحنا المعرفة ، والحكمة تعلمنا كيف نستخدم هذه المعرفة فى حياتنا وسلوكنا .

" مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوتهِ وما هو غنى مجد ميراثهِ فى القدّيسين " (١٨)

فى الآية السابقة طلب الرسول لنا الروح القدس روح الحكمة والإعلان ، وهنا يطلب عمل الروح القدس فينا إذ يشرق بنور معرفته الحقيقية فينير أذهاننا لندرك :

١- دعوة الله لنا . ٢- عظمة ميراث الله الذى أعدَّه لنا .

٣- عظمة قدرته الفائقة التى أقامتنا من الموت .

مستنيرةً .. س١ : من أين تأتى الإستنارة ؟ من الرب يسوع النور الحقيقى *" أنا هو نور العالم . من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة " (يو٨: ١٢)* .. الذى تنبأ عن عصره أشعياء النبي *" الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور " (أش٩: ٢)* وقال لتلاميذه *" طوبى لعيونكم لأنها تبصر " (مت١٣: ١٦)* .

س٢: كيف تأتى الإستنارة ؟ تأتى الإستنارة بعمل الروح القدس فى المعمودية ، ولذلك سُمى سر المعمودية بسر الإستنارة وقال معلمنا بولس عن المعمودية *" الذين أُستنيروا مرَّة " (عب٦: ٤)* فنحن نحصل على الإستنارة فى المعمودية ونخلص من ظلمة الخطية ونقوم إلى جدَّة ونور الحياة ، وفى أحد التناصير تقرأ الكنيسة إنجيل المولود أعمى .. الآب نبع الإستنارة ويسرُّ أن يهبنا الإستنارة فى إبنه بواسطة الروح القدس الذى هو مجرى الإستنارة ، فنحن نحصل على الإستنارة .

مستنيرةً عيون أذهانكم .. بولس الرسول هو أكثر من يدرك جيداً الإستنارة الروحيَّة إذ عاش قبلاً فى ظلمة التعصب الأعمى حتى التقى بنور المسيح فأدرك أنه أعمى *"وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحداً" (أع٩: ٨)* وعندما إغتسل من خطاياه بالمعمودية نال الإستنارة *"فللوقت وقع من عينيه شئ كأنه قشور فأبصر فى الحال" (اع٩: ١٨)* ثم أرسله للأمم قائلاً له *"لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين" (أع٢٦: ١٨)* .

مستنيرةً عيون أذهانكم .. أى بصيرتكم الروحيَّة ، فالإنسان الجسداني له عينان جسديتان يبصر بهما كل ما هو مادى فقط ، أما الإنسان الروحي فإنه يملك عيون روحيَّة تمنحه الإستنارة ورؤية الأمور الروحيَّة ومعاينة الملكوت *"لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان" (٢كو٥ : ٧)* ، وهذه العيون الروحيَّة هى عيون بسيطة قال عنها الرب يسوع *"إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً" (مت٦: ٢٢)* .

لتعلموا ما هو رجاء دعوته .. رجاء دعوة الله لنا ، فالدعوة منسوبة لله ليؤكد أن المبادرة تأتى من الله وليس منا ، وفى الأصحاح الرابع ينسب الدعوة للإنسان *" رجاء دعوتكم الواحد " (أف٤:٤)* ليؤكد مسئولية الإنسان تجاه هذه الدعوة ، فالله قدم لنا الدعوة وأصبح علينا مسئولية تلبية هذه الدعوة .

لتعلموا ما هو رجاء دعوتهِ .. من هم المدعوين ؟ هم الذين نالوا الإستنارة الروحيَّة والبنوة لله فى المعمودية *"الذين سبق فعيَّنهم (للبنوة) فهؤلاء دعاهم أيضاً" (رو٨: ٣٠)* ، وهؤلاء المُعمَّدين يكشف لهم الروح القدس الهدف من الدعوة ليكونوا مع المسيح فى مجده .

لتعلموا ما هو رجاء دعوتهِ .. أنها دعوة إلهيَّة ثابتة مقدمة لنا لتقيمنا من موت الخطية وتنتشلنا من قبور الشهوة ، وهذه الدعوة الثمينة ثمنها الدم الذكى الكريم *"الذى خلَّصنا ودعانا دعوةً مقدَّسة لا بمُقتضى أعمالنا" (٢تي١: ٩)* وهى

دعوة متجدِّدة كل صباح " *آمين هو الذى يدعوكم ..* " *(اتس٥: ٢٤)* ، " *أسألكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دُعيتم بها* " *(أف٤: ١)* .. أنها دعوة لنوال البركة " *لهذا دُعيتم لكى ترثوا بركة* " *(ابط٣: ٩)* .. دعوة لنوال السلام " *ليملك فى قلوبكم سلام الله الذى إليه دُعيتم* " *(كو٣: ١٥)* .. دعوة للملكوت " *لكى تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوتهِ ومجدهِ* " *(اتس٢: ١٢)* دعوة للمجد الأبدي " *الذى دعانا إلى مجدهِ الأبدى* " *(ابط٥: ١٠)* ، ولذلك نرى بولس الرسول يركض لينال مكأفاة هذه الدعوة العليا " ***اسعى نحو الغرض لأجل جعالة (مكأفاة) دعوة الله العليا*** " *(في٣: ١٤)* .

لتعلموا ما هو رجاء دعوتهِ .. لتعرفوا دعوة الله المملوءة بالرجاء الحيّ" *ولدنا ثانية لرجاء حيّ* " *(ابط١: ٣)* المملوءة برجاء المجد " ***المسيح فيكم رجاء المجد*** " *(كو١: ٢٧)* ، هذه الدعوة تشجعنا وتعيننا فى سعينا نحو الملكوت ، فكل من يتأمل فيها يستهين بآلام الطريق الوعر وأحزان وأوجاع العالم الحاضر ، حتى وإن كنا نعيش فى عالم فقد رجاءهُ فى الملكوت فإننا لن نكف عن بث روح الرجاء فى أولادنا وإخوتنا واثقين فى الأحضان الأبويَّة " ***منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح*** " *(تي٢: ١٣)* واثقين فى محبتة التى ترفعنا " *تعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله .. وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه* " *(ايو٣: ٢، ٣)* .

ما هو غنى مجد ميراثهِ .. وهنا أيضاً ينسب بولس الرسول الميراث لله .. فما هو ميراث الله ؟ ميراث الله هو شعبه .. ألم يكن شعب إسرائيل ميراثه الخلص فى القديم ؟! " *وأنتم لي خاصة من بين جميع الشعوب* " *(خر١٩: ٥)* " *إن قسم الرب هو شعبه . يعقوب حبل نصيبه* " *(تث٣٢: ٩)* " *لأنهم شعبك وميراثك* " *(امل٨: ٥١)* " *خلص شعبك وبارك ميراثك* " *(مز٢٨: ٩)* " *ليدعى يعقوب شعبه وإسرائيل ميراثه* " *(مز٧٨: ٧١)* ، ونحن أيضاً الأمم الغرباء الذين كنا نعيش خارج السياجات ألم نصر شعبه ؟! .. نعم أننا شعبه " ***وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة وشعب اقتناء (أى ميراث)*** " *(ابط٢: ٩)* .

ما هو غنى مجد ميراثه .. نحن ارث الله الذى اشترانا بدمه ، فلنملّكه على قلوبنا ليحول صحارى حياتنا إلى جنة فيحاء يانعة مزهرة .. ليملك على ميراثه فيحفظه ولا يختطفنا أحد من يده " *استودعكم يا أخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين " (أع٢٠: ٣٢)* .

مجد غنى ميراثه فى القديسين .. هو " *شركة ميراث القديسين فى النور " (كو١: ١٢)* الذى يعلنه لنا الروح القدس لأنه هو الذى يمنحنا مذاقة مجد القديسين " *ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه فاعلنه لنا نحن بروحه " (١كو٢: ٩، ١٠)* .

مجد غنى ميراثه فى القديسين .. هو غنى مجد ميراث الله كما سيظهر فى القديسين ، وهو غنى مجد الكنيسة يوم زفافها للعريس السمائى .. إن كنا رأينا " *غنى نعمته " (أف١: ٧)* هنا فى الفداء ، فإننا سنعاين " غنى مجد ميراثه " فى الأبدية يوم يكمل القديسون فى المجد .

" وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدَّة قوَّته "(١٩)

كانت الطلبة الأولى لبولس الرسول من أجلنا أن ننال الإستنارة الروحيَّة لكيما ندرك دعوة الله لنا المملوءة رجاءاً ونشتاق إلى مجد ميراث الله ، وهنا نلتقى بالطلبة الثانية وهى إدراك عظمة قدرته الفائقة التى تعمل لصالحنا نحن الضعفاء .

وما هى عظمة قدرته الفائقة .. ما هى قدرة الله الفائقة العظمة ؟ أنها قدرة لا يمكن وصفها ، فإن كان مجد الله فى القديسين لا يوصف فبالأولى قدرة الله لا يمكن وصفها ، فالطاقة الحرارية المهولة التى أنتجتها قنبلة هيروشيما مع أن وزنها لا يزيد عن ٣٠ جم من ذرات اليورانيوم فى حجم أصغر من حجم بيضة الدجاجة . بل أن قدرة جميع الأسلحة الذرِّيَّة والنوويَّة التى يحتويها العالم اليوم لا تقارن على الإطلاق بقدرة الله الفائقة العظيمة ، لأن كل هذه القدرات الهائلة التى تنجح فى

أزهاق أرواح الملايين تفشل فى إعادة نفس واحدة من مملكة الموت إلى الحياة .

وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين .. القدرة التى أقامت السيد المسيح ممثل البشريَّة من الموت أصبحت ملكاً لكل إنسان يتحد بالمسيح القائم . بل أننا نحتاج إلى نفس هذه القدرة وليس أقل منها لتُقيمنا من موت الخطية وتنقلنا من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته .

وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين .. هذه القدرة هى قدرة روح الله القدوس والتى لا يمكن فصلها عن مصدرها ، ولذلك فمن يحتاج إليها عليه أن يلتمس صاحب القدرة أى الروح القدس الذى يقف مترقباً كل نفس بائسة تتنهد على خطاياها وتدعوه لينقذها ، فيسرع ويطرد الأرواح الشريرة النجسة عنها ، ويصلح ما قد تلف ، ويعيدها إلى جمالها الأول . لذلك فإن معرفتنا بهذه القدرة ومصدرها معرفة اختبارية .. عندما يسقط الإنسان من قمة المجد ويهوى إلى قاع الرذيلة فتبتلعه الخطية ويغلق الموت أبوابه عليه . من يقدر أن يقيمه ويصعده للحياة ويطلقه للحريَّة إلاَّ روح الله القدوس ؟!

حسب عمل شدَّة قوَّته .. قدرة الله الفائقة التى تعمل لصالحنا ليست قوة جامدة ساكنة لكنها قوة عاملة تعمل فينا بشدة وقوة ، وكما وصف بولس الرسول القدرة الإلهيَّة قائلاً " عظمة قدرته الفائقة " فإنه يصف القوة الإلهيَّة قائلاً " عمل شدَّة قوَّته" فإنه يستخدم أربع كلمات قوية مترادفة للتعبير عن هذه القدرة الإلهيَّة وهى :

١- القدرة ٢- العمل ٣- الشدة ٤- القوة

هذه القدرة العاملة بشدة وقوة إنما تعمل لصالحنا فلماذا يعيش الإنسان حياة مهلهلة ملؤها الضعف والاستكانة والخنوع مهدَّداً بنار جهنم ؟!

" الذى عملهُ فى المسيح إذ أقامهُ من الأموات وأجلسهُ عن يمينه فى السماويَّات "(٢٠)

فى الآيات التالية (٢٠-٢٣) نرى عمل الآب مع الإبن المتجسد لأجلنا إذ :

١- أقامه من أرض الأموات إلى أرض الأحياء .
٢- رفعهُ من أرض الأحياء إلى سماء السموات وأجلسهُ عن يمينه فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة .
٣- أخضع كل شئ تحت قدميه .
٤- جعله رأساً للكنيسة .

الذى عملهُ فى المسيح إذ أقامهُ من الأموات .. لقد ظهرت قدرة اللاهوت الفائقة فى إقامة الناسوت من الضعف والمهانة والمذلة إلى القوة والمجد والبهاء .. الجسد الذى تهرأ بالسياط والأشواك والمسامير عاد صحيحاً معافى بل ممجداً يخرج من القبر المُغلَق ويدخل العلية المُغلَقة ، فإن كان كل هذا حدث لأجلنا فلماذا نعيش فى ضعف الموت وكأن مسيحنا مازال فى قبره ؟!

الذى عملهُ فى المسيح إذ أقامهُ من الأموات .. المسيح القدوس بحسب لاهوته هو حي لا يموت ، وبحسب ناسوته هو قدوس بلا خطية وحدهُ ، فليس للموت سلطان عليه لأن الموت هو نهاية كل حياة تشوبها الخطية ، فلماذا إذا مات المسيح ؟ .. لأنه حمل خطايانا ، فمات وقام بالناسوت ، وبموته وفى العدل الإلهي ومزق الصك الذى علينا وأعطانا قوة قيامته ، فأصبح من حقنا أن نتمتع بذات القوة التى التى قام بها من الأموات فنقوم من موت خطايانا إلى جِدَّة ونور الحياة ، وصارت قيامته عربون قيامتنا فى اليوم الأخير " ***عالمين أن الذى أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع*** " *(٢كو٤: ١٤)* " ***الله (الآب) قد أقام الرب يسوع وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته*** " *(١كو٦: ١٤)* .

الذى عملهُ فى المسيح إذ أقامهُ من الأموات .. لقد تضافرت كل قوى الشر لكيما يظل الرب يسوع فى قبره ، فاوصدوا القبر بحجر عظيم وختموه بشعار الدولة الرومانية وأقاموا حراس أشداء على بابه ، وكل محاولاتهم ذهبت ادراج الرياح .. بل أن رب القيامة سبق وتحدى الشيطان وأعوانه قائلاً " ***إنقضوا هذا الهيكل ، وفى ثلاث أيام أقيمهُ (بقوة اللاهوت)*** " *(يو٢: ٢٠)* .. حقاً أن كل قوى

الباطل لا يمكن أن تحجز الحق إلى الأبد ، ولا توجد قوة فى الوجود مهما عظمت تقدر أن تقف ضد إرادة الله ومشيئته ، فإن كانت إرادة الله ومشيئته أن نقوم من قبر خطايانا إلى البهاء والمجد ، فهل نتقاعس متلذذين بالموت ؟!

الذى عملهُ فى المسيح إذ أقامهُ من الأموات.. نستطيع أن نقول أن الآب أقام الإبن ، ونستطيع أن نقول أن الإبن أقام ذاته أو الروح القدس أقام الإبن ، وكل قول له مغزاه الخاص ، فعندما يريد الإنجيل أن يوضح لنا رضاء الآب عن ذبيحة الإبن ينسب القيامة للآب ***" ورئيس الحياة الذى قتلتموه أقامه الله (الآب) من الأموات " (أع٣: ١٥) " يسوع الناصرى الذى صلبتموه أنتم أقامهُ الله (الآب) من الأموات " (أع٤: ١٠)*** وكذلك (أع١٧: ٣٠،٣١) وعندما يريد الإنجيل أن يُظهِر ألوهية الإبن ينسب القيامة له كقول الملاك للمريمات ***" لأنه قام كما قال .. قد قام من الأموات " (مت٢٧ : ٦،٧)*** وعندما يريد الإنجيل أن يبرز دور الروح القدس فى عملية الفداء فإنه ينسب له قيامة المسيح ***" وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم " (رو٨: ١١)*** وقال معلمنا بطرس الرسول عن موت المسيح ***" مُماتاً فى الجسد ولكن مُحيي فى الروح " (١بط٣: ١٨)*** .

الذى عملهُ فى المسيح إذ أقامهُ من الأموات .. ليس الأمر العجيب هو قيامة السيد المسيح ولكن الأمر العجيب هو موته وهو الإله ، فكيف يموت الله ؟ .. على الصليب فارقت الروح البشرية التى للسيد المسيح جسده ، ولكن كل من الروح والجسد ظل متحداً باللاهوت ، ولهذا لم يتعرَّض الجسد باللاهوت المدفون فى القبر للفساد ، وأيضاً الروح البشرية المُتَحدة باللاهوت اقتحمت الجحيم مملكة الشيطان وحرَّرت نفوس الذين ماتوا على الرجاء ، وكيف قام المسيح ؟ فى فجر الأحد عاد اللاهوت ووحدَّ بين جسد السيد المسيح وروحه البشرية ، وقام منتصراً على الموت والشيطان ، وصار القبر الفارغ الذى يفج منه النور الإلهي كل عام فى يوم سبت النور أعظم شاهد على قيامته المقدسة .

وأجلسهُ عن يمينه فى السماويَّات .. عندما يريد الملك أن يُكرّم أحد يُجلِسه عن يمينه ، والإبن الذى أطاع الآب إستحق عن جدارة أن يجلس عن يمين الآب فى تلك المكانة التى لم يصل إليها أحد من الملائكة السمائيين "***لأنه لمن من الملائكة قال قط أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك***" ***(عب١: ١٣)*** .. لقد صبر على موت الصليب فاستحق أن يُرفَع إلى المجد " وإذا وُجِد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب "***لذلك رفَّعه الله وأعطاه إسماً فوق كل إسم ..***" ***(فى٢: ٨-١١)*** بل أن الجلوس عن يمين الآب كان موضوع نبؤة داود منذ القديم "***قال الرب (الآب) لربى (الإبن) أجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك***" ***(مز١١٠: ١)*** وعندما سأل الرب يسوع اليهود بشأن هذه النبؤة (مت٢٢: ٤١-٤٥) "***لم يستطيع أحد أن يجيبه بكلمة***" ***(مت٢٢: ٢٦)*** .

وأجلسهُ عن يمينه فى السماويَّات .. الإبن بحسب لاهوته هو واحد مع الآب فى الجوهر الإلهي .. هو كان فى الحضن الأبوى كل حين وهو مالئ الكل بلاهوته ، ولكن بحسب الناسوت صعد بطبيعتنا البشرية إلى سماء السماوات جسديًّا وجلس عن يمين الآب ، وهذا ما يؤكده بولس الرسول فى نفس الرسالة "***أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع***" ***(أف٢: ٦)*** ، ويمين الآب ليس مكاناً محصوراً ولكنه دلالة على العظمة والرفعة (مز٨٩: ١٣) والقوة (مز٢٠: ٦، ٩٨: ١) والحب (نش٢: ٦) والحكمة (جا١٠: ٢) والحفظ (مز١٣٧: ٥) والنعم والخيرات (مز١٦: ١١) والإختيار والتذكيَّة (مت٢٥: ٣٣) .. رآه اسطفانوس جالساً عن يمين العظمة (أع٧: ٥٦) ومعلمنا بولس الرسول يُكرّر نفس المعنى فى (رو٨: ٣٤ ، كو٣: ١ ، عب٨: ١، ١٠: ١٢) .

" فوق كلّ رياسةٍ وسلطانٍ وقوةٍ وسيادةٍ وكل إسمٍ يُسمَّى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً " (٢١) .

ظهرت فى آسيا الصغرى جذور الغنوسية حيث اعتقد البعض أن الله خلق

سلسلة طويلة من الانبثاقات أو القوات أو الأيونات ، وكل انبثاق يصدر من الانبثاق السابق له ويبعد عن المصدر أكثر فأكثر ، وأكثر الإنبثاقات بعداً هو أكثر جهلاً بطبيعة الله ، وهو الذى خلق العالم من المادة الشريرة ، ولكيما يصل الإنسان لله لابد أن يمرَّ بجميع هذه الانبثاقات ، وقالوا أن السيد المسيح ما هو إلاَّ أحد هذه الانبثاقات ، وأنكروا ناسوته لأنهم يرون أن المادة شر ، وانكروا سلطانه المطلق على الملائكة والرتب السمائية التى كانوا يعبدونها ويستعينون بها كوسطاء للوصول لله (راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٣،١٤) وبذلك يرد عليهم معلمنا بولس الرسول مُظهِراً لهم سلطان السيد المسيح المطلق على جميع الخلائق " فإنه خُلِق الكل ما فى السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين (كو ١: ١٦) .

فوق كلَّ رياسةٍ وسلطانٍ وقوةٍ وسيادةٍ .. هذه رتب ملائكية ، وهى طغمات الرياسات والسلطات والقوات والسادات أى الأرباب ، وفى القداس الإلهي يصلى الأب الكاهن "***أنت الذى يقف أمامه الملائكة ورؤساء الملائكة والرئاسات والسلطات والكراسي والربوبيَّات (السادات) والقوات " (القداس الإلهي)*** ، وكلمة " فوق " فى الأصل اليونانى لا تعنى فوق فقط إنما تعنى أعلى بكثير ، فالفارق بين السيد المسيح وهؤلاء القوات الملائكيَّة لا يقاس لأنه يمثل الفارق بين الخالق والمخلوق ، وإن كان فى التجسد قد أخلى السيد المسيح نفسه من مجده وظهر للجميع أنه أقل من الملائكة حتى أن الناس لم يدركوا عظمته وسلطانه ، ولكن بعد القيامة عاد إلى مجده" ***ولكن الذى وُضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة " (عب٢: ٩)*** وقد أوضح السيد المسيح عظمة سلطانه لتلاميذه قبل صعوده قائلاً "***دُفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض " (مت٢٨: ١٨)*** وقال معلمنا بطرس الرسول " ***بقيامة يسوع المسيح الذى هو فى يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مُخضعه له " (١بط٣: ٢١،٢٢)*** .

فوق كلّ رياسةٍ وسلطانٍ وقوةٍ وسيادةٍ .. الآب بقدرته الفائقة العظمة رفع الإبن

المتجسد فوق كل شئ ، ونحن رُفعنا فيه وصرنا فيه فوق كل شئ ، وهذا لا يدفعنا للافتخار والكبرياء إنما يحفزنا إلى تعظيم وتمجيد اسم الله .. فعلاً ياأحبائى لقد نال الإنسان ما تشتهى الملائكة أن تطلع عليه ، فمن من الملائكة يقتات بجسد ودم عمانوئيل إلهنا ؟!

وكل إسمٍ يُسمَّى ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً .. قال سليمان الحكيم فى المزمور "***ويكون اسمه إلى الدهر .. قدام الشمس يمتدُّ إسمه ويتباركون به كل أمم الأرض يطوّبونه*** " ***(مز٧٢: ١٧)*** ورآه دانيال "***كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل إبن الإنسان آتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه إليه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة .. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض*** " ***(دا٧: ١٣، ١٤)*** ، وقال عنه بولس الرسول " ***لذلك رَفعه الله وأعطاه إسماً فوق كل إسم . لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة منْ فى السماء ومنْ على الأرض ومنْ تحت الأرض*** " ***(فى٢: ٩، ١٠)*** [راجع تفسير رسالة فيلبى صـ ٨٨، ٩٠] ورآه صاحب الرؤيا "***وعيناه كلهيب نار .. وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويُدعى إسمه كلمة الله .. وله على ثوبه وعلى فخذه إسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب*** " ***(رؤ١٩: ١٢-١٦)*** .

" وأخضع كلَّ شئٍ تحت قدميه وإيَّاهُ جعل رأساً فوق كل شئٍ للكنيسة " (٢٢)

فى الآيتين (٢٢، ٢٣) يقدم لنا بولس الرسول صورة رائعة عن عظمة ومجد وسلطان الكنيسة فى المسيح ، فالمسيح هو الرأس الخاضع له كل شئ ، ففى صلاة الصلح للقداس الكيرلسي يصلى الأب الكاهن " يارئيس الحياة وملك الدهور اللهم الذى تجثو له كل ركبةٍ ما فى السموات وما على الأرض وما تحت الأرض الذى الكل مذلول وخاضع بعتق العبودية تحت خضوعٌ قضيب ملكه .. "

وأخضع كلَّ شئٍ تحت قدميه .. السيد المسيح بحسب لاهوته كل شئ خاضعاً لهُ ، ولكن بالتجسد أخلى ذاته من هذا المجد ، وسلَّم نفسه للذل والهوان وموت

العار ، ثم رفّعهُ الله بالقيامة والصعود ليس من الهوان للمجد فقط بل وأخضع كل شئ له ، فصارت كل طبيعة عاقلة تحت سلطانه ، وعن هذا الإخلاء بالتجسد والعودة للمجد بالصعود تنبأ داود النبي قائلاً " *من هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده وتنقصه قليلا عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله . تسلّطهُ على أعمال يديك . جعلت كل شئ تحت قدميه " (مز٨: ٤،٥)* ، ولذلك يذكر معلمنا بولس نفس النبوءة *" لكن شهد واحد فى موضع قائلا ما هو الإنسان حتى تذكره .. أخضعت كل شئ تحت قدميه . لأنه لأنه إذ أخضع الكل له لم يترك شيئا غير خاضع له . على أننا الآن لسنا نرى الكل بعد مُخضَعاً له " (عب٢: ٦-٨)* .

ورغم أن الآب قد أخضع كل شئ تحت قدمي الإبن المتجسد ولكن الإبن لا يمارس هذا السلطان الآن بصورة كاملة فهناك الكثيرون يعصونه ولا يخضعون له ، ولكن فى اليوم الأخير سيظهر هذا السلطان واضحاً جلياً " *وسمعتُ كصوت جمع كثير وكصوت مياه كثيرة وكصوت رعود شديد قائلة هللويا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شئ لنفرح ونتهلل ونُعطه المجد لأن عرش الخروف قد جاء " (رؤ١٩: ٦،٧)* .

وأخضع كلَّ شئٍ تحت قدميه .. ليس معنى هذا إن الآب أعظم من الإبن ، ولكن الرسول يريد أن يوضح لنا الوحدة والإنسجام الكامل بين الآب والابن ، فالإبن لم يغتصب شيئاً من الآب ، والآب لم يُغصَب لخضوع كل شئ للإبن بل سُر بهذا ، وكما رأينا فى موضوع القيامة أنه لا يوجد إختلاف بين قول الإنجيل أن الآب أقام الإبن أو الإبن أقام ذاته أو الروح القدس هو الذى أقامه ، فهكذا فى الخضوع أيضاً لا يوجد تعارض بين قول الإنجيل أن الآب أخضع كل شئ تحت أقدام الإبن أو أن الإبن أخضع كل شئ لسلطانه . بل بالعكس أن هذه الآية تظهر ألوهية السيد المسيح ، فلو لم يكن هو يهوه ، فكيف تخضع له كل الخليقة ؟ وماذا ينبقى ليهوه ؟!

وإيَّاهُ جعل .. إياهُ بالتحديد ، فهو الذى فوق كل شئ ، وهو الذى يخضع له كل شئ وليس آخر سواه .. الآب جعل الإبن أى أعطى الإبن أن يكون رأساً فوق كل شئ ، ولفظة " جعل " أو " أعطى " لا تعنى أى تميّيز أو تعظيم للآب عن

الإبن ، ولا تعنى أى تقليل أو تصغير للإبن عن الآب ، ولنُقرب المعنى إلى الذهن نعطى مثلاً لهذا ، فلو أن الملك جورج أنجب الأمير جان ، فإن جان هو ابن الملك بالطبيعة ، والأب أعطى إبنه طبيعته وصورته وشبهه ، فإن هذه العطية هى عطية بالطبيعة ، ولكن لو هذا الملك رأى طفلاً لقيطاً جميلاً مُعرّضاً للخطر فحنّت عليه أحشاؤه وأخذه وأهتم به وأحبه وتبناه فإن هذا الإبن ليس إبناً لملك بالطبيعة بل هو إبناً له بالتبنى أو بالنعمة ، وهكذا كل عمل للآب مع الإبن وما يعبر عنه الإنجيل بألفاظ بشرية مثل " جعل " أو " أعطى " فإنها أفعال بالطبيعة وليس بالنعمة ، ولكن عندما يعمل الآب معنا فهذا عمل بالنعمة وليس بالطبيعة .

وإيَّاهُ جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة .. هذا تشبيه رائع لعلاقة المسيح بالكنيسة ، فالكنيسة هى الجسد والمسيح هو الرأس ولا يمكن الفصل بينها .. الرأس فى السماء ولذلك ينبغى أن تكون أفكارنا وأحاسيسنا ومشاعرنا واشتياقاتنا وأمالنا متعلقة بالسماء .. المسيح هو الرأس والكنيسة محفوظة فى إسمه على مدى السنين والأيام ، واثقين أن كل سلطان مهما طغى وتجبَّر فهو فى قبضة رأسنا ضابط الكل وهو لا يسمح بالآلام إلاَّ لخيرنا وتذكيتنا ولنشر نور الإيمان ، وكما أن الرأس هو المسئول عن تدبير كل أمور الجسد هكذا السيد المسيح هو الذى يُدبّر كل أمور حياتنا ، وكما أن الرأس يسود على كل شئ هكذا ينبغى أن نسود نحن على أنفسنا وتصرفاتنا وسلوكنا ، وعندما نجد المحبة الخاطئة قد تسللت إلى حياتنا فلنعلم أن هذا الأمر غير طبيعى وشاذ ، لأن القصد الإلهي أن يكون الإنسان تاج الخليقة ورأسها .. الإبن فوق كل شئ والكنيسة فى الإبن هو فوق كل شئ .

وإيَّاهُ جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة .. لقد أخضع الآب كل شئ تحت أقدام الإبن إلاَّ الكنيسة التى هى عروسه ***"لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"*** *(أف٥: ٣٠)* وقد قال لنا ***" لا أعود أسميكم عبيد .. لكنى قد سميتكم أحباء "*** *(يو١٥:١٥)* بل أن الآب جعل الإبن رأساً فوق كل شئ أى لصالح الكنيسة فى كل

آن ومكان وإلى الأبد ، ولذلك نرى الإبن يُودِع سلطانه على شفاء الأمراض وإقامة الموتى وإخراج الشياطين للكنيسة (مت ١٠: ١٨) .

" التى هى جسدهُ ملء الذى يملأ الكلَّ فى الكلّ " (٢٣) .

التى هى جسدهُ .. الكنيسة هى جسد المسيح التى تألم من أجلها ونزل إلى أقسام الأرض السفلى ليرفعها إلى أعلى مقام عن يمين الآب ، وأى إنسان يعرف ويدرك ما فعله الرب يسوع معنا لا يملك إلا أن يقدم كل حبه وولاءه للرأس الممجد ، وما أجمل قول فم الذهب " لو أن إنساناً وضع تاجاً من ذهب فوق رأس أى واحد منا . ألا يبذل كل ما فى وسعه لكى يبدو مستحقاً لهذه الجوهرة عديمة الحياة ؟ والآن لم يوضع فوق رؤوسنا مجرد تاج . بل ما هو أعظم جداً ، فالمسيح قد صار رأسنا ، ومع ذلك فنحن لا نبالى به ، ولا نقدم له أى ولاء أو احترام .. اذكر أن رأسك جالس عن يمين الآب " فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة " لكن جسد هذا الرأس (أى نحن) تطأه الشياطين . كلا ، وحاشا أن يكون هذا وإلا لما بقى جسد كهذا جسده .. لو تجاسر إنسان وقيد قدمي الإمبراطور بالقيود والسلاسل ألا يعرض نفسه لاقسي أنواع القصاص ؟ "[٦]

التى هى جسدهَ .. الكنيسة هى جسد المسيح الواحد وهذا ما أكده معلمنا بولس الرسول مراراً وتكراراً فى هذه الرسالة (أف٤:٤،١٢،١٦ ـ ٥: ٣٠) وفى رسائله الأخرى قال "***نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضا لبعض كل واحد للآخر*** " *(رو١٢: ٥)* " ***نحن الكثير خبز واحد جسد واحد لأننا جميعا نشترك فى الخبز الواحد (الجسد المقدم على المذبح)*** " *(اكو١٠: ١٧)* [بالإضافة إلى ١كو١٢: ٢٧ ، كو١: ٢٤، ٢: ١٩] .

التى هى جسده ملء الذى يملأ الكلَّ فى الكلّ .. هل الكنيسة هى التى تمتلئ

---

[٦] تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس للقديس يوحنا فم الذهب تعريب القمص مرقس داود صـ٢٩

من السيد المسيح أم أن الكنيسة هى التى تملأ السيد المسيح ؟ كلمة ملء المستخدمة هنا فى الأصل اليوناني بليروما " Pleroma " تعنى الذى يملأ وليس الذى يمتلئ ، وغالبا لا يوجد فى الإنجيل كله ما يشير إلى أن الكنيسة هى التى تعتبر ملء للمسيح غير هذه الآية ، وآية أخرى فى (كو١: ٢٤) " وأُكمِل نقائض شدائد المسيح فى جسمي لأجل جسده الذى هو الكنيسة " ، ومع هذا فإن كلا الأمرين حقيقة واقعة ، والآن نعرض لكلا الحقيقتين :

١- الكنيسة تمتلئ بالسيد المسيح كما يمتلئ جسد الإنسان بالروح ، وكما يمتلئ الهيكل من روح الله ، وهكذا السيد المسيح يملأ الكنيسة بروحه القدوس ، ويملأها بسلطانه ، ويملأها ببركات الفداء .

٢- الكنيسة تعتبر ملء السيد المسيح من جهة الناسوت ، أما من جهة اللاهوت فالسيد المسيح ليس فى حاجة إلى أى كائن آخر ، ولكن من جهة الناسوت فإن :

أ- الكنيسة هى جسد المسيح التى لا غنى عنها ، وكل عضو جديد ينضم للإيمان يعتبر استكمال للجسد والسيد المسيح كرأس فى حاجة إليه ، وعلى حد تعبير فم الذهب " كما أن ملء الرأس هو الجسد كذلك ملء الجسد هو الرأس " [٧] ، وعندما يكتمل هذا الجسد فإن السيد المسيح يأتى فى مجده ويأخذه .

ب- الكنيسة هى الواسطة والأداة التى تحقق غاية وهدف وقصد الرأس المسيح وتجذب النفوس من مشارق الشمس ومغاربها ، وتعلن ملء المسيح فى العالم كله . بل أنها تعبر عن الوجود الحقيقى الملموس للسيد المسيح فى وسط هذا العالم ، ولذلك فهى تعتبر ملء السيد المسيح كما يعتبر الجسد ملء الرأس .

وعلى كلٍ فإن دعوة الكنيسة على أنها ملء السيد المسيح هو أمر عجيب

---

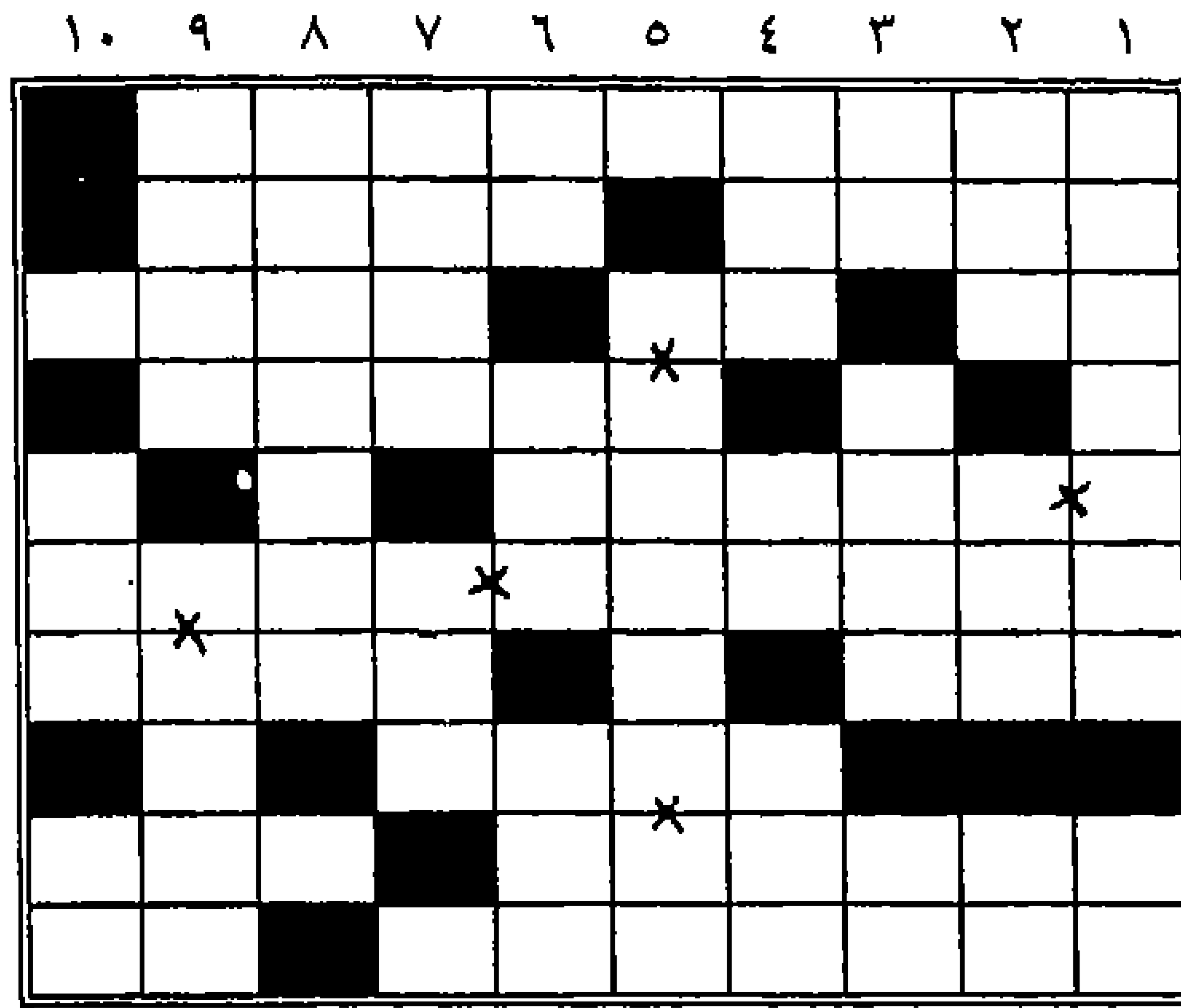
[٧] شرح أفسس- إبراهيم سعيد صـ١٠٦ .

ومدهش يكشف لنا عن عظم اتضاع العريس الذى يظهر إهتمامه بالعروس وكأنه محتاجاً إلينا ، ومن جهة نظر أخرى فإن هذا الأمر يلقى مسئولية أكبر على الكنيسة لإعلان محبة وحلاوة ونعمة وقداسة العريس الرأس ولا سيما للخطاة .

ملء الذى يملأ الكلَّ فى الكلّ .. السيد المسيح حلَّ فيه كل ملء اللاهوت ***" لأنه فيه (فى المسيح) سر أن يحل كل الملء " (كو١: ١٩) " فإنه فيه (فى المسيح) يحل كل ملء اللاهوت جسديا " (كو٢: ١٩)*** فملء السيد المسيح هو ملء الله ***" وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله " (أف٣: ١٩)*** ، ولئلا يشك أحد فى ألوهية السيد المسيح ختم معلمنا بولس هذه الآية بوصفه للسيد المسيح " الذى يملأ الكلَّ فى الكلّ " ومن المعروف أنه ليس أحد يملأ الكلَّ فى الكلّ إلا الله ذاته ***" أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب " (ار٢٣: ٢٤)*** .

ونحن أعضاء جسده ننهل من ملئه ***" ومن ملئه نحن جميعا أخذنا " (يو١: ١٦)*** أخذنا قداسة وطهارة ونعمة وسلطة وحياة أبدية لذلك لا نحتاج لماء العالم ***" وأنتم مملؤون فيه الذى هو رأس كل رياسة وسلطان " (كو٢: ١٠)*** .. ما أعظم أن ينمو الإنسان ***" إلى قياس قامة ملء المسيح " (أف٤: ١٣)*** وفى جهاده يعتمد أساساً ليس على مبادئ العالم ولكنه يعتمد على ***" ملء إنجيل المسيح " (رو١٥: ١٩)*** .





السؤال الأول : كلمات متقاطعة

الكلمات الرأسية :

١- جسد المسيح – متشابهان

٢- عيب – من الأثار – متشابهان .

٣- متشابهان – المقطع الثانى لإسم أحد القديسين (مبعثرة) .

٤- عكس بخل (معكوسة)- للإيضاح – أزال

٥- جنسية كاتب الرسالة (معكوسة) – بواسطة (معكوسة) .

٦- ثلثى نوح (معكوسة) – تجدها فى أقسم – متفرقات .

٧- خلف موسى النبى فى قيادة الشعب (مبعثرة) – مكسب .

٨- كلمة حق .

٩-عَزَمْتُ (معكوسة) – مدينة كانت مركز للفساد (معكوسة) .

١٠- أقام (معكوسة) – سيد .

الكلمات الأفقية :

١-أجلسه عن يمينه فى......

٢- من ألقاب كاتب الرسالة (معكوسة) –عكس يبارك (معكوسة)

٣- للسؤال عن العدد– تعب –الإسم العبرى لبولس .

٤- أحد أنبياء العهد القديم (مبعثرة)

٥-دعينا إليها (معكوسة) .

٦-والى بافوس – معنى بولس باليونانية (معكوسة)

٧- بناه قدماء المصريين (مبعثرة) – نسرق (معكوسة) .

٨- من ألقاب الملك سليمان (معكوسة)

٩- فيه نلنا نصيبنا – نقل الخطية (سامح) .

١٠- لقب للسيد المسيح فى الأصحاح – أحد الوالدين

****

السؤال الثانى : صل كل كلمة فى العمود (أ) بما يناسبها فى العمود (ب) والعمود (جـ) .

(أ)	(ب)	(جـ)
معنى اسم بولس	تحية يونانية	روح الموعد
دُعى الآب	المحبوب	الساكن فى النور
النعمة	المطوُّب	قبل الإيمان
دُعى المسيح	روح الحكمة	ارتبطت بالجمال
معنى أسم شاول	صغير	من الآب
الروح القدس	أبو المجد	بعد الإيمان

****

السؤال الثالث : تكلم فى خطوط عريضة عن عمل كل أقنوم معنا منذ الأزل وإلى الأبد .

الاصحاح الثانى

فى الأصحاح الأول حلَّق بنا بولس الرسول فرأينا عمل الثالوث القدوس من أجلنا ، وفى هذا الأصحاح يحملنا كاروز الأمم لنرى عمل الله فينا .. فى الأصحاح الأول تلامسنا مع عمل الآب فى الأزل إذ إختارنا وعيَّننا للبنوة ، وعمل الإبن الذى فدانا وغفر خطايانا ، وعمل الروح القدس الذى هو عربون ميراثنا ، ورأينا عمل الآب مع الإبن المتجسد من أجلنا إذ أقامهُ من الأموات وأجلسه عن يمينه فى السموات فوق كل شئ ، وأخضع تحت قدميه كل شئ ، وجعلهُ رأساً للكنيسة فصارت الكنيسة فيه فوق كل شئ ، ولئلا نرتفع ونسقط فى الكبرياء بسبب ما وصلنا إليه من مجد ورفعة عاد بولس الحكيم فى هذا الأصحاح يحملنا لنلقى نظرة إلى أسفل فنرى ماضينا المظلم الكئيب ومقبرة الموت التى عشنا فيها وجب الهلاك الذى إحتوانا . ثم كيف عمل الله فينا فعوض الموت وهبنا الحياة ، وعوض الإنحطاط فى شهوات الجسد و ظلمة العقل رفعنا إلى السموات ، وعوض التغرُّب عن الله بدون مسيح أصبحنا هيكلاً مقدساً له ، وعوض تغرُّبنا عن الكنيسة أصبحنا رعية الله وأهل بيت الله .

وإن كان موضوع الرسالة ككل " المسيح والكنيسة " ففى الأصحاح الأول رسم بولس الرسول صورة جميلة للكنيسة إذ هى تمثل الجسد والسيد المسيح هو الرأس ، وفى هذا الأصحاح يرسم صورة رائعة للكنيسة مشبهاً إياها بالهيكل المقدس والسيد المسيح هو حجر الزاوية والرسل والأنبياء هم الأساس ونحن المؤمنين الحجارة الحيَّة التى تكوِّن الهيكل .

وإن كان معلمنا بولس الرسول يركز فى هذا الأصحاح على ما كنا فيه من منطقة شديدة السواد حيث فظاعة الخطية وبشاعة الشهوة وفساد الأفكار وتسلط رئيس سلطان الهواء على جميع أبناء المعصية وأبناء الغضب (ع١-٣) فذلك لكيما يبرز عظمة الحياة الجديدة " أحيانا مع المسيح " (ع٥) ، والخليقة الجديدة " أقامنا

معه " (ع٦) ومجد وبهاء مركزنا " أجلسنا معه فى السماويَّات " (ع٦) ، وأيضاً فى هذا الأصحاح نرى صليب المسيح بعارضتيه ، فالعارضة الأفقية تمثل عمل صليب المسيح الذى وحَّد بين الإنسان وأخيه فخلق من اليهود والأمم كنيسته المجيدة " ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب " (ع١٦) ، وفى العارضة الرأسية نرى عمل الصليب الذى صالح الإنسان كل الإنسان بخالقه .

ويمكن تقسيم هذا الأصحاح كالآتى :

١- كنا وصرنا (١-١٠) .

٢- غرباء أقرباء (١١-١٨) .

٣- خمسة أوصاف (١٩-٢٢) .

أولاً : كنا وصرنا (١-١٠)

" ١وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا ٢ التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية ٣ الذى نحن أيضاً جميعاً تصرَّفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكُنَّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً ٤ الله الذى هو غنىٌ فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبَّنا بها ٥ ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح . بالنعمة أنتم مخلَّصون ٦ وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويَّات فى المسيح يسوع ٧ ليُظهِر فى الدهور الآتية غنى نعمتهِ الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع ٨ لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله ٩ ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد ١٠ لأننا نحن عملهُ مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكى نسلك فيها " (١-١٠) .

هذه الفقرة تمثل جملة طويلة متصلة ، والفعل الأساسي فيها " احيانا " والفاعل هو " الله " ، وفى هذه الفقرة نلتقى مع ماضينا كأمَم بدون مسيح (١-٣) وحاضرنا فى المسيح (٤-٦) ومستقبلنا السماوى (٧) . يبدأ بولس الرسول هذه الجملة

الطويلة بعرض الحالة الكئيبة والمنطقة شديدة السواد التى عشنا فيها كأبناء للغضب (٢،١) وشاركنا فيها اليهود أيضاً كأبناء المعصية (ع٣) حتى وصل الإنسان إلى حالة من الضياع والفساد لا يُصدّق معها أحد أنه من الممكن أن يخرج منها شئ صالح ، ولكن الله أشرق علينا فأحيانا من موت ، وأقامنا من قبر، وأجلسنا فى السماويَّات (٤-٦) .. أنها قصة كل نفس تتغرَّب عن الله فلا يتركها بل يظل يفتقدها برحمته الغنية ومحبته الكثيرة ونعمته الفائقة ، وبقدر ما تدرك النفس الموت الأبدي الذى يغشاها بقدر ما تدرك ضرورة وأهمية وعظمة حياتها فى المسيح ، وبقدر ما تشكر الله وتتمسك بالحياة الأبدية ، وفى هذه الفقرة نلتقى بأربع مجموعات من الثلاثيات :

١- أعداء الإنسان الثلاثة : العالم (ع٢) والشيطان رئيس سلطان الهواء الروح (ع٢) ، والجسد (ع٣) .
٢- نتائج السقوط : الموت بالذنوب والخطايا (ع١) ، فأصبحنا أبناء المعصية (ع٤) ، وأبناء الغضب (ع٣) .
٣- الوسائل التى أنقذتنا من الموت : رحمة الله الغنية (ع٤) ، ومحبته الكثيرة (ع٤) ، ونعمته الغنية الفائقة (ع٥،٧) .
٤- أعمال الله معنا : أحيانا مع المسيح (ع٥) ، وأقامنا معه (ع٦) وأجلسنا معه فى السماويَّات (ع٦) .

" وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا " (ع١)

وأنتم إذ كنتم أمواتاً .. هنا يخاطب بولس الرسول أهل أفسس " أنتم أيها الأفسسيون " ويصف حالتهم التى آلت إلى الموت بسبب الذنوب والخطايا التى سقطوا فيها لأن " ***النفس التى تخطئ هى تموت*** " *(حز١٨: ٤)* ، فإنهم صاروا أمواتاً حتى وهم بعد أحياء يأكلون ويشربون ويتحركون ويتزوجون .. أنهم صاروا أمواتاً

بإنفصالهم عن الله مصدر الحياة "***متجنبـــون عـــن حيـــاة الله***" (*أف٤: ١٨*) "***وأمـــا المتنعمة فقد ماتت وهى حيَّة***" (*اتي٥: ٦*) أنهم ليسوا مجرد مـــرضي ولا ضعفـــاء ولا مشلولين لكنهم أموات حتى أنهم فقدوا أى مقدرة لفعل الصلاح . لقد دخلوا إلـــى دائرة الموت الروحى بإرادتهم . أما الموت الجسدى فقد ورثناه عن آدم الأول بدون إرادتنا وصار حكماً عاماً على البشرية ، فهو ليس عيباً ولا كارثة للأحياء روحيـــا بل هو مكسب وربح . أما بالنسبة للأموات روحياً فهو الكارثة بعينـــــها إذ ينقلـــهم للجحيم .

بالذنوب والخطايا .. الذنـــوب أو الـــزلات فى الأصل اليونانـــى بارابتومـــــا " Παραπτώματα" وهى من كلمـــــة بيبتـــو " Πίπτω "

ومعناها يسقط أو يزل أو ينزلق فهكذا وردت فى العبرانيين "***لأن الذيـــن اســـتنيروا مرَّة .. وسقطوا لا يمكن تجديدهم للتوبة***" (*عب٦: ٤-٦*) كما تستخدم الذنوب للتعبـــير عن إساءة الإنسان إلى غيره ، ولأن هذه الإساءة موجهه أساساً لوصايـــا الله فـــإن الذنوب هى الإساءة لله وللآخرين (لا ص٥،٦) .

أما الخطايا فهى فى الأصل اليونانى امارتيـــــاس " ἁμαρτίαις "

ومعناها الخطأ فى إصابة الهدف كمن يضرب بالسهم أو يطلق النار علـــى هـــدف معين ولا يصيبه ، فالخطية هى الانحراف عن الوصايـــا الإلهيَّـــة وعـــن طريـــق الملكوت حتى ولو كانت فى خبايا القلب لا يراها أحد . أما الذنوب فهى الإعتــــداء على الوصايا الإلهيَّة ، فمثلاً الوصية تأمرنا بمحبة الجميع فإن لم تقـــدر أن تحـــب الكل فهذه خطية ، ولكن عندما يتطور بنا الأمر إلى الكراهية والمُقـــتْ والبغضـــة والحسد فإننا نرتكب الذنوب .

والخطية هى الفشل فى كوننا أن نكون كما يجب ، وبالتالى فـــلا نكـــون فـــى وفاق بل فى عداوة مع الله ، ومن يرتكب الخطية فهو خاطئ وعكس الخطـــاة هـــم الأبرار "***لأنـــى لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة***" (*مت٩: ٣*) ، وعلى كلٍ فإن

الذنوب والخطايا تسببت فى موت الإنسان "*لأن أجرة الخطية هى موت*" *(رو٦: ٢٣)* فالذنوب والخطايا هى البيئة التى تعيش فيها والمقبرة التى تتحرك فيها النفس المسكينة .

والخطية تقتل البراءة التى يتمتع بها الإنسان ، فالإنسان قبل الخطية ليس هو الإنسان بعدها ، والإبن فى بيت أبيه ليس هو الإبن فى زريبه الخنازير ، والخطية تفقد الإنسان حساسيته فكل خطية تقود إلى أخرى ، والأخرى تكون أسهل من الأولى ، وتكرار الخطية يحطم الإرادة الصالحة ويعمى البصيرة فلا يبصر الإنسان نور المسيح بل أنه يفقد إحساسه بالاحتياج للنور الحقيقي مثله مثل إسماك الأعماق التى تعيش فى الظلمة ولا تشعر بحاجتها إلى الضوء .

وإن كان الناس يتفاوتون فى إرتكاب الذنوب والخطايا فالبعض يرتكب القليل من الخطايا والآخر مستبيح يشرب الإثم كالماء ، ولكن خطية واحدة كفيلة بأن تجلب على الإنسان حكم الموت الأبدى ، وما هو الفارق بين إبنة يايرس التى ماتت منذ لحظات ومازالت تحتفظ بنضارتها ، وابن أرملة نايين الذى مات وفقد نضارته ، وبين لعازر الذى مات وانتن أليس جميعهم تحت سلطان الموت ؟! ومن يقدر أن يقيم موتى الذنوب والخطايا إلاَّ ابن الله الذى قال "*الحق الحق أقول لكم أنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت إبن الله والسامعون يحيون*" *(يو٥: ٢٥)* .

" التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية " (٢)

التى سلكتم فيها قبلاً .. لقد سلكتم أيها الأمم فى الذنوب والخطايا قبل إيمانكم بالمسيح وليس لكم عذر فى هذا حتى جهلكم بالشريعة لا يبرّركم لأن الله أودع فيكم الضمير الذى يحمل صوت الحق ولكنكم لم تطعوه ، فحقَّ عليكم حكم الموت ، وأصبح لكم إسم أنكم أحياء وأنتم أموات وفى طريق الموت الروحي تسلكون ، وإن

كانت المقبرة الجسديَّة تحوى أجساداً لا تتحرك وسريعاً تعود إلى ترابها فإنكم عشتم فى مقبرة روحيَّة تتحركون فيها وتذهبون وتملأونَ الدنيا كلاماً وضجيجاً ومع ذلك فأنتم أموات .

كنتم .. سلكتم .. قبلا .. تأكيد للماضى البغيض بعيداً عن الإيمان بالمسيح . أما الآن بعد معرفتكم للمسيح أيها الأفسسيون فيجب أن تبتعدوا عن سلوك الماضى وتسلكوا كما يحق لإنجيل المسيح ، ولذلك يركز الرسول على ضرورة السلوك المسيحى سبع مرات فى هذه الرسالة (٢:٢،١٠ - ٤: ١،١٧-٥: ٢،٨،١٥) لينالوا التطويب كما جاء فى باكورة المزامير " ***طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار*** " *(مز١:١)* .

حسب دهر هذا العالم .. كلمة دهر فى الأصل اليوناني تعنى سلسلة من الأزمنة والأجيال ، فجيل يتلو الآخر ، وكلمة " دهر " هنا تشير للزمان ، وكلمة " العالم " تشير للمكان ، والإنسان محصور بالزمان والمكان ، والإنسان الذى بلا مبدأ يعيش حسب سلوك زمانه ومكانه حتى لو كان هذا السلوك غير صحيح . أما الإنسان الذى يحرص على خلاص نفسه فعيناه نحو الدهر الآتى ، وأفكاره منصرفة إلى المدينة السمائيَّة .

حسب دهر هذا العالم .. ليس المقصود بالعالم هنا هو الكون المادي من أرض وشمس ونجوم وافلاك لأن هذه الطبيعة تُحدّث بمجد الله (مز١٩: ١-٦) ، وليس المقصود بالعالم الناس الذين يعيشون فى العالم لأنهم عمل الله وعلينا أن نحبهم ونخدمهم ، ولكن المقصود بالعالم هنا هى مبادئ العالم الخاطئة " ***لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة*** " *(ايو٢: ١٦)* وهذه كلها إلى زوال لأن " ***هيئة هذا العالم تزول*** " *(اكو٧: ٣١)* .

حسب رئيس سلطان الهواء ..رئيس سلطان الهواء هو " ***الشيطان*** " *(مت٩: ٣٤)* وهو " ***رئيس هذا العالم*** " *(يو١٤: ٣٠)* وهو " ***إله هذا الدهر*** " *(٢كو٤:٤)* وهو رئيس

يتبعه آلاف الملائكة الساقطين " ***كيف سقطتِ من السماء يا زهرة بنت الصبح . كيف قُطِعتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم .. لقد إنحدرت إلى الهاوية إلى اسافل الجب*** " ***(اش١٤: ١٢-١٥)*** " ***رأيت الشيطان ساقطاً مثل برق من السماء*** " ***(لو١٠: ١٨)*** وبالسقوط فقد الشيطان رتبته ولكنه لم يفقد قوته ، ومع هذا فإن سلطانه لا يتعدَ الحدود التى سمح بها الرب الإله له ، فلا يقدر أن يجرب إنساناً إلاَّ بسماح من الله وبالقدر الذى يسمح به الله (أي١: ١٢، ٢: ٦) .

حسب رئيس سلطان الهواء .. إشارة إلى إنتشار قواته كما ينتشر الهواء حولنا ، وكما أننا لا نبصر الهواء ولكننا نشعر به ، فهكذا الأرواح الشريرة لا نراها ولكننا نلمس أثرها السئ وحروبها الشرسة "***فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحيَّة فى السماويَّات*** " ***(أف٦: ١٢)*** .

حسب رئيس سلطان الهواء .. لماذا إختار الرب يسوع ميتة الصليب قائماً فى الهواء وليس منطرحاً على الأرض ؟ حدث هذا ليهزم رئيس سلطان هذا الهواء فاليهود كانوا يعتقدون أن الشياطين يسكنون ثلاث مناطق وهى المياه حيث يشعر الإنسان بالخطر والخوف من الغرق ، والصحراء حيث يتعرض الإنسان إلى خطر العطش والوحدة والحيوانات المفترسة ، والهواء حيث تصعد الأرواح التى فارقت أجسادها ، وجاء الرب يسوع ليهزم عدو الخير فى جميع أوكاره فغطس فى الماء ، وعاش فى القفار أربعين يوماً ، وأرتفع على الصليب فى الهواء وذلك ليحطم سلطان الشيطان فى كل مكان على الأرض وتحت الأرض وفوق الأرض ، وإن كان الشيطان هو رئيس سلطان هذا الهواء فإنه سيتحدَّد مصيره النهائى عندما يأتى الرب مع قديسيه ونخطف نحن الأحياء "***سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاه الرب فى الهواء*** " ***(اتس٤: ١٧)*** .

الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية .. لقد إختفى الروح الشرير فى الحيَّة القديمة فأسقط ابينا آدم فى المعصية وفى آدم سقطنا جميعاً لأننا كنا فيه . ثم

عصينا الوصايا الإلهيَّة وسلكنا فى الذنوب والخطايا فصرنا أبناء المعصية لكن نشكر المسيح إلهنا الذى بطاعته شفى عصياننا " ***لأن كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِل الكثيرين خطاة هكذا بإطاعة الواحد سيجعَل الكثيرين أبراراً " (رو٥: ١٩)*** .

الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية .. الشيطان روح بلا جسد فلا نراه ولا نبصره بأعيننا الجسدية ، ولذلك يسهل عليه زرع الأفكار الشريرة فى عقل الإنسان الغفلان ، حتى يظن ذلك الإنسان أن هذه الأفكار هى أفكاره هو فيتبناها ويتشبث بها ويدافع عنها . أما الإنسان الواعى فروح الله يعمل فيه " ***لأننا لا نجهل أفكاره " (٢كو٢: ١١)*** والشياطين هم الأعداء الخفيين الذين لا يكفّون عن الحروب ولذلك تصلى الكنيسة فى صلاة الشكر " ***وقيام الأعداء الخفيين والظاهرين إنزعها عنا وعن سائر شعبك وعن موضعك المقدس هذا*** " .

الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية .. أن المعصية تجلب علينا الغضب الإلهي ولهذا يحذرنا معلمنا بولس الرسول من المعصية والتمادى فيها قائلاً " ***لا يغرُكم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتى الزنى النجاسة الهوى الشهوة الرديَّة الطمع الذى هو عبادة الأوثان . الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية " (كو٣: ٥، ٦)*** ، وإن كانت الأرواح الشريرة هى التى تعمل فى الأشرار وتقودهم للمعصية فإننا نشكر الله لأن روح الله القدوس يعمل فينا لأجل الطاعة ، وإن كانت الأرواح الشريرة تعمل فى أبناء المعصية فإن روح الله هو الفاعل فى أولاد النور (أف٥: ٨) .

" الذين نحن أيضاً جميعاً تصرَّفنا قبلاً بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكُنَّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً " (٣) .

الذين نحن أيضاً جميعاً .. بعد أن خاطب بولس الرسول الأمم " وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا " ولئلا يظنوا أنهم هم فقط الذين فسدوا وصاروا أبناء المعصية عاد معلمنا بولس يوضح أن اليهود أيضاً لم يكونوا فى حال أفضل منهم ،

وهذا ما أوضحه من قبل في رسالته لأهل رومية " *فماذا إذاً أنحن أفضل ؟ كلا البتة . لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين (الأمم) أجمعين تحت الخطية . كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد .. إذ الجميع اخطأوا وأعوزهم مجد الله " (رو٣: ٩، ١٠،٢٣) .*

تصرَّفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا .. يحدثنا الرسول بالنيابة عن اليهود قائلاً أننا سلكنا في الشر ، فنسينا العهود وتركنا الناموس ورفضنا الوصايا كما قال لتلميذه تيطس "*لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين ضالِّين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين في الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضاً " (تي٣:٣)*

وكما قال معلمنا بطرس الرسول أن اليهود سلكوا في الشر مثل الأمم تماماً "*لأنه زمان الحياة الذي مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرَّمة " (١بط٤: ٣)* .

في شهوات جسدنا .. شهوات الجسد هي الخطايا البهيميَّة المتعلقة بالجسد مثل الزنا والنجاسة والرغبات الخاطئة المحرَّمة ، وهي الطعم الذي يُغلِف به إبليس سنارته لإصطياد النفوس الجاهلة الغافلة ، ومتى ذاق الإنسان الطعم الشيطاني للوقت يدخل في تشويش العقل وظلام الفكر واضطراب النفس وفقدان السلام ، فيعيش الإنسان في الجحيم وهو ما زال على الأرض وقد فقد صفاء روحه ونقاء سريرته وسلام قلبه ، ولذلك يوصينا الإنجيل " **اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد** " **(غل٥: ١٦)** .

عاملين مشيئه الجسد والأفكار .. الجسد المادي في حد ذاته ليس خطية والمادة في حد ذاتها ليست دنسة ، فيكفي أن الله الكلمة صار جسداً (يو١: ١٤) ولكن الأمر المشين هو السلوك حسب مشيئات الجسد ورغباته ونزواته ، فليس الجسد هو سبب الخطية وعلة الموت لكن مشئيات الجسد ومشئيات الأفكار الردية هي التي تقودنا للسقوط ، فالأفكار هي التي تحرك الجسد بل الإنسان كله ، والفكر هو الخطوة الأولى في السقوط ، والشيطان كروح جبارة ويتمتع بامكانيات عقلية كبيرة يعرف المدخل لكل نفس ، فيلقي بأفكار الكبرياء لنفس ، ويلقي بأفكار الدنس

لأخرى وأفكار الغضب لأخرى والأفكار الانهزاميَّة لأخرى .. إلخ .

وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً .. لقد خلق الله آدم الأول فى حالة القداسة والبرارة والطهارة ، ولكن بسقوطه فقد هذا وذاك ، وأظلّم عقله وتلوث وجدانه وفسدت طبيعته ، وتوارث الجنس البشرى هذه الطبيعة الخاطئة" *هاأنذا بالآثم صُوِّرت وبالخطية حُبلت بى أمي" (مز ٥١: ٥)* وهذه الخطية كفيلة بأن تجلب علينا الغضب ، فليس من الضرورى أن يكون للإنسان خطايا فعليه لكيما يستوجب الغضب الإلهي لأن الخطية الأصلية كامنة فى أعماقه توجب عليه الغضب ، لأن النمر الراقد فى سلام ليس حيواناً أليفاً إنما الوحشية كامنة فى أعماقه ، وكما أنه من المستحيل أن نجتني من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً فهكذا يستحيل أن نجنى من الإنسان الكامنة الخطية فيه برًّا وصلاحاً . بل حتى صلاته تعتبر مكرهة للرب

وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً .. لقد ارتكبنا المعصية بإرادتنا فصرنا أبناءاً للمعصية ، وبالمعصية استقر علينا الغضب الإلهي فصرنا بدون إرادتنا أبناءاً للغضب .. لقد أصبح الأمم أبناءاً المعصية واليهود أبناء الغضب ، والمعصية تستوجب الغضب والغضب نتيجة المعصية ، أى أن الكل صاروا أبناءاً للمعصية والغضب لذلك قال " كالباقين أيضاً " أى الجميع سقطوا تحت الغضب ، ولكن رغم أن الإنجيل دعانا أبناء المعصية والغضب لكنه لم يدعونا أبناء الهلاك لأن الله لا يشاء هلاك الإنسان مثلما يرجع ويحيا ، ومن اللطيف أن نلاحظ أن غضب الله ليس ضد محبته ، لأن الأب البشرى عندما يرى إبنه يتصرف تصرفاً شاذاً فإنه يعلن عدم رضائه وغضبه على هذا التصرُّف الخاطئ ، إلاَّ فإن هذا الإبن يشك فى محبة وإخلاص أبيه .. فإن كان هكذا مع الآب البشرى فكم وكم من الآب السمائى ؟!!

" الله الذى هو غنىٌ فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبّنا بها " (٤)

بعد أن وضع بولس الرسول أمام أعيننا ماضينا الكئيب إذ كنا أمواتاً بالذنوب والخطايا ، وسلكنا حسب دهر هذا العالم ورئيس سلطان الهواء وحتى صرنا أبناءاً للمعصية والغضب . إنتقل بنا إلى عمل الله معنا فبدأت تظهر الألفاظ المبهجة والعبارات المريحة " الله الذى هو غنىٌ فى الرحمة " .. " محبته الكثيرة " .. " أحيانا مع المسيح " .. " بالنعمة أنتم مخلصون " .. " أقامنا وأجلسنا معه فى السماويَّات " ، وعمل الله هذا يُذكّرنا بعمله فى الخلقة الأولى عندما *" كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن نور فكان نور " (تك ١ : ٢، ٣)* .

الله .. لم يُظهِر بولس الرسول إسم الفاعل فى بداية الأصحاح لكنه أعلنه بعد تعرضه للحياة المظلمة ، وذلك لكيما يُظهِر عظمة الفاعل وصفاته العظيمة إذ أنه ليس رحوماً فقط لكنه غنى فى الرحمة ، فهو الرحمة فى كمالها النهائى ، وليس محباً فقط لكنه فائق المحبة ، وما أجمل هذا اللفظ " الله " أنه لفظ الجمال والجلال ولفظ التعبير عن الجمال والجلال والعظمة ، فكثيرون عندما يبصرون أو يسمعون عجباً ينطقون بذات اللفظ " الله " فهو صاحب الإسم العجيب .

الله الذى هو غنىٌ فى الرحمة .. فى الأصحاح الأول أفصح بولس الرسول عن *" غنى نعمته " (١ : ٧) " وغنى مجد ميراثه " (١: ١٨)* وهنا يفصح ويؤكد على غنى رحمته . كما سبق وقال لموسي *" الرب إله رحيم ورؤوف بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء . حافظ الإحسان إلى ألوف . غافر الآثم والمعصية والخطية " (خر٣٤: ٦، ٧)* .. أختبر داود النبي رحمته وطلبها بلجاجة بعد سقوطه العظيم *" ارحمنى يا الله حسب رحمتك ككثرة رأفتك امح معاصي" (مز٥١: ١)* ، وفى موقف آخر استغاث بهذه الرحمة *" استجب لي يارب لأن رحمتك صالحة . ككثرة رحمتك ألتفت إلىَّ" (مز٦٩: ١٦)* فوجد رحمة الله واسعة فأشاد بها قائلاً *" الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة . لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر . لم يصنع معنا حسب*

خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا " (مز١٠٣: ٨-١٠) ، وعبَّر عن الرحمة الإلهيَّة زكريا الكاهن قائلاً ***" بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء " (لو١: ٧٨)*** وبطرس الرسول مجَّد هذه الرحمة التى تمجدت فى موت المسيح وقيامته ***" مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات " (١بط١: ٣)***

الله الذى هو غنيٌ فى الرحمة .. جاءت أرملة التى عليها دين إلى اليشع النبى لينقذها من المرابى الذى أقرض زوجها ، وبعد أن ماتا زوجها ولم تقدر على سداد الدين فأراد المرابى أن يأخذ ولديها .. فماذا فعل رجل الله ؟ لم يساعدها فى ايفاء دينها فقط بل دبَّر لها بقية أمور حياتها قائلاً ***" أوفى دينكِ وعيشي أنتِ وبنوك بما بقىَ (٢مل٤: ٧)*** فإله اليشع ليس إلهاً رحوما فقط بل أنه غنى فى الرحمة ، فلم يكتفِ بكلمات اللطف والتشجيع ، ولم يكتفِ بأن يسامحنا ويصفح عن سيئاتنا فقط بل بذل ذاته لأجلنا ووهبنا النعم والبركات التى تفوق الخيال .

من أجل محبته الكثيرة التى أحبَّنا بها .. المحبة والرحمة متلازمان ، وأيضاً المحبة والنعمة لا يفترقا ، فالرحمة هى المحبة المترفّقة بنا نحن الضعفاء المساكين ، والنعمة هى المحبة المتدفّقة علينا نحن غير المستحقين .. المحبة هى الله لأن ***" الله محبة " (ايو٤: ٨،١٦)*** .

" ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح . بالنعمة أنتم مخلَّصون " (٥)

ونحن أموات بالخطايا أحيانا .. لو احبَّنا الله ونحن فى حالة القداسة والبرارة لكان الأمر مقبولاً ، ولكن الأمر غير العادى أنه احبنا ونحن أموات بالذنوب والخطايا .. أحبَّنا ونحن أبناء المعصية والغضب .. أحبَّنا ونحن فجّار لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعيَّن لأجل الفجَّار ***" الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا " (رو٥: ٦،٨)*** .. أحبَّنا قبل أن نحبه ***" هذه هى المحبة ليس أننا نحن أحبَبنا الله بل أنه هو أحبَّنا وأرسل إبنه كفَّارة لخطايانا "***

(ايو٤: ١٠) .. أحبَّنا ولهذا إتحد بطبيعتنا البشرية وسمح للموت الذى إبتلعنا أن يبتلعه ، وإذ هو الإله الذى بلا خطية وحده شق جوف الموت وأحيانا .. أحبَّنا فقتل الخطية التى قتلت نفوسنا .

أحيانا مع المسيح .. أليس هذا هو وعد الرب يسوع لنا قبل الصليب " *أنى أنا حيّ فأنتم ستحيون* " *(يو١٤: ١٩)* ؟! ، وفعلاً الآب أحيانا فى المسيح " *أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة فى إبنه . من له الإبن فله الحياة ومن ليس له إبن الله فليست له الحياة* " *(ايو٥: ١١،١٢)* وثمن هذه الحياة هى موت رئيس الحياة الذى مات فأبطل الموت وأنار الحياة والخلود ، وما أروعه منظر عندما يحيًا الإنسان الميت ، ولا يحيى فقط بل يحيا مع المسيح .. تصوَّر يا صديقى أم ثقلى تلقى بنفسها أمام قبر مُغلَق تبكى وحيدها الذى إختطفه الموت ، وإذ بالقبر يفتح أبوابه ويخرج ابنها يرفل فى ثياب المجد والبهاء ليس بمفرده بل معه المسيح قائماً متجلياً بجلاله وجماله فى سحب البخور والنور وتسابيح الملائكة مع أروع ألحان النصرة السمائيَّة .. من يقدر أن يصف مشاعر هذه الأم عندئذ ؟! .. هذا ما يحدث معنا يا أحبائى والفارق مع القياس . بل قل أن الفارق لا يقاس لأن هذه الأم تبكى الميت بالجسد أما نحن فموتى الروح .

بالنعمة أنتم مخلصون .. هذه جملة إعتراضية يضعها بولس الرسول هنا ، ويكرّرها فى الآية الثامنة ، فهذه العبارة البسيطة التى لا تتعدَّ الكلمات الثلاث تلخص عمل الله معنا ، فالنعمة هى التى أنهت مأساة الإنسان ، والنعمة هى التى حلّت القيود واطلقت الإنسان حراً طليقاً ، والنعمة هى التى رفعت عنا حكم الموت ومنحتنا البراءة ، والنعمة هى التى تتغاضي عن الخطايا وآثامنا السابقة والنعمة هى التى تُغيّرنا فى الحاضر ، والنعمة هى التى تمنحنا الغنى "*فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره* " *(٢كو٨: ٩)*

بالنعمة انتم مخلصون .. هذه العبارة تحطم كل فخر وكبرياء روحي وبر ذاتي ، فالإنسان ليس له أى فضل فى خلاصه بل هى نعمة الله التى خلّصتنا

وتُخلّصنا وستخلّصنا .. هى البداية والنهاية وما بينهما .. أنها النعمة غير المحدودة التى تحاصرنا وتنقذنا وتسندنا .

" وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويَّات فى المسيح يسوع " (٦) .

وأقامنا معه .. لقد قام المسيح لأن الموت عجز عن الاحتفاظ به فى جوفه ، وهذا ما أعلنه ملاك القيامة للنسوة "*لماذا تطلبين الحيّ بين الأموات ؟ ليس هو ههنا لكنه قام" (لو٢٤: ٥)* وهذا ما صرَّح به بطرس الرسول "*الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت . إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه " (أع٢: ٢٤)* .. الآب أقام الإبن *" حسب عمل شدَّة قوته الذى عمله فى المسيح إذ أقامه من الأموات " (أف١: ١٩، ٢٠)* والآب أيضاً " أقامنا معه " لأنه ليس من المقبول أن يقوم الرأس ويظل الجسد متوسداً التراب ، ولذلك نقول لكل إنسان يعيش فى قبور الشهوة أن مكانك ليس ههنا لأن المسيح رأسنا قد قام .

وأقامنا معه .. الآب أقام الإبن الذى مات بسبب خطايانا ، والإبن أرسل لنا روحه القدوس روح القيامة ليقيمنا من الموت الأبدى ويمنحنا صك البراءة من الدينونة الرهيبة .. الآب يقيمنا بروحه القدوس ليس لحياة أرضية كما أقام إيليا إبن صرفة صيدا واليشع إبن المرأة الشونمية ، ولكنه يقيمنا من عمق موت الخطية إلى الحياة الجديدة التى هى أعلى من الكواكب والنجوم والأفلاك إلى السموات عينها وبذلك تقع علينا مسئولية القيامة *" إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله . إهتموا بما فوق لا بما على الأرض " (كو ٣: ١، ٢)* .

وأجلسنا معه فى السماويَّات .. لقد ورثنا من آدم الأول طبيعة ساقطة نهايتها الهاوية والعذاب الأبدي ، ولكننا نشكر الله إذ وهبنا آدم الثانى طبيعة سماويَّة *" كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً وكما هو السماوي يكون السماويون أيضاً . وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي " (١كو١٥: ٤٨، ٤٩)* .

وأجلسنا معه فى السماويَّات .. أشار بولس الرسول فى بداية هذه الرسالة إلى

البركات السمائيَّة التى منحنا إياها الله الآب " *الذى باركنا بكل بركة روحيَّة فى السماويَّات فى المسيح " (أف١: ٣)* وفى هذه الآية يقول " أجلسنا " والجلوس يعنى الراحة ، فراحتنا فى المسيح السماوي ، وفى تنفيذ وصاياه السمائيَّة . أما راحتنا النهائية ففى بيتنا السماوي حيث يجلس كل إنسان على كرسيه موضع راحته ومكانه ومكانته ومنزله ومنزلته " *من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي فى عرشي كما غلبتُ أنا أيضاً وجلستُ مع أبي فى عرشه " (رؤ٣: ٢١)* مكان الراحة هذا لن نبلغه إلاَّ بالصبر الكثير " *إن كنَّا نصبر فسنملك أيضاً معه " (٢تى٢: ١٢)* .. رأيت خادمة متزوجة صغيرة السن لها طفل فى الخامسة من عمره جميلة تعلو وجهها مسحة الروح القدس تجوز فى نار الألم وتحمل صليب مرض الفردوس ، وعلى مدار شهور طويلة ، ومن خلال عمليات عديدة تم استئصال أجزاء كثيرة من الجسم حتى معظم عظام القفص الصدرى وعضلات البطن ، وتم تركيب شبكة على جدار البطن ، فأصبحت تتحرك بصعوبة بالغة لقد أجرت عملية لاستئصال بعض الأورام الملاحقة للعمود الفقرى بعد تشاورات مع بعض الجراحين الأجانب يوم ٢٠٠٠/٩/٢٧ عيد الصليب وكانت نسبة نجاح هذه العملية حتى لا يترتب عليها شلل ١٪ فقط واحد فى المائة وأجرى العملية الجراح الكبير ذكى صديق وتم تصويرها بالفيديو ، وكم كانت فرحته عندما نجحت هذه العملية ، والمرض لا يقف عند حد بل انتشر فى القولون ، ولكن الغريب والغريب جداً أن الابتسامة لم تفارقها ، فالألم ينهش فى جسمها الخائر كوحش جبار ولكن سلام وفرحة المسيح فى قلبها أقوى بكثير من الألم والأمر المدهش اهتمامها بمن حولها فتسأل على الكل وترحب بالكل ، وكل ما تطلبه ليس معجزة الشفاء ولكن معجزة حمل الصليب برضى وفرح وقد نالت ما تطلبه ، فرجعتُ إلى نفسي وقلت حقاً أن هذه الأخت بينما تجوز نار الألم على الأرض فإنها تجلس فى السماويَّات .

فى المسيح يسوع .. بدون المسيح يسوع يظل الإنسان فى موته ولا منقذ ،

ولكن عندما مات المسيح عنا وقام أقامنا معه ، وعندما صعد وجلس عن يمين الآب جذب أنظارنا وأفكارنا ومشاعرنا إليه .. عندما صعد أول إنسان إلى القمر نُسب هذا العمل للبشرية ككل ، وأصبح من حق أي إنسان أن يقول أننا وصلنا إلى سطح القمر مع أننا لم نصعد جميعاً لكننا سمعنا وصدقنا ، وهكذا نؤمن بقيامة ابن الإنسان وجلوسه عن يمين الآب فأصبح للإنسان هذا الحق بحسب رغبة إبن الإنسان *" أيُّها الآب أريدُ أن هؤلاء الذين اعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذى اعطيتنى " (يو ١٧: ٢٤)* .

" ليُظهر فى الدهور الآتية غنى نعمتهِ الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع " (٧)

هذه الآية تُعلن لنا سبب ما فعله الله الآب لأجلنا ، فكل أعمال الله العظيمة معنا نحن الخطاة تُظهِر عظم محبته ورحمته ونعمته ولطفه ، فمثلا المعجزات التى صنعها الإبن أثناء تجسده أظهرت نعمة ورحمة الله ، ومثلها المعجزات التى يجريها للآن معنا وأعظمها معجزة تغيّير النفوس ، فكل نفس تقوم من موت الخطية وتنجو من الموت الأبدي وتعود إلى بيت الآب هى آية عظيمة تُظهِر نعمته الفائقة الغنى ، ولولا هذه النعمة الغنية ما كان الإبن الضال يجد له مكاناً فى بيت الآب .

وأيضاً هذه الآية تكشف لنا عن نظرة بولس الرسول التى تتعدى الزمن ، ففى الأصحاح الأول كشف لنا عما حدث منذ الأزل حيث إختارنا الآب وعيَّننا للبنوة قبل أن نُوجَد ، وهنا يكشف لنا عن الأبديَّة حيث يتحقق قصد الله النهائى ويُظهِر غنى نعمته الفائق .

ليُظهِر فى الدهور الآتية غنى نعمتهِ الفائق .. ظل الإنسان آلاف السنين منذ سقوطه وحتى حلول الروح القدس لا يدرك لماذا خلقه الله وهو يعيش فى ضياع إذ طوحت به الخطية بعيداً عن أصله ولكن عندما رفع الإبن على صليب الجلجثة واشترانا بدمه الثمين ، وعندما سكب الآب روحه القدوس علينا عندئذ عرفنا قيمتنا

لدى الله ، وعندئذ ظهرت نعمة الآب الغنية نحونا ، ومازالت هذه النعمة تظهر للآن فى اقتفاء أثر الخطاة وحث الضالين على العودة ، وستظل نعمته الفائقة تعمل فى الأجيال القادمة وإلى الأبد .

ليُظهِر فى الدهور الآتية غنى نعمتهِ الفائق .. كلمة " يُظهِر " فى الأصل اليونانى لا تعنى مجرد الإظهار فقط لكنها تعنى الإعلان الواضح ، فإن كان أولاد الله مازالوا يعيشون فى المعاناة والآلام ولكن مع بداية الدهور الآتية وعندما تتمجَّد الكنيسة عند " ***استعلان أبناء الله*** " *(رو٨: ١٩)* وتبصر الخلائق السمائيَّة نعمة الله الغنية التى رفعت الإنسان من الهاوية للملكوت تندهش وتتعجب ، ويعاين الصديقون المجد عندما يضيئون " ***كالشمس فى ملكوت أبيهم*** " *(مت١٣: ٤٣)* فيبتهجون ، وحتى الأشرار عندما يبصرون مجد الأبرار وعظم عمل النعمة فيهم يندهشون .. عندئذ تظهر قوة وعظمة وقدرة وجلال نعمة الله الفائقة واضحة جليَّة .. حقاً إن الإنسان فى الأبديَّة سيكون النموذج الظاهر والواضح الذى يعلن ويبرهن على عظم نعمة الله ، وطوال الأبديَّة وإلى مالا نهاية سيظل الله يكشف لنا عن جوانب جديدة من نعمته ولطفه ومحبته وحنانه .

غنى نعمتهِ الفائق .. هذا هو أسلوب بولس الرسول الغنى فى التعبير فإنه يستخدم أكثر من لفظ لإبراز المعنى الذى يقصده ، ففى الأصحاح الأول أوضح أن الله إختارنا " ***لمدح مجد نعمته*** " *(أف ١: ٦)* وهنا يوضح أن الله أحيانا وأقامنا مع المسيح وأجلسنا فى السموات " ليُظهِر غنى نعمتهِ الفائق " وكلمة " الفائق " هنا فى الأصل اليوناني تعبر عما يفوق حد المعقول ، فكون الله يسامحنا ويصفح عنا فهذا أمر معقول ، وكونه يحيِّينا ويقيمنا من موت الخطية والجسد فهذا أمر فائق ، ولكن كونه يرفعنا ويجلسنا معه فى السماويَّات فهذا ما يفوق العقل والتصور .

باللطف علينا فى المسيح يسوع .. كلمة " اللطف " فى الأصل اليوناني تعنى " التأهب لإغاثة الملهوف " وهذا ما ظهر فى معاملات الرب يسوع مع الخطاة

الملهوفين أمثال المرأة الخاطئة واللص اليمين ، ولطف الله واضح مع الكل .. *" فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار " (لو٦: ٣٥)* .

واللطف هو الوداعة والطيبة وهو عكس الصرامة ، فالإنسان التائب يتمتع بلطف الله أما الذى يتمرغ فى سقوطه حتى تضيع منه الفرصة فإنه سيصدم بصرامة الله "***فهوذا لطف الله وصرامته . أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . وأما اللطف فلك إن ثبتَّ فى اللطف*** *" (رو١١: ٢٢)* وعلى أعتاب الأبديَّة ستتجلى رحمة الله ومحبته ونعمته ولطفه لكل نفس جازت فى الطريق الكرب والباب الضيق بأمانة وإخلاص .

باللطف علينا فى المسيح يسوع .. لقد ظهر لطف الله علينا من خلال تجسد الإبن "***حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه .. خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا*** *" (تى٣: ٥، ٦)* فلولا للتجسد والفداء لإستحال علينا التمتع بلطف الله وإحسانه .

" لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله " (٨)

لأنكم بالنعمة مخلَّصون .. س : ما هو الموضوع الذى يظهر غنى نعمة الله الفائق نحونا ؟ .. أنه موضوع خلاصنا بالنعمة الإلهيَّة ، فخطة خلاصنا هى خطة إلهيَّة صرف منبعثه من نعمة الله الغنيَّة دون أن يكون للإنسان أى تدخل فيها ، فالذى قام بوضع الخطة وتنفيذها وتحمل تكلفة الخلاص هو الله وحده "***قد دستُ المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد*** *" (اش٦٣: ٣)* .

لأنكم بالنعمة مخلَّصون .. ذكرها معلمنا بولس فى الآية الخامسة من قبل كجملة إعتراضية ، والآن يذكرها ليؤكد أن هدف وغاية الخلاص الذى يقدمه الله لنا هو إظهار نعمة الله ، فنعمة الله المجانية هى التى تخلصنا خلاصاً مجانياً ، وهذا ما سبق أن ذكره معلمنا بولس من قبل باستفاضة فى رسالته لأهل رومية ***" متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح " (رو٣: ٢٤)*** فلا يوجد أى فضل

للإنسان فى هذا الخلاص المجاني ، وكل أعمال الناموس هى أعمال ميتة لم تقدر أن تنقذ الإنسان ، ولو كان الإنسان يقدر أن يخلُص بأعماله فما كان هناك أى داعٍ لموت إبن إله . إذاً تكرار الآية لا يعنى تكرار الكلام باطلاً إنما يلهب قلوبنا بالشكر والتسبيح لله الذى أسبغ نعمته علينا نحن غير المستحقين ولا المستأهلين لها.

لأنكم بالنعمة مخلَّصون .. " مخلَّصون " تشير إلى إستمرارية عملية الخلاص ، فالخلاص تم فى الماضى " ***بمقتضى رحمته خلصنا ..*** " ***(تى٣: ٥)*** ويتم فى الحاضر " ***تمّموا خلاصكم بخوف ورعدة*** " ***(فى٢: ١٢)*** وفى المستقبل أيضاً فى القيامة العامة عندما يتم فداء أجسادنا وندخل أورشليم السمائية عندئذ يكتمل خلاصنا .

لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان .. مخلَّصون من سلطان الخطية ، ومخلَّصون من دينونتها ، فالنعمة هى نبع الخلاص الفياض ، والإيمان هو القناة التى تنقل الخلاص الإلهي .. الله بنعمته أتم أمر خلاصنا وأعدَّ لنا الوليمة كاملة ومازال يمدُّ يده بالدعوة طوال نهار العمر كله " ***الذى خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أُظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل*** " ***(٢تى١: ٩، ١٠)*** والإنسان بالإيمان ما عليه إلاَّ أن يستجيب ويتسلم وثيقة البراءة بالمعمودية حيث يموت ويقوم مع الفادى ، ويسلك كما يحق للدعوة التى دعى إليها .

وذلك ليس منكم هو عطية الله .. س : هل " ذلك " تعود على الخلاص أم على الإيمان ؟ .. إن قلنا أنها تعود على الخلاص فهذا حق لأن الخلاص ليس من إنسان ولا بعمل وفضل الإنسان لكنه من الله مخلصنا ، وهذا يتطابق مع الأصل اليوناني للآية ، وترنيمة الغالبين فى الأبديَّة " ***الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف*** " ***(رؤ٧: ١٠)*** وإن قلنا أن " ذلك ليس منكم " تعود على الإيمان فهذا أيضاً أمر مقبول لأن الإيمان هو عطية الله لنا بواسطة الإنجيل ، فلو لم يرسل الله كلمته المكتوبة إلينا ولو لم يتجسد كلمة الله ولو لم يمت ويقم فكيف كنا سنؤمن ؟ وبأى

شئ كنا نؤمن ؟! .. عندما أعلن بطرس إيمانه بإبن الله الحي قال له الرب يسوع *" أن لحماً ودماً لم يعلن لك ذلك لكن أبى الذى فى السموات " (مت١٦ : ١٧)* فالإيمان هو عطية الله لجميع البشرية ، والإنسان له حرية القبول أو الرفض لذلك يقول بولس الرسول *"لأن الإيمان ليس للجميع " (٢تس٣ : ٢)* بمعنى أنه ليس الجميع يقبلون هذه العطية .

" ليس من أعمالٍ كيلا يفتخر أحد " (٩)

ليس من أعمالٍ .. يؤكد معلمنا بولس الرسول أكثر فأكثر على أن الخلاص هو عمل الله وحده وقد تمّمه بمفرده ووهبه كعطية مجانية لنا ، فلا يظن إنسان مهما بلغت قداسته أنه مستحق لهذا الخلاص بسبب أعماله الحسنة ، ومن الجانب الآخر ليس لإنسان مهما بلغت خطاياه وآثامه أن يمتنع عن قبول هذا الخلاص المجاني بحجة ثقل ذنوبه .

ليس من أعمالٍ .. نحن لا نقول أن الإنسان يقدر أن يَخلُص بالأعمال الصالحة بدون دم المسيح ، ولا نقول ان خلاص المسيح ينقصه شئ وأعمال الإنسان تُكّمل هذا الخلاص لأن هذه الأعمال البشرية لا يمكن أن تسد الفجوة بين الله والإنسان ، ولكننا نقول أن الإنسان لكيما يَخلُص يحتاج إلى التوبة وتغيّير المسار ويحتاج للإيمان ويحتاج للأعمال الحسنة التى تمجد إسم الله (مت٥: ١٦) وبحسب تعب الإنسان وعمله يكون جزاءه ومكافأته بل أن الله يحب هذه الأعمال وكأنه هو شخصياً المستفيد بها *" بما أنكم فعلتموه (الأعمال) بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم .. بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا " (مت٢٥ : ٤٠،٤٥)* .

ليس من أعمالٍ .. يستغل بعض الأخوة البروتستانت هذه الآية ومثيلاتها للتركيز على جانب الإيمان وإهمال جانب الأعمال فى قضية خلاصنا .. فهل الخلاص يتم بالإيمان أم بالأعمال ؟ الخلاص يتم بالإيمان العامل بالمحبة *" لأنه فى*

المسيح يسوع لا الختان ينتفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة " (غل٥: ٦) والأعمال الصالحة ما هى إلاَّ ثماراً للإيمان الحي " ***لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت " (يع٢: ٢٦)*** فالإيمان بدون الأعمال هو جسد بلا روح .. شجرة بلا ثمرة ، والبعض يتساءل هل الخلاص يتم بالتوبة أو بالإيمان أو بالمعمودية أو بالأعمال الحسنة ؟

الحقيقة أن الخلاص بدم المسيح ، ولكن بدون التوبة وبدون المعمودية وبدون الأعمال الحسنة لا يقدر الإنسان أن يحصل على هذا الخلاص ، فلا يمكن أن نركز على الجانب الإلهي ونهمل الجانب الإنساني ، فدم المسيح يغسلنا من خطايانا " ***وغسلنا من خطايانا بدمه " (رؤ١: ٥)*** ولكن كيف يغسلنا ؟ أنه يغسلنا بالتوبة " ***إغسلني فأبيض أكثر من الثلج " (مز٥١: ٧)*** ويغسلنا بالمعمودية " ***قم واعتمد واغسل خطاياك " (أع٢٢: ١٦)*** .

ليس من أعمالٍ .. وقف الفريسي يفتخر بأعماله فلم يتبرَّر أمام الله ، والأعمال التى يقصدها بولس الرسول هنا هى أعمال الناموس التى أفاض فى الحديث عنها فى رسالتيه إلى رومية وغلاطية " ***أنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرَّر أمامه " (رو٣: ٢٠) " ليس أحد يتبرَّر بالناموس عند الله " (غل ٣: ١١)*** .. لقد كان من الضرورى أن يحطم الرسول كل اعتماد على أعمال الناموس ولا سيما بالنسبة لليهود الداخلين الإيمان .

كيلا يفتخر أحد .. فلا يستطيع الإنسان اليهودى أن يفتخر بعد بأعمال الناموس " ***فأين الإفتخار ؟ قد إنتفى . بأى ناموس أبنا موسى الأعمال ؟ كلا . بل بناموس الإيمان . إذاً نحسب أن الإنسان تبرَّر بالإيمان بدون أعمال الناموس . أم الله لليهود فقط ؟ أليس للأمم أيضاً . بلى للأمم أيضاً " (رو٣: ٢٧-٢٩)*** .. إذاً بماذا يفتخر الإنسان ؟ يفتخر بالرب " ***لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه .. من أفتخر فليفتخر بالرب" (١كو ١: ٢٩، ٣١)*** ونفتخر بأننا فى المسيح يسوع " ***لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر فى المسيح يسوع ولا نتكل على الجسد " (في٣:٣)*** ونفتخر

بصليب مخلصنا الصالح . " *فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنـــا يســـوع المســـيح* " *(غل٦: ١٤)* .

" لأننا نحن عملهُ مخلوقين فى المسيح لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فاعدَّها لكـــى نسلك فيها " (١٠) .

لأننا نحن عملهُ .. فى الأصل اليوناني " عملـــهُ " أى قصيدتـــه أو شـــعره أو ترنيمته ، فالنفس البشرية هى ترنيمة الله وهى قصيدته وشعره ، وإن كان الشـــاعر يعصر ذهنه ووجدانه ويقدح قريحته لكيما يفوز بقصيدته فإن الله هو الذى صنعنـــا على صورته ومثاله " *ورأى الله كل ما عملهُ فإذا هو حسن جداً* " *(تك١: ٣١)* وتغنـــى المرنم قائلاً " *هو صنعنا وله نحن شعبه وغنم مرعاه* " *(مز١٠٠: ٣)* " *يداك صنعتـــانى فى وأنشأتانى* " *(مز١١٩: ٧٣)* وعندما سقطنا لم يتركنا بل أحيانا وأقامنا مع المسيح وأجلسنا فى السماويَّات .. هذا ليس عملنا إنما عمله هو .

لأننا نحن عمله .. وهذا يلقى علينا مسئولية إعلان صورته داخلنـــا ، فإننـــا صرنا رساله المسيح المعروفة والمقروءة من جميع الناس (٢كـــو٣: ٢،٣) ولكـــن عندما تختفى صورة الله من على صفحات قلوبنا فهذا يعطل عمـــل الكـــرازة بـــل ويجلب علينا المتاعب " *لأن إسم الله يُجدَّف عليه بسببكم بين الأمم* " *(رو٢: ٢٤)* .

مخلوقين فى المسيح يسوع .. لا يقصد بولس الرسول من هذه الخلقة الأولـــى الإنسان الأول بل الخلقة الجديدة ، فالخلقة الأولى لم تكلف الله سوى النطق ببعـــض الكلمات أما الخلقة الثانية فقد كلفته ما لا يطاق خلال رحلة التجسد والآلام .. فـــى الخلقة الأولى نلنا نعمة الوجود أما فى الخلقة الثانية فإننا ننال نعمة الوجـــود فـــى المسيح " *لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقـــة الجديـــدة* " *(غل٦: ١٥)* .. الخلقة الأولى كانت مرحلة وسيطة ولكن الخلقة الجديدة فهى مرحلة الكمال التى كانت فى ذهن الله قبل أن يسبحـــه ملاك أو ينطق بمجـــده كاروب ..

فأيهما أفضل أو أجمل وأكثر مجداً وبهاءاً ؟!

مخلوقين فى المسيح يسوع .. لقد متنا مع المسيح وقمنا فى المعمودية فدفنا حياة الفساد ونلنا حياة الصلاح "*ولبستم الجديد الذى يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه*" *(كو٣: ١٠)* وأصبح لنا صورة البرّ وقداسة الحق "*وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البرّ وقداسة الحق*" *(أف٤: ٢٤)* أما الأمور العتيقة فقد مضت "*إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً*" *(٢كو٥: ١٧)* .

مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة .. لئلا يظن أحد أن بولس الرسول يُقلّل من أهمية الأعمال الصالحة لذلك يذكر هنا هذه الأعمال كثمار للخلاص وليست كمصدر للخلاص ، وكنتيجة للخلاص وليست وسيلة للخلاص "*بأعمالي ليس لي خلاص*" *(صلاة نصف الليل-الخدمة الثالثة)* ومع ذلك فإن الأعمال الصالحة ضرورية للخلاص لأن "*من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له*" *(يع٤: ١٧)* ومن يهمل فى أعمال الرحمة لا يعفَ من الدينونة "*اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبديَّة المُعدَّة لإبليس وملائكته . لأنى جعتُ فلم تطعمونى . عطشتُ فلم تسقونى ..*" *(مت٢٥: ٤١-٤٥)* وعندما يقف كثيرون فى اليوم الأخير يقولون "*يارب يارب أليس بإسمك تنبأنا وبإسمك أخرجنا شياطين وبإسمك صنعنا قوات . فحينئذ يُصرّح لهم أنى لا أعرفكم قط*" *(مت٧: ٢٢،٢٣)* فلماذا قال لهم هذا ؟ لأنهم لم يعلموا حسناً "*ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات . بل الذى يفعل إرادة أبي*" *(مت٧: ٢١)* .

لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها .. لقد أعدَّ الله لكل منا خطة عمل تشمل أعمالاً صالحة فى جميع مراحل وأيام حياته ، ومنحنا الإمكانات والمواهب لتنفيذ هذه الخطة ، وفى النهاية يكافئنا على تنفيذها .. يا لعظم لطف الله ؟! بل أن الإنسان الجديد لا يستريح إلاَّ فى حياة القداسة والصلاح ، وفى كل مرة يسير الإنسان على حسب هواه لا يستريح قلبه بل يصرخ من أعماقه فتحمله العناية

الإلهيَّة وتعيده إلى مسار الملكوت ، ولكن أن تجاهل صوت الله داخله وهادن الشر وقال للخطية " أنت حبيبتى " فإنها تمسك بتلابيبه ولا ترخه حتى تهبط به إلى قاع الجحيم .

لكى نسلك فيها .. نسلك أو نسير أو نحيا فيها كما *" سار أخنوخ مع الله " (تك٥: ٢٤)* وكما أوصانا الرب يسوع بالسلوك فى النور *" فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام " (يو١٢: ٩٥)* وكما أن المسيرة تتكون من عدَّة خطوات هكذا الحياة هى عدَّة أيام ، وكما أن المسيرة تبدأ بيوم هكذا بدأت حياتنا بيوم العماد المقدس حيث متنا وقمنا مع المسيح إلى جدَّة الحياة .

لكى نسلك فيها .. فكل سلوك يحتاج إلى مسلك ، والمسلك للملكوت هو الرب ذاته " أنا هو الطريق " وطريقنا للملكوت لا يسير على وتيرة واحدة إنما نجتاز فيه فى ظروف متباينة بحسبما يدبر رئيس خلاصنا ، فتارة تُحلّق بنا النعمة فوق جبل التجلي ونقول جيد يارب أن نكون ههنا ، وتارة تضعنا النعمة فى مواجهة الصليب حيث يجب أن نتخلى عن إرادتنا ويحملنا آخر إلى حيث لا نشاء .. تارة ترفعنا النعمة فنشعر بروعة الجلوس فى السماويَّات وتارة تتركنا لشمس التجارب تلفحنا .. تارة ننعم بالهدوء والسلام والطمأنينة فى الحضرة الإلهيَّة وتارة تثور حولنا الزوابع التى تقتلع الأشجار التليدة ، ولكن من المهم جداً جداً أن نسلك بصبر وجلد فى الطريق لا نتوقف ولا نتراجع لأنه ما الفائدة أن نسلك العمر كلهُ فى طريق الملكوت وفى نهاية الدرب ننحرف عن جادة الصواب ولا نستجب إلى نداءات النعمة ، وبقدر ما يصاحب الروح القدس نفوسنا فى الطريق بقدر ما نكون فى مأمن من كل خطر حتى نصل إلى أورشليم السمائية .. ياروح الله القدوس قُد نفسي فى الطريق الذى أعددته لها وامنحني سلامك حتى لا أجزع متى ثارت حولي الزوابع والأعاصير بل فى محاجي الصخر أحتمى وتحت جناحيك استظل .

ثانيا : غرباء وأقرباء (١١-١٨)

" ١١ لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً فى الجسد المدعوّين غرلة من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد فى الجسد ١٢ أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيّين عن رعويّة إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إلهٍ فى العالم ١٣ ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح.١٤ لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط.١٥ أى العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسهِ إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً.١٦ ويصالح الاثنين فى جسدٍ واحدٍ مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.١٧ فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين ١٨ لأنّ به لنا كلينا قُدوماً فى روحٍ واحدٍ إلى الآب " (١١-١٨) .

إطلعنا فى الأصحاح الأول على قصد الله الأزلي من خلقة الإنسان ، وفى الجزء الأول من هذا الأصحاح الثاني (١-١٠) وقفنا أمام الموت الذى عاش فيه الأمم واليهود بسبب الذنوب والخطايا ، فأصبح الجميع عبيداً لرئيس سلطان الهواء ، وصاروا أبناءاً للمعصية والغضب . ثم رأينا عمل نعمة الله الغنيَّة التى تحنَّنت علينا فأقامتنا من موت الخطية ورفعتنا إلى السماء .

أما فى هذا الجزء (١١-١٨) فإن بولس الرسول يتعرض لنقطتين هامتين هما :

أولاً : الماضى المظلم للأمم إذ هم غرباء عن عهود الموعد بدون مسيح بلا إله فى عداوة شديدة مع اليهود ، وإن كان الشئ بنقيضه يظهر فاللون الأبيض يلمع ويظهر بظهور اللون الأسود بجواره ، فهكذا فعل بولس الرسول إذ وضع سواد الذنوب والموت والفساد والعداوة مع بريق ولمعان النعمة الإلهيَّة .

ثانياً : فاعلية الدم الإلهي إذ ونحن نعيش هذه الظلمة يشرق علينا شمس البر فيبطل العداوة بين اليهود والأمم وينقض حائط السياج المتوسط ويخلق الإثنين إنساناً واحداً يصالحه مع الله .

" لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً فى الجسد المدعوّين غرلة من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد فى الجسد . أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيّين عن رعويّة إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إلهٍ فى العالم " (١١، ١٢) .

لذلك اذكروا .. نظراً لما حصلتم عليه أيها الأمم من بركات وهبات عظيمة لذلك أذكروا ماضيكم المظلم المخجل حتى لا تسقطوا فى الكبرياء ، فهكذا يا أحبائى ينبغى أن لا يغيب عن أعيننا ماضينا الوضيع لكيما نتمسك بروح الاتضاع مثلما تذكَّر يعقوب عمل الله معه وقال " ***صغير أنا عن جميع الطافك وجميع الأمانة التى صنعتَ إلى عبدك " (تك٣٢: ١٠)*** وقال داود عقب توبته " ***لأنى عارف بمعاصي وخطيتى أمامي دائماً " (مز٥١: ٣)*** وقال ارميا النبي " ***أنه من إحسانات الرب أننا لم نفن لأن مراحمه لا تزول . هى جديدة فى كل صباح كثيرة أمانتك " (مراثى ٣: ٢٢، ٢٣)*** وقال أحد الآباء " إن ذكرنا خطايانا ينساها الله لنا وإن نسيناها ولم نتب عنها يذكرها الله لنا " وفيما نحن نتذكَّر خطايانا فإننا نتذكَّرها بصفة عامة دون أن نغوص فى تفصيلاتها لئلاً نعود ونسقط فى شراكها مرة أخرى ، وهذا ما قصدته الكنيسة من صلواتها فى القداس الإلهي " نجنا من تذكار الشر المُلبس الموت " .

لذلك اذكروا .. عندما يرفع الله الإنسان البائس من المذلة ليجلسه مع رؤساء شعبه قد ينسي الإنسان ماضيه ، وعندما ينعم الله على إنسان بغنى روحي أو مادي قد ينسي هذا الإنسان فقره ، ولكن الإنسان الذى يتذكَّر ماضيه لا يتوه فى مستقبله ، ولذلك كانت وصية الرب لشعبه على فم موسي النبي " ***اذكر أنكَ كنتَ عبداً فى أرض مصر ففداك الرب إلهك " (تث١٥: ١٥)*** وعلى فم أشعياء النبي " ***اذكر هذه يا يعقوب . يا إسرائيل فإنكَ أنتَ عبدى . قد جبلتك .عبد لي أنت . يا إسرائيل لا تُنسيَ منى . قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك . أرجع إلىَّ لأنى فديتك " (اش٤٤: ٢١، ٢٢) " انظروا إلى الصخر الذى منه قُطعتم وإلى نُقرة الجب التى منها حُفِرتم . انظروا إلى ابراهيم ابيكم وإلى سارة التى ولدتكم لأنى دعوته وهو واحد وباركته واكثرته " (اش٥١: ١، ٢)*** .

أنكم أنتم الأمم قبلاً فى الجسد المدعوّين غرلة .. اذكروا أيـــها الأمـــم أنكـــم عشتم حسب الجسد خارج دائرة الإيمان ليس لكم عهد الختان . بل عشتم فى الغرلة حيث الذله والعار " ***وكان بعد ما انتهى جميع الشعب من الإختتان .. قال الرب ليشـــوع اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر " (يش٥: ٨،٩)*** .

من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد فى الجسد .. إفتخر اليهودي بأنه إبن إبراهيم أب الآباء الذى نال عهد الختان هو ونسله " ***وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك مـــن بعدك فى أجيالهم عهداً أبدياً . لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك .. هذا هو عهدى الـــذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يُختن منكم كل ذكر . فتختنـــون فـــى لحـــم غرلتكم . فيكون علامة عهد بيني وبينكم فيكون عهدى فى لحمكم عهداً ابدياً " (تـــك٧: ٧-١٤)*** وافتخر اليهودى بأنه إبن يعقوب الذى أحبهُ الرب حتى نسب نفســـه إليـــه قائلاً أنه " إله يعقوب " و " إله إسرائيل " وافتخر اليهودي بالناموس الـــذى تسـلمه موسى بترتيب ملائكة ، وبهذا ظل اليهودي يفتخر على الأممي بل يفتخـــر أيضـــاً على المرأة اليهودية ، فيقف فى الهيكل ليشكر الله لأنه لم يخلقه رجـــلاً أممياً ولا إمرأة يهودية لأن كل منهما لا يحمل علامة الختان ، وتركز فخر اليـــهودي فـــى علام الختان كعلامة ظاهرة مصنوعة باليد فى الجسد ونسى الإلتزام بمواثيق العـــهد من حب وطاعة وخضوع لله مما دفع بولس الرسول للقول " ***لأن اليهودي فى الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذى فى الظاهر فى اللحم ختاناً . بل اليهودي فى الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان " (رو٢: ٢٨،٢٩)*** ولم يقصد بولس الرسول أن يُحقّر من شأن الختان ولكنه يريد أن يقول إذ لم يرتبط الختان بالإيمـــان الحقيقى وطاعة العهد فإنه يتساوى مع الغرلة ، وما فائدة عهد الختان بدون السـلوك فى وصاياه ؟ وكان الختان رمزاً للمعمودية غير أن المعمودية هى ختـــان روحـــى غير مصنوع بيد " ***وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسد (خطايا) البشـرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية " (كو٢: ١١،١٢)*** .. فلنحذر ياأحبائى لئـــلا تصير المعمودية بالنسبـــة لنا كما كان الختـــان بالنسبة لليهودي ، نفتخر بأننا أبناء

المعمودية ورثة الملكوت بينما نتمرغ فى الوحل .

أنكم كنتم فى ذلك الوقت بدون مسيح .. المقصود بكلمة " مسيح " مسيا ، فبالرغم من أن اليهود جازوا فى ضيقات وشدائد وسبي ومتاعب رهيبة إلاَّ أنهم لم يفقدوا إيمانهم لحظة فى مجئ المسيا ، فإبراهيم أب الآباء رأى يوم المسيا فى إسحق الذبيح القائم ففرح وتهلل ، وأبناء إبراهيم رأوه فى الصخرة الصماء التى انبعت لهم ماء الحياة فسرُّوا وفرحوا ، ولذلك تعلقت أمال اليهودي بالمستقبل المسياني المجيد ، والأيام كانت تتقدم بهم إلى الله . أما الأمم فكانوا بدون مسيح أى أنهم ليس لهم رجاء فى مجئ المسيا ، وكانوا أغصان فى شجرة بريَّة بعيدين عن شجرة الزيتون اللذيذة بلا أمل ولا هدف لهم فى الحياة إنما يدورون فى دائرة مُفرَّغة حتى أنهم فضَّلوا عدم الحياة على الحياة ، وفضلوا الموت المبكر عن المتأخر ، فقال اليونانيون أن الخير الأعظم أن لا يُولد الإنسان قط والخير الذى يليه أن يموت حالاً .

بدون مسيح .. جمع بولس الرسول معانى لا حدود لها فى كلمتين " بدون مسيح " فهو يقصد الحرمان من جميع الهبات والبركات والعطايا والمواهب الروحيَّة .. تُرى كيف حال إنسان بدون مسيح ؟ .. قد يعيش الإنسان فقير فقر مدقع ، وقد يعيش سجيناً أو مسبياً ، وقد يعيش وحيداً فريداً بلا صاحب ولا قريب ، وقد يعيش أعمى أو أقطع ، وقد يعيش مريضاً مرضاً مستعصياً ولكن كل هذا مع المسيح فهو محتمل . أما الأمر الذى لا يحتمل أن يكون الإنسان بدون مسيح لأن هذه هى النار الأبدية بعينها .

أجنبيّين عن رعويَّة إسرائيل .. كلمة " أجنبيّين " تعنى " مُبعَدين " عن الله بسبب الخطية " وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيّين وأعداء فى الفكر فى الاعمال الشريرة قد صالحكم الآن (كو١: ٢١) وهى نفس الكلمة التى تُرجمت إلى " متجنبون " ***" إذ هم مظلموا الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل " (أف٤: ١٨)*** أما الرعويَّة

فإن أهل أفسس سواء من الأمم أو اليهود يدركون معناها جيداً ، لأن بعضهم تمتع بالرعويَّة الرومانية بما يصاحبها من حقوق وامتيازات . فلا يعاقب الشخص الذى يحمل هذه الرعويَّة بدون محاكمة ، ومتى حُكِم عليه بالإعدام فلا يموت بالصليب بل بالسيف .. إلخ وكان ثمن هذه الرعويَّة كبيراً *" فأجاب الأمير أمَّا أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعويَّة " (أع٢٢: ٢٨)* أما اليهود فقد تمتعوا برعويَّة إسرائيل حيث كان الرب الإله هو الملك المشير والراعى المدبّر لكل شئون إسرائيل كما كانت الأمة اليهودية أيام موسي ويشوع والقضاة ، وهذا ما أدركهُ جدعون بعد إنتصاراته إذ أراد الشعب أن يُنصّبه ملكاً عليهم *" فقال لهم جدعون لا أتسلط أنا عليكم ولا يتسلط إبني عليكم . الرب يتسلط عليكم " (قض٨: ٢٣)* وقال داود الملك *" أرفعك يا إلهي الملك وأبارك إسمك إلى الدهر والابد " (مز١٤٥: ١)* .

وغرباء عن عهود الموعد .. الموعد أو الوعد الإلهي بخلاص الإنسان صار لأبينا آدم عقب السقوط بأن نسل المرأة (المسيح المخلص) يسحق رأسك الحية (تك٣: ١٥) وتجدَّد الموعد لإبراهيم *" ويتبارك فى نسلك (المسيح المخلص) جميع أمم الأرض " (تك ٢٢: ١٨) " وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله . لا يقول وفى الانسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحدٍ فى نسلك الذى هو المسيح " (غل٣: ١٦)* وتجدَّد الوعد لبنى إسرائيل *" وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً " (خر٦: ٧)* أما العهود فهى كثيرة فقد أعطى الله عهداً لنوح بعد أن جدَّد الأرض بالطوفان وكانت علامة العهد قوس قزح ، وقطع عهداً مع موسي وكانت علامة العهد دم الذبائح *" وأخذ موسي الدم ورش على الشعب وقال هوذا دم العهد الذى قطعهُ الرب معكم على جميع هذه الأقوال " (خر٢٤: ٨)* وقطع عهداً مع لاوى ومع داود .. إلخ وأخيراً أعطانا العهد الجديد وعلامة العهد هى دمه الكريم *" وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً إشربوا منها كلكم . لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (مت٢٦: ٢٧، ٢٨)* .

وغرباء عن عهود الموعد .. لقد نال اليهود العهود وافتخروا بها وقال بولس

الرسول " ***الذين هم إسرائيليون ولهم التبنىّ والمجدُ والعهُود والاشتراعُ والعبادة والمواعيد . ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين " (رو٩: ٤،٥)*** وكان لليهود أيضاً فضل حفظهم أقوال الله " ***إذاً ما هو فضل اليهودي .. كثير على كل وجه . أما أولاً فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله " (رو٢: ١،٢)*** وقال بولس الرسول ليهود انطاكية " ***ونحن نبشركم بالوعد الذى صار لآبائنا. أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع .. " (أع١٣: ٣٢،٣٣)*** أما الأمم فقد كانوا غرباء عن عهود الموعد ، ورغم أنه كانت هناك نبوات عن دخولهم للإيمان ولكن لم يكن لهم عهداً واحداً مع الله إلى أن جاء الرب يسوع لليهود والأمم " ***لأن الموعد هو لكم ولأولادكم (أى لليهود) ولكل الذين على بعد (أى للأمم) " (أع٢: ٢٩)*** .

لا رجاء لكم .. لماذا ؟ لأنهم بدن مسيح وبدون مواعيد وعهود مع الله لذلك لم يكن لهم الأساس الذى يبنون عليه الرجاء فى الحياة الأبدية ، وكانت نظرتهم للموت سوداوية فالموت بالنسبة لهم منطقة مجهولة ودائرة مظلمة وصمت مطبق وتوقف للحياة وعودة إلى التراب ، وكانت أحزانهم على موتاهم ثقيلة لأنهم بلا رجاء .. أما اليهود فكان رجاؤهم فى المسيا المخلص بلا حدود فسمعان الشيخ كان " ***ينتظر تعزية إسرائيل " (لو٢: ٢٥)*** وبولس الرسول جاز فى الآلام من أجل إسرائيل " ***لأنى من أجل رجاء إسرائيل أنا موثق بهذه السلسلة " (أع٢٨: ٢٠)*** فكل من هو بلا مسيح هو بلا رجاء أما المؤمنون بإسمه فإنهم يتمتعون بالرجاء المبارك " **منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (في٢: ١٣)** وحتى أحزاننا نحن المؤمنين فيها الرجاء " ***ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم " (اتس٤: ١٣)*** .

وبلا إله فى العالم .. كان الأمميون يعبدون آلهة بلا عدد لكنهم يجهلون معرفة الإله الحقيقى وذلك رغم أن " معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم " ولذلك فسدت حياتهم " ***فى هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله " (اتس٤: ٥)*** فانصرف الله عنهم وأصابهم الويل "***ويل لهم أيضاً متى إنصرفت عنهم"(هو٩: ١٢)***

وبلا إله فى العالم .. الإنسان الذى بلا إله هو الإنسان المُلحِد ، وللأسف فإن هذه التهمة التى لصقها الوثنيون بمسيحي القرون الأولى . قال الوالي الروماني للشهيد بوليكاربوس قبل استشهاده " أقسم بعظمة الإمبراطور وتب ، وقل مالي والملحدين (يقصد المسيحيين) فليسقطوا " أما بوليكاربوس فقال عكس ما يقصده الإمبراطور إذ إلتفت إلى الوثنين وقال " مالي والملحدين فليسقطوا " .

وبلا إله فى العالم .. غير المؤمنين كل حياتهم " فى العالم " أما المؤمنين فحياتهم " فى المسيح " ، والعالم إشارة إلى *" العالم الحاضر الشرير " (غل١: ٤)* ولأنهم بدون مسيح لذلك فإنهم غرقوا فى بحر هذا العالم الحاضر الشرير بعيداً عن مملكة المسيح التى قال عنها الرب يسوع ***" مملكتى ليست من هذا العالم "(يو١٨: ٣٦)***

وقد قصد بولس الرسول من الآيتين السابقتين أن يظهر مدى عظم الخسارة التى تعرض لها الأمم نتيجة لعدم إيمانهن بإله إسرائيل وسعيهم وراء آلهة كاذبة كما أنهم إضطهدوا واذلوا شعب الله فى العهد القديم ، وفى الآية القادمة يُظهر بولس الرسول عظم عطايا الله للأمم ، فقد أعطاهم كل شئ تماماً كما أعطى اليهود الذين ظلوا يترجونه مئات السنين ، وبهذا يشجع الأمم على التمسك بالكنوز التى حصلوا عليها ، وأيضاً يحافظون على محبتهم لإخوتهم من اليهود .

" ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح " (١٣)

فى الآية الخامسة كانت المقارنة الأولى بين الموت والحياة ، وفى هذه الآية نجد المقارنة بين البعد والقرب عن المسيح ، وليس المقصود بعد المسافة ولكن بعد الحالة بين ماض مظلم كئيب وحاضر مشرق مضئ .

ولكن الآن فى المسيح يسوع .. " الآن " تُقابل " قبلاً " (ع١١) وتقابل أيضاً " فى ذلك الوقت " (ع١٢) و " فى المسيح يسوع " تُقابل " بدون مسيح " (ع١٢)

فإن كان سبب شقاء الأمم وتعاستهم وهلاكهم قبلاً أنهم كانوا بدون مسيح فإنهم الآن في المسيح تكمل سعادتهم وخلاصهم .

أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين .. كان الأمم بعيدين عن الله بدون شركة ولا عشرة ولا تفاهم معه لم يتمتعوا بعهوده وأبوته . أما اليهود فكانوا قريبين لله بالعبادة والذبائح والعهود والآباء والناموس وهو كان قريباً منهم حاضراً في وسطهم وقائداً لهم . أظهر مجده من خلال خيمة الإجتماع وعامود السحاب وعامود النار والصخرة الصماء والحية النحاسية ، ولكن للأسف حتى اليهود الذين كانوا قريبين عصوا وتمردوا وصاروا أبناءاً للمعصية فأصبح كل من الأمم واليهود يحتاج للسلام كقول أشعياء النبي "***سلام سلام للبعيد (الأمم) وللقريب (اليهود) قال الرب وسأشفيه*** " ***(اش٥٧: ١٩)*** .

كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين .. كان الأمم بعيدين عن حظيرة الإيمان واليهود ينظرون إليهم على أنهم كلاب نجسة بسبب عبادتهم النجسة ، وعندما جاءت المرأة الكنعانية للرب يسوع قال لها" ***ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب*** " ***(مت١٥: ٢٦)*** ولكنها تمسكت بإيمانها بالرب يسوع فمنحها ما تريد بل ومدح إيمانها" ***ياإمرأة عظيم إيمانك ليكن لك ما تريدين*** " ***(مت١٥: ٢٨)*** أنها كانت بعيدة فصارت قريبة ، والعجيب أن الرب يسوع لم يمدح إيمان أحد غير هذه الكنعانية البعيدة وقائد المئة الأممي الذى كان بعيداً أيضاً فصار قريباً " ***الحق أقول لكم لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا*** " ***(مت٨: ١٠)*** .. حقاً أن الأمم كانوا بعيدين " ***واصغوا أيها الأمم من بعيد*** " ***(اش٤٩: ١)*** وليسوا مثل اليهود فى اقترابهم لله ، ولكن ابن الله حملهم وأجلسهم فى السماويَّات . فكم ينبغى أن نُمجِّد الله على حسن صنيعه ؟ "***وأما الأمم فمجِّدوا الله من أجل الرحمة كما هو مكتوب من أجل ذلك سأحمدك وارتل لأسمك*** " ***(رو١٥: ٩)*** .

صرتم قريبين بدم المسيح .. منذ فجر التاريخ ومعاهدات الصلح تُعقَد بين

المتخاصمين وتختم بدم الذبائح أما معاهدة الصلح بين البشرية والله فقد خُتِمت بالدم الإلهى ، وكان التطهير قبلاً يتم بدم الذبائح "***وكل شئ تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة***" ***(عب٩: ٢٢)*** فإن هذه الذبائح جميعها كانت تشير للذبيح الأعظم الذى دمه يطهرنا من كل خطية "***ودم يسوع إبنة يطهرنا من كل خطية***" ***(ايو١: ٧)*** ، وأيضاً كان الدم قبلاً هو الطريق إلى قدس الأقداس بيد رئيس الكهنة مرة واحدة فى يوم الكفارة العظيم (لا ص١٦) أما الآن فإن الدم الإلهي هو الطريق إلى الأقداس " فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع (عب١٠: ١٩) .

" **لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط . أى العداوة مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنين فى نفسهِ إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً** " (١٤،١٥) .

فى هاتين الآيتين نجد توضيحاً وتفسيراً للآية السابقة ، فالأمم البعيدين صاروا قريبين بدم المسيح لأنه هو سلامنا .

لأنه هو .. كلمتان تأكيديتان على أننا نستمد السلام من شخصه المبارك لا غير "***قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام . فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا . أنا قد غلبت العالم***" ***(يو١٦: ٣٣)*** فالسلام أقوى من كل متاعب وتجارب عدو الخير لأن الرب يسوع هو الأقوى .

لأنه هو سلامنا .. السيد المسيح ليس مجرد صانع سلام بل هو السلام ذاته . تنبأ عنه اشعياء على أنه "***رئيس السلام***" ***(اش٩: ٦)*** وذكر حجى أنه مانح السلام "***وفى هذا المكان أعطى السلام يقول رب الجنود***" ***(حج٢: ٩)*** وقال زكريا "***ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض***" ***(زك٩: ١٠)*** .. يوم حلّ على أرضنا متجسداً رنّمت الملائكة "***المجد لله فى الأعالى***

وعلى الأرض السلام " (لو٢: ١٤) ويوم أرسل تلاميذه ليكرزوا ببشارة الملكوت أوصاهم " *وأى بيت دخلتموه فقولوا سلام لهذا البيت فإن كان هناك إبن السلام يحل سلامكم عليه وإلا فيرجع إليكم " (لو١٠: ٥،٦)* ويوم أراد أن يقدم ذاته ذبيحة حية من أجل خلاص جنسنا وهب تلاميذه سلامه " *سلاما أترك لكم . سلامي أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا " (يو١٤: ٢٧)* ويوم قام من الأموات وفى اللقاء الأول مع تلاميذه منحهم سلامه ليعيد لهم سلامهم المفقود " *سلام لكم " (يو٢٠: ١٩)* .. والكنيسة دائماً تطلب سلامه الفائق في صلواتها والحانها " يا ملك السلام أعطنا سلامك قرِّر لنا سلامك واغفر لنا خطايانا " (لحن أب أوروا) .

لأنه هو سلامنا .. ليس سلام مُتغيِّر ومُتقلِّب نتمتع به اليوم ويضعف غداً ونفقده بعد غد لأنه ليس عنده تغيير ولا ظل دوران ، وليس مجرد شعور قلبي بالراحة بل هو حلول شخصي للرب يسوع بشخصه المبارك فى قلوبنا ، وهذا ما اختبره سفير السلاسل فى سجنه بروما وكتب فى سجنه لأولاده يدعوهم للتمتع بهذا السلام " *سلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع " (في٤: ٧) " وليملك فى قلوبكم سلام الله الذى إليه دعيتم " (كو٣: ١٥) " لأنه هو سلامنا " (أف٢: ١٤) " ليحل بالإيمان فى قلوبكم " (أف٣: ١٧)* .

الذى جعل الإثنين واحدا .. الاثنان هما اليهود والأمم ، وما أشد العداوة التى كانت متحكمة بينهما ، نظرة اليهود للأمم على أنهم كلاب نجسة بسبب عباداتهم النجسة وكان اليهودي ينظر للأممي على أنه مصدر للنجاسة فلا يأكل معه ولا يدخل بيته ومتى عاد من السوق يغتسل جيداً ويغسل مشترواته كثيراً لئلا يكون قد لمس أحد الأمميين ، وكانوا يطلقون عليهم ألفاظ التحقير مثل " الغرلة " و " الغلف " لأن ليس لهم العهود ولا المواعيد الإلهيَّة إنما هم وقود لجهنم النار ، وأنه متى جاء المسيا فإنه فسيخضع جميع الأمم تحت أقدامهم . وبادل الامميون اليهود نفس المشاعر فكان اليونانيون ينظرون إلى جميع الشعوب غير اليونانية بما فيهم اليهود على أنهم برابرة متوحشين ، وعبر عن هذه العداوة أفلاطون قائلا " أن البرابرة أى

الذين ليسوا يونانيين هم اعداؤنا بالطبيعة " وفى القرن الأول طـــرد الإمـــبراطور الروماني جميع اليهود من روما " ***لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضي جميع اليـــهود من رومية (أع١٨: ٢)*** فكان من الصعب جداً أن يتصور المرء حدوث أى صلح بين اليهود والأمم ، ولكن السيد المسيح جاء وضع سلاما قوياً وثابتاً ودائماً بينهما .

الذى جعل الاثنين واحداً .. السيد المسيح لم يُحوّل الأممي إلى يهودي ، ولـــم يحول اليهودي إلى أممي.إنما جعل كل منهما ينسي تماماً ماضيـــه وينظـــر إلـــى حاضره إذ صار إنساناً جديداً فى المسيح .. عندما يتخاصم شخصان لا يســتطع أن يصلح بينهما إلا شخصا ثالثا يحب كل منهما ويحبانه فيطيعانه ويتم الصلـــح مـــن خلاله ، وهكذا السيد المسيح المحب والمحبوب لكل من اليهود والأمم إســـتطاع أن يصنع المستحيل ويُوجِد ويوفق ويؤلف بين القلب اليهودي والقلب الأممـــي اللـــذان تنافرا وتناحرا على مدى قرون طويلة " ***لأن اليهود لا يعاملون السامريين " (يو٤: ٩)*** ولم يكن طريق الصلح والسلام بينهما سهلا إنما صنعه الرب يسوع بـــدم صليبـــه فعندما رفع على الصليب فرد جناحيه كأجنحة حمامة السلام ، وتحقـــق قولـــه " ***إن إرتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع " (يو١٢: ٣٢)*** فجذب كل اليهود والأمـــم إليـــه ومزجهما بدمه الإلهي فصارا إنساناً جديداً فيه ، وقد قدم لنا القديس يوحنا فم الذهب مثلين رائعين لهذه الوحدة فقال " سأقدم لكم مثلاً . هب أن هنالك تمثالان الواحد من الفضة (اليهودي) والآخر من الرصاص (الأممي) وأذيب الأثنـــان معـــا ، فصـــار الإثنان من ذهب . هكذا جعل المسيح الإثنين واحداً . خذ مثـــلاً آخـــراً . هـــب أن هنالك شخصين واحد عبدٌ (الأممي) والآخر إبن بالتبنى (اليهودى) وهب أن الاثنيـــن أذنبا لله ، فصار الواحد ابناً محروماً من الميراث والآخر شريداً لا يعرف له أباً قط ، وهب الاثنين صارا وارثين ابنين حقيقيين . تأمل لقد رفع الأثنان إلى نفس الكرامة وصارا الأثنان واحدا . الواحد أتى من مسافة أطول (الأممي) والآخر من مسافة

أقرب (اليهودى) والبعيد (الأممي) صار أكثر نُبلاً مما كان قبل أن يذنب " [8]

الذى جعل الاثنين واحداً .. لقد صار اليهودي والأممي إنساناً واحداً بالمعمودية ***" لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهودا كنا أم يونانيين" (١كو١٢: ١٣)*** وصار الإثنان واحداً لأنهما اشتركا فى جسد المسيح الواحد ***" فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد " (١كو١٠: ١٧)*** .

ونقض حائط السياج المتوسط .. إقتبس بولس الرسول هذه الصورة التصويرية " حائط السياج المتوسط الذى كان قائماً فى هيكل سليمان ، ولم يكن مسموحاً لأحد من الأمم بالعبور من خلاله إلى الهيكل ، وكان اليهكل يتكون من عدة أروقة كل رواق يرتفع عن الآخر ويقترب أكثر للهيكل وبالتالى فإنه يزداد فى القداسة ، وكان أبعد رواق عن الهيكل هو رواق الأمم المسموح للأمم بالدخول إليه ثم بعد ذلك رواق النساء ، فرواق الإسرائيليين ، ثم رواق الكهنة وأخيرا القدس فقدس الأقداس ، فالقدس يدخله الكاهن ليرفع البخور صباحاً ومساءاً مع تقدمتى الصباح والمساء . أما قدس الأقداس فغير مسموح لأحد بالدخول إليه على الإطلاق إلاّ لرئيس الكهنة مرة واحدة فى يوم الكفارة العظيم ، وكان حائط السياج يفصل بين رواق الأمم والنساء ووصفه يوسيفوس قائلا " عندما تمرُّ من هذا المكان الأول إلى الفناء الثاني فى الهيكل كان هنالك حاجز مصنوع من الحجارة حول ذلك الفناء إرتفاعه ثلاث قامات ، وكان بناؤه رشيقاً وعليه كانت أعمدة على مسافات متساوية توضح شريعة التطهير بعضها باليونانية وبعضها باللاتينية تقول أنه من غير المسموح للأجانب بالدخول إلى المكان المقدس " (حروب اليهود ٢،٥،٥) وقال أيضا " كان هذا محاطاً بحائط حجر ليكون فاصلاً وكانت عليه كتابة تمنع أى أجنبي من أن يتخطاه وإلا تعرَّض للموت " (آثار اليهود ٥،١١،١٥) .

[8] تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس للقديس يوحنا ذهبي الفن – تعريب القمص مرقس داود ص٥٧

وفى سنة ١٨٧١م إكتشف عالم الآثار الفرنسي كلـيرمنت جنيـو Clermont Ganneau أحد الأحجار المنقوش عليه عبارة تحذير " لا يجوز لإنسان ما من أمـة أجنبية أن يتخطى هذا السياج ويجتاز منه إلى الهيكل ، وكـل مـن يجسـر علـى إقتراف هذا الذنب أو يُقبض عليه يكون هو الجاني على نفسه " وعندما ظن اليـهود أن بولس الرسول إصطحب معه تروفيموس الأفسسي وعبر بــه حـائط السـياج المتوسط أرادوا الفتك به " *صارخين أيها الرجال الإسرائيليين أعينوا . هذا هو الرجـل الذى يعلم الجميع فى كل مكان ضداً للشعب والناموس وهذا الموضع حتى أدخل يونانيين أيضا إلى الهيكل ودنس هذا الموضع المقدس " (أع٢١: ٢٨، ٢٩)* .. ترى هل حكـى تروفيموس الأفسسي لذويه عن حائط السياج المتوسط وما كان منه ؟! على كلٍ فإن هذا الحائط الفاصل كان قائما فى قلب كل يهودي يغذيه الشـعور الدينـي الدفيـن " *إحترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض فيزنون وراء آلهتهم .. وتأخذ من بناتـهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن "(خر٣٤: ١٥، ١٦)*

ونقض حائط السياج المتوسط .. وكانت الثغرة الأولى التى صنعها بطـرس الرسول فى هذا الجدار والتى عبر منها كرنيليوس الأممي كانت بناء علـى رؤيـا سماوية وقال بطرس الرسول " *الله العارف القلوب شهد لهم (للأمم) معطيا لهم الـروح القدس كما لنا (نحن اليهود) أيضا .. ولم يميز بيننا وبينهم بشـئ إذ طـهر بالإيمـان قلوبهم " (أع١٥: ٨، ٩)* ثم جَنَّد الروح القدس بولس الرسول لكيما يحطم تماماً هـذا السياج المتوسط ، فأصبح الإيمان مقدماً لكل إنسان فى كل زمان ومكـان .. لقـد حطم الرب يسوع ونقض من قبل هذا الحاجز الفاصل وهكذا أبناء الله يعملون عمله . أما أبناء إبليس فإنهم يقيمون حواجز البغضة والحقد والخصومـة بيـن النـاس وبعضهم البعض ، ولذلك لنحذر يا أحبائى لئلا نعود ونقيم هذا الحائط الفاصل بيننـا وبين الآخرين بل لنفتح قلوبنا للجميع نحبهم ونخدمهم ونشهد لإلهنا الحي بأعمالنـا الحسنة ..

ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة .. هنا يوضح معلمنا بولس قصده

من نقض حائط السياج وهو إبطال العداوة الشرسة التى نشأت بين اليهود والأمـم . تلك العداوة التى تكوَّنت ونمت وترعرعت فى ظل الفهم اليهودي الخاطئ للناموس، فاليهود ينظرون لأنفسهم على أنهم أبرار بالناموس بينما الأمم الذيـن ليـس لـهم الناموس هم خطاة أشرار ليس لهم إلاّ الهلاك الأبدي .

مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض .. السيد إفتدانا من لعنة النـاموس بموته بالجسد ، وجسد المسيح هذا يماثل تماماً جسدنا من لحمنا وعظامنا وطبيعتنـا البشرية ولكنه خالٍ تماماً من كل خطية جدّية أو فعلية ، ولذلك فجسده" ***شبه جسـد الخطية " (رو٨: ٣)*** ولكنه بدون خطية ، وهو جسم بشريته الذى بواسـطته صنـع الصلح مع الله" ***قد صالحكم الآن فى جسم بشريته بـالموت " (كـو١: ٢٢)*** ، وبـهذا الجسد يتمَّم الرب يسوع وصايا الناموس وأحكامه وفرائضه نيابه عنا ، فرفع عنـا حكم الإلتزام بهذه الوصايا والفرائض وليس معنى هذا أنه عاد بناء على عصر مـا قبل الناموس لكنه في الحقيقة تقدم بنا إلى عصر النعمة ، فمثلاً الناموس كان يحتـم على الإنسان أن يُتمّم عهد الختان وتقديم الذبائح الحيوانية فى ظل الكهنوت الـلاوى اما الآن فى المسيح فقد أكتمل عهد الختان بالمعمودية وانتهت الذبـائح الحيوانيـة بتقديم حمل الله ذاته ذبيحة حيَّة من أجل خلاصنا ، وحلّ الكهنوت المسيحي علـى رتبة ملكي صادق محل الكهنوت اللاوى ، وتعمقت وصايا الناموس أكـثر فـأكثر وكُملّت ونضجت فى المسيح يسوع (مت٥: ٢١-٤٢) وبهذا تحقَّق قول الرب يسوع ***" لا تظنوا أنى ما جئتُ لأنقض الناموس والأنبيـاء مـا جئـتُ لأنقـض بـل لأكمـل " (مت٥ :١٧)*** .

مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض .. وكما أقام اليهود من النـاموس سداً منيعاً فأيضاً كان الناموس يمثل ثقلاً على اليهود أنفسهم ، فقد فشلوا فى حفظـه وسقطوا تحت اللعنة فجاء الرب يسوع وافتدانا من هذه اللعنة " ***المسيح افتدانا مـن لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبه " (غـل٣: ١٣)*** .. لقد رفع السيد المسيح هذا الثقل عن أولاده كقول معلمنا بطرس فى مجمع

أورشليم " فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله " (أع١٥: ١٠) وجاء قرار المجمع "*إذ قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلّبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم " (أع١٥: ٢٤)* لقد كانت فرائض الناموس ثقيلة أما الرب يسوع " *إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب " (كو٢: ١٤)* .

مبطلا بجسده ناموس الوصايا فى فرائض .. كان الناموس يمثل المرآة التى يرى فيها الإنسان صورته فيعلم كم هو قبيح ، ولكن هذه المرآة لا تقدر أن تعينه على تغيّير شكله أما الآن ففى الرب يسوع أصبح الإنسان قادراً بالنعمة على تغيير سلوكه " *استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقويني " (في٤: ١٣)* وفى ظل الناموس كان الإنسان يصارع لكيما يحفظ وصاياه وفرائضه لينال الخلاص ، أما الآن فى عصر النعمة فأصبح من الطبيعي والسهل أن يحفظ الإنسان الوصايا لأنه نال الخلاص وصار هيكلاً لروح الله القدوس .. لقد تحوَّل ناموس الوصايا الثقيلة إلى ناموس المحبة الخفيف والهين "*لأن نيرى هين وحملى خفيف " (مت١١: ٣٠)* .

لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً .. لماذا قتل الرب يسوع العداوة بين اليهود والأمم ؟ لكى يُوحّد الاثنين بل يخلقهما إنساناً جديداً .. يخلقهما ليس بعيداً عنه بل فى نفسه ولنفسه ، وليس إثنان بل إنسان واحد بكل ما يحمل هذا المعنى من وحدة وترابط وإنسجام وتوافق . يخلقهما إنساناً جديداً " *إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديدا " (٢كو٥: ١٧)* وهذه الخليقة الجديدة تقدر أن تهزم كل عوائق الجنس واللون واللغة .

إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً .. لم يحول الرب يسوع الإنسان الأممي إلى إنسان يهودي بل صار الأممي في المسيح مسيحياً .. وهكذا اليهودي أيضاً ، فصار الأثنان إنساناً جديداً ، وكلمة " جديد " فى اللغة اليونانية لها معنيان :

أولهما : الجديد من الناحية الزمنية " noes " فمثلاً نقول أن هذه الساعة جديدة فهى جديدة من جهة تاريخ الإنتاج ولكن هنالك ساعات مثيلة لها سبق انتاجها من قبل ، **وثانيهما :** الجديد من ناحية النوعية " kainos " وهى تعنى منتج جديد يظهر لأول مرة ، وبولس الرسول استخدم كلمة " kainos " للتعبير عن العمل الذى قام به السيد المسيح ولم يعمله أحد من قبل " ***لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع .. ليس يهودي ولا يوناني .. لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع " (غل٣: ٢٦-٢٨)*** .

" ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به " (١٦) .

ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله .. بعد أن صالح الرب يسوع اليهود مع الأمم وخلقهما إنساناً واحداً جديداً فى نفسه صالحهما مع الله ، فعلى الصليب :

١- تمَّم الصلح بين الإنسان وأخيه ، فمثلاً صالح اليهود مع الأمم فى جسد واحد لم يكن له وجود من قبل فأبصرناه ولمسناه فى كنيسة العهد الجديد ، فاليهود والأمم اللذان لم تتفق إرادتهما من قبل إلاَّ فى صلب مخلصنا الصالح وفَّق بينهما إبن الله وخلقهما إنساناً واحداً جديداً بدم صليبه .

٢- تمَّم الصلح بين الإنسان ككل يهود وأمم وبين الله ، وجاءت المبادرة من الله القادر على صنع الصلح " ***ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح" (٢كو٥: ١٨)*** .. لقد تأوه أيوب بحزن وآسي فى العهد القديم وهو يخاطب الله " ***ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا " (أي٩: ٢٣)*** ولكن الرب يسوع من خلال صليبه إذ يفتح ذراعيه ليحتضن البشرية بكل أجناسها فى كيان واحد يقول عنه الإنجيل " ***وإن يصالح به الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه " (كو١: ١٩)*** .

ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب .. لم تتم المصالحة بكلمات طيبة من جانب الله ، ولم تتم باعتذارات وذبائح وتضحيات من جانب الإنسان ، ولكنها تمت بدم الصليب ، فالصليب هو أداة المصالحة القاسية المرة التى حملها

إبن الله من أجلنا ، والصليب هو خطايا البشرية مجمعة علـى رأس الحبيب . أن أشنع جريمة أُرتكبت على أرضنا هى سفك دم إبن الله القدوس البار .. لقد أظـهر الصليب مدى قساوة وتجبر قلب الإنسان من ناحية ، ولكنه من الناحيـة الأخـرى كشف لنا عظمة الحب الإلهي للبشرية الساقطة الجاحدة .. حقا إن الحب الذى فـى الصليب كان أقوى جدا من كل بغضة وعداوة وتحزب وغضب اليـهود والأمـم .. لقد صالحنا الله بالصليب وأودع فى كنيسته خدمـة المصالحـة " *وأعطانـا خدمـة المصالحة . أى أن الله كان فى المسيح مُصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم . وواضعاً فينا كلمة المصالحة . إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله " (٢كو٥: ١٨-٢٠) .*

ويصالح الإثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة بـه .. عندما سقط آدم رأس الخليقة سقطت فيه الخليقة جمعاء ، وورثت حالة عدم التوافق مـع قداسة الله ، وتنافرت مع ناموس الله ووصاياه ، وصارت فى عداوة مع الله ، ولكـن هذه العداوة لم تكن من جانب الله الذى طبيعته المحبة لا غير ، ولكن العداوة كـانت من جانب الإنسان الذى عجز عن أن يحيا الحياة التى ترضي خالقه ، فأول خطيـة ارتكبها الإنسان جلبت عليه العداوة مع الله ، وثانى خطية إرتكبـها جلبـت عليـه العداوة مع أخيه وانتهت بقتل هابيل البار ، ولكن كيف قتل الله العداوة ؟ لقد قتلـها الصليب " به" فعندما ذُبِح المصلوب على الصليب ذبح العداوة القائمة بين الإنسـان والله وبين الإنسان وأخيه ، وعندما قتل على الصليب قتل العداوة ، وعندما سُـمِر على الصليب سمر العداوة .

بالصليب قاتلا العداوة به .. قول معلمنا بولس " قاتلاً " تفيـد الاستمرارية ، فهو الذى يقتل كل عداوة تنشأ فى قلوبنا ، ويذبح كل مرارة وتحزب تنشأ فى بيوتنـا وكنائسنا ، وقد إستخدم معلمنا بولس تعبير " قاتلاً " ولم يستخدم تعبير أخـف مـن ذلك مثل " لاغيا " أو " ماحيا " لماذا ؟ لأن القضاء علـى العـداوة لـم يتـم إلا بالصليب الذى هو وسيلة الإعدام والقتل .. لقد قتـل الـرب يسوع العداوة أى قتل

الخطية التى أنشأت العداوة كطبيب ماهر قضى على أصل الميكروب الـــذى هـــو سبب المرض .

ومن خلال الآيات (١٣-١٦) نلاحظ التسلسل الآتى :

١- الأمم البعيدين صاروا قريبين بدم المسيح .

٢- نقض الرب يسوع سور العداوة القائم بين اليهود والأمم فحلَّ السلام بينهما .

٣-أبطل الرب يسوع الفرائض التى تشدَّق بها اليهود وافتخروا بها على الأمم .

٤-خلق الرب يسوع من اليهود والأمم لنفسه إنساناً واحداً جديداً .

٥-صالح الرب يسوع كل من اليهود والأمم مع الله قاتلاً العداوة بالصليب .

" **فجاء وبشركم بسلامٍ أنتم البعيدين والقريبين . لأن به كِلَينا قُدوماً فى روح واحدٍ إلى الآب** " (١٧،١٨) .

فجاء وبشركم بسلامٍ .. من هو الذى جاء ؟ أنه الـــرب يســـوع القـــائم مـــن الأموات ، فهذه الآية لا تشير إلى مجيئه فى التجسد ولكنها تشير إلى مجيئـــه بعـــد إتمام الفداء وانتصاره الساحق الذى حققه الرب يسوع بصليبه على جميـــع قـــوات الظلمة ..

فجاء وبشركم بسلامٍ .. جاء إلينا بشخصه المبارك ، وبشر رسله يوم قيامتـــه بحلول السلام بعد اندحار قوات الشر ، ورسله بشرونا نحن الأمم لأنـــه أوصـــاهم قائلاً " *إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلـــها* " *(مـــر١٦ : ١٥)* ومـــن خلال هؤلاء الكارزين تحققت نبوّة اشعياء " *ما أجمل على الجبال قدمي المبشر بالخير بالسلام المبشر بالخير المُخبِر بالخلاص القائل لصهيون،قد ملـــك إلـــهكِ* " *(اش٥٢ : ٧)* ووقف بطرس الرسول يبشر الجموع يوم الخمسين قـــائلاً " *لأن الموعـــد هـــو لكـــم ولأولادكم (أيها اليهود) ولكل الذين على بعد (الأمم)* " *(أع٢ : ٣٩)* وما زال الله يبشـــرنا بواسطة إنجيله وروحه القدوس . أما الذين يرفضون بشرى الخلاص فلا سلام لهم

لأنه "*ليس سلام قال إلهي للأشرار* " *(اش٥٧: ٢١)* .

أنتم البعيدين والقريبين .. البعيدين من الأمم الذين لا رجاء لهم ولا إله ، والقريبين من اليهود شعب الله الذين لهم المواعيد والآباء والشريعة فقد دعى اليهود "*الشعب القريب إليه* " *(مز١٤٨: ٤)* ولاحظ ياصديقي أن ذكر الأمم البعيدين جاء أولاً قبل اليهود القريبين لأنهم كانوا محرومين من أي سلام ، وبالتالى فقد شعروا بأكثر بالسلام الذى نالوه .

لأن به كِلَينا .. به أى بالمسيح يسوع الطريق الوحيد للآب "*أنا هو الطريق ليس أحد يأتى إلى الآب إلاَّ بي* " *(يو١٤: ٦)* وهو الوحيد باب الملكوت "*أنا هو الباب* " *(يو ١٠: ٩)* وهو الوحيد الذى يُقرّبنا للآب "*فإن المسيح أيضاً تألَّم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الآثمة لكى يُقرّبنا إلى الله* " *(١بط٣: ١٨)* و" كلينا " أى اليهود والأمم تحمل معنى الوحدة وليس الإنفرادية ، فكل شخص يتقدم مع أخيه إلى الله بعيداً عن كل إنشقاق وخصام .

لأن به كِلَينا قدوماً .. قدوماً لا تعنى الإقتراب لله فقط إنما تعنى الإقتراب لله والفوز برضاه .. لقد إقترب الآب منا عن طريق إبنه الوحيد الجنس ، وبذبيحة الإبن أصبح لنا الحق فى الاقتراب إليه بدالة وجراءة وثقة .. ولكن من هو الذى يستطيع أن يقترب إلى عرش النعمة إلاَّ الذى سلَّم حياته وجاز مع الإبن الصليب والقيامة " *فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمةً "ونجد نعمة عوناً فى حينه" (عب٤: ١٦)* .

لأن به كِلَينا قدوماً .. كلمة " قدوم " هى الصيغة الرسمية للتقدم إلى الملوك ومحاكم القضاء ، وكان فى قصور فارس شخص يدعى المُقدّم الذى يصطحب من يطلب لقاء الملك إلى الحضرة الملوكية ، والرب يسوع هو المُقدّم الذى لا يكتفِ بأن يمسك بأيدينا إلى حضرة الآب بل يحملنا فيه ويترأى بنا أمام الآب السماوى .

لأن به كِلَينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب .. الروح الواحد هو الروح

القدس مصدر وحدة الكنيسة " *لأننا جميعاً بروحٍ واحدٍ أيضاً اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سُقينا روحاً واحداً " (١كو١٢: ١٣)* .. هو الذى يشفع فينا أمام الآب " *وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها " (رو٨: ٢٦)* .

ثالثا : خمسة أوصاف (١٩-٢٢)

" ١٩ فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله ٢٠ مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية ٢١ الذى فيه كلُّ البناء مركَّباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً فى الرب ٢٢ الذى فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله فى الروح " (١٩-٢٢) .

فى هذه الآيات يؤكد الرسول على وضع الأمم فى كنيسة العهد الجديد إذ هم ليسوا غرباء ولا نزلاء ولا مواطنين من الدرجة الثانية لكنهم يقفون على قدمٍ وساقٍ مع اليهود ، ويصفهم بولس الرسول هنا بخمسة أوصاف تؤكد المعنى الذى يرمى إليه :

١- رعية واحدة " رعية مع القديسين " (ع١٩) .
٢- عائلة واحدة " أهل بيت الله " (ع١٩) .
٣- بناء واحد " مبنيّين " (ع٢٠) .
٤- هيكل مقدس " هيكلاً مقدساً للرب " (ع٢١) .
٥- مسكن لله " مسكنا لله فى الروح " (ع٢٢) .

ونلاحظ التدرج فى هذه الآيات التى تصعد بنا إلى أعلى الدرجات ، فيتحدث بولس الرسول أولاً عن الكنيسة جماعة القديسين كرعية وعائلة واحدة ، ثم يحدثنا عن الكنيسة كبيت لله ، ثم يتطرق إلى أقدس مكان فى البيت وهو الهيكل ، وأخيراً يحدثنا عن المسكن الذى هو قدس أقداس الرب .

" فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاء بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله " (ع١٩) .

فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاء .. لقد كنتم أيها الأمم من قبل ***" أجنبيين عن رعوية إسرائيل غرباء عن عهود الموعد "*** *(ع١٢)* هكذا كنتم وهكذا كان ينظر إليكم اليهود ، والإنسان الغريب ليس له أين يسند رأسه بل قد يعيش على لقاط الحصاد ونثار الكرم (لا١٩: ٩، ١٠) والنزيل يتميز عن الغريب بأن له مكان إقامة في أرض غربته ، ولكنه يتساوى مع الغريب فى أن ليس لأحدهما حق من حقوق المواطنة ، وكل منهما قد يجهل ظروف البلد المتغرّب فيه وقد يجهل لغتها ، ويعيش بلا أصدقاء ، بل قد لا يجد ترحيباً ولا قبولاً من مواطنى البلد ، وبالتالى فإن الغريب والنزيل لا راحة لأحدهما فى أرض غربته ، فكل منهما يفضل العودة إلى وطنه مهما كان فقيراً والعودة إلى بيته مهما كان بسيطاً .. لقد عاش الأمم كغرباء علاقتهم بالله على مستوى العبيد ، ولكن بعد إيمانهم أصبحوا أبناء لهم حق البقاء فى البيت إلى الأبد ***" العبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد أمّا الإبن فيبقى إلى الأبد "*** *(يو٨: ٣٥)* .

بل رعية مع القديسين .. هذا هو **الوصف الأول** للأمم بعد دخولهم للإيمان ، ففى العهد القديم كان القديسون هم فقط رجال الله مثل الآباء البطاركة الأولون إبراهيم واسحق ويعقوب وأبناؤهم الذين ارضوا الرب بأعمالهم الصالحة . أما فى العهد الجديد وبعد دخول الأمم فقد اتسعت الدائرة جداً فشملت أناساً من كل أمة ولسان وشعب وأمة منتصرين فى الفردوس ومجاهدين على الأرض بالإضافة إلى أرواح الملائكة القديسين ، فاتسعت مملكة القديسين جداً وتحققت فيها نبوءة دانيال النبي ***" وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة "*** *(دا٧: ٢٢)* وسرى تيار الحب من الرأس إلى الأعضاء القديسين فارتووا وامتلأوا فرحاً وفاضوا على الأخرين .

وأهل بيت الله .. هذا هو **الوصف الثانى** للأمم ، فالعلاقة بين الأب وأولاده أقوى بكثير من العلاقة بين الملك ورعيته ، وإن كان بولس الرسول قال عن الأمم

أنهم صاروا رعية مع القديسين ليشير إلى علاقة المؤمنين معاً فإنه عاد وقال أنهم صاروا أهل بيت الله ليشير إلى علاقتهم مع الله إذ صاروا أبناءاً له كقوله لأهل غلاطية " *لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع* " *(غل٣: ٢٦)* .

أهل بيت الله .. بيت الله غير المصنوع بيد إنسان جبل صهيون العالي ومدينة الله المنيرة أورشليم السمائية محفل الملائكة وكنيسة الأبكار " *بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار ..وإلى ارواح ابرار مكملين* " *(عب١٢: ٢٢،٢٣)* .. بيت الله الذى هو عمود الحق وقاعدته " *بيت الله الذى هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته* " *(اتي٣: ١٥)* .. أهل بيت الله أى عائلة الله التى ينتسب إليها الشهداء والمعترفين والأبرار والصديقين ولباس الصليب .. تنتمى إليها السيدة العذراء التى باركت أرضنا فى القديم وعادت تظل بظهوراتها العديدة فى العصر الحديث فى كنيستها بالزيتون وكنيسة الشهيدة دميانة بشبرا وكنيسة مارمرقس باسيوط تُثبّت أولادها على الإيمان الأرثوذكسي المستقيم ، وأيضاً من أهل البيت مارمرقس كاروز الديار والبابا بطرس خاتم الشهداء ، والشهيدة دميانة وأمير الشهداء مارجرجس ومارمينا ومحب الأب مرقوريوس والأنبا إبرام والبابا كيرلس السادس وأبونا بيشوى كامل وكل الأمناء ألوف ألوف وربوات ربوات ، فهم يمثلون النصف الآخر لنا فنحن المجاهدين وهم الذين يؤازروننا بصلواتهم ، ومئات المعجزات التى يجريها الله بواسطة شهدائه وقديسيه المنقلين لابد أنها تُخجِل قوم لا يعترفوا بالشفاعة ويظنون أن الموت قد قوى على هؤلاء القديسين وطواهم وهم لا يدرون أنهم دخلوا فى شباك وخداع عدو الخير ، وأيضاً يا أحبائى إن كنا قد صرنا رعية مع القديسين وأهل بيت الله ألا يجب أن يكون لنا سلوك القديسين " *فإذ لنا هذه المواعيد أيها الأحبّاء لنطهّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكمّلين القداسة فى خوف الله* " *(٢كو٧: ١)* ؟! .. حقاً كم العالم متعطش الآن ليرى صورة الله فى كل مسيحي يعيش على هذه الأرض ؟!

" مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية " (٢٠)

في الأصحاح السابق شبه معلمنا بولس الرسول العلاقة بيننا وبين المسيح بعلاقة الرأس بالجسد ، وفى هذا الجزء يشبه هذه العلاقة بعلاقة الأحجار الحيَّة بحجر الزاوية ، فكل مؤمن هو حجر حيٌّ له صورة المسيح وله مكانه المناسب وعمله الملائم الذى حدّدهُ له الله ، وهو يقوم به مادام ثابتاً فى المسيح ، ونلاحظ أيضاً أن بولس الرسول بعد ما تحدث فى الآية السابقة عن أهل البيت بدأ ينتقل فى هذه الآية إلى الحديث عن البيت ذاته ، وبدأ ينتقل من الحديث عن أهل البيت إلى الحديث عن الأحجار التى تُكوّن البيت .

مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء .. وهذا هو **الوصف الثالث** لوضع الأمم الداخلين للإيمان " مبنيّين " وما أروعه من وصف !! ، وبولس الرسول يقول " مبنيّين " إشارة للعمل الذى تم فى الماضي ، فالصليب الذى إرتفع عليه رب الحياة ثبَّت أقدامه على أرضنا هذه ، وحفر الأساس الذى قامت عليه كنيسته وقد أغتسلت بالدماء المتقاطرة من جسده الدامي ، وأيضاً " مبنيّين " تشير للثبات فإن كان من السهل عليك أن تُحرك أحجاراً مطروحة على الأرض لكن من الصعب جداً أن تقتلع أو تحرك حجراً ثابتاً فى مبنى قائم ، وفى الآية (٢٢) يؤكد بولس الرسول أن البناء يتم كعمل جماعي إختياري وليس كعمل فردى " مبنيون معاً " ومعلمنا بطرس الرسول يؤكد نفس المعنى ***" كونوا أنتم أيضاً مبنيّين كحجارة حية بيتاً روحياً " (١بط٢: ٥)*** .

مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء .. أى على إيمان الرسل والأنبياء وليس على أشخاصهم كقول السيد المسيح بطرس الرسول بعد اعترافه بالإيمان القويم ***" أنت بطرس وعلى هذه الصخرة (صخرة الإيمان) أبنى كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " (مت١٦: ١٨)*** والأساس الذى بنى عليه الرسل هو السيد المسيح ولهذا قال بولس البناء الحكيم لأهل كورنثوس ***" حسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبنى عليه .. فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى***

وضع الذى هو يسوع المسيح " (اكو٣: ١٠، ١١) .. لقد قدم الرسل والأنبياء المسيح للأمم فآمنوا به ، فكان إيمانهم بالمسيح هذا بمثابة الأساس الذى بنوا عليه حياتهم فى المسيح ، ومع هذا فإننا لا ننسَ أن تعاليم الآباء الرسل بجوار تعاليم السيد المسيح تعتبر الأساس الذى بُنيت عليه الكنيسة ، وأيضاً إذا نظرنا إلى البناء فنجد إن كل صف فى البناء يعتبر أساس لما يعلوه ، فالرسل بهذا المفهوم هم أساس الكنيسة لأنهم الصف الأول فى البناء ، وهكذا وصَفهم يوحنا الرائى *"وسور المدينة كان له إثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثنى عشر " (رؤ٢١: ١٤)* .

مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء .. الأنبياء فى العهد الجديد هم الذين قاموا بخدمة الوعظ مثل يهوذا وسيلا *" ويهوذا وسيلا إذ كانا هما أيضاً مبنيّين وعظا الأخوة بكلام كثير وشدّداهم " (اع ١٥: ٣٢)* وقد تنبأ بعضهم بأمور مستقبلية *"نبى إسمه أغابوس .. وقال هذا ما يقوله الروح القدس .. الرجل الذى له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود فى أورشليم .. " (اع٢١: ١٠، ١١)* وكان فى إنطاكية خمسة أنبياء ألهبوا روح الكرازة *"وكان فى إنطاكية فى الكنيسة هناك انبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين .. " (اع١٣: ١)* وكان للأنبياء كرامتهم بعد الآباء الرسل مباشرة *"فوضع الله أناساً فى الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم .. " (اكو١٢: ٢٨)* وحمل الأنبياء راية الكرازة للأمم إلى أقصى المسكونة *" الذى فى أجيال آخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح " (اف٣: ٥)* ولم يقصد بولس الرسول بالأنبياء هنا أنبياء العهد القديم لأنه ذكر الرسل قبلهم ، ومع هذا فإن أنبياء العهد القديم قاموا برسالة خطيرة تمهد للملكوت ولذلك أشار إليهم سفر الرؤيا على أنهم أبواب الملكوت *" وكان لها (لأورشليم السمائية) اثنى عشر باباً وعلى الأبواب إثنا عشرة ملاكاً وإسماء مكتوبة على إسماء أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشرة " (رؤ٢١: ١٢)* .

ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية .. حجر الزاوية حجر ضخم قائم الزاوية يربط الجدارين معاً ، فالسيد المسيح له المجد هو الوحيد الذى استطاع أن يربط

الأمم واليهود معا ، فمنذ ميلاده أرسل ملائكته تبشر اليهود متمثلين فى الرعاة ، وأرسل نجمه يبشر الأمم متمثلين فى المجوس ، وما أجمل تعبير القديس اوغسطينوس " حقاً لقد وُلِد كحجر زاوية للاثنين " [٩] .. السيد المسيح هو الأساس وهو حجر الزاوية الذى تنبأ عنه داود النبي قائلاً " ***الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية*** " ***(مز١١٨ : ٢٢)*** كما جاءت النبوة على لسان اشعياء النبي " ***هكذا يقول السيد الرب هانذا أؤسّس فى صهيون حجراً حجر إمتحان حجر زاوية كريماً أساساً مؤسّساً . من آمن لايهرب*** " ***(اش٢٨ : ١٦)*** والرب يسوع فك ختوم العهد القديم و " ***قال لهم يسوع أم قرأتم قط فى الكتب . الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية*** " ***(مت٢١ : ٤٢)*** وأوضح بطرس الرسول لرؤساء اليهود أنهم هم البناؤون " ***هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البناؤون الذى صار رأس الزاوية .. وليس بأحد غيره الخلاص*** " ***(أع٤ : ١١، ١٢)*** وقال لأولاده " ***لذلك يتضمن أيضاً فى الكتاب هأنذا أضع فى صهيون حجر الزاوية مختاراً كريماً والذى يؤمن به لن يخزى*** " ***(١بط٢ : ٦)*** .

" الذى فيه كل البناء مركّباً معاً ينمو هيكلاً مقدّساً فى الرب " (٢١)

وهنا نجد **الوصف الرابع** لوضع الأمم فى كنيسة العهد الجديد فقد صاروا هيكلاً مقدساً ليس هيكلاً جامداً بلا حركة إنما هو هيكل حي يتحرك وينمو ، وغالباً أنه لاح أمام بولس هيكل أرطاميس العظيم فخر أهل أفسس (راجع التمهيد) ولكنه كان مجرد حجارة صماء بشكل مبنى ضخم فخم من الخارج ومن الداخل مملوء نجاسة ومسكن لكل روح نجس أما هيكل المسيح فهو مبنى من حجارة حيّة أى جماعة القديسين والله كائن بمجده فى وسطهم .

الذى فيه .. فالسيد المسيح هو الأساس الوحيد الذى يقوم عليه البناء كله ، وأيضاً هو حجر الزاوية الذى يربط المؤمنين معاً .

---

[٩] تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس – القمص تادرس يعقوب صـ٦٢ .

الذى فيه كل البناء مركَّباً معاً ينمو .. فجميع المؤمنين يترابطون معاً رغم إختلاف أجناسهم ولغاتهم ورغم إختلاف الأزمنة التى يعيشون فيها ورغم تفاوت حالتهم الإجتماعية والإقتصادية إلاَّ أن العامل المشترك الذى يربطهم جميعاً هو إيمانهم القويم بيسوع المسيح إبن الله الحي ، وجميعهم فى المسيح يُشكّلون جسده المقدس وهو رأس هذا الجسد ، ولذلك يعود معلمنا بولس فى الأصحاح الرابع ويقول "***ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرّأس المسيح . الذى منه كل الجسد مُركَّباً معاً ومُقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة " (أف٤: ١٥،١٦)*** .

فكل مؤمن له مكانه المناسب فى البناء ينمو مترابطاً مع إخوته ، وكل حجر حي مستقر على أحجارٍ ويحمل فوقه أحجاراً أخرى ، ومع هذا فإنه ينمو مع إخوته فينمو الهيكل كله ، ولكي يستقر فى مكانه لابد أن يكون متساوياً منحوتاً بدقة حتى لا يظهر منه بروز ولا نتوء ولا تجاوز بل يحتفظ بجمال منظره من الداخل والخارج وبذلك يساعد فى حفظ الجمال العام للهيكل ، وروح الله القدوس هو الذى يقوم دائماً بعملية التقويم هذه . أما المادة التى تربط الأحجار معاً فهى المحبة من قلب طاهر بشدة .

كل البناء مركَّباً معاً ينمو .. مثلما ينمو الجدار فى زمن بنائه فيعلو صفاً صفاً ومثلما ينمو البناء أثناء بنائه فيعلو دوراً فدوراً ، ومثلما تنمو الشجرة من نبتة صغيرة إلى شجرة عظيمة فى هدوء ، وهكذا الكنيسة تنمو وتمتد فى هدوء ***" وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم" (أع٦: ٧)*** وفى أفسس بعد أن أحرق السحرة كتب سحرهم يقول لوقا الطبيب " ***هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة " (أع١٩: ٢٠)*** وسيظل البناء ينمو مع كل نفس تعبر من بحر المعمودية إلى شط الحياة الأبديَّة حتى يكتمل البناء مع نهاية الزمان .

هيكلاً مقدساً فى الرب .. من الضرورى أن بولس الذى يضرب بجذوره فى

اليهودية وهو يتحدث عن الهيكل قد لاح أمام عينيه هيكل سليمان العظيم الذى تعلو أروقته القباب فيظهر بناءاً رائعاً من الخارج والداخل .. هذا الهيكل بنى فى هدوء لأن *" البيت فى بنائه بُنى حجارة صحيحة مُقتلعة ولم يسمع فى البيت عند بنائه منحَت ولا معول ولا أداة من حديد " (امل ٦: ٧)* فهو رمز لكنيسة العهد الجديد التى تبنى فى هدوء وبها تتغيَّر النفوس ويتغيَّر السلوك بدون إزعاج ولا ضجيج ، وهذا الهيكل الذى كان يحلُّ فيه الله بمجده هو رمز لكنيسة العهد الجديد *" فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله أنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً " (٢كو٦: ١٦)* .. فإن كنا يا أحبائى قد صرنا هيكلاً مقدساً فى الرب *" أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم " (١كو٣: ١٦) " أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم " (١كو٦: ١٩)* فأى سيرة يجب أن نسلك فيها ؟! .. لنتذكر أن هدف الله الأول والأخير من خلقتنا أن نصير هيكلاً مقدساً بعيداً عن كل نجاسة حتى نستحق أن نكون مسكناً للثالوث القدوس *" إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً " (يو١٤: ١٣)* .

" الذى فيه أنتم أيضاً مبنيُّون معاً مسكناً لله فى الرّوح " (٢٢) .

وهنا نأتى إلى الآية الأخيرة من هذا الأصحاح **والوصف الخامس** والأخير الذى يصف وضع الأمم فى كنيسة العهد الجديد ، فإنهم يشكلون مع اليهود المؤمنين مسكناً لله ، وفى هذه الآية يتجلى الثالوث القدوس :

١- الإبن " الذى فيه " ٢- الآب " لله " ٣- الروح القدس " فى الروح "

الذى فيه .. الأصحاح الثانى يدور كله حول عمل الآب معنا من خلال إبنه يسوع إذ :

١- أحيانا مع المسيح (ع٥) ٢-أجلسنا معه فى السماويَّات (ع٦)
٣-باللطف علينا فى المسيح يسوع(ع٧) ٤- مخلوقين فى المسيح يسوع (ع١٠)
٥-الآن فى المسيح (ع١٣) ٦- لأنه هو سلامنا (ع١٤)

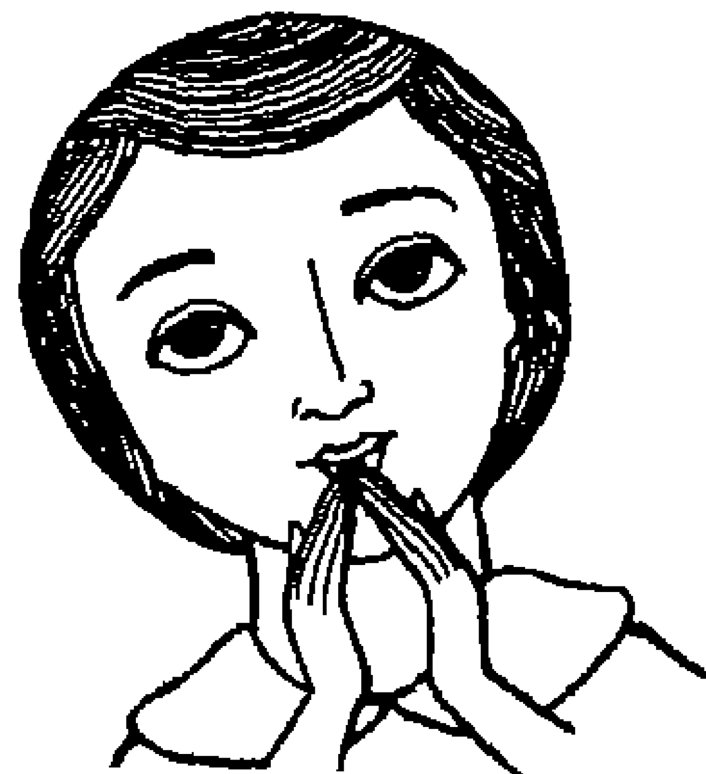
٧- لكي يخلق الاثنين فى نفسه(ع١٥) ٨- لأن بــه لنــا كلينا قدوما (ع١٨)
٩- الذى فيه كل البناء مركبا (ع٢١) ١٠-الذى فيه أنتم أيضاً مبنيُّون معاً (ع٢٢)

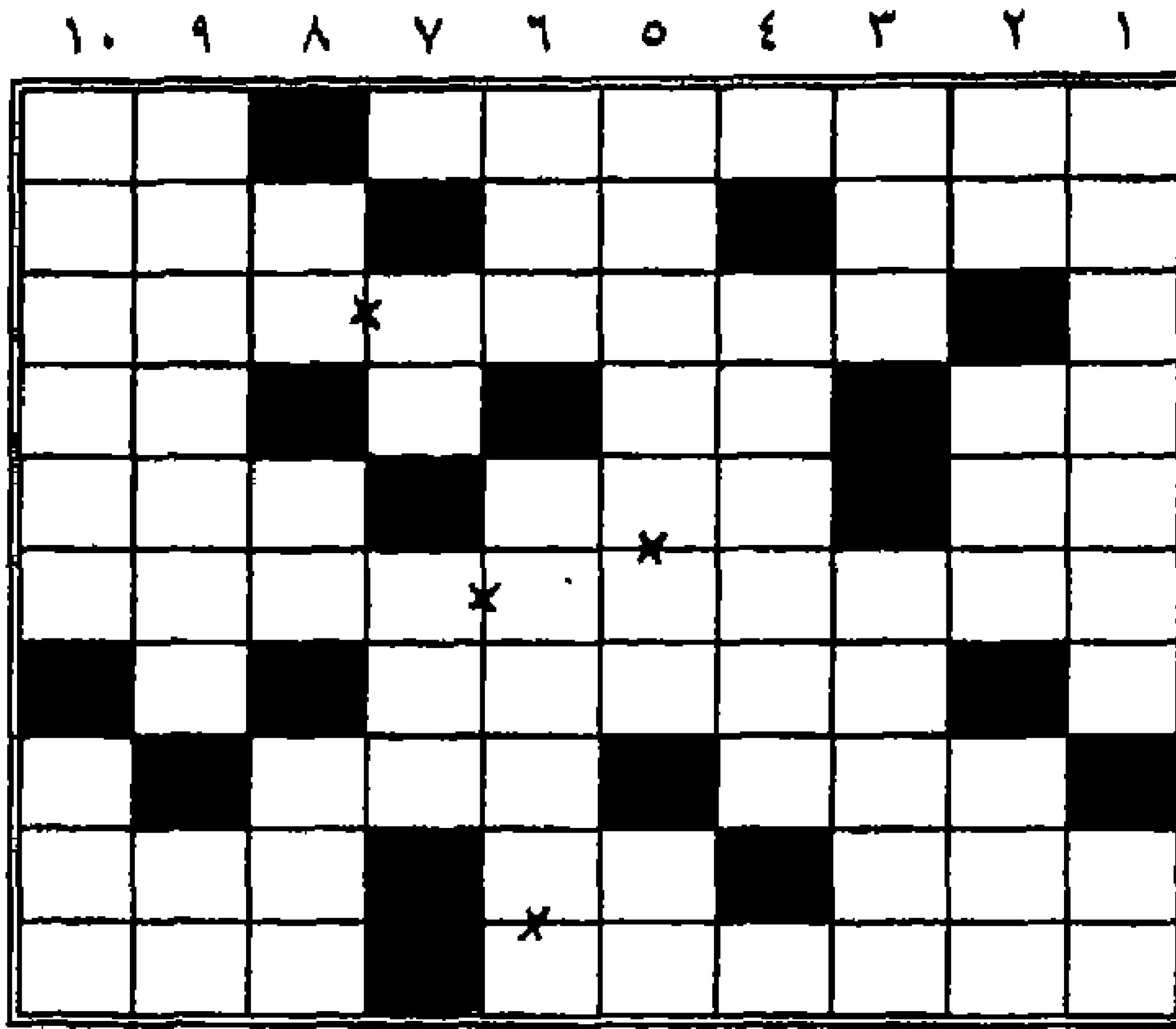
أنتم أيضاً مبنيُّون معاً .. يركز معلمنا بولس بالأكثر على وحدانيــة الـروح والبعد عن كل فردية وذاتيه وأنانية . لأنه " ***حيثما إجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي فهناك أكون فى وسطهم " (مت١٨: ٢٠)*** .

مسكناً لله .. مسكن دائم مستقر وليس خيمة متنقلة يسكن فيها الله ليكون وسـط شعبه .. مسكن لله تليق به القداسة " ***ببيتك تليق القداسة يــارب إلــى طـول الأيــام " (مز٩٣: ٥)*** .. مسكن لسكني الله فيه " ***أنى قد بنيت لك بيت سكنى مكاناً لسكناك إلـى الآن " (١مل٨: ١٣)*** .

مسكناً لله فى الروح .. فالكنيسة تُبنىَ على الإيمان الصحيح بألوهيــة السـيد المسيح وذلك بفعل الروح القدس الذى يحفظ للكنيسة إيمانها النقى ، والروح القـدس هو الذى يهئ القلوب لقبول الإيمان وهو الذى يُقدّسها ويطـــهرها ويزينــها لكيمــا نصلح أن تكون مسكناً مقدساً للثالوث القدوس .

وإن كانت بداية هذا الأصحاح صعبة للغاية تصف حالتنا السابقة حيث كنا أمواتاً بالموت والخطايا أبناء للغضب بدون مسيح وبلا إله ، ولكننا نشكر الله لأنه مع نهايــة الأصحاح كشف لنا بولس الحكيم عن وضعنا العظيم فى كنيسة العهد الجديد إذ نحــن رعية مع القديسين ضمن عائلة الله بل بناءاً عظيماً بل هيكلاً مقدساً بل مسكناً دائمــاً لسكني الثالوث القدوس فينا ، فكم نشكــر الله على عطايــاه التى لا يعــبر عنها ؟!!





السؤال الأول : كلمات متقاطعة

الكلمات الرأسية :

١- رئيس سلطان الهواء – أحد الوالدين (معكوسة) .

٢- يخبر بالإنجليزية (معكوسة) –أطاع (معكوسة) – ترشد .

٣- يستخدم فى الحياكة – تمارس فى الكنيسة على مدار السنة (مبعثرة) .

٤- قتل به الله العداوة .

٥- كنا بالطبيعة أبناء ...... – للنداء – من الضمائر .

٦- والد داود النبي – من البحيرات (مبعثرة) .

٧- من الضمائر – تجدها فى يخونه .

٨- مادة قاتلة (معكوسة) – الاختيار – يحدث للإنسان من الحمل الثقيل .

٩- يعمل فيهم رئيس سلطان الهواء (أبناء .....) – ضجيج .

١٠- بها نحن مخلصون – رجاء .

الكلمات الأفقية :

١- الذنوب – متشابهان .

٢- للتمنى (مبعثرة) – مرض رئوى (معكوسة) – ضجر .

٣- شرير قاسي – دهن .

٤- متشابهان – تاه (معكوسة) – متشابهان .

٥- من العلوم – إحتمال – لا يسمع .

٦- تصالح به الاثنين من الله – من أسماء الله (مبعثرة) .

٧- أنارتياس بالعربية (معكوسة) .

٨-رجع عن خطاياه – عكس ضعيف (معكوسة) .

٩- من سكان الصحراء – متشابهان- من نتائج السقوط (معكوسة) .

١٠- حجر الزاوية – عكس نجاح .

****

السؤال الثاني : اختر الإجابات الصحيحة من بين الأقواس :

١- شبه بولس الرسول الكنيسة (بالإنجيل – بالهيكل المقدس- بهيكل سليمان) .

٢- يقصد بولس الرسول بأنتم ونحن (أهل أفسس وكولوسي – الأمم واليهود – التابعين لبولس وأبولس) .

٣- رئيس سلطان الهواء (والى أفسس – نيرون – الشيطان) .

٤- أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات (الروح القدس- المسيح – الآب) .

٥- ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد (أعمال الروح – أعمال الإنسان المسيحي – أعمال الناموس) .

٦- حجر الزاوية (بولس الرسول – جميع الرسل – يسوع المسيح) .

****

السؤال الثالث : قارن بين حال الإنسان المسيحي والإنسان الذى لم يعرف المسيح بعد مسترشداً بالآيات(١١-١٨)



الأصحاح الثالث

فى الأصحاح الأول كشف لنا معلمنا بولس عن قصد الله الأزلي من خلقة الإنسان ورفع صلاته الأولى ليمنحنا الله روح الحكمة والإعلان لتستنير عيون قلوبنا فندرك قصد الله الآب الأزلي وما عمله مع الإبن المتجسد لأجلنا إذ أقامهُ من الأموات وأجلسهُ عن يمينه فى السماويات فوق كل رياسة وسلطان وأخضع كل شئ تحت قدميه .

وفى للأصحاح الثاني كشف لنا بولس الرسول عما فعله الآب من أجلنا إذ أحيانا وأقامنا وأجلسنا معه فى السماويَّات ومنحنا الرجاء والسلام ، ووحَّد بين اليهود وبيننا نحن الأمم فى إنسان واحد صالحه مع الله ، فأصبحنا رعَّية مع القديسين وأهل بيت الله وهيكلاً مقدساً ومسكناً لله فى الروح القدس .

وفى هذا الأصحاح يقدم بولس الرسول تقريراً عن خدمته كإناء مختار وكاروز الأمم فيشير إلى آلامه التى يتحملها من أجل كرازته للأمم وإعلان سرَّ الله باختيارهم شركاء فى الميراث . لقد كان هذا السر مكتوماً منذ الدهور ليس عن الأرضيين فقط بل عن السمائيّين أيضاً . ثم يطلب بولس الرسول من أولاده أن يثبتوا فى الإيمان ولا يهتزوا بسبب سجنه وآلامه لأن هذا إكليل مجد له وفخار لهم (١-٣) ثم يحنى بولس الرسول ركبتيه ويصلى الصلاة الثانية التى ينهى بها القسم التعليمي طالباً من أجل أولاده لكيما يؤيدهم الله بقوة الروح القدس ويحل المسيح بالإيمان فى قلوبهم فيتأصّلوا ويتأسَّسوا فى المحبة ويعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة (١٤-١٩) ويختم صلاته بتمجيد إسم الله القادر والعامل فى كنيسته(٢٠،٢١)

ويمكن تقسيم الأصحاح الثالث كالتالى :

أولاً : إعلان السر (١-١٣) .

ثانياً : صلاة وتضرع (١٤-١٩) .

ثالثاً : تمجيد إسم الله (٢٠،٢١) .

أولاً : إعلان السر (١-١٣)

" ١ بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم ٢ إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم ٣ أنهُ بإعلانٍ عرَّفني بالسرّ ٤ كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز ٥ الذى بحسبهِ حينما تقرأونهُ تقدرون أن تفهموا درايتي بسرّ المسيح ٦ الذى في أجيالٍ أخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح ٧ أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل ٨ الذى صرتُ أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوّته ٩ لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يُستقصىَ وأُنيرَ الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح ١٠ لكى يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويّات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوّعة ١١ حسب قصد الدهور الذى صنعهُ فى المسيح يسوع ربنا ١٢ الذى بهِ لنا جراءةٌ وقدومٌ بإيمانهِ عن ثقة ١٣ لذلك أطلب أن لا تكلُّوا فى شدائدى لأجلكم التى هى مجدكم " (١-١٣)

فى هذه الفقرة كان الرسول على وشك أن يقدم صلاته من أجلهم فقال " بسبب هذا أنا بولس .. " ثم دخل فى جملة اعتراضية طويلة تشمل الآيات (٢-١٣) ثم دخل فى صلاته فى الآية (١٤) " أحنى ركبتيَّ لدى أبى ربنا يسوع المسيح .. " وهذه الجملة الإعتراضية تبدأ برسم صورة بولس الاسير وتنتهى بآية ترسم لنا صورة بولس فى شدائدهُ ، وخلال هذه الجملة الطويلة يخبرنا بولس الرسول عن سبب أسرهُ وهو كرازته للأمم (ع١) وإن هذه الكرازة هى هبة الله له (ع٢) الذى عرّفه بسرّ قبول الأمم فى الإيمان (ع٣) وأن أهل أفسس ليدركوا جيداً دراية بولس الرسول بسر المسيح (ع٤) هذا السرُّ الذى لم يعرفه إنسان من قبل ولكن الله أعلنه عقب التجسد لرسله وأنبيائه فى العهد الجديد (ع٥) فإن الأمم صاروا شركاء فى كل شئ (ع٦) وصار بولس خادماً لإعلان هذا السر (ع٧) الذى منحه الله له وهو يشعر أنه أصغر جميع القديسين ليبشر بغنى المسيح (ع٨) لينيرهم بخدمة الإنجيل (ع٩) فيرى الأرضيون والسمائيون قبول الله للأمم (ع١٠) حسب قصده الأزلى

الذى حقّقه فى المسيح يسوع (ع١١) حتى أصبح لليهود والأمم الجراءة للتقدم إلـى الحضرة الإلهيَّة (ع١٢) وأخيراً يطلب بولس الرسول من أولاده أن لا يكلّوا بسـبب الشدائد التى يجوز فيها (ع١٣) .

وفى هذه الفقرة نلتقى مع ثمان صور متباينة تكشف كل منها عن جانب مـن جوانب عظمة كاروز الأمم فنراه :

١- أسـير يسوع المسيـح (ع١)	٥- أصغر جميع القديسين (ع٨)
٢- الإنـاء المختـار (ع٢)	٦- المبشر بغنى المسـيح (ع٨)
٣- المطلع على سر المسيح(ع٣-٦)	٧- حـامـل الـنـور (ع٩)
٤- الخـادم الأمـين (ع٧)	٨- مُشـجـع النفـوس (١٣)

" بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم " (١)

بسبب هذا أنا بولس أسير .. بسبب ما أعلنه الله أي من جهـة قبولكـم فـى الإيمان ، وبسبب بشارتى لكم قامت أمتى عليَّ إذ حصرونى وأنـا فـى أورشـليم وشرعوا فى قتلى ولكن الله أنقذنى من شرهم بواسطة الأمير كلوديـوس ليسـياس الذى اختطفنى منهم ، فلم يكتفوا بهذا بل دبَّروا مكيدة وامتنعوا عن الطعـام حتـى يسفكوا دمي ، ولكن الله كشف مؤامرتهم وأرسلنى الأمير ليسياس ليلاً إلى الوالـي فيلكس فى قيصرية ، ولم يكتفوا بهذا أيضاً بل حـاولوا مـع الوالـى فسـتوس أن يُحضرني إلى أورشليم وفى الطريق يكمنون لي ويقضون عليَّ وقد وافقهم الوالـى على هذا ، فرفعت دعواى إلي قيصر ، وفى سفرى إلى رومـا عـاينت وعـانيت أهوال البحر حتى تحطَّمت السفينة ولكن الله انقذني ومن معى ، وهكذا وصلتُ أنـا بولس إلى روما أسير فى سلاسل من أجلكم أيها الأمم .

أنا بولس .. تعود معلمنا بولس الرسول أن يذكر إسمه فـى بدايـة الرسـالة ويذكره أيضاً أو يذكر ما ينُم عن شخصيته فى ثنايا الرسالـة تأكيداً لصحتها " *أنـا*

نفسي بولس " (٢كو١٠: ١) " أنا بولس " (غل٥: ٢، كو١: ٢٣، ١تس٢: ١٨ ، فل٩) وقد ذكر بولس الرسول كلمة " أنا " فى هذه الرسالة أربع مرات (١: ١٥،٣: ١، ٤: ١ ، ٥: ٣٢) ليس من قبيل الأنا لكن من قبيل الاعتزاز برسالته والفرح بالآلام التى يجوز فيها كضريبة لدخول الأمم للإيمان وربح النفوس للملكوت .

بسبب هذا أنا بولس أسير يسوع المسيح .. كان بولس أسيراً لمحبته المسيح منذ اللحظة التى قال فيها *" يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ " (اع٩: ٦)* وكان شعاره دائماً *" أن محبة المسيح تحصرنا " (٢كو٥: ١٤)* ، ومحبة المسيح التى أسرته قادته إلى أسر روما ، والسلسلة تطوق معصمه والطرف الآخر منها يطوق معصم الجندى الروماني ، ورنين السلسلة يسأله : لماذا أنت هنا يا بولس ؟!

ولِمَ أنت مُكبّل هكذا ؟!

فتأتى الإجابة من الأعماق : أنا هنا من أجل إتمام مقاصد سيدى يسوع المسيح الذى يريد أن الجميع يخلصون. لقد قال لي *" اذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً " (اع٢٢: ٢١)*.. أنا هنا من أجل رجاء الأمم البعيدين لكيما يصيروا قريبين هيكلاً مقدساً لله .. أنا هنا من أجل تمسكي بصليب الكرازة .. أنا هنا أسير وراء سيدى أسلكُ ذات الدرب الذى سلكه *" فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطى الوالي" (مت٢٧: ٢)* .. هناك أسرى كثيرين فى روما ولكل أسير قضيته أما أنا فإنى الوحيد أسير يسوع المسيح ربي وإلهي ومخلصي ، وإن كان البعض يظن أننى أسير بأمر الوالي الرومانى ، ولكن الحقيقة أننى فى الأصل أسير اليد التى تُسيّر وتُصيّر الإمبراطورية الرومانية بأكملها ولهذا فإنى مسرور بأسرى .. حقاً أنه بسبب نظرتنا للأمور تكون راحتنا أو شقاؤنا ، وهنا يسمع بولس المبارك رنين السلسلة يتسأل أيضاً :

أنا لا أفهم .. إن كان سيدك يحبك فلماذا ألقى بك فى قبضتى المرة ؟!

فيهمس بولس قائلاً :

يا سلسلتي العزيزة أن الناس يرون فيك شراً أما أنا فأرى فيك الخير كل الخير .. أن الأسر من أجل المسيح لهو أفضل من قصور الملوك ، والقيود من أجل إلهي لهي أبهي من كل زينة بشرية ..

مباركة أنت أيتها السلاسل لأنه فيك ارى صليب المسيا ..

مباركة أنت أيتها القيود لأنك تحملين ثمراً متكاثرةً " *إبنى أنسيمس الذى ولدته فى قيودى* " *(فل١٠)* .

مباركة أنت أيتها السلاسل لأنه بك صرتُ سفيراً لسيدى المسيح " *الذى لأجله أنا سفير فى السلاسل . لكى أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم* " *(أف٦: ٢٠)* .

مباركة أنت أيتها السلاسل لأنه فيك أرى الوسيلة لإنتشار الإنجيل " *ثم أريد أن تعلموا أيها الأخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل* " *(في١: ١٣)* .

مباركة أنت أيتها السلاسل لأنك بعثت روح الشجاعة والإقدام فى الكارزين بإسمه القدوس " *وأكثر الأخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف* " *(في١: ١٤)* .

مباركة أنت أيتها السلاسل لأنك أنت موضع فخري " *لنتكلم بسر المسيح الذى من أجله أنا مُوثق أيضاً .. أذكروا وثقي* " *(كو٤: ٣، ١٨)* .

مباركة أنت أيتها السلاسل لأنه بك تصير لي دالة أكبر لدى أولادى " *فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها* " *(أف٤: ١)* وهنا صاحت السلاسل :

مبارك أنت يا كاروز الأمم ولسان العطر ..

تباركت وأنا بك بعد أن تنجستُ كثيراً بايدي الآثمة واللصوص والأشرار .. لقد صرتُ طاهرة بطهارتك ، وبعد أن عانيت التعاسة والكآبة مع الآخرين فمعك أشعر بالفرح والسعادة والنصرة .. أننى إسمع كلمات النعمة تفيض من شفتيك تحملها رسائلك عبر القارات وعبر القرون والأزمان .. أننى أرى الإيمان ينتشر ويدخل إلى بيت قيصر .. أنني رأيتُ رؤى العيان زوجة نيرون تقبل إليك مكبّلة

بقيود الوثنية وإذ بك أيها المُكبَّل بقيودى تحل قيودها وترسلها حـرة طليقـة إلـى السماء مكلّلة بإكليل الشهادة ترفل فى ثوب مزخرف رائع مغموس بالدم ..

حقاً أن سجن روما تبارك بك يا سيدى أسير يسوع المسيح رب الكل . لابـد أن الأجيال القادمة ستكرّمنى وتقبلّنى لأنى تباركتُ بك وصادقتك زمن هذا مقداره.

لأجلكم أيها الأمم .. همس بولس فى أذن أولاده : من أجلكم يا ولادى صُلـب سيدى على صليب العار فوق جبل الجلجثة بأورشليم ، ومن أجلكم أنا أسير ، وفـى طريق الموت أسير بإرادتى .. انظروا أية محبة أحبكم بها سيدى ، وأيـة محبـة وضعها سيدى فى قلبى تجاهكم ؟! مكثت سنتين فى سجن قيصريـة ، وهـا هنـا قاربت السنتين موثق بالسلاسل من أجلكم ، فمن بذلي لأجلكم تدركون عظم محبـة المسيح لكم .

" **إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم** " (٢)

إن كنتم قد سمعتم .. بالنسبة للأمم الذين لم يروا وجهه بالجسد فإنه يقول لـهم " إن كنتم قد سمعتم .. " من الذين بشروكم . أما بالنسبة لأهل أفسس الذين عـاش الرسول بينهم ثلاث سنين وعرفوه فإنه يقول لهم " ما دمتم قد سمعتم .. " .

بتدبير نعمة الله المعطاة لي .. كلمة " تدبير " فى الأصل اليوناني مأخوذة مـن تدبير شئون المنزل أو شئون الوكالة . ثم أصبحت هذه الكلمة كلمة كنسيَّة فـالتدبير الروحي هو الخاص بتدبير الحياة الروحيَّة ، والايغومينوس أى القمص هو المديـر والأسقف هو الذى يدبر شئون الأسقفية .. أن أكثر شخص خصَّه الله وأعلـن لـه سرّه بقبول الأمم هو بولس كاروز الأمم ، وقد أدرك بولس هذه العطية منذ لقائـه بالمسيح يسوع فى طريق دمشق ، وصرح بهذه الرسالة المُكلَّف بها وهذه الوكالـة المُؤتَمن عليها عدَّة مرات سواء وهو يحكى قصة الظهور العجيب أو مـن خـلال رسائله لأولاده فيقول لأهل رومية " ***لأجل إسمه قبلنا نعمةً ورسالةً لإطاعة الإيمان فى***

جميع الأمم " (رو١: ٥) ولأهل غلاطية ***"لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمي ودعاني بنعمته . أن يعلن إبنه في لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحماً ودماً " (غل١: ١٥،١٦) .***

بتدبير نعمة الله المعطاة لي .. إن كان تدبير النعمة يستخدم دائما للتعبير عن محبة الله العظيمة التى تخلص الخطاة فإن معلمنا بولس يستخدمها هنا للإشارة إلى نعمة الله التى افتقدته . نعمة الله الحكيمة هى التى حوَّلت شاول الطرسوسي أكثر معاند لإسمه القدوس وأكبر مضطهد لأولاده إلى بولس الأسير من أجل إسمه .. حقا أن رابح النفوس حكيم والمُدبِّر حسنا هو الذى يحول العدو إلى صديق عندما يقابل الشر بالخير أما الجاهل فإنه يحول الصديق إلى عدو .. نعمة الله هى التى إختصت بولس الرسول بالكرازة للأمم ، فهذه الكرازة هى منحة وهبة وعطية إلهية لبولس الرسول ، وأيضا الإنجيل الذى بشر به بولس هو هبة وعطية ونعمة إلهية للأمم ليعودوا من سلطان الشيطان لله ، وبولس الرسول لا يذكر هذا على سبيل التفاخر والكبرياء ، ولكنه يشعر بالمسئولية إذ هو يمثل القناة التى تنساب منها النعمة الإلهيَّة للأمم ***"لي أنا أصغر جميع الرسل أُعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح " (أف٣: ٨) .***

بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم .. يؤكد بولس الرسول على توضيح وظيفته وعمله فهو مرسل بالبشارة من قبل الله مباشرة لأجل الأمم كما سيوضح هذا فى الآية القادمة ، وبالتالى فإن كلامه يكتسب قوة المُرسِل أى الله ، فالعمل عمله والكرم كرمه ، وهو قد أفاض من قوته ومواهبه على عبده بولس ليكرز للأمم ، وكان بولس أمينا فتفاضلت معه نعمة الله كثيرا كثيرا ، وهكذا الوزنات التى يأتمنا الله عليها لأجل بنياننا وبنيان الآخرين كلما تاجرنا فيها كلما عمقت النعمة مجاريها فى النفس وفاضت بغزارة أكثر فى حياتنا ***" النفس السخية تسمن والمروى هو أيضا يُروى " (أم ١١: ٢٥) .***

" أنهُ بإعلان عرَّفني بالسرّ كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز . الذى بحسبهِ حينما تقرأُونهُ تقدرون أن تفهموا درايتي بسرّ المسيح " (٣،٤)

أنهُ بإعلان عرَّفنى بالسرّ .. لقد أشار لهذا السر الرب يسوع عندما قال *" لـى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً لتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراع واحد " (يو١٠: ١٦)* ولكى يؤيد الرب يسوع قصده الإلهي هذا كانت رؤيا بطرس الرسول (اع١٠: ٩-٤٧) .. لقد كان سرٌّ فتح بـاب الإيمـان علـى مصراعيه للأمم سرَّاً عجيباً مدهشاً ، ولم يكن هذا أمراً سهلاً ومقبولاً لـدى رجـل يهودى متعصب يبغض الأمم بشدة مثل شاول الطرسوسي الذى يبغض كل ما هـو أممي . لقد كان أمراً يفوق مستوى شاول اليهودى المتعصب ، ولذلك أحتاج إلـى إعلان سماوي قوى لتغيير فكره فكان اللقاء مع النور الإلهى وخرَّ بولـس سـاقطاً على الأرض لا يبصر بينما الله يُعلن له هذا السر الخطير " .. *الأمم الذين أنا أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان فى غفران الخطايا ونصيباً مـع القديسـين " (اع٢٦: ١٧، ١٨)* فأطـاع وذهب وكرز للأمم مُعلناً لهم أنه تسلَّم الإنجيل ليس من إنسان بـل مـن الله ذاتـه *" وأعرّفكم أيها الأخوة الإنجيل الذى بشَّـرتُ به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا عُلّمته (من إنسان) بل بإعلان يسوع المسيـح " (غل١: ١١، ١٢)* ثـم صعد إلى أورشليم ليعرض هذا الإنجيل على الآباء الرسل لئلا يكـون قـد سـعى باطلاً " *إنما صعدت (إلى أورشليم) بموجب إعلان وعرضت عليهم (الآبـاء الرسـل) الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم .. " (غل٢:٢)* وفى أورشليم تكرَّر الإعـلان ثانيـة *" وحدث لي بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل أنى حصلت فى غيبـة . فرأيته قائلاً لي أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم .. أذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً " (اع٢٢: ١٧-٢١) .*

أنه بإعلان عرَّفنى بالسرّ .. لم يكن بولس غريباً عـن الإعلانـات السـمائية *" فإنى آتـى إلـى مناظـر الله وإعلاناته . أعرف إنساناً .. ولئلاً أرتفع بفرط الإعلانات*

أعطيت شوكة في الجسد .. " (٢كو١٢: ١-٧) ولذلك لم يهتم بشرح كيفية وصول الإعلان له ولكنه ركَّز على مضمون الإعلان وهو قبول الأمم في الإيمان ، وأيضاً بولس في اتضاعه ينسب هذه الإعلانات لنعمة الله " عرّفني " .

كما سبقت فكتبت بالإيجاز الذى بحسبهِ حينما تقرأونهُ .. كتب بولس الرسول بإيجاز لأن الموضوع يخص شخصه وخدمته ، وقد كتب بإيجاز أيضاً لأهل كورنثوس عندما شعر بعدم قدرتهم على الإستيعاب الروحي *"سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون " (١كو٣: ٢)* عندما تقرأون كلامي الذى سبقت وكتبته بإيجاز في هذه الرسالة تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح الذى أعلنه الله لي ، وكلام الإنسان خير شاهد له أو عليه كقول الرب يسوع *" بكلامك تتبرَّر وبكلامك تدان " (مت١٢: ٣٧)* .

حينما تقرأونهُ تقدرون أن تفهموا درايتي بسرّ المسيح .. " درايتي " في الأصل اليوناني تعني المعرفة ، وهنا لا يتفاخر بولس الرسول بأنه قد جاز هذه المعرفة العظيمة ولكنه يرمي إلى كسب ثقتهم ، فيصدقون أقواله التى تعلن إرادة الله في دعوتهم للخلاص ، ولم يدَّعى بولس الرسول أنه هو مصدر هذه المعرفة ولم ينسب هذه الدراية لإجتهاده الشخصي وملكاته الخاصة إنما نسبها إلى نعمة الله التى أعلنت له *" إذ عرّفنا بسرّ مشيئته .. ليجمع كل شئ في المسيح " (أف١: ٩، ١٠).*

تفهمون درايتي بسرّ المسيح .. سرُّ المسيح هو سرُّ الإنجيل " لأُعلم جهاراً بسرّ الإنجيل " (أف٦: ١٩) ، فيقول بولس الرسول لأولاده لأنكم استنرتم بنور المسيح لذلك يمكنكم أن تفهموا وتدركوا الأمور الروحيَّة أما الآخرون فمثل هذه الأمور تعتبر بالنسبة لهم طلاسم ، وسرُّ المسيح يشمل :

أ- إشتراك الأمم مع اليهود في الميراث . والجسد والموعد في المسيح بالإنجيل (أف٣: ٦) .

ب- أن المسيح في الأمم رجاء المجد *"ما هو غنى مجد هذا السرّ في الأمم الذى هو المسيح فيكم رجاء المجد " (كو١: ٢٧)* أى أن المسيح عندما يسكن في قلوبكم

يهبكم الرجاء فى المجد الأبدي .

وكلا الأمرين لم تقبله العقلية اليهودية ، ولكن إعلانــات الله لبولــس غــيرَّت عقليته اليهوديَّة إلى العقلية المسيحيَّة .

" الذى في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديســين وأنبيائه بالروح " (٥)

المسيح الذى فى أجيال أُخر لم يعرف به بنو البشر كما قد أعلنه الآن .. قبــل رؤيا بطرس ولقاء شاول مع المسيح لم يكن هناك من يدرك سرَّ المسيح ومشــيئته فى قبول الأمم .. لقد جاء فى العهد القديم نبــوات ورمــوز ولمســات ولمحــات وإشارات لدخول الأمم للإيمان مثل وعد الله لإبراهيم بأن فيه تتبارك جميع الأمــم *" والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرّر الأمم سبق فبشر إبراهيم أن فيــه تتبــارك جميع الأمم " (غل٣: ٨)* ولهذا الوعد ردَّ بولــس الرســول علــى المتــهوّدين فــى غلاطيــة ، ولكن فى الحقيقة لا توجد نبوة واحدة تحدثنــا صراحــة بــأن الأمــم سيكونوا على قدمٍ وساقٍ مع اليهود فى دخول حظيرة الإيمان . بل هذا السر كــان مكتوماً لم يعرفه أحد من البشر لا من اليهود ولا من غيرهم بل ولا الملائكــة ولا رؤساء الملائكة .

أما الآن فقد صار ظاهراً لقديسيه *" السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال لكنــه الآن قد أُظهر لقديسيه " (كو١: ٢٦)* [راجع تفسير رسالة كولوسي صــــ٧١،٧٢] السرُّ المكتوم ظهر الآن وعلِمت به الأمم عن طريق بشارة كاروز الأمم *" للقــادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذى كان مكتوماً فــى الأزمنة الأزليَّة . ولكن ظهر الآن وأُعلم به جميع الأمــم " (رو١٦: ٢٥،٢٦)* والله لــم يختار الأمم كشعوب بديلــة للشعب اليهودي الذى رفضه ، ولكنه إختارهم لأنــهم فى خطة الخلاص منذ الأزل .

لم يُعرّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه .. هنــاك

نبوات وردت عن قبول الأمم على لسان بعض الأنبياء مثل أشعياء وملاخى وسمعان الشيخ وغيرهم ، ولكن أحد من هؤلاء الأنبياء لم يتصوَّر دخول الأمم بهذه الكيفية وهذه القوة لكيما يكونوا مع اليهود شعباً واحداً وهيكلاً مقدساً لله حتى أن بطرس الرسول وهو فى غيبوبة النوم أعلن رفضه لهذا القبول الإلهي للأمم قائلاً *" كلا يارب " (أع١٠: ١٤)* والآباء الرسل أعلنوا رفضهم لهذا القبول فخاصموا بطرس الذى دخل بيت كرنيليوس وقبله فى الإيمان حتى قصَّ عليهم بطرس قصة الرؤيا السمائية التى تعلن المشيئة الإلهيَّة والسر المكتوم منذ الدهور وأُكمل قائلاً *" فلما ابتدأت أتكلم حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً فى البداءة .. كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية .. فمن أنا أقادر أن أمنع الله ؟ " (أع١١: ١٥-١٧)* وكان هذا أمراً سائداً بين جميع اليهود *"فقال (بطرس) لهم أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد اجنبي أو يأتى إليه . وأما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس " (أع١٠: ٢٨)* واليهود أصغوا لبولس الرسول حتى صرَّح لهم بقبول الله للأمم فهاج عليه المتظاهرون صارخين فى وجه الوالى *" خذ مثل هذا من الأرض لأنه كان لايجوز أن يعيش " (أع٢٢: ٢٢)* .

كما قد أعلن الآن لرسله وأنبيائه .. قال البعض أنه ليس من المعقول أن بولس وهو رسول يقول عن الرسل أنهم قديسون ولذلك فالكاتب ليس هو بولس ، ولكن إن كان بولس الرسول دعى المؤمنين العاديّين مثل أهل أفسس وغيرهم بالقديسين أفلا يدعو الآباء الرسل المُكرَسين والمُرسَلين للخدمة بيد الرب يسوع قديسين لأنه واحد منهم ؟! وأيضاً المقصود بالأنبياء هنا هم أنبياء العهد الجديد كما رأينا من قبل فى تفسير الآية (٢: ٢٠) من نفس الرسالة .

لرسله القديسين وأنبيائه بالروح .. بالروح هنا لها معنيان :

١- أن الإعلان تم بواسطة الروح القدس فيكون المعنى " قد أُعلِن بالروح (القدس) الآن لرسله القديسين *" فالروح القدس هو مصدر الوحى والإلهام وهو روح الإعلان "روح الحكمة والإعلان " (أف١: ١٧)* وبذلك نجد إشارة لطيفة إلى

تساوى الأقانيم الثلاثة فى الإعلان للإنسان ، فتارة ينسب الإعــلان لله الآب (٣:٣) ، وتــارة أخرى ينسب الإعلان للابن " *بل بـإعلان يسـوع المسـيح* " *(غل١: ١٢)* ، وهنا ينسب الإعلان للروح القدس .

٢- أن الرسل والأنبياء وهم يتلقون هذا الإعلان كانوا بالروح أو فى الروح أو فــى دائرة الروح .

" أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل " (٦)

أن الأمم شركاء فى الميراث .. هل كــان مــن الممكــن أن يــدرك شــاول الطرسوسي أن الشعوب الوثنية لهم نصيب فى " *شركة ميراث القديسين فى النــور* " *(كو١: ١٢)* قبل أن يشرق عليه النور الإلهي ويُعلن له سر المسيح ؟!

وهل كان من الممكن أن يقبل المسيحيون الذين من أصــل يـهودي إبطــال فرائض الناموس ولا سيما الختان الذى يرتفعون به إلى عنان السماء ؟!

أن شركتنا نحن الأمم فى ميراث القديسين فهو عطية فوق الوصف والتصوُّر .. تصوَّر مثلاً يا صديقي عداء المصريين لشعب الله فى القديم وكم صنعوا بهم ، وفى المقابل تصوَّر عظم محبة الله لنا نحن المصريين وما إختصنا بــه مــن بركــات عظيمة .

أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده .. فى هذه الآية يظـــهر نصيبنا نحن الأمم فى الثالوث القدوس إذ صرنا :

١- **شركاء فى الميراث** .. والميراث الأعظم هو الله الآب الذى تبنانــا " *إذاً لسـت بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث الله (الآب) بالمسيح* " *(غل٤: ٧)* " *فإن كنــا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح* " *(رو٨: ١٧)* .

٢- **شركاء فى الجسد** ..الجسد هو جسد المسيح الذى به تمَّــم الصلــح بيــن اليــهود وبيننا نحن الأمم ، فخلق الإثنين جسداً واحداً مصالحاً إياه مع أبيه(أف٢: ١٥،١٦)

الجسد هو جسد المسيح الذى احتوانا جميعاً كأعضاء فيه ، فنحن قبلنا العضوية من المسيح رأس الجسد وليس من الأعضاء الآخرين ، وصرنا كأغصان نرتشف العصارة من الأصل وليس من الأغصان الأخرى .

٣- **شركاء فى نوال موعده** .. أى موعد الآب أى الروح القدس " أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب " (أع١: ٤) فبعد إن كنا غرباءاً عن عهود الموعد (أف٢: ١٢) صرنا شركاءاً فى وعد الحياة والخلاص (٢تي١:١) .

ونوال موعده فى المسيح بالإنجيل .. المسيح هو الغاية ، والإنجيل هو الوسيلة التى تُعلن لنا نور المسيح ، والآباء الرسل هم حمَلة الإناجيل "***لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل" (اكو٤: ١٥)*** وكل الأمور السابقة لم يكن من الممكن أن ندركها لو لم يعلنها الإنجيل لنا ، وبدون الإنجيل يستحيل على أى إنسان أن ينال البركات السابقة فى شركة الميراث والجسد والموعد .

" الذى صرتُ أنا خادماً له حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي حسب فعل قوّته " (٧)

الآيات (٧-١١) تبرز عظمة التبشير بالإنجيل ، فهو عطية ونعمة عظيمة يهبها الله للكارزين بإسمه ، وقد شعر بولس الرسول أن الله قد ميَّزه بهذه البركة ***" وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوّانى أنه حسبنى أميناً إذ جعلنى للخدمة أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً " (اتي١: ١٢، ١٣)*** فالرب يسوع خصَّ بولس بهذه الخدمة ، وبولس أوقف كل حركاته وسكناته من أجل هذه الخدمة وهو يشعر أن الذى يسنده فى هذه الخدمة هو :

أ- موهبة الله المعطاة له . ب- فعل قوة الله معه .

الذى صرتُ أنا خاماً له .. كلمة " صرتُ " تحكى لنا قصة صراع رهيبة بين النور والظلمة جرت بين الله والشيطان علي شاول الطرسوسي .. لقد إنتصر النور

وتحول شاول مضطهد الكنيسة ومقاوم الإنجيل إلى بولس الأسير فى سلاسل من أجل خدمة الإنجيل . أما كلمة " خادماً " فى الأصل اليوناني " دياكونيس " Diakones أى شماساً ، فهو شماس وكاهن وأسقف ورسول يجمع كل هذه الرتب في شخصه " *حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس " (رو١٥: ١٦)* وإن كان بولس ثالث عشر الرسل يدعو نفسه شماساً فإن هذا يشرف رتبة الشموسية ويوقظ ضميرنا كشمامسة لخدمة الإنجيل .

حسب موهبة نعمة الله المعطاة لي .. لم يدخل بولس مجال الخدمة نظراً لمواهبه وإمكاناته وكفاءته الشخصية ولكن بحسب الموهبة التى وهبها الله إياها ، ولم يصر خادماً للإنجيل من ذاته لكن نعمة الله هى التى إختارته لهذا العمل الجليل فعاش أميناً فى كل لحظات حياته إلى النفس الأخير . أما الذين يدفعون بأنفسهم فى طريق الخدمة بدون موهبة وبدون نعمة وبدون دعوة وبدون أساس روحي ظانين أنهم أكفاء من ذواتهم أو ظانين أن الخدمة إستثمار جيد لوقت الفراغ فإنهم يشعرون بالتفضل ويضرون بالخدمة أكثر من إفادتهم إياها .. كان بولس يشعر أنه غير مستحق لخدمة الإنجيل ولذلك رغم صعوبة خدمته وثقلها ومخاطرها وآلامها فإنه لم يشعر قط بأنها واجب ثقيل مُمل بل نظر إليها كنعمة وموهبة من الله لا يستحقها.

حسب موهبة نعمة الله المُعطاة لي .. أنها نعمة الله التى تفاضلت رغم جهالاتى " *لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان " (اتي١: ١٣)* .. أنها نعمة الله العاملة التى أنقذتني من الضلال ودفعت بي فى طريق الخدمة " *ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المُعطاه لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر من جميعهم ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معي " (اكو١٥: ١٠)* ونعمة الله التى خدمتُ بها وخطبت بها الكنيسة كعذراء عفيفة للمسيح مُظهراً لها غنى أسحق الجديد " *الكنيسة التى صرتُ أنا خادماً لها حسب تدبير الله المُعطى لي " (اكو١: ٢٤، ٢٥)* .

حسب فعل قوّته .. كان من المستحيل أن يحتمل بولس الرسول مشقّات

الخدمة بقوته البشرية وصبره الطبيعي واحتماله البشرى ، فهذا الوقود البشرى لا يكفِ إلاّ لمسافات قصيرة فكان من الضرورى أن يحصل على القوة الإلهيَّة التى تعمل فيه ولا تنفُذ على الإطلاق بل تُشعِل قلبه لهيباً نحو خلاص الأخرين .. فعلاً لقد أختبر بولس الرسول قوة الله القادرة على التغيّير التى غيرته هو أولاً ، وأختبر قوة الله العاملة فى كلمات النعمة الخارجة من فيه فاصطادت النفوس بالآلاف .. أليس كثيرون يعظون فتخرج عظاتهم باردة ككلمات مهرقة فى الهواء إذ لا تصاحبها قوة الله " *إن كان يتكلم أحد فكأقوال الله . وإن كان يخدم فكأنه من قوة يمنحها الله " (١بط٤: ١١)* ؟! ، وأختبر قوة الله المتجدّده كل صباح والتى تقابل كل موقف صعب يتعرض أو يتصدى له ، وأختبر قوة الله العاملة فيه رغم مرضه "*تكفيك نعمتى لأن قوّتى فى الضعف تكمل " (٢كو١٢: ٩)* حتى إنقلبت المعايير أمامه ، فالعقل والمنطق يؤكدان أن الإنسان لا يطيق الضعفات ولا الشتائم ولا الإضطهادات ، ولكن بولس يسرُّ بهذه وتلك "*فلذلك اسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى " (٢كو١٢: ١٠)* .

" لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذى لا يُستقصىَ " (٨)

لي أنا أصغر جميع القديسين .. " أصغر " فى الأصل اليونانى تعنى أصغر الأصغرين أو أصغر من الأصغر . كما أن " القديسين " وردت بدون أداة تعريف فهى تعنى أى جماعة من المؤمنين أو المؤمنين جميعاً وليس فئه معينة لها سلوك مميز .. فعلاً لقد صار بولس بنعمة الله إسم على مسمى .. أليس معنى إسمه صغير وعاش حياته بمشاعر وإحساسات الصغير فى أخوته ؟! .. فى مقابلة نفسه على الرسل قال "*كأنه للسقط ظهر لي أنا لأنى أصغر الرسل أنا الذى لست أهلاً لأن أدعى رسولاً لأنى اضطهدت كنيسة الله" (١كو١٥: ٨، ٩)* وهنا يقابل نفسه بالمؤمنين

فيقول أنه أصغر من جميعهم ، ومرة ثالثة يقابل نفسه مع الخطاة فيضع نفسه فـــي مقدمتهم " *المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا* " *(١تي١: ١٥)*

لي أنا أصغر جميع القديسين .. ليس تظاهر بالتواضع ولا تواضعاً مصطنعــاً ولكنه شعور حقيقى يذكّرنا بمشاعر قائد المئة الذى قال " *لأنى لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى . كذلك لم أحسب نفسي أهلاً أن آتى إليك* " فنال المديـــح الفـم المبـــارك " *أقول لكم لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا* " *(لو٧: ٩)* .. لقد سار بولس فـــي ذات الدرب حيث سار سيده " *من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ومن أراد أن يكون فيك أولاً ليكن لكم عبداً* " *(مت٢٠: ٢٦، ٢٧)* .

لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة .. لابد أنه كان ماثلاً أمـــام عينيه دم إسطفانوس ، وصور الكثيرين الذين زجّ بهم فى السجون ، وصوت السـيد المسيح المملوء حناناً " *لماذا تضطهدنى ؟* " *(أع٩: ١٤)* ، ومحبة المســيح الفياضـــة التى شعر بها بعد ذلك " *ابن الله الذى أحبني وأسلم نفسه لأجلي* " *(غل٢: ٢٠)* فصرخ فى أعماقه أنا أصغر الأصغرين في جميع المؤمنين لا أستحق أن أكون رســولاً ولا كارزاً ولا خادماً ، ولكنها نعمة الله التى وهبتنى هذا .

أعطيت هذه النعمة أن أبشّر بين الأمم .. لم يتفاخر بولس باعلانـــات الله لـــه ودرايته بالسر العظيم ، ولم يتباه بأن الله إختصه بالبشارة للأمم ، ولكن أمام هـــذه البركات تواضع وانسحق ، وهكذا كلما إقترب الإنسان من العرش الكاروبيمي كلمـا كُشيفت له الأسرار الإلهيّة كلما تواضع وانسحق أكثر فأكثر . كان بولـــس يشـــعر دائماً بعمل نعمة الله معه ، ومعنى النعمة أنها عطية مجانيـــة لمـــن لا يســتحقها ، فعندما ذكر نفسه أنه كان مجدّفاً ومضطهداً ومفترياً قال " *وتفاضلت نعمة ربنا جـداً* " *(١تي١: ١٤)* وعندما ذكر إختيار الله له قال " *ودعاني بنعمته* " *(غل ١: ١٥)* وعندما تحدث عن جهاده وتعبه أرجع الفضل إلى نعمة الله " *ونعمته المعطاه لـــي لـم تكـن باطلة* " *(١كو١٥: ١٠)* .. ينظر بولـس إلى نفسه فيشعر أنه أصغر جميع القديسين

وينظر إلى نعمة الله فيشعر أنها ترفعه إلى السموات .

أن أبشر بين الأمم .. أبشر بالبشارة المفرحة بالخلاص من أسر إبليس ، وأبشر بالأخبار المفرحة بموت الموت الذى قهر العالم كله ، وأبشر بالأخبار السارة بقبول الأمم بالإيمان والحق *" الحق أقول فى المسيح ولا أكذب معلما للأمم فى الإيمان والحق " (اتى٢: ٧)* .

بغنى المسيح الذى لا يُستقصيَ .. غنى المسيح هو المسيح نفسه *" المذخَّر فيه جميع كنوز الحكمة " (كو٢: ٣) " المسيح يسوع الذى صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسة وفداء " (اكو١: ٣٠)* .. غنى المسيح فى الخلاص والبركات الروحيَّة التى تفوق المقاييس البشرية ، فمثلا سلامه يفوق كل عقل ويرتفع بنا فوق كل خوف واضطراب وليس له مثيل فى العالم قط ، وإن كان يأحبائى فقر المسيح هو غنى جزيل لنا *" من أجلكم إفتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره " (٢كو٨: ٩)* فكم وكم غناه بالنسبة لنا ؟!

بغنى المسيح الذى لا يستقصي .. غنىَ المسيح وشبع المسيح وعطايا المسيح أمور تفوق الوصف ، فهو الغنىَ ذاته ، وهو الغني فى الحكمة والعلم والمعرفة .. الغني فى الحب والبذل والفداء .. الغني فى العظمة والقدرة والقوة .. الغني فى المجد والجلال والبهاء .. الغني فى الفرح والمسرَّة والحبور .. الغني فى الوداعة والتواضع وطول الأناة .. الغنىَ الذى لا يُستقصي فلا يمكن للأيام والسنون أن تستنفذه .. الغنىَ الذى لا يدركه أحد " غير المحوى غير المستحيل خالق الكل مخلص الجميع " (القداس الغريغورى) .. سيظل المسيح هو الله الغنى الذى يعطى ويعطى لكل إنسان فى كل آن ويستقصي ومكان ينقص غناه أبدا .

بغنى المسيح الذى لا يُستقصيَ .. من يكتشف هذا الغنىَ العظيم مثله مثل جندى فى جيش ضخم تائه فى صحراء شاسعة يبحث عن نقطة ماء ولقمة يابسة وقد أُنهكت كل قواه وقارب الموت عطشا وجوعا ، وإذ بباب ينفتح أمامه يكشف عن ردهة متسعة ممتلئة من خيرات الله ، فيقتحم هذا الجندى الغلبان المكان وإذ

بأبواب تنفتح له من كل جانب وكل باب يؤدى إلى ردهة أوسع تحوى خيرات أكثر وهلمَّ جرًا .. ترى ما هى مشاعر هذا الجندى ؟! لابد أنه سيركض نحو إخوته صارخاً بأعلى صوته مبشراً إياهم بالغنى الذى لا يُستقصىَ . فيقبل الجيش العظيم يشرب ويرتوى ويأكل ويشبع وإذا الخيرات لا تنقص شيئاً لأنها متجدّدة بقوة الخالق كل صباح .. حسرة عليك يانفسي أذ غنىَ المسيح الذى لا يُستقصيَ متاح لكِ وأنت تموتين عطشاً وجوعاً !!

" وأُنيرَ الجميع فى ما هو شركة السرّ المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح " (٩)

وأُنيرَ الجميع .. المسيح هو النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان آتٍ إلى العالم ، والإنجيل هو الذى يعلن هذا النور للعالم ، والكارزين بالإنجيل هم حمَّلة النور ، وبواسطة بشارة الإنجيل يستنير الجميع ، فالإنجيل هو سراج منير فى موضعٍ مظلمٍ إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم (٢بط١: ١٩) وبدون الإنجيل ستظل الظلمة هى سيدة الموقف .

وأُنيرَ الجميع .. الشيطان يعمى البصيرة " إله هذا الدهر قد أعمىَ أذهان غير المؤمنين لئلا تضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح " (٢كو٤:٤) أما الإنجيل فإنه يُنير البصيرة والحياة ويعلن حلول النعمة الإلهيَّة " ***والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل " (٢تى١: ٩، ١٠)*** .

وأُنيرَ الجميع فى ما هو شركة السرّ المكتوم منذ الدهور .. شركة السرّ أى تدبيرُ السرّ فالجميع عاينوا تحقق السرَّ المكتوم وهو أن المسيح للكل يهود وأمم .. هذا السر الذى كان مكتوماً أى مخفياً ، ولم يقصد الله أن يخفيه ولكن لكل شئ تحت السماء وقت يعلن فيه ، فقبول الأمم ليستِ فكرة تبلورت فى ذهن الله بعد رفض

اليهود ، ولكنه كان سراً معلوماً لدى الله منذ الأزل وأعلنه فى ملء الزمان .

السرّ المكتوم منذ الدهور فى الله .. لم يقل مكتوماً فى الكتاب لأن الكتاب لم يكتب فيه هذا من قبل وأغلق على البشر فهمه ، ولكنه كان مخفياً لدى الله فى الأزمنة الأزليَّة وفى الوقت المعين بشر به بولس الرسول " ***وللقادر أن يثبتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السرّ الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزليَّة*** " *(رو١٦: ٢٥)* .

فى الله خالق الكل بيسوع المسيح .. السرُّ المكتوم بحسب قضاء الله لأنه هو خالق الكل ، فله أن يعلن ما يشاء ويخفى ما يشاء ، وخالق الكل تشير بالأكثر إلى الخلقة الجديدة ، وهنا يؤكد بولس الرسول أن إله العهد القديم إله الحق هو هو إله العهد الجديد إله الفداء . وكما خلقنا الله فى القديم بالإبن الوحيد الجنس فهو الذى جدَّد خلقتنا بابنه يسوع المسيح فادينا .

" لكى يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويَّات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوّعة " (١٠) .

لكى يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويَّات .. أن السرَّ المكتوم منذ الدهور قد عُرِف الآن عند الأرضيّين والسمائيّين ، والمقصود بالرؤساء والسلاطين هم الملائكة الأطهار الذين يهتمون جداً بأمر خلاصنا ، فكان لهم دورهم المُميز فى البشارة بالتجسد والفداء ، وكم كانت فرحتهم بقبول الأمم " ***التى أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم فى الروح القدس المُرسَل من السماء التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها*** " *(١بط١: ١٢)* .. لم يعد الملائكة منفصلين عن المفديّين بدم ملكهم وعندما يبصرون معاملات الله معنا نحن البشر الخطاة تزداد معرفتهم بحكمة ملكهم ، وتتكشف لهم الحكمة الإلهيَّة أكثر فأكثر ، ورغم خطايانا وسقطاتنا فإننا مازلنا كتاباً مفتوحاً يُعلن للسمائيّين محبة الله وعطفه وطول أناته .

لكى يُعرَّف .. بواسطة الكنيسة .. الكنيسة هى الشاهدة للمسيح على هذه

الأرض وفى السماء أيضاً ، فهى التى تُعلِم البشر . كما أن الملائكة يتعلمون من خلال معاملات الله مع كنيسته التى تعلن مراحم الله اللانهائية *"لأننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس" (١كو٤: ٩)* والكنيسة هى محفل الملائكة *"بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار .." (عب١٢: ٢٢، ٢٣)* وما لم يعرفه إنسان ولا ملاك اذاعته الكنيسة لهم ، وبينما تشتهى الملائكة أن تطلع على الأسرار المقدسة وتنحنى إجلالاً لها مثل كاروبا المجد اللذان كان ينحيان على غطاء التابوت ، فإن الكنيسة تتمتع بهذه الأسرار الفائقة ، وأيضا تتجاوز رسالة الكنيسة الزمان والمكان فهى تُعلِن بشرى الخلاص فى كل آن والقوات السمائية تشاركها العمل وتبتهج بكل خاطئ يتوب فى كل عصر . كما تنتظر الملائكة فى لهفة نهاية الأيام وزفاف العروس إلى عريسها السمائى حيث يلبس المفديون حُلّل المجد والبهاء ويلمع فيهم نور الروح القدس وتظهر فيهم صورة المسيح واضحة جلية عندئذ ستترنم الملائكة ترنيمة الظفر والخلاص الذى لنا بصوت ممتلئ مجدا يسبحون وينشدون ويصرخون ويعطون مجداً للثالوث القدوس الذى حول التراب إلى ذهب والثرى إلى ماس والطين إلى جواهر كريمة .

لكى يعرَّف .. بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوّعة .. فى الأصل اليونانى " المتنوعة " تستخدم للثياب والزهور ، فهى تعنى الثياب ذات الألوان الكثيرة والزهور ذات التنوع العديد ، فحكمة الله واحدة ولكنها متعددة الجوانب مثل النور الواحد الذى يحوى ألوان الطيف السبعة . قال القديس غريغوريوس النيزنزى " قبل التجسد استطاعت الملائكة أن ترى حكمة الله فى مظهر واحد بسيط ، لكنهم بعد التجسد قد رأوها فى مظاهرها المتنوعة .. إذ خلقت من الموت حياة ، وصاغت من الهوان مجداً ، وضفَّرت من إكليل الشوك والعار تاج مجد وفخار " (تفسير أفسس د.ق إبراهيم سعيد صـ٢٢١) .

" حسب قصد الدهور الذى صنعهُ فى المسيح يسوع ربنا . الذى بهِ لنا جراءة وقدوم بإيمانهِ عن ثقة " (١١،١٢) .

حسب قصد الدهور .. قصد الله الأزلي والأبدي أيضاً ، فكل أعمال الله كانت فى قصده منذ الأزل من خلقة وفداء واختيار وتبنى ، فليس قصد الله وليد الساعة ، وليس قصد الله ارتجالي لمواجهة مواقف طارئة ، لكنه مرتَّب بدقة عجيبة متناهية ، وكل خطوة فى الخطة الإلهيَّة لها وقتها المناسب ترتكز على ما قبلها وتعتبر أساس لما بعدها ، ولا يحدث أمر خارج التدبير أو السماح الإلهى ، وكل أمور العالم والدين تسير بحسب القصد الإلهي إلى أن نبلغ نهاية الأيام وتُزَف الكنيسة المفديَّة إلى عريسها السمائى صاحب القصد الإلهي فى حفل بديع ليس له مثيل ولا شبيه على الإطلاق ، فالعروس ملايين ملايين من المفديّين بدم الحمل ، والمدعوين أعداداً لا حصر لها من القوات السمائية ، والعريس هو الحمل ، ومكان العرس هو السماء المتسعة بلا حدود ، وعدو الخير إبليس يُطرح فى بحيرة النار والكبريت المعدَّة له مع جنوده الأشرار .

حسب قصد الدهور الذى صنعهُ فى المسيح يسوع ربنا .. الذى صنعه أى الذى حقَّقه وأنجزه وأتمه وأكمله فى المسيح يسوع ، فالقصد الإلهي قد تحقَّق فى المسيح يسوع الذى فيه خُلِق الكل وبه تم الفداء ، و " المسيح يسوع ربنا " ثلاثة إسماء توضح عقيدتنا فى المسيح ابن الله ، فالمسيح أى المسيا المنتظر رجاء جميع اليهود ، ويسوع هو وليد المزود حامل طبيعتنا البشرية ، وربنا الذى يتلمَّسه الأمم ، ففى المسيح يسوع ربنا اتحدت الطبيعة البشريَّة بالطبيعة الإلهيَّة .

المسيح يسوع ربنا الذى بهِ لنا جراءة وقدوم .. بعد أن حلَّق بنا بولس الرسول فى السماويَّات كاشفاً لنا عن مقاصدَ الله الأزليَّة ، وعمل الآب مع الإبن المتجسد لأجلنا ، وكشف عن ماضينا حتي لا نسقط فى الكبرياء عاد يأخذ بيدنا حتى ندخل إلى الحضرة الإلهيَّة بجراءة وثقة ، وفى هذه الآية يتحول فكر الرسول

من النظرة الشمولية للبشريَّة ككل إلى النظرة الفرديَّة حيث يوضح لكل إنسان إمكانية دخوله للحضرة الإلهيَّة ، وقد سبق فى الأصحاح الماضي وتحدث بولس عن نفس المعنى عندما قال *" لأن به لنا كلينا قدوماً فى روح واحد مع الآب " (أف٢: ١٨)* .

الذى بهِ لنا جراءة وقدوم .. الجراءة فى الأصل اليوناني " الباريسيا " أى الحرية فى الكلام ، والمقصود بها الجراءة فى الحديث مع الله ، فرغم أن الحضرة الإلهيَّة رهيبة جداً ولكن محبة الله العظيمة سمحت لنا بالدخول إليها كأبناء نتمتع بمشاعر الأبوة حيث يلقانا صاحب الحضرة أباً فاتحاً أحضانه ، فندخل إليه نحكى له أحوالنا ونشكو له همومنا ونبث له آلامنا . أما المقصود بالقدوم فهو التقدم إليه فى أى وقت نشاء ونمضي معه أى وقت نريد بدون عائق ولا رقيب وبدون أن نلتقى بمسؤول عن ترتيب اللقاء يسألنا : لماذا اللقاء ؟ ويحدّد لنا الوقت المتاح لنا الذى لا نتعداه .. إلخ .. إننا مدعوون للدخول إلى الحضرة الإلهيَّة فى جراءة وقدوم فى طمأنينة وسلام . فى ثقة وأمان تماماً مثل جراءة الأطفال مع أبويهم المحبين .

الذى بهِ لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة .. بالإيمان بالمسيح نقدر أن نتقدم لله الآب فى ثقة ، وندخل إلى محضر الله القدوس الذى هو *"نار آكلة " (عب١٢: ١٩)* فى دالة دون خوف ولا إضطراب . ليس كما دخلت الملكة أستير إلى الملك أحشويرش وهى خائفة لأن الوقت لم يكن مسموحاً فيه بلقاء أحد *" كل رجل دخل أو امرأة إلى الملك إلى الدار الداخلية ولم يُدْعَ فشريعته واحدة أن يُقتل . إلاّ الذى يمدُّ له الملك قضيب الذهب فإنه يحيا " (اس٤: ١١)* لقد دخلت أستير وهى لا تدرى هل تعيش أو تموت *" أدخل إلى الملك خلاف السُنّة فإذا هلكت هلكت " (اس٤: ١٦)* أما نحن فإنه مسموح لنا أن ندخل إلى الحضرة الإلهيَّة واثقين فى دم فادينا الذى يسترنا *" فإذا لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع .. لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان .. " (عب١٠: ١٩، ٢٢)* واثقين أننا سننال رحمة وعوناً *" فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد إجتاز السموات يسوع إبن الله .. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد نعمة عوناً فى حينه " (عب٤: ١٤، ١٦)* .

" لذلك أطلب أن لا تكلُّوا فى شدائدى لأجلكم التى هى مجدكم " (١٣) .

لذلك أطلب أن لا تكلُّوا .. لأنكم دخلتم الإيمان وتتمتعون بالوقوف فى الحضرة الإلهيَّة متى تشاؤون لذلك أطلب منكم .. وفى الأصل اليونانى تحمل معنى أتوسل إليكم .. لا تضعفوا وتخوروا عند سماعكم بسجنى عدَّة سنوات فى قيصرية ورومية ، وهنا لنا أن نتسأل : ممن يطلب بولس ؟ هل يطلب من أهل أفسس أن لا يكلُّوا ولا يتراجعوا أم أنه يطلب من الله لأجل أهل أفسس ولا سيما أنه فى الآية السابقة أوضح أن للإنسان الحق فى التقدم للحضرة الإلهيَّة فى اى وقت يشاء .. عموماً سواء إخترنا المعنى الأول أو الثانى فالمعنيان مقبولان ، ولكنه لم يذكر إسم الله لذلك فالمعنى الأول هو الأقرب إلى قصد الكاتب أى أنه يطلب ويتوسل لأهل أفسس .

لذلك أطلب أن لا تكلُّوا فى شدائدى لأجلكم .. ولماذا يجوز بولس فى هذه الشدائد ؟ هل بسبب جرم أو خطأ شخصي أرتكبه ؟ .. كلا بل لأنه نادى للأمم بالإيمان فأثار هذا غيرة أمته اليهودية التى دفعت به إلى السجن طالبة له الموت والهلاك .. فإن كنتُ أتألم من أجلكم فلا يصح أن تضعفوا أنتم أمام ثقل التجربة ظانين أن الكرازة ستتعطل أو أن استشهادي سيوقف العمل الإلهي تجاهكم .. لابد أن تعلموا أيها الأفسسيون أن الله يتمجد بسجني كما يتمجد بحريتي ، ويعمل بأسرى كما يعمل بإطلاقي .

لذلك أطلب أن لا تكلُّوا فى شدائدى لأجلكم .. كان لزاماً على المعلم والقائد والمرشد والربان الماهر أن يشدّد أولاده لكيما يثبتوا فى الضيقات ، فإن بولس الحكيم يعرف كيف يشجع النفوس الضعيفة ويأخذ بيدها ، وهكذا كان يفعل مع برنابا " ***ثم رجعا (بولس وبرنابا) إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية يشدّدان التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله " (أع١٤: ٢١، ٢٢)*** وهكذا فعل مع أهل تسالونيكى " ***كى لا يتزعزع أحد فى الضيقات فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعين لهذا " (١تس٣:٣)*** .

شدائدى لأجلكم التى هى مجدكم .. وكيف تكون شدائد بولس مجداً لأهل أفسس ؟
أولاً : لأنه لم يرتكب خطأ شخصي يسبب له الخزى والعار .
ثانياً : لأنه مُكبَل بالقيود من أجل البشارة لهم ، وسجين من أجل الحق وهو برئ .
ثالثاً : لأنه يتبع سيده فى طريق الآلام *" قال يسوع لتلاميذه من أراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني " (مت١٦: ٢٤)* .

فهذه الآلام مجد لبولس وموضعُ فخر لأولاده فى أفسس وفى كل مكان . لقد كانت هذه الآلام سبب فرح لبولس كما كتب لأولاده فى كولوسي من ذات السجن *" الآن أفرح فى آلامى لأجلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح فى جسمي " (كو١: ٢٤)* .

ثانيا : صلاة وتضرع (١٤-١٩)

" ١٤ بسبب هذا أحنى ركبتيّ لدى أبى ربنا يسوع المسيح ١٥ الذى منه تُسمَّى كل عشيرةٍ فى السموات وعلى الأرض ١٦ لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه فى الإنسان الباطن ١٧ ليحلَّ المسيح بالإيمان فى قلوبكم ١٨ وأنتم متأصّلون ومتأسّسون فى المحبَّة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو ١٩وتعرفوا محبَّة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئُوا إلى كل ملء الله " (١٤-١٩) .

سجل لنا بولس الرسول فى رسائله وهو فى سجن روما أربع صلوات (في١: ٩-١١، كو١: ٩-١٢ ، أف١: ١٥-١٩، أف٣: ١٤-١٩) والصلاة الأخيرة هى وليدة التأمل والتفكير فى عظمة النعمة الإلهيَّة التى وحَّدت الأمم مع اليهود وصالحت الإنسان مع الله ، وهى أيضاً وليدة التجارب التى تعرض لها أهل أفسس من قِبل غير المؤمنين وكانت محسوسة لدى بولس الرسول ، وتعتبر هذه الصلاة أقوى صلوات معلمنا بولس فى سجنه كما أنها أحتوت معظم الصلوات السابقة إذ شملت خمس طلبات هى :

١-التأييد بقوة الروح القدس .
٢- حلــول المسيح فى القلوب .
٣- الثبـــات فـــى المحبـــة .
٤- إدراك محبة المسيح الفائقة .
٥- الإمتلاء من كل ملء الله .

وإذا عقدنا مقابلة بين الصلاة الأولى والثانية اللتان ذكرتا فى هذه الرسالة نجد الآتى :

١- الصلاة الأولى موجهة لله الآب " أبو المجد " *إله ربنا يسوع المســـيح " (أف١: ١٧)* فالرب يسوع الذى شابهنا فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها يدعو الآب إلهـــه (مت٢٧: ٤٦، يو٢٠: ١٧) والصلاة الثانية موجهه إلى الله الآب أبـــى ربنـــا يسوع المسيح (أف٣: ١٤) فالرب يسوع هو ابن الله بالطبيعة والعلاقـــة بينـــه وبين الآب علاقة وحيدة فريدة .
٢- تركزت طلبة بولس الرسول فى الصلاة الأولى حول طلب روح الحكمة والإعـلان والاستنارة الذهنية لأولاده ليدركوا أعمال الله العظيمة من أجلنا ، وتركزت طلبتـــه فى الصلاة الثانية حول روح القوة لأولاده ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبهم .
٣- فى الصلاة الأولى نجد أنفسنا فى المسيح ، وفى الصلاة الثانية نجد المسيح فينا
٤- هدف الصلاة الأولى أن نعرف عظم الدعوة التى دعانا إليها " *لتعلموا مـــا هـــو رجاء دعوته " (أف١: ١٨)* ، وهدف الصلاة الثانية هو الإمتـــلاء مـــن الله أن *" تمتلئوا إلى كل ملء الله " (أف٣: ١٩)* .

" بسبب هذا أحنى ركبتيَّ لدى أبى ربنا يسوع المسيح . الذى منـــه تُســـمَّى كـــل عشيرةٍ فى السموات وعلى الأرض " (١٤، ١٥)

بسبب هذا .. تعود بنا إلى بداية الأصحاح حيث ذكـــر بولـــس الرســـول ذات الكلمتين " بسبب هذا " ثم دخل فى جملة اعتراضية طويلة (٢-١٣) عاد بعدها إلـــى استكمال ما بدأه فى الأية الأولى " بسبب هذا أنا بولس أسير المسيح يسوع .. أحنى

ركبتي " ولكن لأى سبب يحنى الرسول ركبتيه ويصلى ؟ أنه يحنى ركبتيه بسبب قبول الله لجميع الأمم الغرباء عن العهود والمواعيد الذين هم بدون مسيح وبلا رجاء ولا إله .. عجبا بعد أن كان بولس الرسول لا يطيق إسم الأمم يقبل الآن بل ويشتاق إلى خلاصهم واشتراكهم فى الميراث بالسوية مع اليهود . بل أنه ارتضى أن يوقف نفسه لأجل الكرازة ، لهم وهوذا يشكر الله على عطاياه لهم ويصلى ويطلب من أجلهم

بسبب هذا أحنى ركبتي .. كان وضع الصلاة المعتادة لدى اليهود الوقوف مع بسط الأيدى ورفع الأكفف كقول حنة لعالى الكاهن ***"أنا المرأة التى وقفت لديك هنا تصلى إلى الرب " (١صم١: ٢٦)*** وقال الرب يسوع ***"أما الفريسي فوقف يصلى .. وأما العشار فوقف " (لو١٨: ١١، ١٣)*** وقال عن المرائين ***"فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع " (مت٦: ٥)*** وأوصى تلاميذه ***" ومتى وقفتم تصلون " (مر١١: ٢٥)*** أما الركوع والسجود فللمواقف الكبيرة الصعبة علامة على الحاجة والخضوع والرهبة من مجد الله والتذلل أمامه مثلما فعل يشوع بن نون عقب هزيمة جنوده أمام عاى حيث ***" سقط على وجهه إلى الأرض " (يش٧: ٦)*** وسليمان عند تدشين الهيكل ***" أنه نهض من أمام مذبح الرب من الجُثو على ركبتيه ويداه مبسوطتان نحو السماء " (١مل٨: ٥٤)*** وهكذا دانيال فى صومه وصلاته (دا١٠: ٩) وعزرا عندما اكتشف خيانة شعبه بسبب الزيجات الغريبة (عز١٠: ١) والرب يسوع فى بستان العرق والدموع ***" جثا على ركبتيه وصلى " (لو٢٢: ٤١) " وخر على وجهه وكان يصلى .. " (مت٢٦: ٣٩)*** أى أن جبهته تعفَّرت بتراب الأرض ، واستفانوس وقت استشهاده ***" جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب .. " (أع ٧: ٦٠)*** وبطرس أمام موت طابيثا ***" جثا على ركبتيه وصلى " (أع٩: ٤٠)*** وهكذا سار بولس على نفس الدرب ففى وداعهُ لقسوس هذه الكنيسة فى ميليتس وهو عالم أنه اللقاء الأخير معهم ***" جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى " (أع٢٠: ٣٦)*** وفى وادع أهل صور لهُ وهم

يترجونه أن لا يذهب إلى أورشليم ليستشهد هناك " ***وهم جميعا يشيعوننا مع النساء والأولاد إلى خارج المدينة . فجثونا على ركبنا على الشاطئ وصلينا " (أع٢١: ٥)*** وها هنا يقتدى بمعلمه الذى دخل البستان يصارع قوات الظلمة لكيما يخلصنا ويعيد لنا الفردوس المفقود .

بسبب هذا أحنى ركبتي .. بولس الرسول وهو مُقيَّد بالسلسلة التي تربطه بالجندى الرومانى يحنى ركبتيه ويصلى بحرارة ودموع من أجل أولاده ، ونحن الطلقاء قد صرنا غرباء عن الركب المنحنية والصلاة الملتهبة من أجل خلاص نفوسنا وأنفس أولادنا .. أننا نشكر الله لأن كنيستنا القبطية تمارس طقس المطانيات فى الأصوام وما هو إلا إحناء الركب والسجود مثلما فعل معلمنا بولس ، وفى كل مرة ينحنى الإنسان إلى الأرض يذكر سقطاته وفى نهوضه يذكر قيامته ، والمطانيات تعتبر نوع من التذلل ولذلك لا تمارس فى أيام الأعياد والآحاد وعقب تناول الأسرار .

بسبب هذا أحنى ركبتي لدى أبى ربنا يسوع المسيح .. أحنى ركبتى أمام الآب الذى أرسل إبنه الحبيب ليفتقدكم أيها الأمم ، وقد أشار معلمنا بولس فى هذه الرسالة لله الآب سبع مرات :

١- " وسلام من الله أبينا " (أف١: ٢) .

٢- " ومبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح " (أف١: ٣) .

٣- " أبو المجد " (أف١: ١٧) .

٤- " فى روح واحد إلى الآب " (أف٢: ٨) .

٥- " إله ورب واحد " (أف٤: ٦) .

٦- " فى إسم ربنا يسوع المسيح لله الآب " (أف٥: ٢٠) .

٧- " سلام على الأخوة ومحبة بإيمان من الله الآب " (أف٦: ٢٣) .

الذى منه تسمَّى كل عشيرة .. " عشيرة " فى الأصل اليوناني تعني أبوة " باتيريا " وهى مشتقة من كلمة أب " باتير " فالآب هو أصل الوجود لكل الكائنات السمائيَّة والأرضيَّة ، وكل عشيرة تستمد تسميتها ووجودها وكيانها وقوتها من الله الآب ، وكل أبوُة هى مستمدة من أبوُة الله ، فالله ليس أباً فقط إنما هو الآب الوحيد الذى تستمد كل أبوُة معناها من أبوَّته ، فأبوة الله هى المثال الأول والنموذج الأكمل لكل أبوة على الأرض وفى السماء .

كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض .. العشيرة هى القبيلة أى السلالة التى ترجع إلى أب واحد ، فعشيرة داود تضم الذين جاؤوا من صلب داود " *من بيت داود وعشيرته* " *(لو٢: ٤)* وفي القديم كانت مملكة إسرائيل هى عشيرة الله أما فى العهد الجديد فقد صارت الكنيسة بكل أعضائها من يهود وأمم هى عشيرة الله .. كل عشيرة فى السموات أى الملائكة ورؤساء الملائكة وقد سبق ودعاهم الكتاب أبناء الله (أي١: ٦، ٣٨: ٧) فالملائكة هم أبناء الله بالخلقة ، وكل عشيرة على الأرض أى المفديّين بدم الحمل .. لقد صرنا عشيرة مقدسة وعائلة واحدة تضم البشر والملائكة . تشمل الكنيسة المنتصرة والكنيسة المجاهدة ، وكما أن رب العشيرة مسئول عن تدبير أمورها هكذا الله هو المسؤل عن تدبير كل أمور حياتنا ، وكما يعتز ويفتخر كل شخص بعشيرته ويلتمس حمايته وأمنه منه هكذا نحن نفتخر بعائلتنا التى رأسها الرب يسوع الذى جمع السمائيّين والأرضيّين فى شخصه " *لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض* " *(أف١: ١٠)* .

" لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوَّة بروحه فى الإنسان الباطن . ليحلَّ المسيح بالإيمان فى قلوبكم " (١٦، ١٧) .

لكى يعطيكم بحسب غنى مجده .. الله هو مصدر العطايا " *كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار* " *(يع١: ١٧)* وهو يشاء أن

يهبنا عطاياه " *أنا الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر . أفغر فاك فأملأه "* *(مز٨١: ١٠)* وقد أدرك بولس الرسول هذه الحقيقة ولذلك فهو يطلب لأولاده ليس من غنى الله فقط ولكن بحسب غنى الله فى المجد " ***فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع*** " *(في٤: ١٩)* وليس بحسب احتياجهم ولا حتى بحسب تفكيرهم وإدراكهم بل بحسب غنى الله وهو يعلم تماما أن طلباته هذه بحسب إرادة الله ، وأن وصلاته هذه تطابق مشيئة الله .. تصور يا صديقى إنسان فقير أسعدته الظروف أن يقف أمام ملك عظيم ، وسأله الملك عن احتياجاته فطلب الفقير بإلحاح بضعة قروش .. ألا يعتبر هذا جهل من الرجل الفقير واستهانة بعظمة الملك ؟! وهكذا نحن كثيرا ما نطلب من ملك الملوك ورب الأرباب أمورا مادية رخيصة ... يا ليتنا نطلب من الله أن يهبنا وأخوتنا عطاياه الروحية بحسب غناه فى المجد متمسكين بقوله المبارك لاحاز ملك يهوذا " ***عمّق طلبك أو رفّعه إلى فوق*** " *(اش٧: ١١)* متذكرين قول الإبن الحبيب " ***أسألوا تعطوا . أطلبوا تجدوا . إقرعوا يُفتح لكم*** " *(مت٧:٧)* .

أن تتأيدوا بالقوّة بروحه .. هذه هى الطلبة الأولى من طلبات بولس الرسول الخمسة لأجل أولاده ، والتى تقود إلى الطلبة التالية ثم التى تليها وهكذا حتى نصل إلى كل ملء الله ، فإننا أمام نهر لا يُعبَر ولذلك فنحن فى احتياج شديد إلى قوة الروح القدس التى ترفعنا إلى هذا المستوى الذى يفوق التصور والخيال .. لقد إحتاج دانيال فى القديم إلى قوة ليفهم الرؤيا ومقاصد الله " ***وإذ بالرجل جبرائيل .. لمسنى عند وقت المساء . وفهّمنى وتكلم معى وقال يا دانيال أنى خرجت الآن لأعلمك الفهم*** " *(دا٩: ٢٢)* أما نحن ففى حاجة إلى قوة روح الله ذاته ليرفعنا إلى كل ملء الله

و " تتأيدوا " فى الأصل اليوناني تعنى نوال القوة والنشاط والثبات أو مصدر هذه القوة هو روح الله القدوس " ***روح المشورة والقوة*** " *(اش١١: ٢)* فقيل عن يوحنا المعمدان " **أما الصبى فكان ينمو ويتقوى بالروح** " **(لو١: ٨٠)** وقيل عن يسوع بحسب الناسوت " ***وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح*** " *(لو٢: ٤٠)* والرب يسوع

أوصي تلاميذه أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالي " *ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم* " *(اع١: ٨)* .

أن تتأيدوا بالقوّة بروحه .. نحن في حاجة إلى إختبار قوة الروح القدس في حياتنا مثل ميخا الذي يقول " *أن ملآن قوة روح الرب وحقا وبأسا* " *(مي٣: ٨)* وفي لحظات التجربة عندما نتعرض للضعف نحتاج إلى " *مؤازرة روح يسوع المسيح* " *(في١: ١٩)* وعندما يتأيد الإنسان بهذه القوة يستطيع أن يقول " *حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى* " *(٢كو١٢: ١٠)* وإن تسألنا كيف يكون الإنسان ضعيف وقوى في آن واحد يجيبنا الله " *تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل* " *(٢كو١٢: ٩)* .. لقد أختبر بولس الرسول قوة الروح القدس في اشد لحظات ضعفه ولذلك شدد أولاد في أفسس قائلا " *وأخيرا ياإخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته* " *(أف٦: ١٠)* وشدّد أيضا أهل كولوسي قائلا " *متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده* " *(كو١: ١١)* .

في الإنسان الباطن .. كان إصطلاح " الإنسان الباطن " يستخدمه اليونانيون كناية عن العقل والضمير والإرادة ، وهنا يستخدمه الكاروز كتعبير عن العقل السليم القادر على التمييز بين الصواب والخطأ ، والضمير الحساس الذي يبحث عن الصالحات ويهرب من الشر ، والإرادة القوية القادرة على السلوك في الصلاح الذي نريده والإمتناع عن الشر الذي لا نريده .

في الإنسان الباطن ..عكس الإنسان الخارج " إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدّد يوماً فيوماً " (٢كو٤: ١٦) وهو " *الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق* " *(أف٤: ٢٤)* وهو " *إنسان القلب الخفي* " *(١بط٣: ٤)* وهو الإنسان الروحي الجديد الذي خُلِق داخلنا في المعمودية بفعل الروح القدس ، وقد يتساءل البعض : إن كان الروح القدس يسكن في إنساننا الباطن فكيف يطلب بولس الرسول قوة الروح له ؟ لقد طلب بولس الرسول قوة الروح لإنساننا الباطني لأنه يحتاج إلى قوة خاصة ليصل إلى كل ملء الله .

ليحلَّ المسيح بالإيمان فى قلوبكم .. هذه هى الطلبة الثانية للقديس بولس وهى نتيجة حتمية لتحقيق الطلبة الأولى ، فعندما يعمل الروح القدس فى إنساننا الباطن فإنه يكشف لنا عن جمال وأمجاد المسيح الذى هو أبرع جمالاً من بنى البشر " ***ذاك يمجّدنى لأنه يأخذ مما لي ويخبركم*** " ***(يو١٦: ١٤)*** فعندئذ تنفتح له قلوبنا فيأتي ويسكن ويتربع على عرش قلبنا ويطبع صورته فينا " ***وإن كان أحدٌ فى المسيح فهو خليقة جديدة*** " ***(٢كو٥: ١٧)*** .. خليقة جديدة مسكناً للثالوث القدوس .. الآب يثبت فينا " ***الله محبة من يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه*** " ***(١يو٤: ١٦)*** والإبن يحل فينا " ليحلَّ المسيح بالإيمان فى قلوبكم " ويتحقق قوله لتلاميذه " ***لا أترككم يتامي أنى آتى إليكم*** " ***(يو١٤: ١٨)*** والآب والإبن يصنعان فى قلوبنا منزلا " ***إن أحبنى أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا*** " ***(يو١٤: ١٣)*** وأيضاً الروح القدس يسكن فينا " ***أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم*** " ***(١كو٣: ١٦)*** .

وتعتبر هذه الطلبة الثانية أساس الطلبة الثالثة الخاصة بالثبات فى المحبة لأنه متى حلّ المسيح فى قلوبنا عندئذ نثبت فى محبته .

ليحلَّ المسيح بالإيمان .. فعل يحل المستخدم هنا Katoikein يفيد الحلول والاستقرار والسكنى الدائمة وهذا يتمشي مع قول بولس الرسول فى الأصحاح السابق " ***مسكن لله فى الروح*** " ***(أف٢: ٢٢)*** وهو غير فعل Paroikein الذى يفيد الحلول المؤقت والذى إشتقت منه كلمة " نزلاء " الواردة فى الأصحاح السابق ، فحلول المسيح فى قلوبنا ليس حلول النزيل أو الزائر العابر ولكنه حلول المُقيم الدائم أكثر من حلوله فى بيت عنيا حيث كان يبيت هناك فى جو المحبة بعيداً عن صراعات ومشاحنات وضجيج العالم . حقاً أن الله مالئ الكل بلاهوته ولا يخلى منه مكان ولا زمان ، ولكن المقصود بحلوله فى قلوبنا هو قيام عشرة بيننا وبينه فيستريح فينا ونستريح فيه .

ولكن كيف يحل المسيح فى قلوبنا ؟

يحل بفعل الإيمان ، فالإيمان هو العين التى بها نرى المسيح فى محبته ومجده فنشتهى سكناه فى قلوبنا ، وبدون الإيمان يصير الإنسان أعمي لا يشعر بعظمة وألوهية المسيح له المجد .. النظر المتواتر والتأمل الدائم فى رب المجد يسوع يطبعان صورته فى قلوبنا " ***فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي"(غل٢: ٢٠)*** .

ليحلَّ المسيح بالإيمان فى قلوبكم .. حقاً أن كل كيان الإنسان هو هيكل مقدَّس للرب ، ولكن القلب مركز العواطف والمشاعر فهو قدس أقداس الهيكل فلا يكفِ أن تكون علاقتنا مع الله علاقة عقلية ولكن يجب أن تكون قلبية أولاً ولذلك يطلب الله القلب " ***يا ابنى اعطني قلبك " (أم٢٣: ٢٦)*** ويطلب كل الحب القلبى " ***تحب الرب إلهك من كل قلبك " (مت٢٢: ٣٧)*** وطوباه الذى يعطى قلبه للمسيح ليحلَّ فيه لأن رغبته هذه قد تتلاقى تماماً مع رغبة المسيح ذاته الذى قال " ***هانذا واقف على الباب واقرع إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهى معى" (رؤ٣: ٢٠)*** .

" وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو " (١٨)

وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة .. هذه هى طلبة بولس الرسول الثالثة لأجل أولاده لكيما يثبتوا فى المحبة ، وهى نتيجة لمؤازرة روح المسيح فى الإنسان الباطن وحلول المسيح فى القلب ، فالمحبة هى أول ثمار الروح القدس " ***وأما ثمر المحبة فهو محبة " (غل٥: ٢٢)*** ، وقوله " متأصلون " مستعارة من الأشجار فالمسيحي مثل الشجرة الوارفة المثمرة "***كشجرة مغروسة عند مجارى المياة التى تعطى ثمرها فى أوانه وورقها لا يذبل " (مز١: ٣)*** والمسيحي مثل النخلة فى الإرتفاع وكالأرز فى الجمال " ***الصديق كالنخلة يزهو كالأرز فى لبنان ينمو . مغروسين فى بيت***

الرب فى ديار إلهنا يزهرون " (مز٩٢: ١٢، ١٣) والمسيحي مثل شجرة حيَّة ضربت بجذورها فى أعماق التربة لا تخشى الحر ولا العواصف ولا الجفاف "*يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمتدُّ أصولها ولا ترى إذا جاء الحر يكون ورقها أخضر وفى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الأثمار " (ار١٧: ٨)* ورغم أن جذور الشجرة رقيقة ودقيقة إلاَّ أنها قوية قادرة على أن تتخلل حبات التربة مهما كانت صلابتها ، وهكذا أعمال المحبة التى يدفعنا إليها الروح القدس قد تبدو بسيطة ولكنها فى الحقيقة تثبتنا فى المسيح ، وكلما امتدت جذور الشجرة فى التربة الجيدة كلما استطاعت أن تثبت أمام الرياح والأعاصير ، ولكن متى كانت تربة قلوبنا صلبة فإن حياتنا فى المسيح تصبح بلا جذور عميقة فتأتى الرياح الشديدة وتقتلعها وتطوح بها بعيداً ، وعوضاً عن ارتفاعها تجاه السماء تنطرح على الأرض فتذبل وتجف ولا تصلح إلاَّ للحريق .

أما قول الرسول " متأسّسون " فهى مستعارة من البناء ، فالمسيحي مثل الهيكل المؤسَّس على الصخر ذو الأساسات المتينة ، وليس مثل البيت المؤسَّس على الرمل" *فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً " (مت٧: ٢٧)* وبولس الرسول الذى طلب أن يرى أولاده فى أفسس متأصّلين ومتأسّسين فى المحبة طلب من الله أيضاً أن يرى أولاده فى كولوسي متأصّلين ومتأسَّسين فى الإيمان" *إن ثبتم فى الإيمان متأسَّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل .. " (كو١: ٢٣) " متأصّلين ومبنيّين فيه وموطَّدين فى الإيمان " (كو٢: ٧)* .

متأصّلون ومتأسّسون فى المحبة .. المحبة هى التربة الجيدة التى تنمو فيها كل شجرة حيَّة مغروسة فى الفردوس الإلهي والمحبة هى العصارة التى تسرى فى الأغصان فتمنحها القوة والخضرة ، وتهب الأزهار الجمال والرونق ، وتمنح الثمار الطعم اللذيذ والرائحة الجذابة ، فالمحبة هى أعظم الفضائل " *وأما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهنّ المحبة " (١كو١٣:١٣)* وذلك سواء محبة لله أو للناس ، فكلاهما مرتبط بالآخر فالمحبة لا تعيش منفردة ، والمحبة لله

هى أساس المحبة للآخرين ، ومحبة الآخرين هى ثمرة من ثمار المحبة لله ، والمحبة لا يدركها إلاَّ من يمارسها عملياً لأنها درس عملي لا يصلح أن يكون نظرياً ، والإنسان المسيحي ليس إنساناً سطحياً لكنه إنسان له عمق حيث يضرب بجذوره فى أعماق تربة المحبة ، ومن خلال المحبة تزدهر حياتنا الروحيَّة ، ومن خلال المحبة يستطيع كل عضو فى جسد المسيح أن يقدم مواهبه لخدمة الآخرين ، ومن خلال المحبة ننمو إلى أن نصل إلى كل ملء الله لأن الله محبة .

حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين .. " أن تدركوا " تتوافق مع طلبة بولس الرسول فى صلاته الأولى "***كى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته* " *(أف ١: ١٧)*** و " تدركوا " فى الأصل اليوناني تعنى الفهم العقلي الدقيق المبني على التحقيق والتمييز بالبصيرة ، فإدراكنا للحقائق الإلهيَّة ليس إدراكاً عقلياً يقودنا للتشامخ والكبرياء ولكنه إدراك نابع من روح المحبة التى نعيش بها ، فالإنسان المسيحي فى المسيح ليس فرداً منفصلاً لكنه عضواً فى الجسد الواحد . عضو فى مجمع القديسين لا يمكن أن يستغنى عن الآخرين ولا يمكن للآخرين الاستغناء عنه ، وكنيستنا الأرثوذكسية كنيسة القديسين تعلمنا كيف تكون لنا الصداقة والعشرة مع القديسين سواء على مستوى الكنيسة المجاهدة أو المنتصرة ، والاستفادة من خبراتهم الروحيَّة وكتاباتهم العميقة .

ما هو العرض والطول والعمق والعلو .. ماذا يقصد بولس الرسول من هذه الأبعاد ؟ أنه يقصد بها المحبة الإلهيَّة كما أنه يقصد سر المسيح :

١- **المحبة الإلهيَّة** : عرض هذه المحبة يشمل العالم كله " ***هكذا أحبَّ الله العالم* " *(يو٣: ١٦)*** فالمحبة للجميع عرضها هو ذراعي المسيح الممدودتان على الصليب تحتضن جميع ممالك الأرض " ***اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها* " *(مر١٦: ١٥)*** .

وطول هذه المحبة الإلهيَّة يمتد من الأزليةَّ إلى الأبديَّة يشمل كل الناس فى كل

دهر وإلى دهر الداهرين .. يشمل الطول الزمن كله ، وما قبله حيث كنا في فكر الله منذ الأزل ، وما بعده حيث سنكون فى الأبدية " ***محبة أبديّة احببتكِ من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة " (ار٣١: ٣)*** ..

طول هذه المحبة تشمل العمر كله من المهد إلى اللحد . بل ما قبله عندما كنت في عقله فكرة وفى قلبه مسرة ، وما بعد العمر فى الملكوت الأبدي .

وعمق هذه المحبة ما وصل إليه الرب يسوع فى تجسده وإخلائه حتى أعماق الجحيم لكيما يُصعِدنا .. عمق هذه المحبة يصل إلى قاع الفشل الذى يتعرض له الإنسان والهاوية التى ينزلق فيها .

وعلو هذه المحبة هى العرش الإلهي الموضع الذى لا يستطيع أى عدو أن يرتفع إليه .. هى رأس سلم يعقوب " ***وإذ سُلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمسُّ السماء . وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها . وهوذا الرب واقف عليه " (تك٢٨: ١٢، ١٣)*** وقال الرب يسوع " ***الحقَّ الحقَّ أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على إبن الإنسان " (يو١: ٥١)*** حقاً قال صوفر النعماني " ***أ إلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهى . هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل . أعمق من الهاوية فماذا تدرى . أطول من الأرض طوله وأعرض من البحر " (أي١١: ٧-٩)*** .

٢- **سر المسيح** .. أى قبولنا نحن الأمم ، والعرض هنا يمثل جميع الأمم فى كل زمان ومكان ، والطول يمثل القصد الإلهي منذ الأزل وتحقيقه فى الأبد ، والعمق هو حالنا نحن الأمم قبلاً من موت بالذنوب والخطايا وخضوع لرئيس سلطان الهواء ، والعلو حيث أقامنا واجلسنا نحن الأمم معه فى السموات .

" وتعرفوا محبَّة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله " (١٩)

وتعرفوا محبَّة المسيح الفائقة المعرفة .. هذه هى الطلبة الرابعة لبولس الرسول من أجل أولاده ، ووجه العجب فى هذه الطلبة أنه يطلب لهم أن يعرفوا

محبة المسيح الفائقة المعرفة ، فكيف يستطيعوا أن يعرفوا شيئاً فائق المعرفة ؟! وكيف يدركون شيئاً فائق الإدراك ؟! وكأن بولس يدخل بهم إلى بحر بلا نهاية فكلما قطعوا مسافة كلما تبينوا الإتساع الغير محدود ، وكأنه يصعد بهم إلى جبل عال جداً وكلما يصلوا إلى قمة فإذ بقمم أخرى أعلى واشم ، فقد قال الرب يسوع *" كما أحبنّى الآب كذلك أحببتكم أنا " (يو ١٥ : ٩)* فمن يقدر أن يحد ويحصر محبة الآب وللإبن ؟ وهكذا بالقياس لن يقدر كائن ما أن يحد محبة الإبن لنا .. أنها الصليب فى عمق آلامه ، والقيامة فى عظم نصرتها ، والأبدية فى أوج مجدها .. حقاً من يقدر أن يحد محبة المسيح الفائقة للكنيسة ككل *"كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة واسلم نفسه لأجلها " (أف٥: ٢٥)* ؟ ومن يقدر أن يحصي محبة المسيح لكل عضو فى الكنيسة *" الذى أحبّنى وأسلم نفسه لأجلى" (غل٢: ٢٠)* ومن يقدر أن يعرف كيف أحبنا المسيح وكيف يحبنا ؟!

وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة .. محبة المسيح الفائقة المعرفة لا يمكن إدراكها ولكن متى حلّ المسيح فى قلوبنا فإننا نتذوق هذه المحبة ، ومن يتذوق النذر اليسير من محبة المسيح فإن قلبه يلتهب بنار الحب الإلهي فلا يكفيه حتى سفك دمه قطره قطره من أجل حبيبه يسوع . أما إدراك عمق هذه المحبة فهو موضوع الأبدية .. لقد أعطى الله عبده بولس أن يغوص فى هذه الأمور الروحيَّة العميقة وأعطاه القدرة على التعبير عنها على قدر ما تسمح به لغتنا الضعيفة فيكلم أولاده فى فيلبى عن سلام الله الذى يفوق كل عقل (في٤ : ٧) ويكلم أولاده فى أفسس عن غنى المسيح الذى لا يستقصى (أف٣: ٨) وهنا يكلمهم عن محبة المسيح الفائقة المعرفة .

لكى تمتلئُوا إلى كل ملء الله .. وهذه هى الطلبة الخامسة والأخيرة ورأس كل الطلبات وقمتها وغايتها ، فكل ما تقدم من احناء الركب وطلب قوة الروح القدس وحلول المسيح فى القلب والثبات فى المحبة وإدراك محبة المسيح الفائقة كل

هذا " لكى " تمتلئوا من كل ملء الله ، وهنا أيضاً نرى عجباً إذ كيف يمتلئ المحدود من غير المحدود ؟! وكيف يمكن للإناء المحدود أن يمتلئ بكل ملء الله ؟! هذه أمور تفوق الوصف ولكننا نأخذها بالإيمان ، فها الكاروز يحدثنا هنا عن الإمتلاء إلى كل ملء الله الآب ، وفى الأصحاح الرابع يحدثنا عن الوصول إلى ملء المسيح " *أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله . إلى إنسان كامل . إلى قياس قامة ملء المسيح* " *(أف٤: ١٣)* وفى الأصحاح الخامس يحدثنا عن الإمتلاء بالروح القدس " *إمتلئوا بالروح* " *(أف٥: ١٨)* .. حقاً لقد صرنا مسكناً للثالوث القدوس ، فلا يطلب حبيبنا بولس لنا نعمة معينة أو عطية عظيمة إنما يطلب الوصول إلى كل ملء الله . يا للعجب ؟! ألا يذكرنا هذا بقول الحكيم لله" ***هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك*** " *(امل٨: ٢٧)* فيجيبه الله على فم أشعياء النبي " *فى الموضع المرتفع المقدس أسكن مع المنسحق والمتواضع بالروح* " *(اش٥٧: ١٥)*

لكى تمتلئوا **إلى كل ملء الله** .. وما معنى أن نصل إلى كل ملء الله ؟ هل نصير مثل الله فى الألوهيَّة ؟ .. كلا فإننا بشر وسنظل بشراً ، ولكن هنا تتحقق طلبة الرب يسوع " ***ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا*** " *(يو١٧: ٢١)* فوحدتنا مع الآب والإبن هى وحدة فى الشركة " ***شركاء الطبيعة الإلهيَّة*** " *(٢بط١: ٤)* ولسنا شركاء فى الطبيعة الإلهيَّة .. نأخذ منه ولا نعطه " ***ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة*** " *(يو١: ١٦)* نحن نمتلئ فيه وهو مصدر الملء " ***أنتم مملوؤون فيه الذى هو رأس كل رياسة وسلطان*** "*(كو٢: ١٠)* أما وحدة الآب والإبن فهى وحدة فى الجوهر الإلهي .. أننا نحتاج أن نصمت قليلاً لنتأمل فى هذه النعمة العظيمة .

ثالثاً : تمجيد إسم الله (٢٠، ٢١)

" ٢٠ والقادر أن يفعل فوق كلّ شئ أكثر جدّاً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوّة التى تعمل فينا ٢١ لهُ المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور أمين " (٢٠، ٢١)

رأينا فى الأصحاح الأول قوة الله الآب العاملة فى الإبن المتجسد من أجلنا ، وفى الأصحاح الثاني رأينا قوة الله العاملة فينا ، وفى هذا الجزء الأخير من الأصحاح الثالث يُعظِّم بولس الرسول الله القادر الذى يفعل كل شئ بحسب قوته العاملة فينا ، وبهذا يمكننا أن نقول أن فكرة قوة الله العاملة من أجل الإنسان وفى الإنسان تخلَّلت الأصحاحات الثلاث الأولى من هذه الرسالة ، وفى هذا الجزء ، وبعد أن أحنىَ بولس الرسول ركبتيه فى صلاة عميقة من أجل أولاده (١٤-١٩) أخذ قلبه يفيض بالتسبيح لله القادر على كل شئ ، فهاتان الآيتان تمثلان نشيداً جميلاً ينشده معلمنا بولس عن مقدرة الله وإرادته الصالحة إذ يهبنا أكثر مما نطلب أو نفتكر .. أنها تسبحة لذيذة مثل التسابيح التى رفعها الكاروز أمام عرش النعمة فى مواضع أخرى (رو١٦: ٢٥،عب١٣: ٢٠،٢١) وهى ترنيمة حمد لله وبها نختم الجزء الأول التعليمي من هذه الرسالة .

والقادر أن يفعل فوق كلّ شئ .. دخل بنا بولس الرسول إلى الأمور التى تفوق الطبيعة إذ طلب لنا أن نصل إلى كل ملء الله فوقعنا فى حيرة ، فلم يتركنا فى حيرتنا بل أوضح لنا الطريق للوصول إلى ملء الله ، والطريق هو الله ذاته القادر أن يفعل فوق كل شئ ، وبعد أن حدثنا الكاروز عن غنى النعمة الإلهيَّة نراه يلقى بنفسه فى أحضان هذه النعمة مُعلماً إياناً أن لا نركز على خطايانا بقدر ما نلقى بأنفسنا فى أحضان النعمة الإلهيَّة واثقين أنه " ***حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً*** " *(رو٥: ٢٠)* .

أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر .. فى هذه التسبحة نلمس مدى إيمان كاروز الأمم الذى يُوقِن أن الله لن يهبنا على قدر طلباتنا فقط بل أكثر مما نطلب أو نفتكر بل وأكثر مما يخطر على قلوبنا .. أليس هو الذى أعدَّ لنا الأبدية " ***ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان*** " *(١كو٢: ٩)* .

بحسب القوة التى تعمل فينا .. أى قوة الروح القدس الساكن فينا والعامل بنا ، ومن ينتبه إلى هذه القوة يسير من قوة إلى قوة . أما الإنسان الذى يتوه فى

أهواء وشهوات هذا الجسد والعالم فإنه يصاب بالعمى الروحي فلا يدرك قــوة الله العاملة بل يترك عدو الخير ليعمل فيه بقوته الشريرة .

له المجد فى الكنيسة .. الله ينفذ قصده الإلهي من خلال الكنيسة وبالكنيســة ، والكنيسة هى عروسه المجيدة التى تُعلن مجده وحكمته فى كل زمان ومكان فى هذا الدهر وبالأكثر فى الدهر الآتى (أف٣: ١٠) .. الكنيسة فى القديــم حيــث تــابوت العهد ومجد الله يحلُ بين الكاروبين ، والكنيسة في الحاضر حيث الله ســاكن فــى وسطها يُعلن مجده ووجوده كل يوم على المذبح ، والكنيسة فــى المســتقبل حيــث *" مسكن الله مع الناس " (رؤ٢١: ٣)* فالكنيسة هــى *" العــروس إمــرأة الخــروف " (رؤ٢١: ٩)* وهى *" المدينة العظيمة أورشليم المقدسة " (رؤ٢١: ١٠)* .

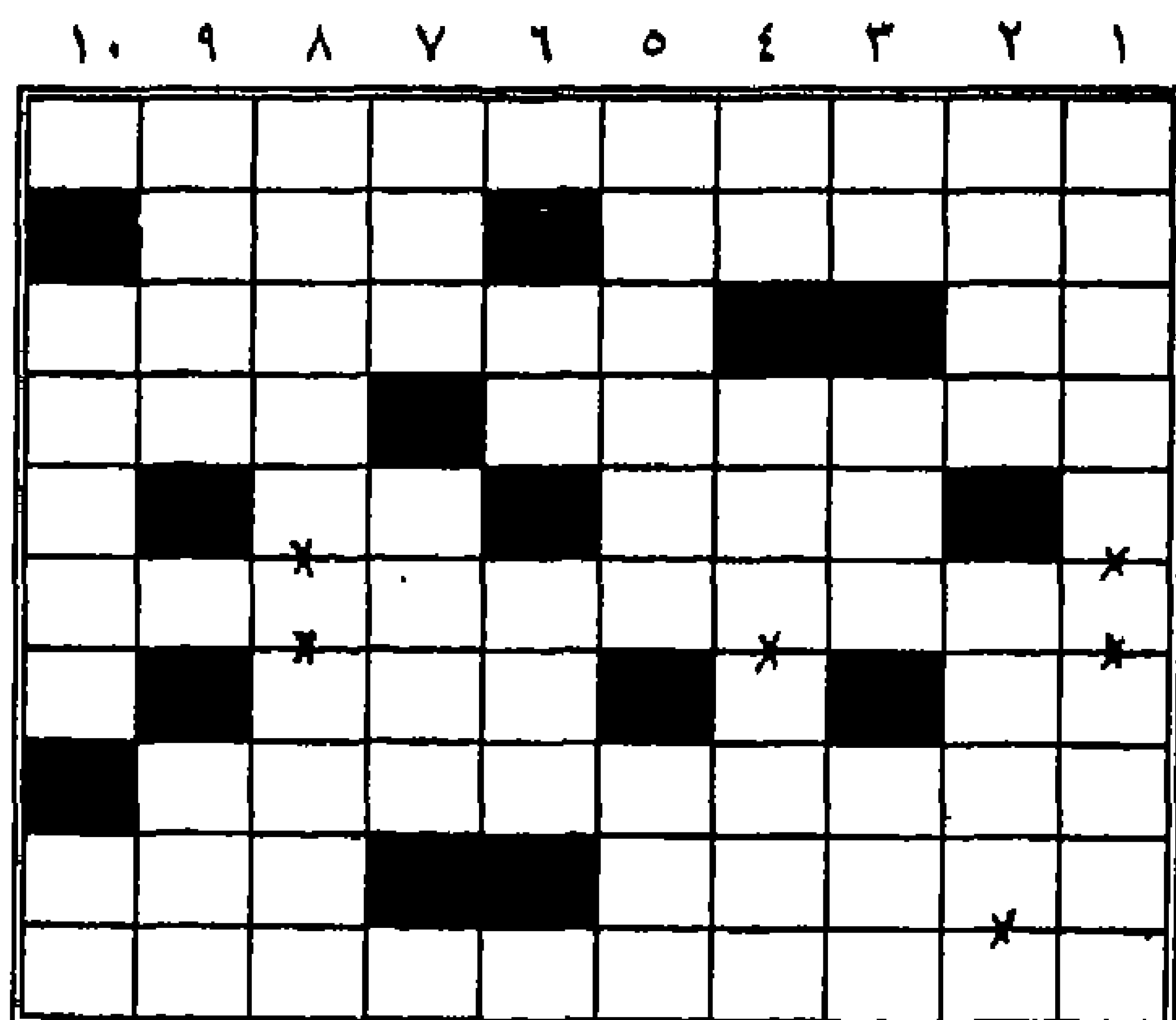
له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع .. يسوع المسيح كائن فــى كنيســته والكنيسة تستمد كيانها منه .. المسيح يسوع رأس الكنيسة والكنيســة هــى جســده المقدس .. المسيح هو سور نار حول كنيسته ومجداً في داخلها .

له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع .. المسيح يســوع الــذى هتفــت لــه الملائكة يوم ميلاده *" المجد لله فى الأعالي " (لو٢: ١٤)* والمسيح يسوع الــذى مجَّـد الآب *" أنا مجَّدتك على الأرض " (يو١٧: ٤)* والمسيح يسوع الــذى تســبحه القــوات السمائية *" أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة .." (رؤ٤: ١١)* .. أنه الإله الذى وهبنا كل هذه العطايا والنعم والبركات الذى يليق بــه المجــد والإكــرام والتسبيح .

إلى جميع أجيال دهر الدهور أمين .. علامة الإستمرار من جيــل وإلــى جيــل وإلى دهر الدهور أمين .. نسبحهُ مع المرنم قائلين *" يكون إسمه إلى الدهر قدام الشــمس يمتدُّ إسمه . ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوبونه " (مز٧٢: ١٧)* وكلمــة " أميــن " العبرية تعنى أستجب ، وبها يختتم بولس الرسول الجزء الأول التعليمي من رسالتــه .



السؤال الأول : كلمات متقاطعة



الكلمات الرأسية :

١- عكس ايجاز – خبر مفرح (معكوسة).

٢-من الأوعية – يعطى بسخاء .

٣- للنداء –مفرد سهام (معكوسة)- حصل على

٤- فرح (معكوسة) – فى النوم – يستفهم (مبعثرة) .

٥-تستخدم فى صيد الطيور – تجدها فى آيادى

٦- من الضمائر (معكوسة) – رجاء .

٧- على الطريق – من الأدوية (معكوسة) .

٨- عكس أرضي- من الطيور (معكوسة) .

٩- يكرز – عطف .

١٠- مجالَ كرازة لبولس الرسول – يُعطيه الكاهن .

الكلمات الأفقية :

١- لقب أطلقه على نفسه بولس الرسول .

٢- قُيد بها بولس الرسول – ارتفاع صغير فى الطريق (مبعثرة) .

٣- للتوجع (معكوسة) –جمع أشبين (معكوسة) .

٤- متأصلون ومتأسسون فيها – من الحيوانات .

٥- رب (معكوسة) – نصف مينا .

٦- المحبة الفائقة المعرفة (معكوسة) .

٧-ثلثى يجد – لين .

٨-لقب لبولس الرسول يستنتج من الأصحاح (معكوسة).

٩- مصاعب – وهب .

١٠- قال عن نفسه أصغر جميع القديسين .

****

السؤال الثانى : ضع علامة صح أمام العبارة الصحيحة وعلامة خطأ أمام العبارة الخاطئة مع تصحيح الخطأ :

١- بولس الرسول أسير من أجل الكرازة لأمته اليهودية ( )

٢- سر المسيح المكتوم الذى ادركه بولس الرسول هو الفردوس ( )

٣- كلمة خادم الواردة فى الآية السابعة فى الأصل اليونانى تعنى رسولاً ( )

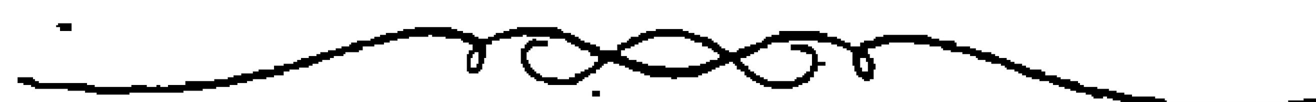
٤- الملائكة لا يتعلمون بواسطة الكنيسة لأنهم أرفع منها شأناً ومعرفة ( )

٥- شملت صلاة بولس الرسول الثانية عشر طلبات من أجل أولاده ونفسه ( )

٦- العرض والطول والعمق والعلو أبعاد تخص السماء الثالثة ( )

****

السؤال الثالث : تصوَّر حديثاً جرى بين أسير يسوع المسيح وجندى رومانى أسير الشيطان ، وانتهى بعبارة " كنت أعمى والآن أبصر " .. سجل هذا الحديث .



الأصحاح الرابع

إن كان الهدف من هذه الرسالة ككل هو إظهار قصد الله فى توحيد الخليقة فى المسيح يسوع ، فإن معلمنا بولس الرسول قد حقَّق هذا القصد من خـــلال الجــزء الأول التعليمي من الرسالة والذى استغرق الأصحاحات الثلاث الأولي ، وهنا فـــى الجزء الثانى يحدثنا لسان العطر عن دورنا نحن فى تحقيق هذا القصد الإلهي .

وبعد أن حلَّق بنا كاروز الأمم فى السماويَّات وأعلن لنا الخفيات فـــى الجــزء الأول التعليمي يدخل بنا إلى الجزء العملي السلوكي حيث الحياة العملية والســلوك فى جدَّة الحياة ، ففى الجزء الأول وضع الأساس وهنا يقيم البناء .. فـــى الجــزء الأول وضع النبتة وهنا يجني الثمرة .. وفى الجزء الأول ركَّز على عمل الله مــن أجلنا وهنا يركز على عملنا لأجل أنفسنا .. وفى الجزء الأول حدثنا عـــن العقيــدة والدعوة وهنا يحدثنا عن السلوك المسيحي المطابق لهذه العقيدة وتلـــك الدعــوة ، وهذا أمر منطقى لأن عقيدة الإنسان هى التى تحكم تصرفاته ، فالعقيدة الصحيحـــة هى التى تقود إلى السلوك الصحيح ، والسلوك القويم هو نتاج العقيدة القويمة .

وفى هذا الأصحاح يحدثنا بولس الرسول عن وحدانية الروح ليس بمعنـــى أن تكون جميع الأعضاء نسخة واحدة متكرّرة ، ولكن بمعنى أن هناك نماذج عديـــدة للأشخاص وهناك تمايز فى المواهب ، وفوارق بين الأعضاء ، ولكن كل هذا فـــى توافق وتكامل وانسجام بدون أى تناقض أو تضاد ، ولكيما نصل إلـــى وحدانيـــة الـــروح لابد أن نرفض المبادئ والتصرفات العتيقة ونلبس الإنسان الجديـــد ونســلك بمـــا يليـــق بهذه الوحدانية .

ويمكن تقسيم الأصحاح كالآتى :

أولاً : وحـــدانيـــة الــــــروح (١-١٦) .

ثانياً : الإنسان العتيق والإنسان الجديد (١٧-٢٤) .

ثالثاً : تصرفات عتيقة وتصرفات جديدة (٢٥-٣٢) .

أولاً : وحـدانيـة الـروح (١-١٦)

" ١ فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوة التى دُعيتم بها ٢ بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة ٣ مجتهدين أن تحفظوا وحدانيَّة الروح برباط السلام ٤ جسد واحد وروح واحد كما دُعِيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد ٥ ربٌّ واحد إيمان واحد معمودية واحدة ٦ إله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم ٧ ولكن لكل واحد منا أُعطِيت النعمة حسب قياس هِبَة المسيح . لذلك يقول إذ صعد إلى العلا سبي سبياً وأعطى الناس عطايا ٨ وأما أنهُ صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً أولا إلى أقسام الأرض السفلي ٩ الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكلَّ ١٠ وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاةً ومعلّمين ١١ لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح ١٢ إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله ١٣ إلى إنسانٍ كامل إلى قياس قامة ملء المسيح ١٤ كى لا نكون فى ما بعدُ أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليمٍ بحيلة الناس بمكرٍ إلى مكيدة الضلال ١٥ بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح ١٦ الذى منهُ كل الجسد مركَّباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نموَّ الجسد لبنيانهِ فى المحبة " (١-١٦) .

" فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوة التى دُعِيتم بها " (١)

فأطلب إليكم .. أطلب فى الأصل اليوناني " بارا كالو " لا تحمل معنى الطلب العادى فقط لكنها تحمل معنى الرجاء الحار والحث والتوسل والاستعطاف ، فبولس الرسول لا يطلب منفعة شخصية ولا ربح مادى كان أو معنوى ، ولكنه يطلب ما هو أثمن وأعظم .. أنه يطلب خلاص نفوس أولاده ولذلك يرجوهم ويتوسل إليهم ، ولكيما نتعرف على مشاعر بولس الرسول عن قرب دعنا ياصديقى نطرق باب تسالونيكى ونسأل أهلها : كيف كانت مشاعر بولس الرسول تجاه خلاصكم ؟ لابد إنهم يحفظون فى قلوبهم كلماته اللامعة ***" لأننا الآن نعيش إن ثبتّم أنتم فى الرب " (١تس٣: ٨)*** .

فأطلب إليكم .. وبنفس المشاعر خاطب بولس الرسول أهل رومية فى بداية

الجزء العملي من رسالته إليهم "*فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضيَّة ..*" *(رو١٢: ١)* فبعد أن عرض لنا الأعمال العظيمة التى صنعها الله لأجلنا ألا يحق له أن يطالبنا بالسلوك اللائق ؟!

أنا الأسير فى الرب .. هذه المرة الثانية فى هذه الرسالة يصف فيها بولس الرسول حالته ، ففى بداية الأصحاح السابق قال لهم "*أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم*" *(أف٣: ١)* وهنا يُكرِّر نفس المعنى " الأسير فى الرب " فبولس يشعر بكيانه " فى المسيح " أو " فى الرب " دائماً وأبداً مهما كانت حالته سواء فى أمجاد وإعلانات سماويَّة أو فى سجن وضيق وأسر ، فهو متحد بالرب وموثق من أجل الرب ، ولم يقصد بولس العظيم أن يستدر عطف أحد ، ولا يقصد أيضاً أن يفتخر ويتشامخ عليهم . إنما يتحدث إليهم بأسلوب رقيق للغاية بكل تواضع وخضوع ، وكل ما يقصده من ذكر أسره وقيوده أن يلهب قلوبهم ويحفِّزهم ويحرِّضهم على السلوك حسب الدعوة التى وُجهت إليهم والبشارة التى وصلت إليهم وكانت تكلفتها هذه القيود وتلك السلسلة ، ولنا عودة فى نهاية تفسير الآية إلى سلسلة بولس .

أن تسلكوا كما يحقُّ .. يركز معلمنا بولس الرسول دائماً على الحياة فى المسيح لذلك يدعو أهل فيلبى قائلاً "*فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح*" *(فى١: ٢٧)* ويدعو أهل كولوسي قائلاً "*لتسلكوا كما يحق للرب فى كل رضا مثمرين فى كل عمل صالح*" *(كو١: ١٠)* ويدعو أهل تسالونيكى قائلاً "*ونُشهدكم لكى تسلكوا كما يحق لله الذى دعاكم إلى ملكوته ومجده*" *(١تس٢: ١٢)* وتعبير " كما يحق " التى تكرَّرت فى الآيات السابقة يعنى كما يجب وكما يوافق وكما يتمشي مع السلوك المسيحى الإنجيلى ، وبولس الرسول لا يطالبنا بالسلوك المستقيم لنستحق أن يدعونا الله إلى ملكوته ، ولكنه يطالبنا بهذا لأن الله دعانا فعلاً إلى ملكوته ودعانا أبناءه لذلك يجب أن نسلك كما يليق كأبناء لملك الملوك ورب الأرباب ، ومن كثرة انشغال معلمنا

بولس بالسلوك كرَّر هذه الكلمة فى هذه الرسالة سبع مـرات (٢:٢،١٠:٤-١:١٧،١-٥: ١٥،٨،٢) لينهى أولاده عن السلوك الردئ ويشجعهم على السلوك الصحيح .

أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوة التى دُعِيتم بها .. ما هى هذه الدعوة ؟ يتضـح من الأصحاحات السابقة أن هذه الدعوة هى دعوة الله لنا ونحن غرباء بدون مسيح بلا عهود ولا مواعيد ولا إله ولا رجاء بعيدين عن الملكوت فدعانا لنكون رعية مع القديسين وأهل بيت الله وهيكلاً مقدساً فى الرب ومسكناً لله فى الروح . بل أننا كنا فى قصد الله منذ الأزل ودعانا للتبنى قبل أن يخلقنا ، والله يدعونا بأسمائنا فقد دعى آدم *"أيـن أنـت ؟ "(تك٣: ٩)* ودعى إبراهيم *"إبراهيم إبراهيم "(تـك٢٢: ١١)* ودعى صموئيل (١صم٣: ٤) ودعى شاول *" شاول شاول لماذا تضطـهدنى " (أع٩: ٤)* وهو يدعو كل واحد بإسمه دعوة الأب لأولاده والأم لأطفالها والراعـى الصـالح لخرافه *" يدعو خرافه الخاصة بأسماء " (يو١٠: ٣)* .

كما يحقُّ للدعوة التى دُعيتم بها .. ما هى طبيعة هذه الدعوة ؟ أنـها دعـوة عليا (فى٣: ١٤) دعوة سماوية (عب٣: ١) دعوة مقدَّسة (٢تي١: ٩) دعوة بـالمجد والفضيلة (٢بط١: ٣) دعوة للسلام (١كو٧: ١٥) دعوة بلا ندامـة (رو١١: ٢٩) ، وإن كان الإنسان يلتزم بقانون ودستور الجماعة التى ينتسب إليها فـالذى ينتسـب لعائلة عريقة لا يقدر أن يتزوج من عائلة منحلة ، والذى ينتسب لعائلـة ملكيَّـة لا يحقُّ له أن يتصرف مثل السفهاء المتشردين ، وهكذا الإنسان المسـيحي يجـب أن يلتزم بدستور ومبادئ الإنجيل وبالحياة الجديدة التى دُعي إليها ويسلك كمـا يليـق فكراً وقولاً وفعلاً ، حتى أنك لو رأيت إنساناً وديعاً متواضعاً محتملاً محباً مسـالماً فلابد أنك أنه إنسان مسيحي أمين فى سلوكه بحسب الدعوة التى دُعى إليها .

والآن نترك القديس يوحنا ذهبى الفم يصطحبنا فى رحلة قصيرة يكشـف لنـا عن أمجاد وعظمة القيود من أجل الرب ، ودعنا ياصديقى نقتطف عبـارات قليلـة من أقواله الذهبية حيث يهمس فى آذاننا قائلاً :

" من تعمَّق فى روح الولاء للرب يعرف قوة هذه السلاسل . مثل هذا يفضل أن يكون أسيراً من أجل المسيح عن أن تكون له السماء مسكناً .. أية عصابة (تاج) للرأس مرصَّعة بالجواهر ليست أمجد من السلسلة الحديديَّة التى تكبل اليدين من أجل المسيح . إذاً لقد كان السجن أمجد من القصور بل أمجد من السماء نفسها ، ولماذا أقول أمجد من القصور ؟ لأنه كان يضم سجيناً سُجن من أجل المسيح . أن السجن من أجله أمجد من الجلوس عن يمينه (مت٢٠: ٢١) ..

لو خُيرت أنا شخصياً بين السماء وتلك السلسلة لفضلت السلسلة ، ولو خُيرت بين الجلوس فى الأعالي مع الملائكة أو مع بولس فى السجن لفضلت السجن ، ولو خُيرت بين التحول إلى واحد من تلك السلطات التى فى السماء الواقفة حول العرش أو إلى سجن كهذا لفضلت أن أكون سجيناً . ليس هناك أمجد من تلك السلسلة ..

ليتني أستطيع النظر إلى تلك السلسلة التى يرهبها الشياطين ويرتعبون منها لكن الملائكة يمجدونها . ليس هنالك أشرف وأنبل من إحتمال الشر من أجل المسيح أعتقد أن الرسول بولس لم يسعد عندما " *أختطف إلى الفردوس* " *(٢كو١٢: ٤)* بقدر ما سعد عندما زج به فى السجن . أعتقد بأنه لم يسعد عندما سمع كلمات لا ينطق بها بقدر ما سعد عندما أُوثقت يداه ..

أنني أحسب أن إحتمال الآلام من أجل المسيح أفضل من قبول المجد من يدى المسيح . هذا مجد فائق ، هذا مجد يفوق كل مجد ، وإن كان ذاك الذى أخذ صورة عبد وأخلى نفسه من مجده (في٢: ٧) لم يعتبر أنه كان فى حالة أمجد مما كان عندما صُلب فلماذا لا أحتمل أنا كل شئ ؟ استمع إلى كلماته " ***أيها الآب مجدني*** " *(يو١٧: ١)* ما هذا الذى تقوله ؟ أنت تؤخذ إلى الصليب لتصلب مع اللصوص وسارقي القبور . أنت تحتمل موت اللعنة . سوف يُبصق عليك وسوف تُلطم وتدعوا هذا مجداً ؟!! نعم : فإنى أحتمل كل هذا من أجل أحبائى وأعتبره مجداً ..

آه ، ما أمجد هذه السلسلة . آه ، ما أمجد هاتين اليدين اللتين زينتهما هذه

السلسلة .. لو كنت عائشاً فى تلك الأيام لقبلتها ، ووضعتهما فى حدقة عيني ، ولما كنت أكفُّ عن تقبيل هاتين اليدين اللتين حسبتا مستحقين أن توثقا من أجل ربي ، هل تتعجب أن بولس عندما نشبت الأفعى فى يده دون أن تضره ؟ (أع٢٨: ٣-٥) لا تنذهل . فهذه الأفعى احترمت السلسلة بل لقد وقَّرها البحر كله ، لأنه كان موثقاً بالسلسلة أيضاً عندما نجا إذ تحطمت السفينة ..

هل يسألني أى واحد أيهما تفضل ؟ أتفضل أن تكون هو الملاك الذى ضرب بطرس أم بطرس الذى نجا ؟ أنني أفضل أن أكون بطرس الذى من أجله جاء الملاك نفسه .. لقد حسب الآلام هبة أعظم .. أسمي من أن يعطى السلطان على الشياطين أو إخراجها . الشياطين لا تحزن بسبب إخراجنا لها بالإيمان بقدر ما تحزن عندما ترانا نتألم من أجل المسيح ونسجن لأن هذه تزيدنا جرأة .. عندما كان بولس مربوطاً بسلسلة قيل أنه قد "*تزعزت أساسات السجن .. وانفكت قيود الجميع*" *(أع١٦: ٢٦)* . ألست ترى إذاً أنه كانت فى القيود طبيعة تذيب القيود نفسها ؟ فكما أن موت الرب أمات الموت نفسه هكذا إستطاعت قيود بولس أن تحلَّ قيود المحبوسين .. فإننا نقرأ أن حافظ السجن "*خرَّ لبولس وسيلا وهو مرتعد*" *(أع١٦: ٢٩)* قل لي : ألم تكن أنت الذى قيدته ؟ ألم تكن أنت الذى ألقيته فى السجن الداخلى ؟ (أع١٦: ٢٤) ألم تكن أنت الذى ضبطت رجليه فى المقطرة ؟ فلماذا ترتعد ؟ لماذا تضطرب ؟ لماذا تبكي ؟ لماذا تستل سيفك ؟ فأجاب : أنني لم أقيد قط شخصاً كهذا لم أكن أدرى أن المسجونين من أجل المسيح لهم قوة مقتدرة كهذه ..

صبراً قليلاً وأسمح لي بأن .. أتأمل فى سلاسله . أسمح لي بفرصة أطول لزيادة التأمل فيها .. لقد تشبثت بتلك السلسلة ولن يفصلنى أحد منها . أنني فى هذه اللحظة مُقيد بمحبتى أكثر مما كان هو مضبوطاً فى المقطرة . لا يقدر أحد أن يحطم هذه السلسلة لأنها مصنوعة من محبة المسيح ..

فلنختم حديثنا بتقديم الشكر الجزيل لسلسلة بولس لأنها صارت لنا مصدر

بركات جزيلة .. إذ ما تألمتم من أجل المسيح لا أن تتذمروا بل أن تفرحوا كما فعل الرسل .. كانت سلسلة بولس طويلة ، وقد تطلبت منا وقتاً طويلاً للتأمل فيها . نعم أنها طويلة فعلاً ، وهى أجمل من أية سلسلة ذهبية . هى سلسلة تسحب الذين ربطوا بها لتأخذهم إلى السماء ، كأنها تسحبهم بآله ميكانيكية غير منظورة وبحبل ذهبي مدلي لتسحبهم إلى سماء السموات " [١٠]

" بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة " (٢)

فى هذه الآية يذكر معلمنا بولس أربع فضائل تساعدنا على السلوك العملي بحسب الدعوة التى دُعينا إليها ، وأيضاً تقودنا إلى حفظ وحدانية الروح وهو موضوع الآية القادمة ، وذات الفضائل طلبها أيضاً من أهل كولوسي ضمن قائمة أطول ***" فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعةً وطول أناة محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً . إن كان لأحد على أحدٍ شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً " (كو٣: ١٢،١٣)*** [راجع تفسير كولوسي صـ١٤٧-١٥٤] ومعلمنا بولس لم يطلب أموراً فائقة لا يقوَ عليها إلاَّ أصحاب الملكات الخاصة ولكنه يطلب أمور يقدر أى إنسان أن ينفذها بنعمة المسيح وعمل الروح القدس داخله .

بكل تواضع .. ما هو التواضع ؟ ولماذا التواضع ؟ وهل هناك مفهوم خاطئ للتواضع ؟

ما هو التواضع ؟ .. التواضع هو التقدير الصحيح للنفس ومعرفة حقيقتها ونقائصها ، وهذا التقدير يقودنا إلى الشعور بعدم الإستحقاق لمحبة الله ونعمه العظيمة علينا ، فالإنسان المتواضع هو الذى عرف حقيقة نفسه فى ضوء النور الإلهي ، ولذلك تجده متضعاً فى جميع الظروف والأحوال ، فتتغير الظروف

[١٠] تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس عظة (٨) – تعريب القمص مرقس داود صـ٨٣-٩٨ .

وتتبدل الأحوال وهو ثابت في تواضعه .. لقد طردوا الأنبا موسي القوى من الكنيسة باحتقار قائلين له : أخرج ياأسود اللون فلم يفقد اتضاعه ووداعته ولم يدن أحدا ، وعندما أعادوه وذكوه وساموه قسا أيضا لم يتغير قلبه ولم يفقد إتضاعه ، والعالم اليوناني القديم لم يعرف الإتضاع كفضيلة بل كانوا ينظرون للاتضاع على أنه خضوع وذله وخنوع وحقارة أما السيد المسيح فقد رفع الإتضاع قائلا *" تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم " (مت١١: ٢٩)* فهو مثال التواضع الحقيقي إذ أخلي ذاته آخذا صورة عبد *" فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع .. " (فى٢: ٥-٧)* .

لماذا التواضع ؟ .. لأنها فضيلة يطلبها الرب *" ماذا يطلبه منك الرب ؟ .. تسلك متواضعا مع إلهك " (مى٦ : ٨)* فهو ينظر للمتواضعين *" والى هذا انظر إلى المسكين والمنسحق الروح .. " (اش٦٦: ٢)* بل يسكن مع المتواضع *" هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد القدوس إسمه . فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأحيي روح المتواضعين ولأحي قلب المنسحقين " (اش٥٧: ١٥)* بينما *" الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعين فيعطيهم نعمة " (١بط٥:٥)* والتواضع هو طريق الحكمة *" تأتي الكبرياء فيأتى الهوان . ومع المتواضعين حكمة " (أم١١: ٢)* وهو الطريق للرفعة *"أتضعوا قدام الرب فيرفعكم" (يع٤: ١٠)* وكل فضيلة تخلو من فضيلة الاتضاع تكون وبالا على صاحبها لأنها تجذبه نحو الكبرياء وتشامخ الروح والسقوط .

وهل هناك مفهوم خاطئ للتواضع ؟ .. نعم فالإنسان الذى يتساهل أمام الأخطاء والبدع والهرطقات بحجة التسامح والتواضع إنسان جانبه الصواب ، والإنسان الذى يتواضع أمام الرؤساء والعظماء بسبب الخوف وقلة الحيلة هو إنسان جانبه الصواب ، والإنسان الذى يتواضع فى الكنيسة أمام أخوته وفى البيت يزأر كأسد كاسر فهو إنسان جانبه الصواب ، والإنسان الذى يتواضع أمام واحد ويتكبر أمام آخر ويصير شرسا أمام ثالث ويتلون حسب المواقف هو إنسان جانبه

الصــواب .. إلخ الإنسان المتضع الحقيقى هو من يضع نفسه دائما فى الحضـــرة الإلهية .. الإنسان المتضع هو الذى ينظر للرب يسوع على أنه المقيـــاس والقـدوة والمثال والهدف والمقصود .. الإنسان المتضع لا يركز النظر على نفسه من خـلال منظار معظم فيجد نفسه فى مقدمة الصفوف وفى مركز الدائرة إنما ينظر إلى نفسه من خلال منظار المسيح فيتضع ويتضع ويتضع .

ووداعــة .. التواضع شعور بين الإنسان ونفسه فهو فضيلـــة داخليـة أمـا الوداعة فإنها تتعلق بمعاملاتنا مع الغير ولا سيما المســيئين والمفـترين وأعـداء النجاح ومشوهي السمعة ، فالإنسان الوديع هو الذى يضبط نفسه ولا يطلق العنـان لانفعالاته ، ومتى ثارت العواصف فى وجهه لا يثور ويستشيط غضبا إنما يتحكـم فى إنفعالاته ناظرا إلى سيده الوديع الهادى الذى إحتمل مشقات لا حـدود لـها وإذ شتم لم يشتم عوضا بل قال لنا "***تعلموا منى لأنى وديع ..*** " ***(مت١١: ٢٩)*** ومعلمنـا بولس يدرك أن الوداعة هى صفة من صفات المسيح فيقول "***فأطلب إليكم بوداعـة المسيح وحلمه*** " ***(٢كو١٠: ١)*** وإن كان الحمل هو أكثر الحيوانات الأليفة وداعة فإن السيد المسيح هو الحمل الحقيقي الذى حمل ويحمل كل خطايانا وأخطاءنا برضـي وبلا تزمر ، كما وصف الكتاب المقدس موسي النبى بإنه " حليما " لأنه حمل أثقـال شعبه اربعين سنة ، فالإنسان الوديع تجده بسهولة يتنازل عن حقوقه ولا يقاوم الشر بالشر بل إذ قد ماتت فيه الذات فهو يعطى الحكم للحاكم العادل ، وأن اضطر إلـى التأديب من واقع المسئولية فهو يؤدب بوداعة بهدف التهذيب وليس بوحشية بـهدف التحطيم "***مؤدبا بالوداعة المقاومين عسي أن يعطيهم الله توبـة لمعرفـة الحـق ..*** " ***(٢تي٢: ٢٥)*** .

وبطول أنــاة .. نُسِبت هذه الفضيلة إلى الله فى تعامله مع البشــر (رو٢: ٤، ٩: ٢٢- ١تي١: ١٦- ١بط٣: ٢٠- ٢بط٣: ١٥) كما نُسِبت للمؤمنين فى تعاملـهم مع الغير (١كو١٣: ٤-غل٥: ٢٢-كو٣: ١٢-٢تي٤: ٢) وهى تعنى الثبـات فى

إحتمال المحنة والشدائد ، فطول الأناة فى الأصل اليوناني يقصد بها طول الـروح أو طول النَفَسْ كناية عن الصبر والإحتمال ، وقد ربط معلمنا يعقوب بيـن طـول الأناة والصبر " *خذوا ياإخوتى مثالا لاحتمال المشقات والأناة الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب . ها نحن نطوّب الصابرين .. " (يع٥: ١٠، ١١)* ، وكان الرومان يعتبرون طول الأناة هو عدم الاستسلام للهزيمة ، فالإمبراطورية الرومانية كانت تقبل الهزيمة فى موقعة ولكنها ترفض تماما أن تخسر الحرب إلى النهاية ، فالإنسان طويل الأنـاة لا يستسلم أبدا لصغر النفس واليأس والفشل ، والإنسان طويل الأناة يضبط نفسه وقـت الإساءة إليه والافتراء عليه ولا سيما عندما تكون هذه الافتراءات كاذبة فلا يركـض نحو الغضب بل يطيل أناته متطلعا لله الذى يطيل أناته علينا مرات لا حصر لها .

محتملين بعضكم بعضا .. من هو الذى يقدر أن يحتمل غيره ؟ هو الإنسـان المتواضع الوديع طويل الأناة المحب ،والإحتمال هو الترجمة العملية لطول الأنـاة ، وبالإحتمال وطول الأناة نستمر فى الحفاظ على محبة الذين يسيئون إلينـا ، فنحـن مُعرَضين أن نخطئ فى حق أخوتنا ومع هذا نطلب منهم أن يحتملوننا ويمكنوا لنـا المحبة فبالأولى أن نحتمل نحن أيضا الذين يخطئون فى حقنـا ، ومتـى إحتملنـا بعضنا بعضا كحجارة حية فإننا نُشكّل جميعا الـهيكل المقـدس ، ومتـى اتحدنـا كأعضاء عاملة متفاوتة فإننا نُشكّل جسد المسيح الواحد .

محتملين بعضكم بعضا فى المحبة .. الجو العام الذى تمارس فيـه الفضـائل السابقة هو جو المحبة فالمحبة "*تحتمل كل شئ" (١كو١٣: ٧)* والمحبة هى "*رباط الكمال"(كو٣: ١٤)* ، وفى اللغة اليونانية توجد عدة كلمات تعبر عن محبات مختلفة فكلمة إيروس " eros " تعبر عن المحبة الجسدية وهذه لم يسـتخدمها الرسـول ، وكلمة " philia " تعبر عن المودّة القوية التى تربط شخصين متحابين وهـذه لـم يستخدمها الرسول لأن المحبة للكل ، وكلمة " storge " وتعبر عن المحبة والمـودة الأسرية وهى أيضا لم يستخدمها الرسول ، ولكنه إستخدم كلمة أغابـى " agape "

وهى تعبر عن الإحسان والمودَّة والمحبة بدون تراجع أمام العقبات ، وما أجمل قول معلمنا بطرس الرسول " ***لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة " لأن المحبَّة تستر كثرة من الخطايا " (١بط٤: ٨)*** .

" مجتهدين أن تحفظوا وحدانيَّة الروح بِرباط السلام " (٣)

مجتهدين أن تحفظوا وحدانيَّة الروح .. " مجتهدين " فى الأصل اليوناني تعنى مُقدمين كل إجتهاد وباذلين كل إهتمام ، ومعلمنا بولس لم يطالبنا بصنع وإقامة وحدانية الروح لأن هذه الوحدانية هى قائمة فعلاً ، ، فقد صنعها إبن الله بدم صليبه وأسَّسها بروحه القدوس لذلك دُعيت " وحدانية الروح " ، وقد أفاض معلمنا بولس فى الحديث عن هذه الوحدانية فى الأصحاح الثانى حيث وحَّد السيد المسيح اليهود مع الأمم ، والشعب مع الشعوب ، والإنسان مع الله ، فهى عمل إلهي وليست عمل بشرى ، ولذلك فإن كل المطلوب منا فقط أن نحفظ هذه الوحدانية ، فكيف يمكننا حفظ وحدانية الروح ؟

برباط السلام .. فسلامنا مع الله ينعكس على سلامنا مع أخوتنا .. السلام هو رباط الوحدانية ، والمسيح " ***هو سلامنا " (أف٢: ١٤)*** الذى يربطنا معاً كأعضاء فى جسده الواحد ويسكن فينا بواسطة روحه القدوس ، والمحبة هى ***" رباط الكمال " (كو٣: ١٤)*** والمحبة هى الله الذى يريد أن يجمعنا حوله كما يجمع الراعى خرافه ، وكما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، فعندما نسلك بحسب الدعوة التى دعينا إليها بكل تواضع ووداعة وطول أناة ونحتمل بعضنا بعضاً بمحبة حينئذ نعيش فى وحدانية الروح .. عندما نتجنب الخلافات والمعاملات الجافة والمنازعات وسوء الفهم عندئذ نعيش فى وحدانية الروح .. عندما نبتعد عن الغيرة والحسد والنميمة حينئذ نعيش فى وحدانية الروح .. عندما نحتمل الضعفاء ونتغاضي عن ضعفاتهم فإننا نحفظ وحدانية الروح .. إلخ .

وما هي بركات هذه الوحدانية ؟ عندما نعيش فى الوحدانية يعمل فينا روح الله القدوس بقوة ، ونعمة الله تسندنا فنعبر فوق الضعفات .. عندما نعيش فى الواحدانية يجد الضعيف له مكاننا بيننا " ***ومن هو ضعيف فى الإيمان فاقبلوه .. فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء ولا نُرضي أنفسنا .. لذلك إقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله " (رو١٤: ١، ١٥: ١، ٧)*** ففى الوحدانية يحتمل القوى الضعيف ، ويُنهِض النشيط الكسول .. عندما نعيش الوحدانية لا يجد عدو الخير مكاناً له وسطنا .. عندما نعيش الوحدانية نعود إلى مجد الكنيسة الأولى حيث "***كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة " (أع٤: ٣٢)*** .

" جسدٌ واحدٌ وروح واحد كما دُعِيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد " (٤)

فى الآيات (٤-٦) نجد سبعة أعمدة تقوم عليها وحدانية الروح" ***الحكمة بنت بيتها نحتت أعمدتها السبعة " (أم٩: ١)*** وهى :

١- جسد واحد . ٢- روح واحد . ٣- رجاء واحد . ٤- رب واحد . .
٥- إيمان واحد . ٦- معمودية واحدة . ٧- إله وأب واحد .

وقد بدأ بولس الرسول هذه الأعمدة من الأقرب للعيان أى الجسد الواحد ، وانتهى بالله الأب الغير المرئي ، وفى هذه السباعية يتجلى الثالوث القدوس إبتدأ من الروح القدس " روح واحد " ثم الرب يسوع " رب واحد " ثم الله الآب " إله وأب واحد " وأيضاً نلاحظ ترابط الأعمدة السبعة معاً فهم يشكلون الكنيسة والثالوث القدوس قائم فيها ، فالجسد الواحد هو الكنيسة الحيَّة بالروح القدس الذى يقودها إلى رجاء الملكوت السمائي ، والكنيسة الواحدة رأسها الرب يسوع ، وأعضاؤها لهم الإيمان الواحد والمعمودية الواحدة ، والله الآب للكل وعلى الكل وبالكل وفى كل الكنيسة .

جسدٌ واحدٌ .. الجسد الواحد هو الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدّسة الجامعة

الرسولية الأرثوذكسية التى تتناد بالجسد المقدس وترتوى بالدم الكريم اللذان لمخلصنا الصالح "***فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الربُّ أيضاً للكنيسة " (أف٥: ٢٩)*** ، وعندما يقول معلمنا بولس الرسول " جسد واحد " فهذا خبر وليس طلباً ، فهو لا يطلب أن نجتهد لكيما نجعل الكنيسة جسداً واحداً بل هو يخبرنا بهذه الحقيقة ، فبما أننا جميعاً أعضاء " فى المسيح " فنحن جسد واحد " ***فإنه كما فى جسدٍ واحدٍ لنا أعضاء كثيرة .. هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر " (رو١٢: ٤،٥)*** فليس لنا إلاَّ الحفاظ على وحدانية هذا الجسد ، ورغم كثرة الأعضاء وتمايزها إلاَّ أنها جميعها متصلة بالرأس ، وطالما أن جميعها تحافظ على إتحادها بالرأس فخطة الوحدة التى يرسمها المسيح الرأس (الرئيس) تنفذها الأعضاء بسهولة ويسر ، فيظهر مجدها والمسيح قائم فى وسطها .

جسدٌ واحدٌ .. منتشر فى العالم وهو فوق الزمان والمكان ، فهو يمثل جميع المؤمنين الذين يتمسكون بالإيمان القويم أينما وجدوا ، وهذا الجسد يضم الذين سبقونا إلى دهور النور ، وأيضاً الآتين من بعدنا إلى أخر الدهور .. أنه جسد مجيد .. كنيسة لا عيب بها ولا غضن تسلمناها طاهرة نقية لا عيب فيها وهكذا يجب أن نُسلِمها .. نفديها بأرواحنا ونحافظ عليها من كل أمر ردئ يسعى إلى تمزيقها مثل البدع والهرطقات الشيطانية التى تصطاد النفوس وتلقى بهم فى هوة الهلاك ، ومثل حب السلطة الذى أدى إلى انشطارها واثقين أنه مهما قدم الإنسان أعمالاً صالحة بلا حدود ولكنه ساهم فى تمزيق جسد المسيح فلا خلاص له .. أما الذين ينتسبون لهذا الجسد ولا يهتمون إلاَّ بأنفسهم فقط ويهملون الآخرين فهم يشبهون أناساً ينظرون حريقاً هائلاً ولا يحركون ساكنا لأنهم يتصوَّرون أنهم فى مأمن منه بينما النيران تحرق وتحطم وتلتهم كل شئ حتى تلتهمهم هم أيضاً ، فكيف يخلُص أب لا يهتم بزوجته ويترك أولاده يسلكون كيفما شاؤوا ؟!

وكيف تخلُص أم وبناتها يشابهنَّ بنات موآب ؟

روح واحد .. هو روح الله القدوس المانح الحياة للجسد الواحد .. لقد وُلِدت الكنيسة يوم حلوله عليها يوم الخمسين ، وهو يسكن فى كل عضو فيها مهما كان جنسه ولونه " ***لأننا جميعاً بروح واحدٍ أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحدٍ يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سُقينا روحا واحداً " (١كو١٢: ١٣) " أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم " (١كو٣: ١٦)*** وهو الذى يهب الجسد الوحدانية ويمنح الأعضاء المواهب " ***فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد " (١كو١٢: ٤)*** وهو الذى يتعهد الكنيسة طوال عمر غربتها حتى يُسلِمها إلى عريسها السمائى .

كما دُعِيتم أيضاً إلى رجاء دعوتكم الواحد .. لقد سبق بولس الرسول وصلى من أجل أولاده لكيما يدركوا رجاء دعوة الله لهم " ***مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته " (أف١: ١٨)*** فمتى أنار الله ذهن الإنسان وأدرك هذا الرجاء فإنه يسعى إليه بكل قلبه ، والروح القدس هو الذى يضع فى قلوبنا هذا الرجاء للقاء مخلصنا الصالح " ***منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح " (تى٢: ١٣)*** وذلك حسب وعده الصادق " ***أنا أمضي لأعد لكم مكانا وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً " (يو١٤: ٢،٣)*** فكل رجاؤنا يتركز فى السموات حيث حبيبنا يسوع " ***من أجل الرجاء الموضوع لكم فى السموات الذى سمعتم به قبلاً فى كلمة حق الإنجيل" (كو١: ٥)*** .

" ربٌ واحدٌ إيمان واحد معمودية واحدة " (٥) .

ربٌ واحدٌ .. فى العالم أرباب كثيرين ، فما أكثر الديانات الوثنية والفلسفات الباطلة وما أكثر الأرباب ، ولكن الرب يسوع واحد " ***وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد " (١كو١٢: ٥)*** إن السماء تتطلع إلى اليوم الذى " ***يعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب " (فى٢: ١١)*** [راجع تفسير رسالة فيلبي صـ٩٠،٩١] فليس المقصود بأنه رب من أرباب كثيرين كقول أريوس وشهود

يهوه لكن المقصود أنه هو الرب الواحد الوحيد .

رب واحد .. فكل رب له المُلك الذى يملك عليه ، فرب البيت هو صاحب ومالك البيت والرب يسوع هو ملك الكنيسة ومالكها ونحن مِلك له لأنه اشترانا بدمه الثمين فنخضع له بعقولنا وقلوبنا ، بأجسادنا وأرواحنا "***لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يسود (يملك) على الأحياء والأموات***" *(رو١٤: ٩)* ، وكلمة رب فى الأصل اليوناني "كيريوس" تحمل معنى السيادة والمُلك ولذلك كانوا يطلقون على الأمبراطور الرومانى "كيريوس" ، ونحن نعترف بالمسيح يسوع سيداً وملكاً على حياتنا فنضع مسرته ونحفظ وصاياه ونسلك فى ناموسه . أما الذى يدَّعى أنه مسيحي عبد الرب ولا يفعل مشيئته فيسمع قوله "***ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبي الذى فى السموات . كثيرون سيقولون لي فى ذلك اليوم يارب يارب أليس بإسمك تنبأنا وبإسمك أخرجنا شياطين وبإسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرّح لهم أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلي الآثم***" *(مت٧: ٢١-٢٣)* .

إيمان واحد .. إيمان واحد بالرب الواحد يسوع المسيح "***كان جمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان***" *(أع٦: ٧)* وشاول الذى قاوم الإيمان القويم أنار الله بصيرته فجال يبشر به فى كل مكان وكان موضع تعجُّب الكثيرين "***كانوا يسمعون أن الذى كان يضطهدنا قبلاً يبشّر الآن بالإيمان الذى كان قبلاً يتلفه***" *(غل١: ٢٣)* الإيمان الواحد هو العقيدة الواحدة التى تحفظ وحدانية الكنيسة "***الإيمان المسلَّم مرَّة للقديسين***" *(يه٣)* ولا يمكن أن تبنى وحدة بين الكنائس على أى أساس أخر غير الإيمان ، ولذلك عندما تاكدنا من إيمان اخوتنا الروم الأرثوذكس اعترفنا بمعموديتهم وهم كذلك اعترفوا بمعموديتنا بناءاً على قول بولس الرسول " إيمان واحد معمودية واحدة " ، والإيمان المسيحي هو إيمان عامل وليس عاطل . إيمان عامل بالمحبة يطهر القلوب ويغلب العالم .

معمودية واحدة .. معمودية واحدة باسم الثالوث القدوس حسب وصية الرب

يسوع لتلاميذه "*فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " (مت٢٨: ١٩)* وفى المعمودية يجحد الإنسان الشيطان ويعترف بالرب يسوع المسيح علانية ، وفى المعمودية الواحدة نجد الإيمان الواحد بالرب الواحد ، والمعمودية هى الباب الوحيد لدخول الإيمان والتمتع بالأسرار الكنسيَّة لذلك دُعيت المعمودية بباب الأسرار ومن لا يجوز فيها لا يحق له ممارسة أى سر آخر ، وبدونها لا يقدر الإنسان أن يدعو الله أباه ؛ وبدونها يظل الإنسان ساقطاً تحت الدينونة حاملاً خطاياه ، وبدونها لا يقدر الإنسان أن يعاين الملكوت *" الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله (يو٣: ٥)* ، وبسبب أهمية المعمودية اعتبرها مجمع نيقية من عناصر الإيمان الأساسية فنقول فى قانون الإيمان " ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا " فهى للمغفرة وليس لإزالة وسخ الجسد "*لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح " (١بط٣: ٢١)* .

معمودية واحدة .. لذلك الذين ينادون بمعمودية ثانية غير معمودية الماء والروح ويدعونها معمودية الروح القدس مثل الأخوة الخمسينيّين فهم يحتاجون إلى مراجعة موقفهم ، ومثلهم الأخوة المعمدانيين الذين لا يعترفون بمعمودية الأطفال ويعيدون معموديتهم ثانية ، وأيضاً الأخوة البروتستانت الذين يعتبرون أن المعمودية فريضة وعلامة ورمز لا تهب مغفرة الخطايا ولا الولادة الجديدة فقد جانبهم الصواب كثيراً ، والذين يُعمّدون بالرش دون أن تكون هناك حاجة مُلحّة لذلك مثل مريض مُقعِد أو طفل كاد يسلم الروح فهؤلاء محتاجون إلى العودة لروح الإنجيل .

" إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم ".(٦)

إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكل .. الله الآب خالق الأرواح *" الرب إله أرواح جميع البشر"*

(عد٢٧: ١٦) وخالق جميع الأشياء "*لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له*" *(١كو٨: ٦)* فهو خالق الكل "*يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ وصنع من دم واحد كل أمة من الناس . لأننا به نحيا ونتحرك ونُوجد*" *(أع١٧: ٢٥-٢٨)* هو خالق الكل والمعتنى بالكل "*فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين*" *(مت٥: ٤٥)* وهو ضابط الكل "*وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل*" *(١كو١٢: ٦)* وهو أب للكل بالخلقة وهذا ما تميَّزت به المسيحية إذ تنظر لله على أنه أب يليق به الإكرام والحب .

الذى على الكل .. أى فوق الكل وهو صاحب السلطان والسيادة على كل الخليقة بلا استثناء فى كل زمان ومكان ، ومهما بدت الأمور صعبة والظروف قاسية وكأنه لا يوجد إله يحاسب ويضبط ويسيطر لكننا نؤمن تماماً بأن كل الخيوط فى يده وهو المهيمن والمسيطر والضابط والقادر فلن يحدث شئ قط بدون إرادته أو سماح منه ، وفى جميع الأحوال يحول الشر الذى يصيب أولاده إلى خير لهم .

وبالكل .. فهو يستخدم كل شئ لتتميم مقاصده ، وهو يهتم ويعتنى بالكل فهو لم يخلق العالم ويتركه لشأنه يسير كيفما شاء بل هو العامل بالكل والمهتم بالكل .

وفى كلكم .. وهنا نلاحظ تغيّير الأسلوب فلم يقل بولس الرسول " وفى الكل " بل قال " وفى كلكم " يقصد المؤمنين باسمه فقط .. الذين يسكن فيهم بروحه القدوس .. فى القديم قال لشعبه "*وأجعل مسكني فى وسطكم .. وأسير بينكم وأكون لكم إلهاً وأنتم تكونون لي شعباً*" *(لا٢٦: ١١، ١٢)* ويوم تدشين هيكله "*لم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب*" *(مل٨: ١١)* وفى الملكوت "*يكون إله الكل فى الكل*" *(١كو١٥: ٢٨)* .

" ولكن لكل واحد منا أُعطِيت النعمة حسب قياس هِبَة المسيح " (٧)

فى الآيات (٧-١٣) ينتقل بولس الرسول من الحديث عن الوحدانية إلى

الحديث عن التنوع داخل هذه الوحدانية ، فيحدثنا عن تنـوع وظـائف ومواهـب الأعضاء ، فالوحدانية لا تعنى التشابه فى كل شئ ، فالجسـد الـذى يعيـش فـى وحدانية له أعضاء كثيرة ولكل عضو وظيفته ، وبالرغم مثلاً من أهميـة البصـر لهذا الجسد فلا يمكن أن نتصور أن الجسد كل أعضاءه أعين *" لو كان كـل الجسـد عيناً فأين السمع ؟ ولو كان الكل سمعاً فأين الشم ؟ .. ولكن لو كان جميعـها عضـواً واحداً فأين الجسد ؟ " (اكو١٢: ١٧، ١٩)* .

وهذه المواهب المختلفة لا تضر بالوحدانية بل تثريـها ، والوحدانيـة تتيـح الاستفادة من المواهب المختلفة ، فالوحدانية هى الأساس والمواهب تُوظَّف لخدمـة الوحدانية ، ولذلك جاء حديث معلمنا بولس عن المواهب بعد حديثه عن وحدانيـة الروح ، لأنه ما أهمية مواهب عظيمة جداً لجسد مريض ممزّق ؟! ، وحديث بولس الرسول هنا يشابهه ويكمله ما جاء فى (رو١٢: ٣-٨ ، ١كو٤: ٣٠)

ولكن لكل واحد منا أعطيت النعمة .. لكل عضو موهبته ولا يوجد أى عضـو بدون موهبة بل كل واحد منا أخذ نعمة من الله يقدر أن يخدم بها أخوته ويساهم فى بناء الجسد الواحد ، والله لم يخلق عضواً قط بدون عمل *" فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد . هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر . ولكن لنا مواهب مختلفـة بحسـب النعمة المعطاة لنا " (رو١٢: ٤-٦)* وقد أودع الله فى كل كنيسة محلية المواهب التى تكفل لهذه الكنيسة أن تكون كنيسة نشيطة وفعالة . فقط تحتاج هذه المواهـب مـن يكتشفها ويوظفها وينميها . أما الراعى أو القائد الذى يرى أنه يتمتع بمفـرده بكـل المواهب فمهما اجتهد وعمل وبذل فإن طاقة فرد يستحيل أن تتساوى مـع طاقـة مجموعة كبيرة ذات مواهب متعددة تعمل بمحبة والرب قائم فى وسطها .

لكل واحد منا أعطيت النعمة .. فى الأصحاح الثـانى ذكـر معلمنـا بولـس الرسول نعمة الله التـى تخلصنـا *" بالنعمـة أنتـم مخلَّصـون " (أف٢: ٥، ٨)* ، وفـى الأصحاح الثالث أخبرنا عن نعمة الله التى وهبته بركة الكرازة للأمم (أف٣: ٢، ٧، ٨)

وهنا يحدثنا عن نعمة الله التى تسبغ علينا المواهب المختلفة ، ولكن من هو مسانح المواهب ؟ .. أنه الروح القدس هو معطى المواهب "***ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (اكو١٢: ١١)*** وهنا نرى الرب يسوع هو معطى المواهب ، فمن هو مانح المواهب ؟ الروح القدس أم الرب يسوع؟ الحقيقة أن أساس المواهب هو سرُّ الفداء الذى تمَّمه الرب يسوع "***عبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها ولذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يُقسّم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه" (اش٥٣: ١١، ١٢)*** فالسيد المسيح يمنحنا المواهب عن طريق روحه القدوس الذى يأخذ مما للمسيح أو مما صنعه المسيح ويعطينا . والجميل أن بولس الرسول فى رسالته إلى رومية ينسب هذه المواهب لله الآب "***كما قسم الله (الآب) لكل واحد من الإيمان" (رو١٢: ٣)*** فالآب شاء أن يهبنا المواهب والبركات الروحية ، ولكن كيف يهبنا إياها ونحن فى حالة الخطية والعداوة معه ؟ .. لذلك أرسل إبنه ففدانا وصيرّنا مستحقين لهذه البركات السمائية ، والإبن أرسل روحه القدوس لكيما يأخذ من استحقاقات الصليب ويعطينا ، وهنا تظهر وحدة الثالوث القدوس فكل عطية صالحة هى من الآب بالإبن فى الروح القدس .

حسب قياس هِبَة المسيح .. السيد المسيح يمنح أولاده المواهب ليس حسب طلب كل واحد ، وليس حسب استحقاق كل واحد ، لأن المواهب لو أُعطيت حسب الطالب فالإنسان الذى لا يشبع ، وقد تقوده هذه المواهب للكبرياء والسقوط ، ولو أُعطيت هذه المواهب حسب جدارة واستحقاق كل واحد فربما لا ينال أحد منا موهبة ما ، ولكن السيد المسيح بحسب مشيئته وإرادته وبحسب رؤيته واستحسانه ، وبحسب احتياجات الخدمة يهب كل عضو موهبته الخاصة التى بها يخدم إخوته ويبنى الكنيسة ، فليست كل المواهب متساوية إنما المسيح إلهنا وهب كل منا بحسب طاقته واحتماله ، وهو الذى يحدِّد لكل عضو موهبته ووظيفته فالرجل لم

تختار أن تكون رجلاً ولا العين إختارت أن تكون عيناً "*وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كلَّ واحدٍ منها فى الجسد كما أراد*".*(١كو١٢: ١٨)* وكما خلق الله لكل إنسان كيانه المستقل كذلك وهبه الموهبة التى تناسبه وتساعده على خلاص نفسه وخلاص الآخرين ، فلذلك لا يجب أن أحقد على أخى الذى نال مواهب أكثر أو أعظم منى لأن من يأخذ أكثر يُطالب بالأكثر ، فبينما قدم صاحب الوزنتين وزنتين التزم صاحب الخمس وزنات بتقديم خمس أخر وليس اثنتين ، لأنه لو قدم وزنتين فقط فمعنى هذا أنه طمر ثلاث وزنات فى التراب ، وبولس الرسول الذى أخذ نعمة البشارة للأمم كان مطالباً بهذا العمل الشاق وقال "*إذ كنت أبشّر فليس لي فخر إذ الضرورة موضوعه عليَّ فويل لي إن كنت لا أبشّر*" *(١كو٩: ١٦)* .

" لذلك يقول إذ صعد إلى العلا سبي سبياً وأعطى الناس عطايا . وأما أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً أولا إلى أقسام الأرض السفلي . الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكلَّ " (٨-١٠) .

لذلك يقول .. " لذلك " أى من أجل أن ينال كل منا موهبته من المسيح كان لابد أن ينزل الإبن ويفدينا ثم يصعد ويُصعِدنا معه ، ولكن من الذى " يقول " ؟ .. الذى يقول هو الكتاب المقدس وبالتحديد سفر المزامير ، وماذا قال ؟ .. قال المزمور "*صعدتَ إلى العلاء سبيتَ سبياً . قبلتَ عطايا بين الناس*" *(مز٦٨: ١٨)* وما هى المناسبة التى قيل فيها هذا المزمور ؟ رنم داود النبي بهذا المزمور وهو يُصعِد تابوت العهد إلى مدينة داود فى موكب عظيم بعد انتصاره على الفلسطينيين فى وادى الرفائيين وعقب الإحتفال أعطى داود كل واحد من الشعب رجالاً ونساءاً "*رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب*".*(٢صم٦: ١٩)* وقد اقتبس بولس الرسول هذه الصورة الرائعة عالماً أن داود قال هذا بعين النبوة عن السيد المسيح المنتصر الظافر بأعدائه على الصليب ونزل إلى الجحيم وخلص الأسرى الذين سباهم إبليس

وصعد بهم إلى الفردوس" ***إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه"(كو٢: ١٥)*** [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٠٥-١٠٧] .

إذ صعد إلى العلا سبي سبياً .. عندما عاد بنو إسرائيل وعملوا الشر في عيني الرب باعهم الرب إلى يابين ملك كنعان ورئيس جيشه سيسرا الذى كان معه تسعمائه مركبة حديدية فأذلوا بنى إسرائيل لمدة عشرين سنة ، فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب الذى خلصهم بواسطة باراق بن إبينوعم التى حركته دبورة القاضية وبعد أن أحرز بنو إسرائيل النصرة على أعدائهم ترنمت دبورة ***" قم يا باراق واسب سبيك يا إبن ابينوعم" (قض٥: ١٢)*** واقتبس داود هذا النص ***"صعدت إلى العلاء سبيتَ سبياً " (مز٦٨: ١٨) " فخرج الأسرى إلى فلاح " (مز٦٨: ٦)*** مشيراً بهذا للملك المنتظر الظافر بأعدائه ، والتقط بولس الرسول هذا النص الذى نطقت به دبورة وترنم به داود النبي وطبقه على السيد المسيح الملك الظافر ولا سيما " إبن ابينوعم" تعنى إبن ابى النعم فالسيد المسيح هو إبن الله مانح النعم لعبيده .. لقد انتصر الرب يسوع على قوات الظلمة وتحقَّق قوله " ***حينما يحفظ القوى (الشيطان) داره متسلحاً تكون أمواله فى أمان . ولكن متى جاء من هو أقوى الرب (الإله المتأنس) فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذى إتكل عليه ويوزع غنائمه " (لو١١: ٢١،٢٢)*** .

وأعطى الناس عطايا .. فى القديم أعطى الله داود الملك النصرة على أعدائه الفلسطينيين بطريقة معجزية " ***فسأل داود من الرب فقال لا تصعد بل درْ من ورائهم وهَلُمَّ عليهم مقابل أشجار البكا وعندما تسمع صوت خطوات فى رؤوس أشجار البكا حينئذ إحترص لأنه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب الفلسطينيين ففعل داود ذلك .. " (٢صم٥: ٢٢-٢٥)*** ففرح داود بالنصرة وعودة تابوت العهد ووزع هدايا على كل الشعب (٢صم٦: ١٩) ورنم مزموره " قبلتَ عطايا بين الناس " إشارة للملك المنتصر الذى يدفع له أعداؤه الجزية ، وجاء بولس الرسول واقتبس من داود النبي من منظور مسيحي فقال " وأعطى الناس عطايا " فالسيد المسيح هو الملك القوى المنتصر الذى صعد إلى السماء ومنحنا عطايا لا حصر لها وأعظم هذه العطايا هى

عطية الروح القدس " ***وإذ إرتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذى أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه " (أع٢ : ٣٣)*** والأمر الجميل أن اليهود كانوا يرنمون هذا المزمور فى مجامعهم فى عيد الأسابيع (يوم الخمسين) الذى تحوّل فيما بعد إلى عيد نزول التوراة على موسي ، وكما أن التوراة كانت من أعظم عطايا الله لشعبه هكذا عطية الروح القدس من أعظم عطايا الله البشرية .

وأما أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً (أولاً) .. نزل إبن الله أولاً بالتجسد وتمم الفداء رافعاً عنا حكم اللعنة والموت . ثم صعد إلى السماء جسديًّا . أما لاهوته فهو مالئ الكل لا يخلو منه مكان ولا زمان ، والتجسد لم يحد ولم يحيّز اللاهوت الغير محدود فى الجسد البشرى المحدود الذى إتحد به وحلَّ فيه كل ملء اللاهوت ، وأيضاً بصعوده إلى السماء لم يتركنا ولم يفارقنا بل هو كائن معنا بلاهوته .. ما أعظم قوله لينقوديموس " ***ليس أحد صعد إلى السماء إلاَّ الذى نزل من السماء إبن الإنسان الذى هو فى السماء " (يو٣ : ١٣)*** .. أنه كائن معنا يبحث عن الخروف الضال والتعابى وثقيلى الأحمال ، ويهتم بالمزدرى وغير الموجود بل أن آلامنا محسوسة عنده " ***لأنه فيما هو تألَّم مجرَّباً يقدر أن يعين المجربين " (عب٢ : ١٨)*** ما زال يشارك كل قلب متألم وكل نفس حزينه وكل عيون باكية لأنه جاز ذات الآلام قبلنا .

وأما أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً (أولاً) .. الذى نزل هو الذى صعد أيضاً .. هو وحده له سلطان النزول وهو وحده له سلطان الصعود . أما نحن فليس لنا سلطان النزول لأننا نعيش فى أرض النزول ، وليس لنا سلطان الصعود ، فإن لم يصعدنا هو من هوة الخطية والهلاك والموت فلا صعود لنا .. تسأل فى القديم أجور إبن متَّقية مسًا " ***من صعد إلى السموات ونزل ؟؟؟ " (أم٣٠ : ٤)*** وذهب تساؤله عبر الأجيال يحير الأذهان إلى أن نزل إبن الله من سماء مجده وتمَّم قصده وعاد إلى سماه " وأما أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً أولاً " فالنزول يسبق الصعود

والإتضاع يسبق الأرتفاع والموت يسبق القيامة ، وبقدر ما كان نزوله بقدر ما كان صعوده .. بقدر ما كان إتضاعه بقدر ما كان مجده ، فإذا تأملنا فى إتضاعه فلن ندرك إلى أى درجة تنازل رئيس الحياة حتى أنه مات موت الذلة والعار والهوان والإزدراء .. كيف مات البار من أجل الأثمة ؟! .. وإذا تأملنا فى صعوده فيستحيل علينا أيضاً إدراك عظمة أمجاده .

نزل أيضاً (أولاً) إلى أقسام الأرض السفلى .. نزل الرب يسوع بجسده المتحد بلاهوته إلى القبر ، والقبر فى أسافل الأرض كقول صاحب المزمور "***أما الذين هم للتهلكة يطلبون نفسي فيدخلون فى أسافل الأرض" (مز٦٣: ٩)*** بموته أمات الموت وبدفنه دفن الموت الذى أذل البشرية ، وأيضاً نزل الرب يسوع بنفسه البشرية المتحدة بلاهوته إلى الجحيم ، والجحيم هو الهاوية كقول أبينا يعقوب لأولاده "***تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية" (تك٤٢: ٣٨)*** ، فعند تسليم الروح على الصليب نادى قائلاً "***يا ابتاه فى يديك استودع روحي" (لو٢٣: ٤٦)*** وكان الشيطان قد وصل إلى قمة حيرته وشكه فى شخصية المصلوب ، ولكنه تجرأ وجمع قوته وهجم على إبن الإنسان لكيما يقبض على روحه ويودعها سجن الجحيم كما هو معتاد مع جميع بنى البشر لأنهم جميعاً تحت سلطانه ، وإذ به يفاجئ بأنه أمام الله ذاته ويصدم من هول المفاجأة .. لقد تعدى على العزة الإلهية وإذ بإبن الله يقبض عليه ويقيّده ويقتحم مملكته فى أقسام الأرض السفلي ويسبي النفوس التى سبق أن سباها عدو الخير وينقلها إلى الفردوس "***فإنه لأجل هذا بُشّر الموتي أيضاً لكى يدانوا حسب الناس بالجسد ولكى يحيوا حسب الله بالروح .. الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن" (١بط٣: ٦،٩)*** وفى القداس الإلهي يصلى الأب الكاهن قائلاً " ونزل إلى الجحيم من قبل الصليب " (القداس الباسيلي) " الذى من قبل صليبه نزل إلى الجحيم ورد أبانا آدم وبنيه إلى الفردوس " (قسمة عيد القيامة) .

صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل .. هناك أكثر من سماء

فالسماء الأولى هى سماء الطيور حيث الغلاف الجـوى ، والثانيـة هـى سـماء الكواكب والنجوم والأفلاك ، والثالثة هى الفردوس الـذى أُختطـف إليـه بولـس الرسول (٢كو١٢: ٢) والرب يسوع صعد إلى فوق السموات جميعـها "*فـإذ لنـا رئيس كهنةٍ عظيم قد اجتاز السموات يسـوع ابن الله*" *(عب٤: ١٤)* لقـد "*رفَّعـه الله وأعطاه إسماً فوق كل اسم*" *(فى٢: ٩)* "*فـوق كل رياسةٍ وسلطانٍ وقـوةٍ وسـيادة*" *(أف ١: ٢١)*

صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل .. لم يصعـد الـرب يسـوع ويتركنا يتامي إنما صعد لكي يملأ الكل بروحه القدوس ، فلولا صعوده مـا كـان حلول الروح القدس علينا "*لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسـله إليكم*" *(يو١٦: ٧)* ، وأيضاً بالإيمان يملأ الرب يسوع قلوب جميع المؤمنين "*ليحلَّ المسيح بالإيمان فى قلوبكم*" *(أف٣: ١٧)* .

" وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعـض رعاةً ومعلّمين " (١١)

ما ذكره معلمنا بولس فى الآية (٨) جملة " أعطى الناس عطايا " يعود ويذكره هنا (١١-١٦) تفصيلاً ، والمواهب التى يذكرها هنا مقترنة بالوظـائف (رسـل- أنبياء- مبشرين - رعاة ومعلمين) يذكرنا فى رسالة رومية مجرَّدة (نبوة- خدمـة- تعليم - وعظ) (رو١٢: ٦-٨) لأن فكر الرسول هنا يتجه لأعضاء الجسد الواحـد بينما فكره فى رسالته لأهل رومية كان متجهاً للمواهب التى تزيّـن الأعضـاء ، وعموماً فإن أعظم المواهب التى وهبها الرب يسوع لكنيسته بعد روحه القدوس هم خدامه الأمناء ، كما نلاحظ أن هذه الآية تكشف عن الوظائف الكنسيَّة فى الكنيسـة الأولى .

وهو أعطى البعض أن يكونوا رسـلاً .. فهو عيَّن البعض أن يكونوا رسـلاً "*ولما كان النهـار دعا تلاميذه وأختار منهم اثنى عشر الذين سمَّاهـم أيضاً رُسـلاً*"

(لو٦: ١٣) هؤلاء الرسل هم أساسات الكنيسة ونجومها اللامعة ، ومن أهم صفات الرسول :

١- أن يكون قد عاين مُرسِله الرب يسوع ، وعندما دافع بولس الرسول عن رسوليته قال "***ألست أنا رسولاً .. أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا*** " *(١كو٩: ١)*

٢- أن يكون شاهد إثبات على قيامة الرب ولذلك إشترط الآباء الرسل عند إختيارهم للرسول رقم (١٢) كبديل ليهوذا الخائن أن يكون "***شاهداً معاً بقيامته***" *(أع١: ٢٢)* .

٣-عمل الله معه بالآيات والعجائب كقول معلمنا بولس " ***لم أنقص شيئاً عن فائقى الرسل .. أن علامات الرسول صُنِعت بينكم فى كل صبرٍ بآيات وعجائب وقوات*** " *(٢كو١٢: ١١،١٢)* .

٤- مكان عمله مفتوح فالعالم كله يمثل أبروشيته .

وبإستثناء الرسل الإثنى عشر نسب الإنجيل الرسوليَّة لبعض الأشخاص الآخرين مثل برنابا وبولس "***فلما سمع الرسولان برنابا وبولس*** " *(أع١٤: ١٤)* ، " ***اندرونكوس ويونياس .. اللذان هما مشهوران بين الرسل*** " *(رو١٦: ٧)* وسيلا (١تس٢: ٦) ويعقوب أخا الرب (غل١: ١٩) .

وقد ذكر معلمنا بولس الرسل أولاً لأن الرسل لهم المواهب الأخرى مثل النبوة والتبشير والرعاية والتعليم ، بينما الأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين ليسوا هم رسلاً .

والبعض أنبياء .. النبي هو رجل صاحب رسالة حيث يُعلِن إرادة الله عن طريق النبوة أو عن طريق الوعظ ، وتمتعت الكنيسة الأولى بخدمة الأنبياء ففى كنيسة أنطاكية كان هناك" ***أنبياء ومعلمون*** " *(أع١٣: ١)* وتنبأ أغابوس "***بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة*** " *(أع١١: ٢٨)* " ***نبي إسمه أغابوس .. أخذ منطقة بولس وربط يدى نفسه ورجليه وقال هذا ما يقوله الروح القدس الرجل الذى له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود فى أورشليم ويسلمونه إلى أيدى***

الأمم " *(أع٢١: ١٠، ١١)* ، وكان لفيلبس الشماس " *أربع بنات عذارى كن يتنبأن* " *(أع٢١: ٩)* وجاء فى الديداخى (تعليم الرسل) المعايير التى يتم بناءاً عليها التميّيز بين النبي الحقيقى والآخر الكذاب ، فالنبي الحقيقى لا يبحث عن الموائد والفضة كما أن أقواله تطابق سلوكه (ديداخى١١: ٧-١٢) ، والكنيسة لا تُحرَم من جيل إلى جيل من هؤلاء الأشخاص الذين يضع الروح القدس النبوة على أفواههم فقد تنبأ الأنبا صموئيل المعترف بدخول العرب إلى مصر ، وأيضاً النبـي يعظ بحكمة وسلطان مثل " ***يهوذا وسيلا إذ كانا هما أيضاً نبيين وعظا الأخوة بكلام كثير وشدّداهم*** " *(أع ١٥: ٣٢)* وعندما يعظ النبي يشعر المستمعون وكأنه يعرف أسرار كل منهم .

والبعض مبشرين .. " *وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت* " *(مت٩: ٣٥)* وخرج الرسل يكرزون ويبشّرون فى المسكونة كلها ، وكم كرز وبشر بولس الرسول فى الأقطار ؟! وكان فيلبس أحد الشمامسة السبعة مُبشّراً (أع٢١: ٨) وأوصى بولس الرسول تلميذه تيموثاوس قائلاً " ***احتمل المشقات . إعمل عمل المبشر . تمم خدمتك*** " *(٢تى٤: ٥)* ، فالمبشّر هو الذى يحمل نور الإيمان للمناطق التى لم تصلها كلمة الله وقد التهب قلبه بمحبة النفوس التى صُلِب المسيح لأجلها ، والمُبشّر يعدُّ الطريق للرعاة والمعلمين ثم يتركهم إلى مكان آخر محروم ليبشّر فيه أيضاً، وقد لا يكون المُبشّر خطيباً بارعاً ولا متكلماً متفوهاً لبقاً ، ولكن فى بساطة يجذب إليه النفوس التى يعمل فيها الروح القدس ويدخلها بسهولة ويسر إلى حظيرة المسيح ، وكم نشكر الله أن كنيستنا القبطية تقوم بمثل هذا العمل العظيم الآن فى بلاد أفريقيا التى لا تعرف شمالها عن يمينها . أما الذين يأتون من الغرب إلى مصرنا العزيزة بحجة التبشير والكرازة ولا يلتفتون إلى جذب نفس واحدة لا تعرف المسيح بل كل همهم هو خطف أبناء كنيستنا القبطية بألف وسيلة ووسيلة فهم يحتاجون إلى مراجعة أنفسهم حتى لا يمزقوا الجسد الواحد إلى طوائف عدة وفرق شتى .

والبعض رعاةً ومعلّمين .. الرب يسوع هو الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف (يو١٠: ١١) هو *"راعى الخراف العظيم" (عب١٣: ٢٠)* وهو *"رئيس الرعاة" (ابطه: ٤)* وقد أوصي بولس الرسول قسوس أفسس *"احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس عليها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه" (أع٢٠: ٢٨)* .

الراعى المسئول عن قطيعه يقوده إلى مياه الراحة والمراعى الخضراء ، ويهتم بالمريض والمجروح والمكسور والمطرود والضال (حز ٣٤: ٤،١٦) ويدافع عن قطيعه حتى الدم ويسهر فى حراسته ضد الذئاب الخاطفة والوحوش الكاسرة تماماً كما خلص داود خروفه من فم الأسد والدب ، ويهتم أيضاً بتعليم أولاده لذلك يجب أن يكون *"صالحاً للتعليم" (اتي٣: ٢)* *"قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين" (تي١: ٩)* ومعلمنا بطرس الرسول يطوّب الرعاة الأمناء قائلاً *"ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى" (ابطه: ٤)* والكنيسة تصلى فى القداس الإلهي " والذين يفصّلون معه (رئيس الكهنة) كلمة الحق باستقامة أنعم بهم على بيعتك المقدسة يرعون قطيعك بسلام "

" لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح " (١٢)

لماذا منحنا الله المواهب وأرسل لنا الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين ؟

لأجل : ١- تكميل القديسين ٢- عمل الخدمة ٣- بنيان جسد المسيح

والأعمال الثلاثة مرتبطة معاً فالقديسون يكُملون بعمل الخدمة والهدف من الخدمة *"لكى نحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع" (كو١: ٢٨)* وعمل الخدمة وتكميل القديسين يؤدى إلى نمو الكنيسة جسد المسيح .

تكميل القديسين .. فى الأصل اليونانى " تكميل " كاتا ارتزموس Katartismos وهى مشتقة من الفعل اليونانى Katartizein والذى يستخدم فى العمليات الجراحية عند تجبير عضو مكسور أو إعادة مفصل مخلوع ، وإستخدام

أيضاً فى العهد الجديد بمعنى إصلاح الشباك "*ويصلحان شباكهما*" *(مت٤: ٢١)* "*يصلحان الشباك*" *(مر١: ١٩)* ، وأيضاً بمعنى إصلاح الإنسان الخاطئ وإعادته إلى رشده "*أيها الأخوة إذا انسبق إنسان فأخذ فى زلّه فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ..*" *(غل٦: ١)* ، وطالما القديسون يعيشون فى الجسد فإنهم يسعون تجاه الكمال ، ولكيما يكون لكل منهم صورة المسيح .

لعمل الخدمة .. فى الأصل اليوناني " الخدمة " دياكونيس diakonis ولا يقصد بها مجرد خدمة الوعظ والتعليم ولكن المقصود الخدمة العمليّة مثل خدمة الفقراء والمحتاجين وأى خدمة أخرى تقدم للآخرين ، والخادم هو الإنسان الذى يقتدى بسيده لأن "*إبن الإنسان لم يأتى ليُخدَم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين*" *(مت٢٠: ٢٨)* .

لبنيان جسد المسيح .. الأصل اليونانى لكلمة بنيان ايكوذمين وقد وردت فى الأصحاح الثانى بمعنى البناء "*الذى فيه كل البناء مُركَّباً معاً ..*" *(أف٢: ٢١)* ، فالهدف الأساسي هو أن يكتمل بناء جسد المسيح كهيكل مقدَّس وذلك بنمو كل حجر حي فيه ، وبنيان الكنيسة لا يرتبط بعظمة المبانى وكثرة العدد بقدر ما ترتبط بقداسة الأعضاء .

" إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله . إلى إنسانٍ كامل إلى قياس قامة ملء المسيح " (١٣)

فى الآية السابقة رأينا الهدف من المواهب الروحية هو تكميل القديسين وعمل الخدمة وبنيان جسد المسيح ، فإلى أى مدى تستمر الخدمة فى الكنيسة ؟ حتى ننتهى جميعنا إلى :

١- وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله . ٢- إلى إنسانٍ كامل .

٣- إلى قياس قامة ملء المسيح .

وفى هذه الآية نرى قمم شامخة فوحدانية الإيمان قمة ، ومعرفة إبن الله قمة أخرى ، والإنسان الكامل قمة ثالثة ، وفوق كل هذه القمم قمة قامة ملء المسيح .

إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان .. فعل " إنتهى " فى الأصل اليونانى كاتنتو " Katantao " ورد فى سفر الأعمال تسع مرات بمعنى وصول المسافر إلى نهاية المطاف ، فالهدف من الخدمة والهدف من المواهب هو الوصول إلى وحدانية الإيمان ، وفى الآية الخامسة ذكر الرسول الإيمان الواحد كعمود من الأعمدة السبعة التى تقوم عليها وحدانية الروح ، وعاد هنا ليضع وحدانية الإيمان كهدف نسعى إلى بلوغه ، ولكن إن كان الإيمان هو نقطة الانطلاق وبداية الطريق لله وشرط نوال المعمودية فكيف يجعله الرسول هنا نهاية وغاية وهدف أسمي ؟ .. الحقيقة إن الإيمان درجات ، فالإيمان الذى يؤهلنا للمعمودية هو الدرجة الأولى ولكن هناك درجات عديدة من الإيمان مثل الإيمان بتسليم كل أمور حياتنا لله واثقين أنه قادر أن يحوّل الشر خيراً والمر حلواً ، والإيمان بعظم قدرة الله على تتميم مقاصده وإرادته ومشيئته ، والإيمان القادر على هدم حصون الشر ، والإيمان القادر على نقل الجبال ، ونحن ننمو فى الإيمان يوماً فيوماً من خلال معرفتنا الإختيارية ومعاملاتنا مع الله ، ولذلك قال معلمنا بولس لأهل كورنثوس "***راجين إذا نما إيمانكم أن نتعظم بينكم***" ***(٢كو١٠: ١٥)*** وقال لأهل تسالونيكي "***ينبغى لنا أن نشكر الله كل حين من جهتكم أيها الأخوة كما يحق لأن إيمانكم ينمو كثيراً***" ***(٢تس١: ٣)*** فوحدانية الإيمان هو الهدف الأسمي الذى نسعى إليه جميعاً لأن كل خلاف فى الإيمان هو مكسب كبير لعدو الخير .. متى يصل جميع المسيحيّين فى العالم كله إلى الإيمان الواحد ليصيروا رعيةً واحدةً لراعٍ واحدٍ وحتى يعود للكنيسة بريقها وتشهد بقوة لعريسها ؟! أخاف أن تكون البشرية سائرة إلى منحدر خطير حتى "***متى جاء إبن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض***" ***(لو١٨: ٨)*** .

وحدانية الإيمان ومعرفة إبن الله .. المسيح إبن الله هو موضوع كل من الإيمان والمعرفة ، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى الإيمان بدون المعرفة "***كيف***

يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ " (رو١٠: ١٤) وقد ذكر بولس الرسول لقب "المسيح" فى الآية السابقة وهذه الآية ، وذكر لقب " إبن الله " كموضوع للإيمان ، فعندما يتحدث الرسول عن علاقة الرب يسوع بالأعضاء أو الكنيسة ككل يلقبه بلقب المسيح ، وعندما يتحدث عنه كأساس وموضوع الإيمان يلقبه بإبن الله ، وهكذا فعل فى غلاطية " ***مع المسيح صلبتُ فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ . فما أحياهُ الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله .. " (غل٢: ٢٠)*** .

معرفة ابن الله .. ليست المعرفة العقلانية التى تعتمد على المعلومات والحقائق والذكاء الخارق لكنها المعرفة الشخصيَّة الاختباريَّة التى ننموا فيها يوماً فيوماً " ***نامين فى معرفة الله " (كو١: ١٠)*** .

إلى إنسانٍ كامل .. المؤمن يبدأ بمرحلة الطفولة وينتهى بمرحلة الرجولة الروحيَّة حيث النضج والفهم الروحي وقوة الإرادة والحكمة الروحيَّة التى ليست من هذا العالم " ***لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين سيبطلون " (اكو٢: ٦)*** وإن كنا ونحن فى الجسد لا نقدر أن نصل إلى النضج الكامل فإننا نؤمن بأننا سنبلغه فى الأبدية " ***فإننا ننظر الآن فى مرآة فى لغزٍ لكن حينئذ وجهاً لوجه . الآن أعرف بعض المعرفة ولكن حينئذ سأعرف كما عُرِفت " (اكو١٣: ١١، ١٢)*** .

إلى قياس قامة ملء المسيح .. هذه هى قمة القمم التى يهفو لها الإنسان الكامل ، وقياس قامة ملء المسيح هنا من حيث الناسوت أى شخص السيد المسيح كإنسان كامل وليس من حيث لاهوته ، فنتمثل بالمسيح فى كل أمور حياتنا فيكون لنا عيني المسيح وبساطته ولسان المسيح وكلماته وفكر المسيح واتضاعه حتى يتشكل المسيح داخلنا وتظهر صورته فى حياتنا فالذى يرانا كأنه رأى المسيح .

" كى لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليمٍ بحيلة الناس بمكرٍ إلى مكيدة الهلاك . بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح " (١٤، ١٥) .

فى هاتين الآيتين نجد الطريق الذى نسلكه لكيما نبلغ إلى هدفنا وغايتنا ، وإن كانت الآية الأولى تحمل الجانب السلبي فإن الآية الثانية تحمل الجانب الإيجابي . فى الآية الأولى يُبصّرنا بولس الرسول بما يجب أن نتجنبه وفى الآية الثانية يُرينا ما يجب أن نفعله ، وإن كان قد حدثنا بولس الرسول من قبل عن الإنسان الكامل الناضج فإنه هنا يحدثنا عن الأطفال المتأرجحين المحمولين بكل ريح تعليم .

كى لا نكون فيما بعد أطفالاً .. تحدَّث بولس الرسول عن النضوج الروحي قائلاً "*لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم وكطفلٍ كنت أفطن وكطفلٍ كنت أفتكر . ولكن لما صرتُ رجلاً أبطلتُ ما للطفل*" *(١كو١٣: ١١)* فالطفل له طعامه من اللبن أما الرجل الناضج فله الطعام القوى ، وقد ربط بولس الرسول بين هذا النضوج وبين الخبرة الروحية والتمييز بين الخير والشر كما شرح ذلك فى الرسالة للعبرانيين "*صرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البرّ لأنه طفل . وأما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواسُّ مدربةً على التمييز بين الخير والشر*" *(عب٥: ١٢-١٤)* فالمؤمنون وإن كانوا يتمثلون بالأطفال فى بساطتهم إلاَّ أنهم فى الإيمان هم رجال أشداء مثل الأعمدة الراسخة وليس مثل الريشة فى مهب الرياح . هم أسماك حيَّة تقاوم التيار وليس أسماك ميتة يحملها التيار "*أيها الأخوة لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم بل كونوا أولاداً فى الشر وأما فى الأذهان فكونوا كاملين*" *(١كو١٤: ٢٠)* .

مضطربين .. يتأرجح الأطفال ويضطربون تحت الضغوط ، فيتوه الهدف عن أعينهم وتجرفهم الرياح بعيداً ، وقد أستخدمت ذات الكلمة للتعبير عن اضطراب مياه الجليل "*فقام وانتهر الريح وتموُّج الماء فانتهيا وصار هدوءٌ*" *(لو٨: ٢٤)* واستخدمها يعقوب الرسول للتعبير عن هياج الأمواج "*المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه*" *(يع١: ٦)* .

ومحمولين بكل ريح تعليم .. فالأطفال يغريهم كل ما هو جديد ، والأفكار الغريبة يبدو لها بريق ولمعان لأنها تستخدم الحجج العقلانية البارعة وتبدو جذابة

بفعل عدو الخير ، ولذلك فهى تجذب الذين هم أطفال فى الإيمان والأذهان . أما الناضجون فإنهم حكماء يميزون الأرواح ويفرزون التعليم الجيد من الردئ ، وحتى لو إرتدت التعاليم الخاطئة ثوب الحق فإنهم يميّزونها لأن الروح القدس الساكن فيهم يكشفها لهم .

بحيلة الناس .. الأصل اليوناني لكلمة حيلة " Kubeia " وتعنى البراعة والحيلة والخداع فى التلاعب بزهر الطاولة ، فالحيلة تحمل فى طياتها الخداع والتمويه والكذب والإخفاء للحقيقة ، فإبليس المحتال الأول زيّن لأمنا حواء وأبينا آدم ثمار الشجرة وأوهمهما بأنهما سيصيران مثل الله عارفين الخير والشر وأخفى عن أعينهما حكم الموت ، وعندما يحتال إنسان على آخر فإنه يخدعه ويصور له الأمور على غير حقيقتها حتى يدخله إلى المصيدة التى أعدها له ، والمقصود بحيلة الناس هنا هى التعاليم الشيطانية التى يلقيها عدو الخير فى عقول الناس ، وقد حذر معلمنا بولس بعين النبوة قسوس هذه الكنيسة من هذه التعاليم الملتوية "***لأنى أعلم أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية . ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم " (أع٢٠: ٢٩، ٣٠)*** .

بمكرٍ إلى مكيدة الضلال .. إبليس هو الحيّة القديمة الماكرة التى يحذرنا منها بولس الرسول "***أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم فى البساطة التى فى المسيح " (٢كو١١: ٣)*** والإنسان الماكر يظل يُموّه الأمور ويُظهر غير ما يبطن حتى يصل إلى غرضه الخفى ، ولكن الإنسان الناضج فى الإيمان يستطيع بنعمة المسيح أن يكتشف مكر إبليس ورجاله ، فعندما جاء الفريسيون يسألونه بخبث لكيما يصطادوه بكلمة " ***فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربوني ؟ " (لو٢٠: ٢٣)*** أما مكيدة الضلال فهى مكايد إبليس ، وقد أوصانا معلمنا بولس أن نتسلح بسلاح الله لمواجهة مكيدة الضلال " ***البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس " (أف٦: ١١)*** .

بل صادقين فى المحبة .. هنا ينتقل معلمنا بولس من الجوانب السلبية إلى

الإيجابية ، وكلما سلكنا فى الأمور الإيجابية كلما كنا فى مأمن من الأمور السلبية السابقة ، والأصل اليوناني لكلمة " صادقين " تحمل معنى الحق أى حقانيين فى المحبة ، فهنا يقرن معلمنا بولس الحق بالمحبة ، فالمحبة هى الله ، والله هو الحق ، وليس لأجل المحبة نضحى بالحق ، وليس لأجل الحق نضحى بالمحبة . بل نعلن الحق فى محبة ولطف ورقة بهدف ربح النفوس وليس بهدف تحطيم النفوس . لقد أعلن الرب يسوع الحق وأخبر أولاد أورشليم بالخراب الذى سيحل بمدينتهم ، ومع هذا لم يكن متشفياً فيهم لكنه كان يخبرهم بلسانه والدموع تسيل من عينه ، فياليتنا نُطيب الحق بزيت المحبة حتى نحفظ وحدانيَّة الروح ، ومن الملفت للنظر أن بولس الرسول كرَّر " فى المحبة " فى هذه الرسالة ست مرات :

١- " لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة " (١: ٤) .
٢- " وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة " (٣: ١٨) .
٣- " محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة " (٤: ٢) .
٤- " صادقين فى المحبة " (٤: ١٥) .
٥- " يجعل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة " (٤: ١٦) .
٦- " واسلكوا فى المحبة " (٥: ٢) .

فعندما نكون فى المحبة نصبح قديسين صادقين محتملين بعضنا بعضاً نهرب من كل محبة خاطئة ومن كل محبة مُغرضة .

ننمو فى كل شئ إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح .. ننمو جسداً ونفساً وروحاً فالنمو علامة الحياة ، وإلى أى درجة ننمو ؟ إلى قامة ملء المسيح ، فالمسيح هو محط أنظارنا لأنه هو رأسنا الذى صعد إلى السماء ونحن جسده الذى يتحرك على هذه الأرض ولكن أعيننا نحوه وقلوبنا تهفو إليه ، وهو يسوسنا ويسكب حبه علينا إلى أن نلقاه .. ومتى يكون اللقاء ؟!!

" الذى منهُ كل الجسد مركَّباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصلٍ حسب عمــل علـى قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة " (١٦)

قد يبدو الأسلوب اللغوى هنا صعباً ولكن ما يريد أن يقولـه معلمنـا بولـس ببساطة شديدة هو أن الكنيسة تنمو فى المسيح ، وهذا النمـو يتوقـف علـى نمـو الأعضاء واتحادهم معاً فى جو المحبة الخالص ، فالسيد المسيح هو الـذى يمنـح كنيسته التماسك والترابط ، وكل مفصل (عضو) له دوره فى هذا الترابط حتى ينمو الجسد ككل فى وسط وجو المحبة ، فطالما الأعضاء يعيشون معاً بالحب ، فـالحب قادر على تخطي الخلافات التى يزرعها عدو الخير وقادر على خلق الانسجام بيـن الأعضاء الكثيرين .

وقد إستخدم معلمنا بولس في هذه الآية إستعارتين للكنيسة حيث شبهها :

١- الجسد ذو الأعضاء الكثيرة " كل الجسد مُركَّباً معاً " وهو تشبيه رائـع لأننـا دائما نرى الأعضاء تبذل كل ما فى وسعها لإسعاد الجسد ، ولم نرَ جسداً قـط تتنافر أعضائه وتتناصر حتى تأكل بعضها البعض .

٢- الهيكل المقدس " لبنيانه " وهو أيضاً تشبيه جميل جداً لأن الحجـر بمفـرده لا قيمة له ، ولكن قيمته تظهر فى وسط البناء ، وهكذا كل مؤمن بمفرده ليس له قيمة ولكن قيمته مستمدة من كيانه فى المسيح وفى الكنيسة ، فهو حجر حـي فى الهيكل يتمتع بالعبادة والوجود فى الحضرة الإلهية .. يكفيه أن يشتم رائحة البخور الذكية ويتقدم للأسرار المحيّية .

وفى هذه الآية نجد الوحدانية مع التنوع ، فالوحدانية لـم تلغـى التنـوع ولا التنوع ألغى الوحدانية ، والمسيح الرأس يمثل الوحدانية والأعضاء بمواهبهم التـى نالوها من المسيح يمثلون الأعضاء . كل عضو يستمد قوته ومواهبه من الـرأس ، وكل عضو ينمو ليس بذاته ولا لذاته بل بالمسيح وللكنيسة فى جو المحبة *" بالمحبـة أخدمـوا بعضكم بعضاً " (غل٥: ١٣)* وعندما يربط كل مفصـل العضو الذى يحمله

بالجسد الواحد فى جو المحبة "*البسوا المحبة التى هى رباط الكمال*" *(كو٣: ١٤)* فإن الجسد يصل إلى مرحلة الكمال ، وهذه الآية تشبه لما ذكره معلمنا بولس لأهل كولوسي "*الذى منه كل الجسد بمفاصل ورُبُط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله*" *(كو٢: ١٩)* [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١١٢،١١٣] .

ثانيا : الإنسان العتيق والإنسان الجديد (١٧-٢٤)

" ١٧ فأقول هذا وأشهد فى الرب أن لا تسلكوا فى ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً بُبطل ذهنهم ١٨ إذ هم مظلمو الفكر ومتجنّبون عن حيوة الله لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم ١٩ الذين إذ هم قد فقدوا الحسَّ أسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسةٍ فى الطمع ٢٠ وأما أنتم فلم تتعلّموا المسيح هكذا ٢١ إن كنتم قد سمعتموهُ وعلّمتم فيهِ كما هو حق فى يسوع ٢٢ أن تخلعوا من جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور ٢٣ وتتجدَّدوا بروح ذهنكم ٢٤ وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البرّ وقداسة الحق " (١٧-٢٤)

بعد أن أبدع بولس الرسول فى رسم صورة رائعة للكنيسة المفتداة بالدم التى تعيش فى وحدانية الروح فى جو المحبة .. الكنيسة التى تمثل الجسد الواحد ، الجالسة فى السماويَّات فى المسيح يسوع . يعود بنا إلى أرض الواقع حيث يرسم بألوان صارخة وصراحة تامة صورة الطبيعة البشرية الساقطة المتمرّغة فى حمأة الطين ، وإذ هى قد فُقدت الحس فإنها تمارس كافة الشرور بلا ضابط ، وبهذه الفقرة يستكمل الصورة البشعة التى يعيشها الأمم وقد كشف عنها معلمنا بولس فى الأصحاح الأول من رسالته إلى رومية (رو١: ٢١-٣٢) وهذه الصورة التى رسمها تكشف عن عظم الفارق بين الحياة بلا مسيح ، والحياة فى المسيح ، وهذه الأوصاف المذكورة هنا وفى رسالة رومية قد لا تنطبق على جميع البشر غير المؤمنين حينئذاك لأنه كان يوجد قلة قليلة جداً تحاول أن تعيش فى الفضيلة ، وأما السلوك العام الوثنيين عامة فقط ارتبط بالانحطاط العقلي والروحي والأخلاقي الذى

وصل إلى درجة ممارسة النجاسة فى هياكلهم الوثنية .

وفى هذه الفقرة يقارن معلمنا بولس بين سلوك الأمم وسلوك المؤمنين ، فلذلك نجد كلمتين اساسيتين " هم " إشارة للأمم ، و " أنتم " إشارة للمؤمنين ، وهاتان الكلمتان تقابلان ما جاء فى رسالة كورنثوس " كنتم قبلاً .. أما الآن " ، وفى هذه الفقرة يستحث بولس الرسول أولاده أن يقلعوا عن الأسلوب التافه المملوء خزياً الذى يعيش به الأمم ، فلا يسلكوا كالأمم (١٧-١٩) بل يحيوا كما تعلَّموا المسيح (٢٠،٢١) ولهذا يطلب منهم أن يخلعوا الإنسان الفاسد ويلبسوا الجديد (٢٢-٢٤) ويُعتَبر حديثه هذا استكمالاً لحديثه الذى بدأه فى بدأية الأصحاح (٤: ١-٣) .

ونستطيع أن نقول أنه من هذه الآية وحتى نهاية الرسالة نلتقى بسلوك الإنسان المسيحي فى حياته الجديدة والتى تشمل :

أ- السلوك فى الحياة الروحية (٤: ١٧-٣٢) .

ب- السلوك فى الحياة الإجتماعية (٥: ١-٢١) .

حـ- السلوك فى الحياة العائلية (٥: ٢٢-٦: ٩) .

د- السلوك فى الجهاد الروحي (٦: ١٠-٢٠) .

" فأقولُ هذا وأشهدُ فى الربّ أن لا تسلكوا فى ما بعد كما يُسلكُ سائرُ الأمم أيضاً ببُطْل ذهنِهم " (١٧)

فأقولُ هذا وأشهدُ فى الربّ .. هنا يعود معلمنا بولس إلى بداية هذا الأصحاح ولذلك إستخدم حرف الفاء " فأقول " ***ليربط بين حديثه هنا وحديثه السابق " فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا .. " (أف٤: ١)*** والمقصود من " هذا " أى هذا الكلام وتلك الوصايا المزمع أن أوصيكم بها . أنها وصايا هامة وخطيرة ولذلك " أشَهدُ فى الرب " أى الرب شاهد على أقوالي وأيضاً الرب شاهد عليكم كما قال قسوس هذه الكنيسة " ***لذلك أشهدكم اليوم هذا أنى برئ من دم الجميع " (أع٢٠: ٢٦)*** ،

وقوله " فى الرب " أى فى المسيح رأس الكنيسة ورأس كل عضو حي يعيش فى الكنيسة .

أن لا تسلكوا فى ما بعدُ كما يَسْلُكُ سائر الأمم أيضاً .. أهل أفسس بحسب النسب الجسدى هم من الأمم وكان من الممكن أن يطلب منهم بولس الرسول أن لا يعودوا إلى مسلكهم الأول ، ولكن بلطف طلب منهم أن لا يسلكوا مثل الأمم ، فالسلوك هو الترجمة العملية للإيمان .. لقد كان لكم أيها الأفسسيون من قبل السلوك الخاطئ المشين ولكن بعد إيمانكم تبرَّرتم وتقدستم بدم الحمل وصرتم أبناءاً لله تعشقون الفضيلة وتعيشون فى السمائيات حتى أنه صارت بينكم وبين أخوتكم من الأمم هوة عميقة فلا تعودوا إلى ما كنتم عليه " ***أنتم تعلمون أنكم كنتم أمماً منقادين إلى الأوثان إليكم كما كنتم تُساقون*** " ***(١كو١٢: ٢)*** .

ببُطْل ذِهنِهِم .. فالأصل اليوناني يحمل معنى الذهن العقيم الأجوف الباطل العاطل الذى بلا ثمر ولا هدف مثل السفينة التى بلا دفة ولا بوصلة فهكذا هى البشرية الساقطة " ***إذ أُخضعت الخليقة للبُطل*** " ***(رو٨: ٢٠)*** فالذهن الباطل كل إنشغاله بالأمور الحاضرة التى بلا هدف ولا فائدة والتى وصفها سليمان الحكيم بأنها " ***باطل الأباطيل .. الكل باطل وقبض الريح*** " ***(جا١: ٢، ١٤)*** وقال أشعياء النبي " ***لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع*** " ***(اش٥٥: ٢)*** ، والذهن الباطل يقود صاحبه إلى حياة بلا رجاء ولا هدف .. أراد أهل لسترة ببطل ذهنهم أن يذبحوا لبولس وبرنابا فقال لهم بولس الرسول "***نحن بشر تحت آلام مثلكم نبشِّركم أن ترجعوا عن هذه الأباطيل ..*** " ***(أع١٤: ١٥)*** .

ببُطْل ذهنهم .. هذا هو الوصف الإجمالي لسلوك الأمم . ثم يفصله بولس الرسول فى سبعة أوصاف هى :

١- الفكر المظلم ٢- البعد عن حياة الله ٣- الجهل ٤- غلاظة القلب

٥- فقدان الحس ٦- الدعارة ٧- النجاسة فى الطمع .

فإنها صورة بشعة تكملها الصورة التى رُسِمت فى الرسالة إلى رومية ،

فالصورة هنا تُظهِر المسلك الشائن للإنسان الذى يسلم نفسه للشيطان والصورة هناك تظهر نهاية الإنسان الذى يرفض الله ، وإن كانت الصورة هنا يظهر فيها الفكر المظلم " *مظلموا الفكر* " *(أف٤: ١٨)* فإن الصورة هناك يظهر فيها القلب المظلم " *إظلم قلبهم الغبي* " *(رو١: ٢١)* ، والصورة هنا ترتكز *على* " *بُطل ذهنهم* " *(أف٤: ١٧)* وهناك ترتكز على " *ذهن مرفوض* " *(رو١: ٢٨)* .

" إذْ هُم مُظلِموُ الفكر ومتجنّبوُن عن حياة الله لسبب الجهلِ الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم " (١٨) .

فى الآيتين (١٨،١٩) نجد الأوصاف السبعة التى تصف سلوك الأمم الفاسد عقليًّا وروحيًّا وأدبياً وجسديًّا .

١- **إذْ هُم مُظلِموُ الفكر** .. فكلمة " فكر " فى الأصل اليوناني هى " نوس " وتعنى الذهن فى حالة التفكير والنشاط ، فإن كان هذا الذهن فى نشاطه مظلماً فكم تكون الأفكار النابعة منه إلاَّ الفساد عينه ؟! ولذلك جاءت الوصية الأولى خاصة باستنارة الفكر " *تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك* " *(مت٢٢: ٣٧)* فعندما يحب الإنسان الله من كل فكره فإن فكره يستضئ بنور المعرفة الإلهية . أما أى معرفة أخرى مهما كانت غزيرة ولكن بدون حكمة إلهية فهى ظلام دامس ، فمثلاً الفلسفة اليونانية فى القرون الأولى كانت قد قطعت شوطاً طويلاً لكنها لم تصل للحق فبيلاطس البنطي الذى تتلمذ على يد سنيكا أعظم فلاسفة عصره وقف يسأل المسيح " *ما هو الحق ؟* " *(يو١٨: ٣٨)* والذين ليس لهم نور المسيح هم جهلاء حتى لو ظنوا فى أنفسهم أنهم حكماء " *لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإلهٍ بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبيّ . وبينما هم يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء* " *(رو١: ٢١،٢٢)* والعقل كمركز للمعرفة مرتبط بالقلب كمركز للأحاسيس والمشاعر ، فالعقل المظلم

يجعل القلب قاسياً مظلماً ، والقلب القاسي يجعل العقل مظلماً ولا علاج لـه إلاّ عند المصلوب " ***قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلاّ يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم " (يو١٢: ٤٠)*** .. الأمم مظلموا الفكر أما القديسون فعيون أذهانهم مستنيرة يدركون الرجاء الحي " ***مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين " (أف١: ١٨)*** .

٢- **ومتجنّبون عن حياة الله** .. " حياة الله " أى الحياة الروحية الناتجة عن المعرفة الحقيقية لله " ***وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (يو١٧: ٣)*** ، وفى الأصل نجد أن النفس البشرية قد خُلِقت على صورة الله فمن حقها أن تتمتع بالله ، ولكن بعد السقوط بدأ الإنسان يخاف الله ويخشاه ويبتعد عنه ويهرب منه ، فتجسد الله وإتخذ صورة جسدنا حتى يُقرّبنا إليه ويجمعنا فيه ، فإذاً كل البشر لهم الحق فى الحياة مع الله " ***وصنع من دم واحد كل أمةٍ من الناس .. لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً " (أع١٧: ٢٧)*** ولكن هؤلاء الأمم رفضوه وظلوا مبتعدين عنه . بدون مسيح غرباء عن عهود الموعد بلا رجاء ولا إله فظلوا أمواتاً بالروح لأن " ***من له الإبن فله الحياة ومن ليس له إبن الله فليست له الحياة " (١يو٥: ١٢)*** فإن كان ظلام الفكر يعبر عن حالتهم العقلية ، فإن بعدهم عن حياة الله تمثل الحالة الروحيّة التى آلوا إليها . وحتى نحن المؤمنين عندما نسقط فى الخطية فإن ظلمة الخطية تغشانا وتخيم على عقولنا وتفصلنا عن الله بل تدفعنا لنهرب من أمام وجهه ونتحاشي اللقاء معه ، ولا تنقشع هذه الظلمة إلاّ بالرجوع إليه بدموع التوبة ومشاعر الندم فيقبلنا إليه ويضمنا إلى أحضانه الدافئة الأمنة .

٣- **لسبب الجهل الذى فيهم** .. بسبب الجهل " الذى فيهم " اى المستقر والمستمر فى حياتهم أظلّم قلبهم فلم يُقدّروا قيمة الحياة الأبدية وابتعدوا عن الله ، ولذلك فالجهل خطية تقود إلى الهلاك ، ولذلك قال الله فى القديم " ***قد هلك شعبي من***

عدم المعرفة " (هو٤: ٦) واعتبر الرب يسوع الجهل خطية عظيمة مثل الفسق والقتل *" من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل .. جهل " (مر٧: ٢١، ٢٢)* ، وسيظل الإنسان فى جهله لأن *" الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة .. "(١كو٢: ١٤)* إلى أن يُقبِل إلى مصدر المعرفة والنور فيستضئ عقله ويتمسك بالحياة الأبدية .

٤- **بسبب غلاظة قلوبهم ..** " غلاظة " فى الأصل اليوناني Porosis وهى مشتقة من Poros وهو نوع من الأحجار شديدة الصلابة فالخطية تُحجّر القلب حتى يُصاب بالغلاظة ، ومتى أُصيب الإنسان بغلاظة القلب فإنه يفقد معها كل إحساس بالذنب ، ويتدنى فى مستواه عن مستوى الحيوان المفترس الذى لا يفترس إلاَّ ليشبع جوعه أما الإنسان الغليظ القلب فإنه يرتكب أفظع الخطايا بدون مبرر ولا ضرورة ، وهذا ما رأيناه فى بعض الرؤساء والملوك الذين وصلت بهم غلاظة القلب أكل لحوم خصومهم .

" الذين إذ هم قد فقدوا الحسَّ اسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسةٍ فى الطمع " (١٩)

٥- **الذين إذ هم قد فقدوا الحسَّ ..** فقدان الحس فى الأصل اليوناني يعنى التوقف عن الاحساس لدرجة الوقاحة والصفاقة ، وقال القديس باسيليوس عن فقدان الحس هو " الحال الذى يصبح المرء فيه غير قادر على تحمل ألم التأديب والتهذيب " [١١] فحياة الخطية تلد التبلد وتكرارها يقتل الإحساس بوخز الضمير *" موسومة ضمائرهم " (١تي٤: ٢)* بل تصل الخطية بالإنسان إلى حد فقدان الشعور بالخجل تماماً فيصنع الإنسان الخطية علانية دون أن يراعى حتى كرامته الإنسانية ، ودون ان يعير أذاناً صاغية لمن حوله ، فالإنسان عندما

[١١] تفسير العهد الجديد – رسالتا غلاطية وأفسس – وليم باركلي صـ٢٢٧ .

يرتكب الخطية يثور عليه ضميره بالروح القدس الساكن فيه ، ولكن إن لم يستجب لهذا الصوت وتجاهله وظل سائراً في دروب الخطية فإن هذا الصوت يخبو شيئاً فشيئاً إلى أن يختفي فيعيش الإنسان بلا ضمير غليظ القلب يرتكب أفظع الخطايا ولا يهتم إلاَّ بإخفاء معالم جريمته ، ولا يصغى إلى صفارات الإنذار ولا للأبواق الإلهية فتغشاه ظلمة الموت ولا يفوق منها إلاَّ في العذاب الأبدي وبعد فوات الأوان ، ولذلك يوصينا الإنجيل " ***عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يُدعى اليوم لكي لا يُقسَّى أحد منكم بغرور الخطية " (عب٣: ١٣)*** .

٦- **أسلموا نفوسهم للدّعارة ..** " أسلموا نفوسهم " مأخوذة من أصل يوناني يقترن بالتصرفات الدنسة ولذلك ترتبط بهذه العبارة أعمال النجاسة والخلاعة والفجور ، وأسلموا نفوسهم للشر مثلما أسلم يهوذا الخائن نفسه لمحبة المال فسلم سيده ، ولذلك كلمة دعارة في الأصل اليوناني تحمل معنى النجاسة وأيضاً محبة المال ، فقد تمارس سيدة أعمال الدعارة ليس حباً في النجاسة ولكن حباً في المال الحرام ، ولذلك فإن الدعارة تهدف الخطية لمجرد الخطية بغض النظر عن الطرف الآخر الذي يتحول إلى شئ أو وسيلة إشباع مؤقتة ، والدعارة هي الغرق في أوحال الخطية والدنس والنجاسة ، وهذه الأمور كانت شبه عادية في الحياة الوثنية يمارسونها في معابدهم كنوع من العبادة المقدمة لأرطاميس وغيرها من الآلهة الوثنية .

وإن كنا هنا نقرأ أنهم " أسلموا نفوسهم "***ففي رسالة رومية نقرأ " أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق " (رو١: ٢٨) " لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم " (رو١: ٢٤)*** فهل هم الذين أسلموا نفوسهم أم أن الله هو الذي أسلمهم ؟ وإن كان الله هو الذي أسلمهم للنجاسة فلماذا يدينهم ؟!! .. الحقيقة أنهم هم الذين أسلموا أنفسهم ولم يصغوا لأصوات الإنذار المتكررة ولذلك تركهم الله وسمح لهم بأن يُسلِّموا إلى يد الروح النجس .

٧-**ليعملوا كل نجاسةٍ فى الطمع..** فى الأصل اليوناني إستخدم كلمة P leanexia وهى تصف النجاسة وفى ذات الوقت تحمل معنى الطمع المتصلف ، فالنجاسة هى نوع من الطمع ، والطمع فى النجاسة أى إرتكاب الخطية بلا ضابط والإباحية بلا قيود ، ومع هذا فإن أقصى ما تعطيه النجاسة هو نشوة مؤقتة ولذة قصيرة يتبعها شعور بفراغ عظيم ، فيندفع الإنسان أكثر فأكثر فى طريق النجاسة طمعاً فى تحقيق نشوة أفضل ، وكل من يشرب من هذا الماء لا يمكن أن يرتوى بل يعطش أكثر فأكثر ، وقال البعض عن هذه الخطية أنها " حب التملك الذى أصابته اللعنة " وهذا صحيح لأن الإنسان تنتابه رغبة جامحة فى محاولة تملك ما ليس من حقه فإن نجح فى هذا فهو قد فاز باللعنة .

والشيطان يحاول جاهداً أن يجذب الإنسان إلى النجاسة ليهين صورة الله مثل عدو قوى يرتعب من الملك فيأتي بصورته سراً ويلطخها بالقاذورات ، أو يمقت دولة ما فيحرق علمها ، وقد دعى الرب يسوع الشيطان بالروح النجس (لو ١١: ٢٤) وأيضاً الشيطان الطمَّاع لم يكتف بما كان فيه من مجد بل طمع فى مجد أعلى ، فالشيطان هو مصدر النجاسة والطمع معاً يودعهما بسهولة فى كل إنسان محب لذاته ، ولذلك نهى معلمنا بولس فى الأصحاح الخامس عن كلا الأمرين "***وأما الزنى وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين" (أف٥: ٣)*** ويحذرنا أن ***"كل زانٍ ونجس أو طماع .ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله" (أف ٥:٥)*** وفى الرسالة إلى تسالونيكي يحذر من هذه الخطية" ***لا فى هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه فى هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا لأن الله لم يدعنا للنجاسة بل فى القداسة "(١تس٤: ٥-١٧)*** .

" وأمَّا أنتمْ فلم تَتَعلَّموُا المسيح هكذا . إن كنتم قد سمعتموهُ وعُلِّمتم فيه كما هو حقٌ فى يسوع " (٢٠،٢١)

وأمَّا أنتُمْ .. بعد أن إضطر بولس الرسول إلى رسم صورة بشعة لسلوك الأمم

إنتقل إلى الذين نالوا الإيمان فصاروا أبناء للنور " *لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأمّا الآن فنور في الرب* " *(أف٥: ١٨)* ، لهم الحواس الروحيَّة المدربة التي لا تطيق الشر ليرسم لهم صورة مبهجة ومريحة ومفرحة ، وبدأ اللوحة بأنه جعلهم يلتفتون إلى أنفسهم فقال لهم " أمّا أنتُمْ " .. أنها كلمات تعيد إلى الأذهان كلمات السيد المسيح " *طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع . فإني الحقَّ أقول لكم إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا . وإن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا* " *(مت١٣: ١٦، ١٧)* وكلمات بطرس الرسول " *وأما أنتم فجنسٌ مختارٌ وكهنوت ملوكي أمّة مقدَّسة شعب إقتناء لكي تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب* " *(١بط٢: ٩)* .. أنها كلمات ترن في آذاننا وقلوبنا وعقولنا تعلمنا أننا مميزون عن أهل العالم ولسنا من شعب الأرض لكننا مواطنون سمائيون متغربون هنا على الأرض وسريعاً نعود إلى وطننا السماوى وحبيبنا يسوع .. ومتى يكون اللقاء ؟!

فلم تتعلَّموا المسيح هكذا .. لم يقل تتعلَّموا عن المسيح بل قال تتعلَّموا المسيح ذاته ، فالمسيح هو المعلم وهو موضوع الدرس . في البشائر الأربعة رأيناه مُعلماً للجموع وللبشرية جمعاء ، وهنا نراه موضوع الدرس الذى نتعلمه طوال حياتنا وندركه في فجر الأبدية .. أنه الدرس البسيط جداً الذى يدركه الأطفال والدرس الصعب للغاية الذى لا يدركه الحكماء في أعين أنفسهم .. المسيح الذى علَّمَ الرسل في القديم هو حي في كنيستنا يعلمنا ذاته ، ويقوتنا بجسده ويروينا بدمه ويعيش فينا ونحن نثبت فيه وهو فينا .

إن كنتم قد سمعتموه .. " إن " هنا ليست للشك لكنها للتوكيد والقطع ، فليس معنى العبارة أنهم لم يسمعوا ولكن المعنى هو ما دمتم قد سمعتم أن الحق هو في يسوع فلا تتصرفوا كأنكم لم تسمعوا .. لقد سمعتم المعلم الفريد عن طريق الكارزين بإسمه ، فهو الراعي الصالح وقطيعه الصالح يسمع صوته ويتبعه " *الخراف تتبعه لأنها تعرف صوتهُ* " *(يو١٠: ٤)* فمعنى " سمعتموه " أى أطعتم

صوته بقلوبكم " *اليوم إن سمعتم صوتهُ فلا تقسُّوا قلوبكم* " *(عب٤: ١٧)* و " *من له أذنان للسمع فليسمع* " .

وعُلِّمتم فيه كما هو حق فى يسوع .. لقد تعلَّمنا يسوع المسيح حتى أنه صار لنا فكره " وأما نحن فلنا فكر المسيح " (١كو٢: ١٦) وربما لم يفهم أهل أفسس العبارة الأولى " تتعلَّموا المسيح " فأوضحها بعبارة أخرى " عُلِّمتم فيه كما هو حق فى يسوع " أى تعلمتم الحق الذى أعلنه الرب يسوع للبشرية "*أنا هو الحق*" *(يو١٤: ٦)* والحق هنا ضد الباطل " بطل ذهنهم " الذى يعيش فيه الأمم ، والقداسة التى فى ربنا يسوع المسيح ضد النجاسة التى يتمرَّغ فيها أهل العالم . أما أبناء الله الذين يتمسكون بالإيمان القويم مع السلوك الصحيح فإنهم يقدمون أعظم شهادة للحق الذى فى يسوع المسيح رأس الجسد

" **أن تَخلَعوُا من جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور** " (٢٢)

أن تَخلَعوُا من جهة التصرُّف السابق .. غالباً هذه الآيات (٢٢-٢٤) كانت تمثل جزء من ليتورجية العماد فى العصر الرسولي ، والتعبير هنا " تَخلَعوُا " تشير للتغيير الكامل والشامل الذى يشمل الحياة كل الحياة . بجميع تصرفاتها التى لا ترضي الله ، وخلع الإنسان العتيق الفاسد ليس بالأمر السهل لأنه يتشبث بالأرض التى إحتلها ويدافع عنها بألف طريقة وطريقة ، فلا يقدر الإنسان أن يخلع هذا الإنسان العتيق الذى يعيش داخله إلاَّ بالدم الإلهي ، ولا يمكن أن يتم خلع الإنسان العتيق إلاَّ بالموت والقيامة مع المسيح فى المعمودية ، فالوسيلة الوحيدة لخلع الإنسان العتيق هى صليب ماسياس " *عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِب معه ليبطل جسد الخطيَّة كى لا نعود نُستعبَد أيضاً للخطيَّة* " *(رو٦:٦)* ورغم هذا يظل الإنسان القديم طوال العمر يبذل قصارى جهده لكيما يعود إلى أرضه التى طُرد منها ولكنه لن يستطيع ذلك إلاَّ إذا سلَّمه الإنسان مفاتيح حياته ، وليس معنى خلع

الإنسان العتيق هو إلغاء الغرائز الطبيعية والميول للخطية لأنه لو رفع الله عن الإنسان هذه الغرائز وتلك الميول فعلاّم يُكلَّل الإنسان ؟! وليس معنى خلع الإنسان العتيق هو العصمة من الخطية لأنه *" إن قلنا أنه ليس لنا خطية نُضِل أنفسنا وليس الحق فينا " (ايو١: ٨)* لكننا نظل نصارع حتى نطرح كل أمر خبيث كقول معلمنا يعقوب *" لذلك إطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوادعةٍ الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم " (يع ١: ٢١)* وكقول معلمنا بطرس *" فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمّة " (ابط٢: ١)* .

الإنسان العتيق الفاسد .. الذى ورثناه من أبينا آدم عقب السقوط ، واهتمامات هذا الإنسان أرضية شهوانية تجلب العداوة مع الله القدوس الطاهر *" لأن إهتمام الجسد هو عداوة لله " (رو٨: ٧)* وهذا الإنسان العتيق لا يمكن إصلاحه ولا ترميمه إنما نخلعه ونطرحه فى المعمودية كلية ونلبس الإنسان الجديد .

بحسب شهوات الغرور .. شهوات الغرور هى الرغبات الرديَّة الأنانية النابعة من الإنسان العتيق والتى تتحرك فى النفس ، والمقصود بالغرور هو الإغراء والخداع والفسق الذى يغلف تلك الشهوات الرديئة ، فمنذ تجربة الإنسان الأول وسقوطه ونحن نلاحظ كيف غلَّفت الحيَّة القديمة الشهوات الرديئة بالخداع والغش والكذب ، وعندما يقول معلمنا بولس " شهوات الغرور " فكأنه يمثّل الغرور بشخص (الإنسان العتيق) يحرك الشهوات ويظهرها على غير حقيقتها حتى يخال للناظر إليها والمتأمل فيها أنها السعادة بعينها والنصرة فى مجدها والقوة فى أوجها والشهرة فى عظمتها والحب فى عمقه ، ولا يكتشف هذا الزيف إلاَّ بعد السقوط فيعلم كيف أن الحيَّة أسقطته فى الوهم والخداع ولا يجنى من وراء ذلك إلاَّ الضيق ومرارة الهزيمة والموت" *ولكننى أخاف أنه كما خدعت الحيَّة حواء بمكرها هكذا تفسد ذهنكم .. " (٢كو١١: ٣)* .

" وتتجدَّدوا بروح ذهنكم . وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البرّ وقداسة الحق " (٢٣، ٢٤)

وتتجدَّدوا بروح ذهنكم .. ليست المسيحية خلع للإنسان العتيق ولبس للجديد في المعمودية فقط ، لكنها تجديد مستمر يستغرق العمر كله ، والتجديد لا يتم في لحظة لكنه يستغرق العمر كله ، فكلما شبعنا بكلمة الله وتقدمنا إليه في خشوع الصلاة وأصغينا لروحه داخلنا وأطعناه كلما تغيرنا للأفضل ، والتجديد يقوم به الروح القدس ولكن ليس بدون إرادة الإنسان ، والتجديد علامة الحياة فالإنسان الحي في المسيح هو الذي يتجدد ذهنه مهما تقدم به العمر "***لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً*** " ***(٢كو٤: ١٦)*** .

وتتجدَّدوا بروح ذهنكم .. وهل للذهن روح ؟! وعندما قال " ***مستنيرة عيون أذهانكم*** " ***(أف١: ١٨)*** فهل للذهن عين ؟! كلا .. ليس للذهن روح بشرية وليس له عيون مادية ، ولكن الذهن الحي ينتج أفكاراً حيَّة مستنيرة ولذلك نُعبر عنه بألفاظ وأعضاء حيَّة .. تتجدَّدوا بروح ذهنكم أي تتجدَّد أذهانكم بالروح أو في الروح ، وما أجمل قول الكتاب عن تلميذي عمواس " ***حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب*** " ***(لو٢٤: ٤٥)*** .

وتلبسوا الإنسان الجديد .. بعد أن أمرنا الله بخلع الإنسان العتيق الفاسد لم يتركنا عراه بل طالبنا بلبس الإنسان الجديد ، فلا يكفِ الكف عن الخطايا والآثام ولكن لابد أن نلبس الإنسان الجديد حتى يمكننا أن نتصرف كما يليق بالدعوة التي دعينا إليها . نخلع الإنسان العتيق كما يخلع الإنسان ثوباً عتيقاً قد بلى وتهرأ ونلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب إرادة الله في البر وقداسة الحق كما يلبس الإنسان ثوباً قشيباً ، وإن كان الإنسان العتيق قد ورثناه عن أبينا آدم الأول بدون إرادتنا فإن الإنسان الجديد هو السيد المسيح ولا نلبسه إلاَّ بإرادتنا " ***وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح)*** "(***اكو٥: ٤٩)*** فلبس الإنسان الجديد هو لبس المسيح " ***لأن كلكم الذين إعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح*** " ***(غل٣: ٢٧)*** وحدثنا أشعياء النبي عن ثياب الخلاص " ***وفرحاً أفرح بالرب تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص*** " ***(اش٦١: ١٠)*** ، ولا توجد حالة وسيطه بين الاثنين فأما يظل

الإنسان لابساً الإنسان العتيق الفاسد عبداً للشيطان ، وإما يلبس الإنسان الجديد ويصبح عبداً للمسيح ، والإنسان الجديد له أفكاره الجديدة وأهدافه وميوله وسلوكه ومعالجته للمشاكل وكل هذا يكون جديداً *" فدُفِنَّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جِدَّة الحياة " (رو٦: ٤)* وعندما نلبس الإنسان الجديد وندخل عرس إبن الملك ويأتى الملاك ليفتش عمن ليس عليه ثياب العرس لا يطردنا خارجاً بل نظل قائمين أمام العريس نرنم الترنيمة الجديدة *" وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش " (رؤ١٤: ٣)* .

المخلوق بحسب الله .. بحسب طبيعة الله القدوس ، وبحسب قصده الإلهي الأزلي فى إتحاد الخليقة كلها فى إبنه يسوع المسيح ، وبحسب إرادة الله الذى خلقنا على صورته ومثاله ، وعندما شوهت الخطية هذه الصورة ولم تعد بحسب فكر الله تجسد إبن الله وجدَّد بدم صليبه خلقتنا وأعاد لنا الصورة الأولى التى هى بحسب الله *" حسب صوره خالقه " (كو٣: ١٠)* فالخليقة الجديدة هى بحسب الله *"أعرف إنساناً فى المسيح " (٢كو١٢: ٢)* ولهذا يحق لبطرس الرسول أن يقول لنا *"نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة " (١بط١: ١٥)* .

فى البرّ وقداسة الحق .. الإنسان العتيق هو الإنسان الميت بالذنوب والخطايا أمَّا الإنسان الجديد فهو إنسان رُفعت عنه خطاياه لأنه تبرَّر بدم المسيح ، وأخذ إمكانية حياة القداسة لأن القداسة لا يمكن أن يحصل عليها الإنسان من ذاته أو من العالم أو من أى مصدر آخر بل من مصدرها الوحيد الفريد وهو الله القدوس ، فعندما يلبس الإنسان المسيح القدوس فمن الطبيعى أن تتقدس حياته ، وأيضاً من الطبيعى أن يسلك بالحق لأن الحق هو صفة إلهيَّة يهبها لكل إنسان جديد مولود منه ، وعندما يحصل الإنسان على البرّ والقداسة تستقيم حياته تماماً ، وبهذا يحقّق قصد الله فى حياته .

البر + القداسة = استقامة الحياة .

ثالثاً : تصرفات عتيقة وتصرفات جديدة (٢٥-٣٢).

" ٢٥ لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه . لأننا بعضنا أعضاء البعض ٢٦ إغضبوا ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم ٢٧ ولا تعطوا إبليس مكاناً ٢٨ لا يسرق السارق فى ما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى مَنْ له احتياج ٢٩ لا تخرج كلمة رديّة من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمةً للسامعين ٣٠ ولا تُحزِنوا روح الله القدوس الذى به خُتمتم ليوم الفداء ٣١ ليُرْفع من بينكم كل مرارةٍ وسخطٍ وغضبٍ وصياحٍ وتجديفٍ مع كل خبثٍ ٣٢ وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعضٍ شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح " (٢٥-٣٢) .

بعد أن تحدث الرسول (٢٢-٢٤) عن خلع الإنسان العتيق بما يحمله من مفاسد ، ولبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله لكيما يعيش حياة البرّ والقداسة يستكمل هنا حديثه إذ يذكر بعض الخطايا المتصلة بالإنسان العتيق والتى يجب الإقلاع عنها ، ويُحضّنا على إكتساب الفضائل المضادة لها ، فخلع الإنسان العتيق ولبس الجديد هو الأساس الذى يضع عليه بولس الرسول وصايا السلوك ، لأن المسيحية ليست مجرد وصايا للحرام وللحلال لكنها قبل كل شئ حياة قلبية فى المسيح يسوع ، وروحه القدوس الساكن فينا يرشدنا إلى كل ما يليق ، وبهذه الآيات الأخيرة من الأصحاح ينتقل بولس الرسول من الحديث عن الأساس والأصل إلى الحديث عن الفروع فيذكر عدّة رذائل متعلقة بعلاقتنا مع الآخرين مثل الكذب والغضب والسرقة والكلام الردئ ويقابلها بالفضائل المضادة موضحاً السند والمبرر الذى بسببه يجب أن نخلع عن كل رذيلة ونتمسك بكل فضيلة .

" لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه . لأننا بعضنا أعضاء البعض " (٢٥)

هذه الآية مشابهة لما جاء فى رسالة كولوسي *" لا تكذبوا بعضكم على بعضٍ إذ*

خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذى يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو٣: ٩، ١٠) [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٤٢-١٤٥] .

لذلك إطرحوا عنكم الكذب .. " لذلك " أى لأنكم خلعتم وطرحتم الإنسان العتيق الفاسد لذلك إطرحوا هذه الخطية خطية الكذب التى لا تليق بعد أن صرتم فى المسيح وصار المسيح حياتكم ، و " اطرحوا " فعل أمر وفى الأصل اليوناني يحمل أيضاً معنى الإستمرارية ، فالطرح عملية مستمرة نحتاج لها كل يوم .

لذلك إطرحوا عنكم الكذب .. كلمة الكذب المذكورة هنا فى أصلها اليونانى تحمل أيضاً معنى الغش ، فالمقصود هنا الكذب بكل أنواعه مثل :

١- الكذب بالكلام المباشر أو غير المباشر مثل تضليل الطرف الآخر باستخدام كلمات تحمل أكثر من معنى ، أو المبالغة التى تغير المعنى .

٢- الإهمال فى ذكر الحقيقة كاملة وتامة بدون إضافة أى رتوش أو رؤية خاصة تغيّر المعنى .

٣- الصمت وتجاهل الأمر فى وقت الشهادة وإعلان الحق .

٤- الأعمال غير الصادقة مثل الابتسامة الصفراء أو قبلة يهوذا عندما نُقبّل إنساناً لا تحبه ولا تقبلهُ ولا تطيقه ، أو تقديم تبرعاً من أجل الخجل والإحراج فإن هذه أنواع من عدم الصدق .

والآن أستسمحك يا صديقى فى طرح ثلاث اسئلة حول موضوع الكذب وهى: ما هى دوافعه ؟ وما هى خطورته ؟ وكيف يمكن علاجه ؟ وذلك لإنتشار هذه الخطية فى أوساطنا وبيوتنا .

س : ما هى دوافع الكذب ؟

١- الخوف ولا سيما لدى الأطفال فإن الكذب يرتبط بالخوف من العقاب . كما يسقط الأطفال أيضاً فى الكذب بدون قصد بسبب إتساع الخيال ، فإن لم يجد الطفل من يرشده ويوجههُ فإن الكذب يتأصّل فيه مهما حصل على درجات علمية عالية وعاش حياة إجتماعية مرموقة .

٢- إخفاء خطايا أخرى ، فدائما الخطايا مخزيّة فلكي يتخلص الإنسان من خزى الخطية يكذب .

٣- خداع الآخرين للحصول على مكاسب أيٍّ كانت مادية أو معنوية أو الظهور بموقف البطولة .

٤- كنوع من المزاح والفكاهة وهو أيضاً ضد وصية الإنجيل .

٥- قد يكون نتيجة ظروف نفسية غير مستقرة فيحتاج إلى جلسات عديدة مع أب الإعتراف ، وأحيانا يحتاج إلى طبيب نفساني .

س : وما هى خطورة الكذب ؟

١- الكذب ضد الوصية سواء فى العهد القديم أو الجديد "***لا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه*** " ***(لا١٩: ١١)*** وقد وبخ الله الشعب بفم أرميا بسبب الكذب "***ويَختُلُ الإنسان صاحبه ولا يتكلمون بالحق . علَّموا ألسنتهم التكلم بالكذب وتعبوا فى الإفتراء*** " ***(ار٩: ٥)*** وأوصي بفم زكريا النبي "***ليكلم كل إنسان قريبه بالحق . اقضوا بالحق وقضاء السلام فى أبوابكم*** " ***(زك٨: ١٦)*** .

٢- النهاية المأسويَّة للكذاب ، ففى هذا العالم عندما يُكتَشف كذبه يفقد ثقة الآخرين ، وتعم شهرته الأفاق فحتى لو قال الصدق فإن الناس يشكّون فى كلامه ، وبذلك فإن الكذب يتعارض مع الشخصية المتكاملة السوية . أما فى العالم الآخر فإن الكذاب ليس له مكان فى ملكوت السموات "***ولن يدخلها (أورشليم السمائية) شئ دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً*** .. " ***(رؤ٢١: ٢٧)*** " ***لأن خارجاً الكلاب والسحرة .. وكل من يحب ويصنع كذباً*** " ***(رؤ٢٢: ١٥)*** " ***وأما الخائفون .. وجميع الكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت*** " ***(رؤ٢١: ٨)***

٣-الكذب ضد الحق " ***الذين استبدلوا حقَّ الله بالكذب*** " ***(رو١: ٢٥)*** وضد السيد المسيح لأنه هو الحق ، وضد وحدانية الروح .

٤-الكذب ستار على الخطايا الأخرى فعوضاً عن التوبة ومسح الخطايا بدم المسيح يستر الإنسان عليها بالكذب فتظل حيَّة تقوده إلى الهلاك الأبدى .

٥- الكذاب هو إبن لإبليس الذى *" يتكلم مما له لأنه كذَّاب وأبو الكذاب "(يو٨: ٤٤)* .. ومن يقبل أن يصير إبناً للشيطان ؟!!

س : وكيف يمكن علاج الكذب ؟

١- الإهتمام بتنشئة الأطفال على الصدق وذكر الحقيقة كما هى فمن شبَّ على الصدق شاب عليه .

٢- طاعة الوصية من كل القلب ، فالوصية نور تكشف الكذب الذى يعيش فى الظلام مثل الخففايش وتدينه .

٣- الإقتناع العقلى بخطورة الكذب وأنه لا يعتبر حلاً حقيقاً للمشاكل ، والثقة فى تدخل الله *" لأنه تعلق بي أنجيه . ارفعه لأنه عرف إسمي . يدعونى فأستجيب له معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده " (مز٩١: ١٤،١٥)* .

٤- المواظبة على ممارسة سر الإعتراف بجدِّية وأمانة .

وتكملوا بالصدق كل واحد مع قريبه . لأننا بعضنا أعضاء البعض .. الصدق يتمشي مع الحق ، والحق هو النور . وكما أن الله خلق النور فى أول يوم من أيام الخليقة فهكذا الصدق هو أول شئ فى الخليقة الجديدة فبدونه لا يستفيد الإنسان شيئاً من الخليقة الجديدة ولن يكون له مكاناً فى الملكوت الجديد . بل ونفقد عضويتنا فى الجسد الواحد ، لأنه لا يوجد عضو يكذب على الأعضاء الأخرى بل جميع الأعضاء تعمل بصدق ومحبة وانسجام وتعاون حتى يعيش الجسد كله فى سلام .. لو تصوَّرنا أن العين ترى قطاراً سريعاً قادماً وتعطى إشارة كاذبة للمخ بالأمان فتتقدم الأرجل فى طريقها فإن القطار لن يدهم الأرجل فقط بل الجسد كله بما فيه العين ذاتها ، فمن يكذب لا يغش أخاه فقط إنما يخدع نفسه ، ومن يتكلم بالصدق مع أخيه فإنه يحافظ على أخيه وعلى نفسه ، ونلاحظ أن معلمنا بولس الرسول لا يعتمد

فى التمسك بالصدق على الناموس الأدبي إنما يعتمد على نظرة المسيحية للكنيسة ككل يهود وأمم فالجميع أعضاء فى الجسد الواحد الذى رأسه الرب يسوع .

" **إغضبوا ولا تخطئوا . لا تغرب الشمس على غيظكم . ولا تعطوا إبليس مكاناً** " (٢٦، ٢٧)

إغضبوا ولا تخطئوا .. إقتبسها بولس الرسول من الترجمة السبعينية للمزمور " ***إغضبوا ولا تخطئوا* " *(مز٤: ٥)*** وفى طبعة بيروت " إرتعدوا ولا تخطئوا " فى الترجمة العبرية " قفوا برعدة ولا تخطئوا " .

والغضب هو انفعال طبيعي وضعه الله فى طبيعتنا البشرية لفائدتنا الروحية ، فهو ليس خيراً ولا شراً فى حد ذاته ولكن بحسب السلوك فيه ، فهو كالسكين التى يمكن أن تستخدم لخير الإنسان ويمكن أن تستخدم لضرره ، فالغضب عاطفة طبيعية تحتاج إلى الضبط والتوجيه ، والغضب ليس خطية طالما أُستخدم الإستخدام الصحيح ، ويوجد نوعان من الغضب :

١- **الغضب الخاطئ** : وهو ما لم يقصده معلمنا بولس فى هذه الآية .

٢- **الغضب المقدس** : وهو الذى يقصده معلمنا بولس بهذه الآية ، فهو لا يقصد الثورة الإنفعالية إنما يقصد الإعتراض على الظالم ، وكثيراً ما غضب الله على شعبه غضباً مقدساً ، ففى غضبه لم يتخلِ عن محبته لأولاده ، وكان غضباً ناتجاً عن غيرته على قداسة شعبه ، حتى أنه غضب على موسي كليمه لأنه إنفعل وضرب الصخرة ولم يكلمها كما قال له وظل موسي يذكر هذه العقوبة " ***وغضب الربُّ عليَّ بسببكم* " *(تث٤: ٢١)*** . كما غضب رجال الله على الأوضاع الخاطئة " **فحمى غضب موسي وطرح اللوحين من يديه وكسرهما** " (**خر٣٢: ١٩**) ، وأليهو صديق أيوب الصديق الذى ظل صامتاً وقتاً طويلاً " ***فحمى غضب أليهو .. على أيوب حمى غضبه لأنه حسب نفسه أبرَّ من الله . وعلى أصحابه الثلاثة حمى غضبه لأنهم لم يجدوا جواباً واستذنبوا أيوب* "** ***(أي٣٢: ١، ٢)*** ونحميا عندما رأى الأغنياء يظلمون الفقراء يقول " ***فغضبتُ جداً***

حين سمعت صراخهم وهذا الكلام " (نح٥: ٦) وغضب على الذين تزوجوا بأجنبيات "*فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم اناساً ونتفت شعورهم واستحلفتهم بالله " (نح١٣: ٢٥)* ، والرب يسوع غضب على قادة اليهود الذين إحتجوا على شفائه للمرضي يوم السبت " *فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم " (مر٣: ٥)* وغضب على الذين يهينون بيته فصنع سوطاً وطردهم (يو٢: ١٥) .

ويتميّز الغضب المقدس بأنه :

١- من أجل الحق وليس بسبب الذات فعندما يرى الإنسان الحق يداس من الباطل و لا تتحرك مشاعره فهو إنسان ميت ، فالدافع له ليس كرامة مجروحة ولا إساءة لحقت بالشخص .

٢- موجه ضد الخطية وليس ضد الخاطئ ، فالإنسان الذى يغضب من إبنه المتمسك بالشر أو يغضب على أخيه الذى يأكل حق المظلومين أو يغضب من إنسان يسئ إلى الله والمقدسات فإن غضبه موضوعي وليس شخصي موجه ضد الفعل نفسه بينما هو لم يتخلِ عن محبته للشخص المخطئ .

٤- يكون بأسلوب سليم يعبر عن الإحتجاج على الخطأ بدون عصبية ولا نرفزة ولا كلمات جارحة ، ولا يبدأ غضباً مقدساً وينتهى غضباً خاطئاً ، ويكون عن معرفة ووعى روحي وليس عن جهل .

٤- الغضب المقدس هو الموجه ضد أخطاء النفس وشهواتها بقصد إصلاحها وتهذيبها .

لا تغرب الشمس على غيظكم .. لم يقل غضبكم لأن الغضب هو التعبير الخارجى عن الغيظ الداخلى ، فإنتهاء الغيظ يعنى سلام القلب الداخلى ، وطلب معلمنا بولس أن لا تغرب الشمس على غيظكم يذكّرنا بعدم بقاء جثة المصلوب للغد (تث٢١: ٢٣) وأيضاً برد رهن الفقير " *رُدَّ إليه الرهن عند غروب الشمس " (تث٢٤: ١٣)*

ودفع أجرة الأجير "*فى يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس*" (*تث ٢٤: ١٥*) وليس أفضل من أن يتخلص الإنسان من الغيظ والغضب قبل أن يذهب إلى نومه فيشعر أنه فى سلام وصلح مع الكل حتى الذين يبغضونه ، عالماً أنه يكفى الخاطئ ثقل خطاياه فلا يصح أن نزيد هذا الثقل بغضبنا عليه ولكننا نلتمس له الأعذار ونقدم له الحب فإننا نربحه للمسيح .. أما لو ذهب الإنسان إلى نومه وفى قلبه غيظاً فإن عدو كل خير يستلمه ويسلب النوم من عينيه ويضع أمامه خططاً خبيثه للإنتقام ، ومتى إستيقظ الإنسان من نومه يطالبه الشيطان بتنفيذ عهوده .

لا تغرب الشمس على غيظكم .. الخوف كل الخوف من مرور الأيام والسنين ونحن فى غضبنا وخصامنا فيعبر علينا شمس البر ويتركنا .. يقول القديس يوحنا كاسيان " إن كان من الخطر أن يغرب شمس البر على سخطنا ، وإن كنا عندما نغضب فإننا فى الحال نعطى لإبليس مكاناً فى قلوبنا ، فكيف إذاً يوصينا الرسول قبلاً أن نغضب بقوله " إغضبوا ولا تخطئوا " ؟! ألا يقصد هذا بوضوح إغضبوا على أخطائكم وعلى طباعكم لئلاً إذا قبلتموها فإن المسيح شمس البر يبدأ بسبب غضبكم أن يغرب على عقولكم المظلمة . وإذ يرحل عنكم فإنكم تهيئون مكاناً لإبليس فى قلوبكم " [١٢]

ولا تعطوا إبليس مكاناً .. خشي بولس الرسول أن يفهم البعض أنه أعطاهم تصريحاً بالغضب ، لذلك أوضح لهم أن موضوع الغضب بدون خطية أمراً صعباً للغاية يحتاج منا إلى يقظة شديدة لأن إبليس يقف مترقباً يحمل خبرة آلاف السنين فى مقاتلة النفس البشرية ، ويعرف جيداً كيف يجد له مكانا بين الأخوة ، ويعرف كيف يدنس الوسيلة رغم أن الأهداف نبيلة ، ويعرف كيف ومتى يقتحم المشهد "*أصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو*" (*١بط٥: ٨*)

ولا تعطوا إبليس مكاناً .. ترك المشكلة بدون حل سريع يعطى مكاناً لإبليس

---

[١٢] ورد بكتاب الغضب لقداسة البابا شنودة الثالث صـ١٧ .

وترك الغضب مشتعلاً يعطى فرصة لإبليس ليثير الأحقاد والكراهية ، والنفس الغضوبة مرتع خصب للشيطان الذى يصاحبها فى حركاتها وسكناتها .. فى سكناتها يحرك مشاعرها الداخلية بالغيظ والحقد والانتقام وفى حركاتها يدفعها للغضب ، وكم من الأسر تمزّقت وكم من بيوت تخرّبت لأن الزوجان سمحا للشمس أن تغرب على غيظهما ، فاستلمهما ملك الظلمة ليلاً وسوّد حياتهما فخسرا كل شئ فى هذا الدهر والآتى أيضاً ، وكم من خدمات إنقسمت إلى أحزاب متصارعة لأن فردين إختلفا فى البداية وتغاضبا ولم يجدا من يصلح بينهما وغربت الشمس على غضبهما فتمزّق الجسد الواحد وصار واحد لبولس وآخر لإبلس ، ولكن عندما نطرد الغضب فلا نعطى مكاناً لإبليس " ***لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره*** " *(٢كو٢: ١١)* ، وعندما نُسكّنْ أنفسنا فإننا نغلق الباب فى وجه إبليس ، وعندما لا نعطه مكاناً بإرادتنا فإنه يستحيل عليه أن يجد مكانا بدون إرادتنا

" **لا يسرق السارق فى ما بعد بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى مَنْ له إحتياج** " (٢٨) .

لا يسرق السارق فى ما بعد .. كيف يحذر بولس الرسول أهل أفسس من السرقة بعد أن نالوا الحياة والقيامة مع المسيح والجلوس فى السماويات ؟ .. الحقيقة أن السرقة كانت منتشرة فى العالم الوثني القديم حيث إعتاد البعض على سرقة بعض الأشياء الصغيرة لكيما يعيشوا منها ولا سيما عند مرسي السفن حيث يحمل المسافرون أمتعتهم وبضائعهم ، وأيضاً فى الحمامات العامة حيث يخلع الإنسان ملابسه ويترك متعلقاته . هذا بالإضافة إلى أن مدينة أفسس كانت لها حرمتها نظراً لتقديس أهلها لهيكل أرطاميس فكان غير مسموح بإلقاء القبض على اللصوص والقتّلة داخل المدينة أو خارجاً عنها بمقدار رمية حجر كما رأينا فى التمهيد وبذلك كثر فيها اللصوص والقتّلة والمجرمين ، ولذلك لا عجب أن نرى

معلمنا بولس يحذر أولاده من هذه الخطية التى ربما مارسوها قبل إيمانهم ، وأيضاً كتب لهم لأنه يعرف ضعف الطبيعة البشرية التى يمكن أن تسقط فى شر الخطايا .

لا يسرق السارق فى ما بعد .. ويدخل فى مجال السرقة عدم الأمانة فى العمل ، والغش التجارى بكافة أنواعه ، وعدم تحرى الدقة فى الموازين "***موازين غش مكرَهة الرب والوزن الصحيح رضاه***" *(أم١١: ١)* وسلب أجرة الأجير أو بخث حقوقه ، فصاحب القطاع الخاص الذى كل همَّه كيف يُنمي ثروته ولو أنه يمتص دماء العاملين لديه هو سارق فى نظر الله ، ومن الطرف الأخر الموظف أو العامل غير الأمين فى عملهِ من جهة العمل أو الوقت أو الممتلكات فهو يعتبر سارق ، وتقاضي الرشوة بكافة أنواعها وأشكالها هى سرقات ، والتهرب من دفع أجرة المواصلات ، والإنسان الذى لا يرد لله - الذى أعطاه الكل - العشر فإنه يسرق حق الله "***أيسلب الإنسان الله ؟ فإنكم سلبتمونى . فقلتم بِمَ سلبناك ؟ فى العشور والتقدمة***" *(ملا٣: ٨)* وأيضاً من لا يعطى الرب عشور وقته فهو سارق ، ومن يتشدَّد مع بائع محتاج مضطراً لبيع بعض ممتلكاته نوع من عدم الرحمة والسرقة .

لا يسرق السارق فيما بعد .. وترتبط خطية السرقة بعدَّة خطايا أخرى مثل الأنانية والطمع وحب التملك والكسل ، وقد تكون عادة متأصِّلة فى الإنسان منذ الطفولة ولا سيما أن الطفل لا يدرك الملكية الخاصة فيمد يده ويأخذ ما لا يخصه فإن لم يجد من يوجهه ويرشده تتأصَّل فيه هذه الخطية ، وقد يكون الدافع للسرقة انصراف الإنسان إلى حياة البذخ والترف والعبث أو إدمان المخدارات التى لا يملك ثمنها ، وهذا ما نراه الآن مع الشخص الذى سقط فى الإدمان فيلجأ للسرقة من أى مكان للحصول على الجرعة التى اعتاد عليها ، وتزداد بشاعة السرقة كلما كان الشخص الذى تعرض للسرقة فى حاجة للشئ المسروق ، مثل إنساناً اقترض مالاً ليجرى عملية جراحية لإبنه ، وأيضاً تزداد بشاعة خطية السرقة كلما كان السارق ليس فى حاجة للشئ المسروق ، فالذى يسرق رغيف خبز لأن الجوع يعضه جرمهُ

أقل من إنسان يسرق خاتم ذهب ليصرف على ملذاته أو ليحلى به أصبعه ، وأيضاً تزداد بشاعة الخطية كلما توجهت للأماكن المقدسة فالذين يسرقون مال الكنيسة ، أو يمدون ايديهم على ممتلكاتها ومكتباتها والأوانى المقدسة والأيقونات وأجساد الشهداء والمخطوطات فإن جريمتهم أشنع ، ومن الناحية الأخرى يجب الحرص وعدم التهاون فى المعروضات ليس خوفاً من سرقتها فقط ولكن لئلاً السارق لا يجد فرصة للتوبة فيموت وتهلك نفسه وهذه هى الخسارة العظمى .

بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه .. " عاملاً " فى الأصل اليونانى Kopiao تعبر عن العمل المضنى ، وهى التى استخدمها معلمنا بولس للتعبير عن عمله ***" ونتعب عاملين بايدينا " (١كو٤: ١٢)*** والتى طالب بها أهل تسالونيكى ***" وتشتغلوا بايديكم أنتم كما أوصيناكم " (١تى٤: ١١)*** فالإنسان المسيحي ينبغى أن لا يستثقل العمل المضنى ولا يخجل من العمل البسيط ، ومعلمنا بولس يطالب السارق الذى خصص يديه للسرقة أن يكرسهما للعمل ، والعقل الفارغ الذى استغله الشيطان كمعمل له يصير مثمراً بالعمل الصالح ، والإنسان الذى كان يعيش عبئاً على غيره ومصدر إيذاء لهم يصير مصدراً للبركة ومنفعة للآخرين ***"لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم " (٢تس٣: ١١،١٢)*** ويشترط فى العمل الذى يقوم به الإنسان أن يكون عملاً صالحاً فلا يتاجر فى السجائر والمسكرات والمخدرات وما يتلف صحة وميزانية الإنسان بل يعمل عملاً مفيداً ، وهكذا تُحوّل المسيحية الأعضاء الفاسدة فى المجتمع إلى أعضاء صالحة .

ليكون له أن يعطي مَنْ له احتياج .. الإنسان العتيق يسعى لكيما يأخذ ما لا يستحقه أما الإنسان الجديد المخلوق حسب صورة خالقه فإنه يسرُّ بالعطاء ***"فى كل شئ أريتكم أنه هكذا ينبغى أن تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ " (أع٢٠: ٣٥)*** فالله يسرُّ بذبيحة العطاء " لا

تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسرُّ الله " (عب١٣: ١٦) والعطاء يُثبّت محبة الله فينا " *وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه ؟! " (ايو٣: ١٧)* .

" لا تخرج كلمة رديَّة من أفواهكم بل كل ما كان صالحا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمةً للسامعين " (٢٩)

لا تخرج كلمة رديَّة من أفواهكم .. بعد أن حذرنا معلمنا بولس من الكذب يوصينا هنا بأن لا تخرج كلمة رديَّة من أفواهنا بل كل ما كان صالحاً ، وهنا يستخدم كلمتى " لا " و " كل " للتعبير عن شمولية التحذير ، وكلمة " رديَّة " أى باطلة بلا قيمة ولا فائدة " *الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يُخرج الصالحات والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور . ولكن أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين . لأنك بكلامك تتبرَّر وبكلامك تدان" (مت١٢: ٣٥-٣٧)* وكلمة " الرديَّة " وردت فى الإنجيل لتصف الشجرة الرديَّة (مت٧: ١٧،١٢: ٣٣) والسمك الردئ (مت١٣: ٤٨) والكلمة الرديَّة هى الغير مملحة بملح الروح القدس "*ليكن كلامكم كل حين بنعمةٍ مملحاً بملحٍ لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحدٍ " (كو٤: ٦)* [راجع تفسير رسالة كولوسي صـــ١٨٣-١٨٥] والكلمة الرديَّة مثل الفاكهة الرديئة التى تطرح خارجاً لئلا تتلف البقية ، والكلمة الرديَّة تصدر من عقل ردئ وقلب مريض " *فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم" (مت١٢: ٣٤)* والفم الذى يخرج الكلمات الرديَّة يصير مثل القبر الذى يطلق الروائح الكريهة " **حنجرتهم قبر مفتوح بألسنتهم قد مكروا سمُّ الإحلال تحت شفاههم" (رو٣: ١٣)** .

لا تخرج كلمة رديَّة من أفواهكم .. لأنها ضد الوصية " *انزع عنك إلتواء الفم وابعد عنك انحراف الشفتين " (أم٤: ٢٤) "يقطع الرب جميع الشفاة الملِّقة " (مز١٢: ٣)* والكلمة الرديَّة لا تليق بنا كأبناء لله " *من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة ؟! لا يصلح*

يا إخوتي أن تكون هذه الأمور هكذا . ألعل ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمرَّ ؟!" (يع٣: ١٠،١١) ، والكلمة الرديَّة تدنس الجسد كله "*لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية " (رو٦: ١٣) " فاللسان نارٌ عالم الإثم . هكذا جُعِل فى أعضائنا اللسان الذى يدنس الجسم كله " (يع٣: ٦)* ، والكلمات الرديَّة تحرك الشهوات داخل النفس ، فمتى سلم الإنسان أفكاره وقلبه للشيطان فإنه يعزف على لسانه ألحانه النجسة الرديَّة والنكات البذيئة التى تؤذى الآذان . أما صاحب الأذن المختومة فلا يقبل الإستماع لمثل هذه الأمور التى تزدحم بها وسائل الإعلام .

بل كل ما كان صالحاً للبنيان .. ما زال فى ذهن بولس الرسول فكرة البناء التى إستعارها للتعبير عن الجسد الواحد (أف٢: ٢١، ٤: ١٦) كما قال لأهل رومية "*فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض " (رو١٤: ١٩)* وما أجمل شهادة أليفاز التيماني لأيوب "*قد أقام كلامك العاثر وثبَّت الركب المرتعشة " (أي٤:٤)* فالكلمات الصالحة قادرة على تغيير الأشخاص ، والأشخاص يغيرون المجتمع .

بل كل ما كان صالحاً للبنيان .. فلا يقف بنا الحد إلى الإمتناع عن الكلمات الرديَّة بل يتعداها إلى النطق بالكلمات البناءة ، وإن كان الفم الدنس يهدم الوحدانية فإن الفم المقدس يبنى الوحدانية لأنه ينطق بكلمات النعمة والصلاح التى يضعها الروح القدس على لسانه ، فيرنم مع المرنم "*فاض قلبى بكلام صالح .. "(مز٤٥: ١)*

حسب الحاجة كى يعطى نعمةً للسامعين .. حسب الحاجة أى فى الوقت المناسب لأنه "*للسكوت وقت وللتكلم وقت " (جا٣: ٧)* فما أحلى الكلمة المناسبة فى وقتها "*للإنسان فرح بجواب فمه والكلمة فى وقتها ما أحسنها " (أم١٥: ٢٣) " تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى محلها " (أم٢٥: ١١)* فالكلمة الصالحة تعطى نعمة للسامعين سواء كانت كلمة تشجيع أو نصح أو إرشاد أو تعزية أو حتى إنذار وتوبيخ .. يا ليتنا نصادق الأخوة الذين كلامهم يبنيننا ، ونهرب من الأخوة الذين كلامهم يدفعنا إلى هوة الهلاك .

" ولا تُحزِنوا روح الله القدوس الذى به خُتمتم ليوم الفداء " (٣٠) .

ولا تُحزِنوا روح الله القدوس .. بعد أن لبسنا الإنسان الجديد لا يليق أن نرتد إلى الإنسان العتيق الفاسد بتصرفاته الخاطئة وكلماته الرديَّة ، وندخل ثانية تحت سيطرة إبليس ونُحزِن روح الله الساكن فينا (١كو٣: ١٦، ١٧-٦: ١٩) ونصير مثل اليهود الذين قال عنهم أشعياء النبى ***" لكنهم تمرَّدوا وأحزنوا روح قدسه فتحوَّل لهم عدواً وهو حاربهم " (أش٦٣: ١٠)*** فمنذ لبسنا الإنسان الجديد وروح الله القدوس يُسمعنا صوته فإن نطقنا بما يضعه فى أفواهنا تتقدس حياتنا وحياة السامعين أيضاً ، ولكن إن استخفينا بمحبته وصممنا آذاننا عن سماع صوته واغلقنا قلوبنا تجاه مشوراته الصالحة تابعين مشورة عدوه إبليس بأنه ينسحب مثل صديق أحزناه بتصرفاتنا الطائشة وينزوى داخلنا فلا نعود نسمع صوته .

أليس من الجهل أن نُحزِن الذى يقودنا إلى طريق الملكوت (رو٨: ١٤) ؟!

أليس من الجهل أن نُحزِن الروح الذى يشفع فينا بأنات لا ينطق بها (رو٨: ٢٦) ؟!!

أليس من الجهل أن نُحزِن الروح الذى يرشدنا (يو١٦: ١٣) ويعزينا (يو١٦: ١٧) ؟!!

ولا تحزنوا روح الله القدوس .. قال إسطفانوس لقادة اليهود ***" أنتم دائماً تقاومون الروح القدس " (أع٧: ٥١)*** وقال معلمنا بولس لأهل تسالونيكى ***" لا تطفئوا الروح " (١تس٥: ١٩)*** وهنا يقول ***" لا تحزنوا الروح "*** فجميعها أعمال سلبية يجب تجنبها فلا نقاوم ولا نطفئ ولا نُحزن الروح بل نتصرف بإيجابية إذ نطيع صوت الروح القدس ***" امتلئوا بالروح " (أف٥: ١٨)*** ، وأيضاً جميع العبارات السابقة تُثبت أن الروح أقنوم وليس مجرد قوة كقول شهود يهوه . إنما القوة هى إحدى نتائج حلول الروح القدس (أع١: ٨) .

الذى به خُتمتم ليوم الفداء .. فالروح القدس سكن فينا بواسطة سر الميرون المقدس وصار ختماً فى حياتنا ، فيقول القديس يوحنا ذهبى الفم " فدع هذا الختم إذاً ثابتاً فى فمك ولا تحطم هذا الأثر الإلهي ، فالفم الروحاني لا ينطق بأى شئ ردئ ..

لقد أُعطيت فماً روحانياً . فما هى الكلمات التى تليق بفمك ؟ .. هل تدعو الله " أباً " ثم تشتم أخاك ؟ " [١٣]

والروح القدس هو الختم وهو التاكيد على نوالنا الحياة الأبديَّة والميراث السمائى فى يوم الفداء . يوم مجئ المسيح الثاني حيث يفدى أجسادنا من الموت ***" نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين التبنِّى فداء أجسادنا " (رو٨: ٢٣)*** فالروح القدس يكّرسنا ويُخصّصنا ويُقدّسنا حتى نلتقى مع العريس السمائى بلا خوف ولا خجل فكم يليق به الإكرام والتمجيد ؟!

" وليُرفَع من بينكم كل مرارةٍ وسخطٍ وغضبٍ وصياحٍ وتجديفٍ مع كل خبث " (٣١)

آخر آيتان فى ختام هذا الأصحاح تشيران إلى بعض خطايا الإنسان العتيق وبعض فضائل الإنسان الجديد ، ففى هذه الآية نلتقى بستة خطايا تفضح الإنسان العتيق الفاسد وتعلن صورته البشعة ، فلك أن تتصوَّر إنسانا مملؤاً مرارةً وسخطاً وغضباً يقضى يومه فى الصياح والتجديف وقد فقد سلامه وامتلأ خبثاً .. هل يمكن أن تطرق السعادة باب قلبه ؟! وقد كرَّر معلمنا بولس الرسول مثل هذه النصائح لأهل كولوسي ***" وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم " (كو٣: ٨)*** [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٣٦-١٤٣] .

وليُرفع من بينكم كل مرارةٍ .. المرارة هى شراسة مع قلب عنيد .. هى الغيظ المكتوم داخل قلب غير صفوح ، وتنشأ المرارة من التفكير والتأمل فى الإهانات والإساءات التى لحقت بشخص الإنسان أو شخصيته من آخر مع الإصرار على عدم الصفح ورفض الصلح فيمتلئ القلب بالضيق وعدم الرضي ، والذين يتركون الشمس تغرب على غيظهم تمتلئ حياتهم مرارة لأنهم أسلموا

---

[١٣] من عظة ١٤ تفسير أفسس- شرح رسالة أفسس د . نصحى عبد الشهيد صـ١١٤ .

أنفسهم لعدو قاسي شرس فيصير "*فمهم مملوء لعنة ومرارة*" *(رو٣: ١٤)* أما الذين يعيشون الوصية شفوقين متسامحين ملتمسين الأعذار للآخرين فقلما تجد المرارة مكاناً لها ، وحتى لو تسللت المرارة إلى حياتنا فإننا نستصرخ الروح الوديع الهادئ الساكن فى قلوبنا فيرفعها عنا ، فمثلاً الزوجة البائسة التى حوّل زوجها الطائش حياتها إلى مرارةٍ تحتاج لصلوات بلجاجة وصراخ لكيما يرفع الله المرارة وينقذ كلا الزوجين من الهلاك ، والوالدين اللذين امتلأت نفسيهما بالمرارة بسبب ابن عاق اغواه الشيطان يحتاجان إلى الصراخ لله ليل نهار حتى ينصف مختاريه

وسخطٍ وغضب .. السخط هو إنفجار الغيظ والمرارة الداخلية من خلال إنفعال سريع عنيف قد يقود الإنسان إلى الصياح والصراخ ، وهو وليد الكبرياء لذلك غالباً ما يصدر من الرؤساء ضد المرؤوسين ، وغالباً ما يشتعل السخط سريعاً وينتهى سريعاً ، وقد يسخط الإنسان على غيره أو يسخط على الظروف المحيطة به ، وقد يسخط على نفسه لأنه لا يرى يد الله التى تدبر الأمور ، وعندما ينشأ الطفل فى أسرة ساخطة على كل شئ فإنه يشب هو أيضاً ساخطاً ولا يعرف حياة الشكر . أما الغضب فهو أعمق من السخط ، والغضب المقصود هنا ليس الغضب المقدس إنما الغضب الخاطئ الذى يشعله إبليس ويستقر فى حضن الجهاد "*لا تسرع بروحك إلى الغضب لأن الغضب يستقر فى حضن الجهال (جا٧: ٩)* ، وقد يشب الغضب مع الإنسان ، فالطفل سريع الغضب عندما يغضب ولا يجد من يوجهه ويرشده ويعلمه أن غضب الإنسان لا يصنع بر الله ، وإن على الإنسان أن يُسلّم كافة أموره لله ضابط الكل صانع الخيرات فمثل هذا الطفل يشب على الغضب ، ويحتاج إلى جهاد أطول لكيما لا يعطى مكاناً لإبليس بل يعطى مكاناً للغضب أى يوسّع للغضب لكيما ينصرف من القلب "*لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكاناً للغضب*" *(رو١٢: ١٩)* .

وصياحٍ وتجديفٍ .. قد يصيح الإنسان لكيما يثبت ذاته ، وقد يصيح لكيما

يسمعه الآخرون حتى لو جانبه الصواب ، وقد يصيح الإنسان ساعة غضبه قاذفاً بسيل من الكلمات الجارحة والبذيئة ، والصياح نوع من الطفولة وعدم النضوج ويشير إلى خلل الضبط الداخلى ، ومن يسقط تحت نير هذه الخطية يحتاج إلى التأمل كثيراً فى شخصية رب المجد يسوع الذى كان وديعاً ، وفى وداعته كان قوياً " ***هوذا فتاى الذى اخترته . حبيبى الذى سُرَّت به نفسي .. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته " (مت١٢: ١٨، ١٩)*** أما التجديف على الله فهو إعلان العداوة فيشتم الإنسان ويلعن الإسم المملوء بركة ، ومع ذلك فإن الله المحب يقبل المُجدِّف عليه متى تاب عن خطيته " ***كل خطية وتجديف يُغفَر للناس وأما التجديف على الروح القدس (عدم التوبة) فلن يُغفَر للناس " (مت١٢: ٣١)*** ويدخل ضمن التجديف أيضاً لعنة الآخرين والاستهزاء بهم وتشويه سمعتهم فإنه يعتبر تجديف على خالقهم .

مع كل خبث .. الخبث أشرّ من المكر فهو يحمل معنى الدهاء واللف والدوران وعدم الصراحة وإخفاء السم فى الكلام الناعم المعسول ، ومنه تنطلق النقائص السابقة ، وقد حذرنا منه أيضاً معلمنا بطرس الرسول " ***فاطرحوا كل خبثٍ وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمةٍ " (١بط٢: ١)*** والعلاج الوحيد للخبث هو المحبة التى " ***تتأنى وترفق . المحبة لا تحسد . المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ . ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتدُّ ولا تظنُّ السوء . ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شئ .. " (١كو١٣: ٤-٨)*** .

" وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعضٍ شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح " (٣٢) .

هذه الآية تشبه ما جاء في رسالة كولوسي " ***فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحدٍ على أحدٍ شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً " (كو٣: ١٢، ١٣)*** وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بشئ من التفصيل [راجع

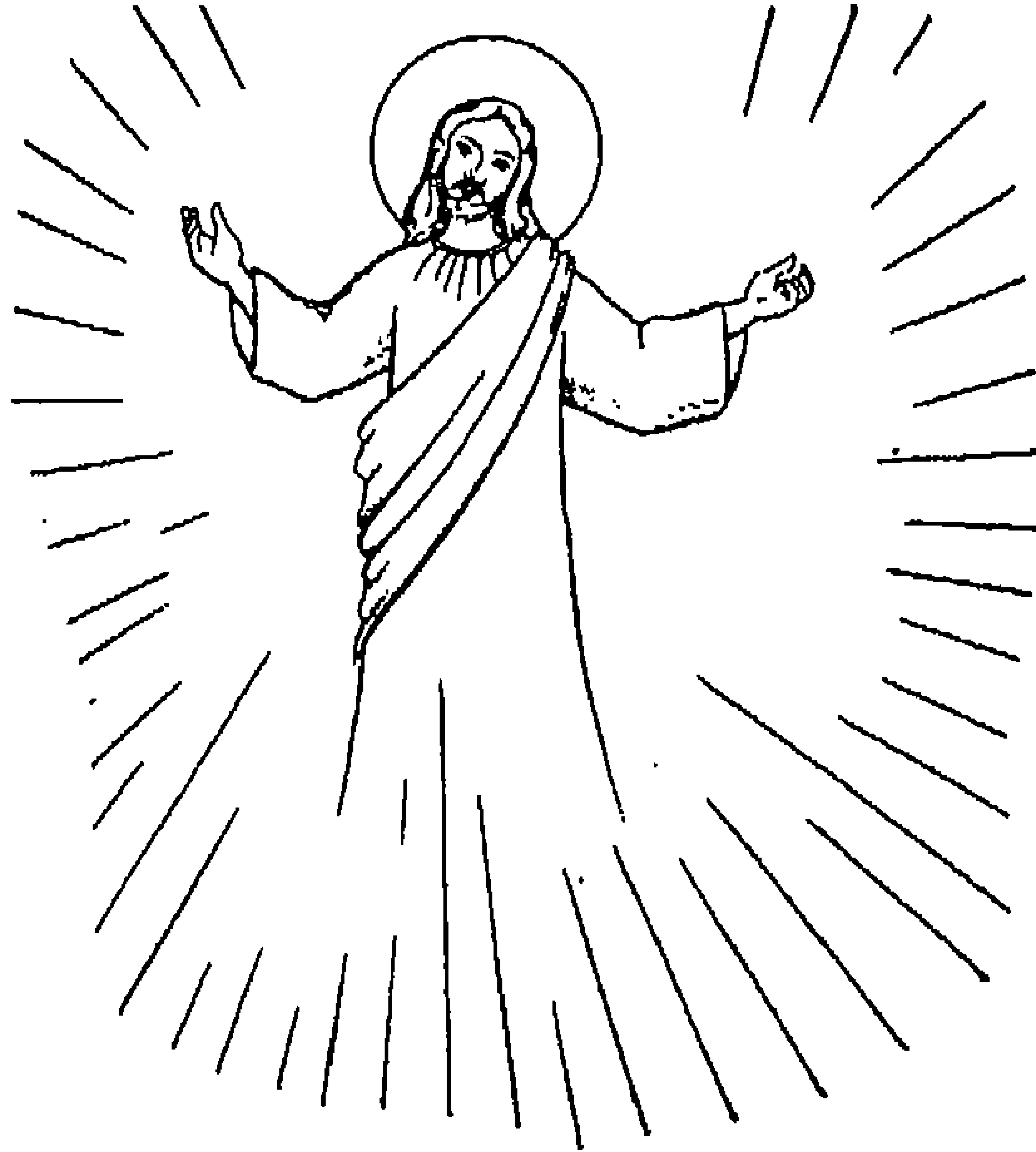
تفسير كولوسي صـ١٤٧-١٥٤] فالمسيحية ليست مجرد إمتناع عن الشرور لكنها إظهار صورة المسيح الحلوة داخل حياتنا ، ومن أين نحصل على اللطف والشفقة إلاً من الله اللطيف الشفوق ؟! وكيف نقدر أن نغفر ونصفح للمسيئين إن لم نتمتع بمغفرته لنا ؟! .

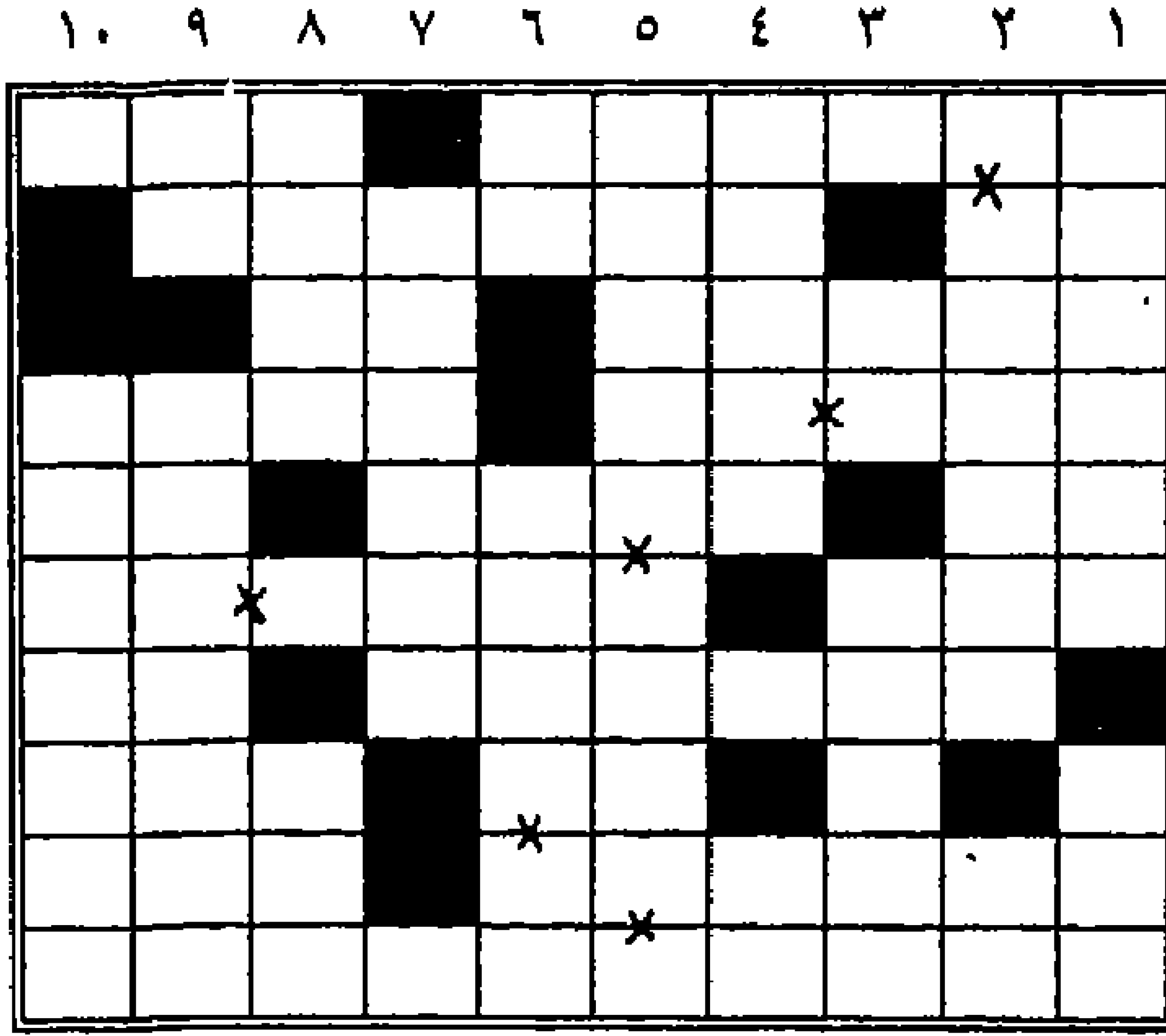
وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض .. كلمة " لطفاء " فى الأصل اليوناني تحمل معنى اللطف والصلاح ، فاللطف شهادة على سكنى الروح القدس فينا ، وعندما نرى إنساناً لطيفاً رقيقاً نعرف أن روح الله الوديع الهادئ مستريح داخله ، وقد عرّف اليونانيون اللطف على أنه الإهتمام بأمور الآخرين مثلما نهتم بأمور حياتنا ، فاللطف هو النظرة للخارج أكثر من النظرة للداخل ، وقد أقرَّت المسيحية هذه النظرة "***فرحاً مع الفرحين وبكاء مع الباكين*** " *(رو١٢: ١٥)* ونحن نتعلم اللطف من الله "***فإنه مُنعم على غير الشاكرين والأشرار*** " *(لو٦: ٣٥)* "***لأن نيرى هين وحملى خفيف*** " *(مت١١: ٣٠)* "***أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة*** " *(رو٢: ٤)* واللطف من ثمار الروح القدس (غل٥: ٢٢).

شفوقين .. الإنسان الشفوق هو الذى يحمل قلباً رقيقاً ، فالشفقة هى عاطفة قلبية " ***والنهاية كونوا جميعاً متحدى الرأى بحس واحد ذوى محبة أخويَّة مشفقين لطفاء*** " *(١بط٣: ٨)* من عظم شفقة الآب علينا أنه لم يشفق على إبنه بل بذله من أجلنا لكيما نخلص بحياته .

متسامحين كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح .. فى الموعظة على الجبل وضع الرب يسوع قانون المغفرة" ***فإنه إن غفرتم للناس زلاّتهم فيغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاّتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاّتكم*** " *(مت٦: ١٤، ١٥)* وجاء نفس المعنى فى (مت١٨: ٣٥، مر١١: ٢٥، ٢٦) ، ومع هذا فإن الله يغفر لنا الخطايا الموجهة ضده وليس ضد الآخرين ، والله يعطينا غفراناً كاملاً مجاناً ولذلك يجب أن نصفح عن إخوتنا صفحاً كاملاً ، والتسامح مع أعضاء الجسد يساوى التسامح مع النفس .

كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح .. كم كانت البشرية مديونة والرب سـدَّد ديونها ؟! وكم كانت مربوطة بربط الخطية والرب فك رباطاتها ؟! ولم يكن هـذا بالأمر الهيّن لأنه كلف إبن الله سفك دمه على صليب العار . أمـا نحـن عندمـا نتسامح فماذا يكلفنا هذا التسامح إلاَّ التنازل عن بعض الحقـوق الأمـر الـذى لا يصل إلى حد سفك الدم ، ولكن عندما نسامح فإننا نصـير واحـداً مـع المسـيح الذى غفر لصالبيه .





السؤال الأول : **كلمات متقاطعة**

الكلمات الرأسية :

١- ... بالصدق – أعترف .

٢- صادقين فى ... (معكوسة) – بواسطة (معكوسة) .

٣- ثلثى سلة – أتوجع (معكوسة) .

٤- كونوا ..... (معكوسة) – ثلثى طعن.

٥-عزومه – فى الهيكل العظمى .

٦- أحد الوالدين – مكان لتناول الطعام (معكوسة) – أداة تعريف .

٧- لا تحزنوا روح الله... (معكوسة)

٨- أنا الـ ... فى الرب (معكوسة) – أداة حربية (مبعثرة)

٩- ثلثى سحر – وحدانية ... (معكوسة)

١٠- تقدم للأسقف (معكوسة) .

الكلمات الرأسية :

١- أغضبوا ولا .... – تبعوا السيد المسيح .

٢- ثلثى كهل – سامحنا الله فيه .

٣- أحد تلاميذ السيد المسيح (مبعثرة) – ثلثى سور (معكوسة) .

٤- مكان – ثلثى مطر (معكوسة) – قذيفة .

٥- ثلثى نوم – من الحشرات (مبعثرة) – للتوضيح

٦- وجع – من الأقارب (معكوسة) – أداة استفهام .

٧- لا تكون فيما بعد .... (معكوسة) – للنداء .

٨- فعل أمر للانقطاع عن الطعام – مستبد (معكوسة) .

٩- الإنسان ..... الفاسد (معكوسة) – يجمع (معكوسة).

١٠- يحفظ وحدانية الروح .

السؤال الثانى : كوّن ست عبارات صحيحة مستخدماً ما ورد فى الأعمدة (أ) ، (ب) ، (حـ) .

(أ)	(ب)	(حـ)
الوداعة	حقيقية النفس	ضد الغضب
النعمة	ضبط النفس	الرفعة
التواضع	محمولين بكل ريح	حيلة الناس
المحبة	هبة مجانية	التنازل عن حقوقنا
الأطفال	احتمال المشقات	لمن لا يستحقها
طول الأناة	احتمال الغير	رباط الكمال

السؤال الثالث : وصف معلمنا بولس بُطل ذهن الأمم بسبعة أوصاف .. وضحها بشئ من الاختصار .

الأصحاح الخامس

رأينا فى الأصحاح الأول مشورات الله الصالحة تجاهنا منذ الأزل وعمل الثالوث القدوس من أجلنا ، ورأينا فى الأصحاح الثاني كيف أحيانا الآب مع المسيح وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات مجتذباً إليه الأمم الغرباء ، ورأينا فى الأصحاح الثالث إعلان السر المكتوم فى إختيارنا نحن الأمم وعطايا الله لنا ، ورأينا فى الأصحاح الرابع المواهب التى وهبنا الله إياها لبنيان الكنيسة وحفظ وحدانية الروح ، وهنا فى الأصحاح الخامس نرى محبَّة المسيح العظيمة للكنيسة إذ سلَّم ذاته لأجلها ، ولذلك يجب أن نسلك فى محبَّة المسيح ونوره كحكماء وليس كجهلاء محافظين على وحدانية الأسرة.

وإن كان معلمنا بولس الرسول طلب منا فى الأصحاح السابق أن نخلع الإنسان العتيق الفاسد ونلبس الإنسان الجديد ، ونهى عن الخطايا التى تثير البغضاء بين أعضاء الجسد الواحد وشجعنا على اقتناء الفضائل التى تقود إلى وحدانية الروح ، ففى هذا الأصحاح يركز على سلوكنا فى وسط العالم مقدماً الدواء المناسب لكل ميكروب من ميكروبات الخطايا القاتلة ، فالإنسان الجديد يجب أن يسلك حسب الحياة الجديدة بدون ثنائية بين النور والظلمة .

وفى هذا الأصحاح نجد عدَّة ثلاثيات :

١- خطايا الجسد " الزنا والنجاسة والطمع " .

٢- خطايا اللسان " القباحة وكلام السفاهة والهزل " .

٣- من المحرومين من ميراث الملكوت " الزانى والنجس والطماع " .

٤- ثمر الروح " الصلاح والبرّ والحق " .

٥- مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية .

٦- كنيسة المسيح مجيدة لا دنس فيها ولا غضن .

ويمكن تقسيم الأصحاح كالتالى :

أولاً : طريق المحبة (١-١٤) .

ثانياً : طريق الحكماء (١٥-٢١) .

ثالثاً : بيت مؤسَّس على الصخر (٢٢-٣٣) .

أولاً : طريـق المحبـة (١-١٤)

" ١ فكونوا متمثّلين بالله كأولاد أحبّاء ٢ واسلكوا فى المحبّة كما أحبّنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة ٣ وأما الزنى وكل نجاسةٍ أو طمعٍ فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين ٤ ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق بل بالحري الشكر ٥ فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طماعٍ الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله ٦ لا يغرّكم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية . فلا تكونوا شركاءهم ٧ لأنكم كنتم قبلاً ظُلْمةً وأما الآن فنور فى الرب ٨ اسلكوا كأولاد نورٍ ٩ لأن ثمر الروح هو فى كل صلاحٍ وبرّ وحقٍ ١٠ مختبرين ما هو مرضى عند الرب ١١ ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبّخوها ١٢ لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح ١٣ ولكن الكل إذا توبّخ يظهر بالنور. لأن كل ما أُظهر فهو نور ١٤ لذلك يقول استيقظ أيُها النائم وقُم من الأموات فيضيء لك المسيح " (١-١٤) .

" فكونوا متمثّلين بالله كأولاد أحبّاء " (١)

فكونوا .. الفاء تربط بين الكلمات الأخيرة من الأصحاح السابق وبين بداية هذا الأصحاح ، فبعد ان طلب بولس الرسول منا أن نكون لطفاءاً شفوقين متسامحين يطلب منا هنا أن نكون متمثلين بالله كأولاد أحبّاء ، فكونوا هنا هى امتداد لقوله ***" كونوا لطفاء " (أف٤: ٣٢)*** ، و" كونوا " فى الأصل اليوناني تحمل معنى صيروا فالذين صيَّرتهم النعمة أبناء الله عليهم أن يتمثلوا بالله أبيهم ، و " كونوا " تحمل معنى الاستمرارية والشمولية فهى تشمل الحياة بكل ما فيها .

فكونوا متمثّلين بالله .. هذه الآية تمثل الإقتداء بالله مثل الآية السابقة حيث الإقتداء بتسامح المسيح ***" كما سامحكم الله أيضاً فى المسيح " (أف٤: ٣٢)*** ومثلها الآية اللاحقة حيث الإقتداء بمحبَّة المسيح ***" اسلكوا فى المحبَّة كما أحبنا المسيح أيضاً " (أف٥: ٢)*** ، فمعلمنا بولس يطلب منا أن نتمثل بالله فى محبته الصافحة الغافرة ، فهو أحبنا وسامحنا ونحن نتمثل به فنحب أخوتنا ونغفر لهم ، فمحبتنا لهم هى صدى لمحبَّة الله لنا ، وتسامحنا معهم هو صدى لتسامح الله معنا ، وهذه المحبة

ليست بالكلام ولا بالعواطف بل هى مثل محبَّة الله الباذلة المضحية ، فمعلمنا بولس لا يحدثنا عن محبَّة عادية فى حياتنا العادية بل يقدم لنا المثل الكامل للحب الحقيقى الذى يسمو فوق كل عداوة وإساءة وتجريح وصلب .. الحب الذى يُحوِّل الأعداء إلى أصدقاء .

فكونوا متمثِّلين بالله .. والتمثُّل بالله يحتاج الثبات فيه " ***من قال أنه ثابت فيه ينبغى أنهُ كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً*** " ***(ايو٢: ٦)*** ، والتمثُّل بالله يحتاج الاتحاد به " ***اهتمّ بهذا كُنْ فيه لكى يكون تقدُّمك ظاهراً فى كل شئ*** " ***(اتي٤: ١٥)*** والتمثُّل بالله هو غاية وقصد الرب يسوع " ***فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل*** " ***(مت٥: ٤٨)*** " ***فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم*** " ***(لو٦: ٣٦)*** ويوحنا الحبيب ربط بين محبتنا لأخوتنا كثمرة وبين محبَّة الله لنا كأصل الشجرة " ***أيها الأحبَّاء إن كان الله قد أحبَّنا هكذا ينبغى لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً*** " ***(ايو٤: ١١)*** فالتمثُّل بالله هو الهدف الأسمى للحياة ، وهو المستوى الأعلى فى القدرة ، وهو الدعوة العظمى التى تنأى بنا بعيداً عن طريق الجحيم وتدفعنا صعوداً إلى طريق الملكوت .

كأولاد أحبَّاء .. انظروا محبَّة الإبن الحبيب وطاعته للآب حتى الموت موت الصليب . إنه النموذج الكامل الموضوع أمامنا ، فنحن أيضاً أبناء أحبَّاء بالمعمودية ولسنا مثل العبيد الذين يرهبون أسيادهم ، ولا كالأجراء الذين يترقبون أجرتهم . بل أبناء أحبَّاء نعيش فى دالة البنين ونحيا فى حرية البنين .

لماذا نتمثل بالله ؟ لأننا أبناء أحبَّاء ، فلو لم نصر أبناءاً له لاستحال علينا التمثُّل به ، لكن لأننا صرنا أبناء فمن الممكن التمثُّل به كأى أولاد يقلدون أباءهم . أما الإبن الذى لا يتمثُّل بأبيه ولا يطيعه فكيف يتجرأ ويطلب خيرات أبيه وميراثه؟!

وما هو الدافع لمحبتنا للآخرين ؟ الدافع أننا صرنا أبناءاً أحباءاً لله ، ولكيما نظل محبوبين لديه علينا أن نتمثل به ، فهذا هو أفضل وأسمي دافع لنا لمحبَّة الآخرين .

" واسلكوا فى المحبَّة كما أحبَّنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة " (٢)

واسلكوا فى المحبَّة .. اسلكوا = الاستمرارية ، والسلوك هو الهدف الذى يرمى إليه بولس الرسول ، فمع أنه كشف لنا عن عظم البركات الروحية التى وهبنا الله إياها إلاَّ أنه يركّز على تحويل هذه البركات إلى سلوك ، ولذلك يحدثنا فى هذا الأصحاح عن :

١- السلوك فى المحبَّة (ع٢) ٢- السلوك فى النور(ع٨) ٣- السلوك بتدقيق(ع١٥)

واسلكوا فى المحبَّة .. فالسلوك بالمحبَّة ينجينا من كل الخطايا التى نهانا عنها بولس الرسول فى الأصحاح السابق مثل الكذب والغضب والسرقة والصياح والتجديف ، والمحبَّة هى التى تحفظ وحدانية الروح ، وبالمحبَّة تُبنىَ الكنيسة وتنمو ، وعندما نسلك بالمحبَّة نتمثل بالله ، وعندما نتمسك بالمحبَّة نتمسك بالله لأن الله محبَّة .

واسلكوا فى المحبَّة كما أحبَّنا المسيح أيضاً .. معلمنا بولس لم يسلك فى المحبَّة فقط بل قال ***" لأن محبَّة المسيح تحصرنا " (٢كو٥: ١٤)*** لقد أدرك أن ***" غاية الوصية هى المحبَّة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء " (١تى١: ٥)*** ، و " كما " هنا هى مقياس المقارنة فنحن نحب بعضنا بعضا كما أحبنا المسيح ***"كما أحببتكم أنا تحبُّون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً " (يو١٣: ٣٤)*** فمحبة المسيح هى المحبة المضحّية بنفسها التى تعطى ذاتها للآخرين ، وهى التى جعلته يقدم ذاته قرباناً وذبيحة على الصليب بطريقة لم يعرفها العالم من قبل ، وكما وضع المسيح نفسه لأجلنا ينبغى أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة ، ***" وبهذا قد عرفنا المحبَّة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة " (١يو٣: ١٦)*** ، وكما أحب المسيح الكنيسة يحب الأزواج زوجاتهم (أف٥: ٢٥) .

اسلكوا .. أسلم نفسه لأجلنا .. وجه معلمنا بولس حديثه لأهل أفسس " اسلكوا "

ولكن عندما تحدث عن محبَّة المسيح غيرَّ الضمير من المخاطب إلى المتكلم فقال " كما أحبنَّا - نحن-المسيح فلا يقدر بولس أسير الحب الإلهي أن يذكر محبة المسيح وهو بعيد عنها بل أنه في حديثه لأهل غلاطية خصَّ نفسه بهذه المحبَّة " ***الذى احبّنى واسلم نفسه لأجلى*** " *(غل٢: ٢٠)* .

أسلم نفسه لأجلنا .. أسلم نفسه بإرادته من أجلنا رغم حالة العداوة التى كنا نعيش فيها " لأن ***المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المُعيَّن لأجل الفُجار فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بارٍ .. ولكن الله بيَّن محبته لنا إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا*** " *(رو٥: ٦،٨)* " أيها الإبن الوحيد الإله الكلمة الذى أحبَّنا ، وحبه أراد أن يخلصنا من الهلاك الأبدى . ولما كان الموت فى طريق خلاصنا إشتهى أن يجوز فيه حباً فينا . وهكذا ارتفع على الصليب ليحمل عقاب خطايانا . نحن الذين أخطأنا وهو الذى تألم .. قبل أن يُربَط بالحبال ليحلَّنا من رباطات خطايانا .. وصعد على الصليب ليكسونا بثوب بره .. " (قسمة للإبن السنوى)

قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة .. كانت ذبائح العهد القديم ترمز لذبيحة الإبن الحبيب على الصليب وكانت موضع رضى الآب ، فعندما قدم نوح محرقات للرب بعد أن جدَّد الأرض بالطوفان " ***تنسم الله رائحة الرضا*** " *(تك٨: ٢١)* ومن الذبائح الخمس التى ذكرها سفر اللاويين بالتفصيل كانت هناك ثلاث لها رائحة سرور للرب قال عنها الكتاب " ***وقود رائحة سرورٍ للرب*** " *(لا١: ٩ ، ٢:٢ ، ٣: ٥)* وهى ذبيحة المحرقة وتقدمة الدقيق أى القربان وذبيحة السلامة ، فذبيحة المحرقة التى كانت تُحرَق بالكامل على المذبح تشير لرضي الله وإيفاء العدل الإلهي حقه فهى تشير للسيد المسيح الذى بصليبه وفى العدل الإلهي حقه ، وأيضاً تشير للتكريس الكامل للسيد المسيح الذى نفذ مشيئة الآب بالكامل وكرس نفسه لأجلنا " ***لأجلهم أقدس أنا ذاتى*** " *(يو١٧: ١٩)* .. لتكن نار المحرقة مشتعلة فى قلوبنا وعواطفنا لتتكرس بالتمام والكمال لله .

أما تقدمة الدقيق (القربان) فغالباً ما كانت تصاحب المحرقة ، وسواء كانت هذه

التقدمة ناشفة أو ملتوته بالزيت أو موضوعه فى تنور أو على صاج أو فى طاجن فجميعها خالية من الخمير والعسل لأنها تشير إلى حياة السيد المسيح الخالية من الخطية والملذات بل امتزجت بالآلام .

وذبيحة السلامة تشير للسيد المسيح الذى صنع سلاماً بين السماء والأرض *" لأنه هو سلامنا " (أف٢: ١٤)* فثمن خلاصنا وسلامنا هو ذبح إبن الله" *عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح " (ابط١: ١٨، ١٩)* .. ثمن خلاصنا وسلامنا هو المحبَّة المحترقة بالآلام على عود الصليب .. هو الحب المتألم المضحى الصامت " هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا . فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة " (من ثيؤطوكية الأحد) ومعلمنا بولس الرسول يستخدم نفس التعبير عن التقدمات الماديَّة *"قبلت من ابفرودتس الأشياء التى من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضيَّةً عند الله " (في٤: ١٨)* وأيضاً يستخدم نفس التعبير عن تقديس أجسادنا *" فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيَّة مقدَّسة مرضيَّة عند الله عبادتكم العقليَّة " (رو١٢: ١) " لأننا رائحة المسيح الذكيَّة لله " (٢كو٢: ١٥)* .

" وأما الزنى وكل نجاسةٍ أو طمع فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين " (٣)

فى الآيتين السابقتين صعد بنا بولس الرسول إلى جبل عال حيث تتجلي المحبَّة الكاملة التى بلا عيب على صليب الجلجثة قرباناً وذبيحة لله ورائحة طيبة ، وكم كنا نودُّ ألا نترك ذاك المشهد العظيم ولكن لا مفر من النزول إلى أرض الواقع .. لقد عاينا أمجاد المحبَّة المتألمة المضحية بذاتها وداعبت أعيننا بأضواءها وبريقها ولمعانها واشتقنا أن نسلك بها ونعيش فيها حتى لا تغشي الظلمة حياتنا ولا يكون فينا أوجرة ولا أوكار لخطايا الظلام من زنا ونجاسة وطمع تلك الخطايا التى تنمو وتترعرع فى الظلام الدامس لكن أمام نور محبَّة الله فإنها تتداعى وتضمحل وتنحل سريعاً .

وقد ذكر معلمنا بولس أسماء أضلاع المثلث الأسود دون الخوض في التفاصيل لأن هذا يوقظ الإنسان العتيق الفاسد ، ولكن لمن يوجه بولس تحذيره هذا ؟

١- لأهل أفسس لأنهم عاشوا هذه الخطايا قبل إيمانهم ، وهو يخاف عليهم لئلا تعود الحيَّة وتقتنصهم ثانية فالإنسان غير معصوم من الخطأ ، وكم من القديسين خدعتهم الحيَّة القديمة وارتَّدوا وصاروا أعداء صليب المسيح .

٢- لكل الناس في كل زمان ومكان ، فهذه الخطايا لم تختفِ ولم تنتهِ بل زادت واستشرت بسبب الانفتاح بين الجنسين في أماكن العلم والعمل وتحت شعار الحرية الشخصية ، وأيضاً بسبب تأثير وسائل الإعلام من دش وإنترنت وخلافه ، وقد فترت محبَّة الكثيرين بسبب كثرة الإثم ، ولذلك تقع على عاتق الكنيسة مسئولية دق نواقيس الخطر وضرب أبواق التحذير لأولادها حتى لا ينحدروا إلى الإباحيَّة التي يعيشها المجتمع وحتى لا ينزلقوا إلى بالوعة النجاسة .. وما اشبه عالم اليوم بالعالم الوثني القديم حيث كان فخرهم في خزيهم ، فقد إعتاد هذا العالم الوثني على حياة الزنا والنجاسة ولم ينظر إلى مثل هذه الخطايا على أنها أمور خاطئة ، فانتشرت بيوت البغاء هنا وهناك ، وتداخلت النجاسة في طقوس العبادات الوثنية وشارك فيها كاهنات المعابد الوثنية ، ولم يكن أحد من العالم الوثني يحلم بالطهارة التي أقرَّتها المسيحية فرفعت هؤلاء المنحرفين من أسفل السافلين إلى أعلى السموات .

وأما الزنى وكل نجاسةٍ .. كلمة " أما " تحمل معنى " المقابلة " المعروف بها معلمنا بولس في أسلوبه ، فبينما ذبيحة الصليب لها الرائحة الطيبة فإن الشهوات الجسدية لها الرائحة الكريهة جداً ، وبينما المحبَّة تجعلنا نتمثل بالله فترفعنا للملكوت فإن الشهوات الجسدية تهبط بالإنسان إلى قاع الجحيم .

وأما الزنى وكل نجاسةٍ .. هذه الخطايا تبدأ بالنظرة الشريرة غير البسيطة . النظرة الفاحصة الخاطئة التي تشعل الشهوة في القلب وتلهب الرغبة الرديَّة في

الجسد وتنتهى بالإنسان إلى مصير بائس تعس ، وشمشون الجبار خير دليل على هذا ، فوراء كل دليلة طاحونة يديرها جبار كمثل حيوان ، وهذه الخطايا الجسدية هى ضد وصية الله "*لا تزن*" *(خر٢٠: ١٤)* وضد الطبيعة الجديدة التى أخذناها فى المعمودية (٢بط١: ٤) وضد "*الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبرّ*" *(١بط٢: ٢٤)* وضد الشركة مع الله "*أيها الزناة والزوانى أما تعلمون أن محبَّة العالم عداوة لله . فمن أراد أن يكون مُحبًّا للعالم فقد صار عدوًّا لله*" *(يع٤:٤)* ، وهذه الخطايا تسئ للإنسان ولروح الله الساكن فيه "*اهربوا من الزنى . كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد لكن الذى يزنى يخطئُ إلى جسده . أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم*" *(١كو٦: ١٨،١٩)* ، وهذه الخطايا تجلب الدينونة "*وأما العاهرون والزناة فسيدنهم الله*" *(عب١٣: ٤)* ويكفينا التأمل قليلاً فى سدوم التى صارت رماداً واحترق سكانها فيها ، وأخيراً فإن هذه الخطايا تُحرِم صاحبها من سكنى الملكوت "*لا تضلُّوا لا زناة ولا عبدَّة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور .. يرثون ملكوت الله*" *(١كو٦: ٩،١٠)* .

وأما الزنى وكل نجاسةٍ أو طمعٍ .. وللمرة الثانية يقرن معلمنا بولس النجاسة مع الطمع (راجع أف٤: ١٩) ، فالزنا نوع من الطمع لأنه انغماس أناني على حساب الغير ، والطمع هو الرغبة فى المزيد من الملذات والشهوات والممتلكات ، وكل من الزنا والطمع مصدرها واحد وهو محبَّة الذات ، والشيطان الذى طمع فى القديم فى العظمة "*وأنت قلت فى قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسيَّ فوق كواكب الله ..*" *(إش١٤: ١٣)* وهو الآن يطمع فى تشويه صورة الله "*لئلاَّ يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره*" *(٢كو٢: ١١)* فهو الذى يدفع الإنسان للطمع فى زوجة أخيه "*لا فى هوى شهوةٍ كالأمم الذين لا يعرفون الله . أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه فى هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا وشهدنا . لأن الله لم يدعُنا للنجاسة بل فى القداسة*" *(١تس٤: ٥-٧)* .

فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين .. لا يذكر بينكم ولا بالتلميح ، فالحديث عن أعمال النجاسة والتندر بها والتلذُّذ بالحديث عنها يثير شهوات الجسد ويدنس الفكر . كما أن ذكر هذه الأمور يمثل خطورة كبيرة على أولادنا الصغار إذ يثير فيهم حب الاستطلاع إلى مثل هذه الأمور ، ولذلك جاء الأمر حاسماً من فم بولس الرسول بالترفع عن ذكر هذه الخطايا ، لأن هذا لا يليق ولا يوافق القديسين الذين خلعوا الإنسان القديم .

" ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق بل بالحرى الشكر " (٤)

بعد أن نهانا بولس الرسول عن الخطايا الجسدية فى الآية السابقة ، فإنه ينهانا فى هذه الآية عن خطايا اللسان التى قد تقود للخطايا الجسدية ، وهنا نجد أيضاً " مقابلة " فإن كان أولاد إبليس يعيشون فى القباحة وكلام السفاهة والهزل فإن أولاد الله يعيشون فى حياة الشكر ، ، وبينما الإنسان المسيحي الأمين لا تخرج كلمة رديَّة من فمه بل كل ما هو صالح للبنيان فإن الإنسان الغير الأمين فإنه ينحط فى القباحة وكلام السفاهة والهزل .

ولا القباحة .. تعوَّد الناس أن يصفوا المناظر بالحسن والقبيح ، والمقصود هنا بالقباحة هو كل قول أو عمل شرير مرذول .. كل قول وسلوك مشين .. كل قول وفعل دنئ ومكروه .. كل كلام أو تصرف خارج يؤذى آذان القديسين المختونه ومشاعرهم المقدسة .. كل كلام وحركات قبيحة تلوث أفكارنا وقلوبنا .. كل قول وعمل لا يتفق مع الحياء المسيحي "*فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً .. الكلام القبيح " (كو٣: ٨)* .

ولا كلام السفاهة .. كلام الجهال السفهاء الذين يستخفون بالخطايا ، وهو الكلام المعيب الخارج عن حدود اللياقة والتعقل ، وهو الأحاديث التى تصف الخطايا المشينة التى تثير شهوات النفس والجسد ، وهو كلام المسرحيات والأفلام

الهابطة ، وهو الكلام الذى لا معنى ولا نفع له ويدخل تحت إطار الكلام الردئ (أف٤: ٢٩) .

والهزل .. كان الهزل مُحبَّباً لدى الرومان بهدف إدخال البهجة للنفوس ، ولكن هزلهم لم يقف عند حد خفة الدم والنكتة اللطيفة بل تعداها إلى الثرثرة والنكات البذيئة والتشهير بالآخرين والحط من قدرهم ، وكان الأفسُسيون مثل بقية سكان أسيا الصغرى الذين اعتقدوا بفكر أريسطو بأن " المجون نوع من الفنون " ، فاشتهر أهل أفسس بالهزل والمزاح واعتادوا إرتكاب مثل هذه الأخطاء فى سهراتهم وولائمهم وحفلاتهم كنوع من الظرف الذى يتدنى للنكات السخيفة ، فيضحك المستمعين كلٍ ملء شدقيه ، ويعتبر الهزل من الخطايا الدنسة وللأسف فإن كثير من المسيحيين يسقطون فيه على أنه نوع من خفة الروح والظرف ، فينحدرون إلى الكلام المُنحَل الذى يثير السخرية والضحك ، وكلمات التورية التى تحمل أكثر من معنى وهم ينالون من الأشخاص الغائبين والحاضرين "***يوجد من يهزر مثل طعن السيف أما لسان الحكماء فشفاء*** " *(أم ١٢: ١٨)* .

ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق .. جميع هذه الخطايا تخص الإنسان العتيق الفاسد فهى تصدر من الإنسان الخالى من كل نعمة ويعانى من الفراغ الداخلى ، ومثل هذه الأمور لا تليق بأولاد الله ولا بجهادهم الروحي ضد شر هذا العالم الزائل ، فيقول القديس يوحنا فم الذهب " أى مصارع يدخل حلقة المصارعة ليناضل ضد خصمه ينطق بفكاهات ؟! إبليس واقف مستعد أنه يزأر (١بط٥: ٨) ليفترسك . أنه يجول من كل جهة ، ويقلب كل الأمور ضد حيـاتك ، ويدبر مكائد لينتزعك عن راحتك . يصرّ بأسنانه ويجأر . يتنفس ناراً ضد خلاصك ، فهل تجلس أنت لتنطق بفكاهات وتتفوه بكلمات غبية ، وتتحدث بما هو ليس للنفع ؟! " [١٢]

---

[١٢] أورده القمص تادرس يعقوب فى تفسير رسالة أفسس صـ١٢٠ .

والكلام الذى لا يليق لا يتفق مع وجود الله فى حياتنا ، فكيف يكـــون روح الله ساكن فينا ونتفوه بكلمات قبيحة ؟! ويعلق الأب متى المسكين على هــــذه الخطايـــا " أنها لا تليق بقديسين ولا برجال محترمين ، ولا تليق بنفوس تســـعى للتوبـــة أو الخلاص . مضرّتها (هذه الخطية) أكيدة وربحها منعدم . وللأسف فـــهذه الأنـــواع كلها غير المقبولة لا شكلاً ولا موضوعاً هى المناهج الأساسية فى أحاديث الراديـــو والتليفزيون فى السهرات القذرة التى تُفسد الأولاد والزوجات ، وتنشئ أجيالاً بذيئـــة منحلّة مسرتها فى النجاسة والقذارة والنكت المنحرفة والضحك الذى يُحزن الـــروح ويُطفئ النور من النفس " [١٣]

وليس معنى هذا أن يكون الإنسان عبوساً كئيب الوجه مقطب الجبين بل يكـون دائماً فرحاً متهللاً بالروح مملوءاً بالسلام والـــهدوء والبهجـــة الروحيـــة والســـرور الداخلى بلا جلبة ولا ضوضاء ولا هزل ، وكثير من القديسين جذبوا الكثيرين إلـــى المسيح بابتسامتهم الهادئة الحلوة ووجههم الفرح المتهلل .

بل بالحرى الشكر .. لا يكفى الامتناع عن السلبيات فى أحاديثنا بل نمجـــد الله بشكرنا له على كل ومن أجل كل وفى كل حال ، فكلام الشكر يطرد كل كلام قبيـــح ، وكلام الشكر علاج لأمراض اللسان المستعصية ، وكلام الشكر يربطنا بالسماء ، وكلام الشكر يعتبر أفضل استخدام للكلام ، ولأهمية حياة الشكر فإن معلمنا بولـــس يكرر ذات الطلب فى ذات الأصحاح (أف٥: ٢٠) أما فى رسالته إلـــى كولوســـي فيتحدث عن حياة الشكر ست مرات (كـو١: ٣،١٢ ، ٢: ٧ ، ٣: ١٥،١٧ ، ٤: ٢) [راجع تفسير رسالة كولوسي] .

فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طماعٍ الذى هو عابد للأوثان ليس لـــه ميراث فى ملكوت المسيح والله " (٥)

---

[١٣] شرح رسالة أفسس للأب متى المسكين صـــ٣٤٩ .

فإنكم تعلمون هذا .. أنتم تعرفون وتدركون بشكل يقيني هذا ، فما أكتبه لكم ليس أمراً جديداً عليكم بل هو أمر مفهوم ومعلوم لديكم ومفروغ منه . أنه من المستحيل أن تكون هناك شركة بين الله القدوس والإنسان النجس المتمسك بخطاياه *" لأنه أيَّة خلطة للبرّ والآثم وأيَّة شركةٍ للنور مع الظلمة . وأىُّ اتفاق للمسيح مع بليعال . وأىُّ نصيب للمؤمن مع غير المؤمن . وأيَّة موافقة لهيكل الله مع الأوثان " (٢كو٦: ١٤-١٦)* فهيهات أن يلتقى إنسان دنس نجاسته عليه مع الله القدوس . أما الإنسان الدنس الذى يجاهد ويسعى للخلاص من أسر المنجوس فإن الرب يسوع ملك السماء يعينهُ وبدمه يغسله ويحوله إلى قديس فى شركة مقدسة مع الله القدوس.

أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طماعٍ الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث .. قال معلمنا بولس لأهل كولوسي *"فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديَّة الطمع الذى هو عبادة الأوثان . الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية " (كو٣: ٥،٦)* [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٢٩-١٣٦]

وقد أوضح بولس الرسول المقصود بالطماع هنا هو محب المال الذى يفضل المخلوق على الخالق فيقيم من المال إلهاً يعبده بجوار الله أو عوضاً عن الله ، فمثله مثل عابد الأوثان الغريب عن رعويَّة إسرائيل الروحي .

أما الميراث السماوي فأعظم ما فيه هو الله ذاته ، ومن أجل هذا الميراث فضل موسى *" أن يُذَلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتىّ بالخطية . حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة " (عب١١: ٢٥،٢٦)* ومن أجل واهب الميراث تحمل الشهداء آلاماتهم والنساك أتعابهم والمؤمنون جهاداتهم بصبر وفرح .

فى ملكوت المسيح والله .. أى فى ملكوت المسيح الذى هو الله ، فالملكوت واحد والمسيح هو الله الواحد . المتأنس من أجل خلاصنا . نحيا فى ملكوته ونحن ما زلنا بالجسد لأن ملكوت الله هو داخلنا ، ونتذوق عربون الملكوت ونحن مازلنا على الأرض من خلال عشرتنا مع صاحب الملكوت ، وفى النهاية نتمتع بهذا

الملكوت الذى لا يوصف . أما الغريب عن المسيح هنا فلن يستطيع أن يقترب منه هناك أيضاً .

" لا يغرّكم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية . فلا تكونوا شركائهم " (٦، ٧)

" **لا يغرُكم أحد بكلام باطل** .. كانت أفسس مرتعاً للفلسفات الباطلة الكثيرة بسبب كثرة الوافدين إليها من مناطق شتي للمشاركة فى احتفالات ارطاميس ، ومن أهم هذه الفلسفات الباطلة الغنوسية التى إعتمدت على المعرفة كوسيلة للخلاص ، ونادى أصحابها بأن المادة شر مطلق وبالتالى فإن الجسد يعتبر أيضاً شر ، وبالتالى فإن انغماسه فى خطايا الزنا والنجاسة لن يزيده شراً ، فالإنسان يستطيع أن يرتكب بجسده كل ما يحلو له من خطايا وهذا لا يؤثر على روحه ، وهو يستطيع أن يشارك أهل الظلمة بجسده ويشارك أهل النور بروحه فى آن واحد ، وبهذا قد هوّنوا من إرتكاب الخطايا الجسدية معتبرين أنها أمور طبيعية ، ولذلك حذر معلمنا بولس أولاده من مثل هؤلاء الناس أصحاب الكلام الباطل العاطل المخادع الكاذب لأن الإنسان روحاً ونفساً وجسداً وحدة واحدة يجب أن يكون مقدساً ، والجسد ليس دنساً ولا نجساً ولا شراً بل هو مقدس ويكفى أن السيد المسيح إتخذ جسداً من ذات طبيعتنا البشرية . وكما أن جسدنا هو الإناء الذى يحمل أرواحنا ، والجسد يشارك الروح فى العبادة والأتعاب ولذلك له أن يتمجد مع الروح فى قيامة الأبرار ..

وما زال فى كل عصر من يُهوّنون من الخطية ويطلقون عليها التسميات الكاذبة ، فيرتكبون الإثم تحت شعار الحرية والدالة والحب ، والإنجيل ما زال يحذرنا كل يوم لئلا يخدعنا أحد بكلام باطل له مخاطره الجسيمة على حياتنا .

لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية .. عندما زنى

بنو إسرائيل مع بنات موآب سقط منهم بالوباء أربعة وعشرين ألفاً (عـد٢٥: ١-٩) ولأن بعض شعب كورنثوس كان ساقطاً في تلك الخطية فإن معلمنا بولس أشار للحادثة السابقة *" ولا نزن كما زنى أناس منهم .. " (١كو١٠: ٨)* والله يعلن غضبه على هذه الأمور فمرض الإيدز الذى يحمل الموت السريع للإنسان ما هو إلاَّ إعلان لغضب الله على هذه الأمور .

فلا تكونوا شركائهم .. لا نكون شركانهم لأننا أبناء نور ولسنا أبناء ظلمة لأن من يشاركهم أعمالهم الرديَّة بإرادته فإنه يشاركهم الغضب الإلهي بدون إرادته .. لا نكون شركائهم لا بالتستر عليهم ولا بغض الطرف عنهم ، ولا بالتشجيع والاستحسان لهم .. نُعلن رفضنا بمقاطعة مثل هؤلاء *" الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت لا يفعلونها فقط بل أيضاً يسروُّ بالذين يعملون " (رو١: ٣٢)* ، بينما لا نكف عن الصلاة من أجلهم .. نلقيهم بأسهم كلمات الله المملؤة حباً وقداسة وعزاءاً ونحن رافضون أعمالهم المميتة وأقوالهم القاتلة .

" لأنكم كنتم قبلاً ظُلْمةً وأما الآن فنور في الرب . اسلكوا كأولاد نور " (٨)

في الأصحاح الثانى عمل الرسول مقابلة بين الموت والحياة وهنا يعمل مقابلة بين الظلمة والنور ، فإنه باللون الأسود يظهر لمعان وضياء اللون الأبيض ، وتستمر المقابلة بين النور والظلمة خلال الآيات (٨-١٤) ولذلك فإن كلمتي النور والظلمة تتكرَّران عدَّة مرات ، وللمرة الثانية يُذكِّر معلمنا بولس أهل أفسس بماضيهم المظلم الكئيب ثم يعرض أمامهم حاضرهم المشرق المنير .. لماذا ؟ لأنه يريد أن يُطعّمهم ضد ماضيهم القاتل ويُفرّحهم بحاضرهم وأيضاً يوصيهم من جهة مستقبلهم فيقول لهم : كنتم قبلاً في الماضى ظلمة ، وأما الآن في الحاضر فأنتم نور في الرب ، وفي المستقبل اسلكوا كأولاد النور ، وإن كان معلمنا بولس في بداية الأصحاح أوصاهم بأن يسلكوا في المحبَّة (أف٥: ٢) فإنه هنا يوصيهم أن

يسلكوا فى النور ، فالمحبّة الحقيقية هى المرتبطة بالنور . أما كل محبّة تنشأ فى الظلام فهى محبّة غاشة وخاطئة لها صورة المحبّة دون جوهرها .

لأنكم كنتم قبلاً ظُلْمةً .. لقد تغلغلت فيكم ظلمة الخطيئة " ***سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرَّمة " (١بط٤: ٣)*** وعشتم ليل الخطية الأسود حتى صرتم ظلمة مجسّمة مجسَّدة .. غشت الظلمة حياتكم ودخلت إلى أعماق نفوسكم فطمست عيونكم واظلمت عقولكم . ولقد واسودّت قلوبكم حتى صرتم مصدراً للإظلام .. سلكتم فى الظلمة الأدبية والذهنية والروحية حيث السكون والكمون ، والكف عن عمل الخير ، والخوف من المجهول ، والموت والقبر ، والدينونة والعقوبة وأخيراً الطرح فى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان .

وأما الآن فنور فى الرب .. لقد انكشفت الظلمة عنكم وأبصرتم النور الحقيقي وتحققت فيكم نبوّة أشعياء " الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً الجالسون فى أرض ظلال الموت اشرق عليهم نور " (اش٩: ٢، مت٤: ١٦) لقد آمن أهل أفسس بالنور وسلكوا فيه فصاروا نوراً ، وهكذا عندما يطابق سلوكنا إيماننا أو بمعنى آخر عندما يقود إيماننا سلوكنا فللوقت نصير نوراً فى الرب .. إن كلمات الرب يسوع ما زالت ترن فى آذاننا " ***النور معكم زماناً قليلاً بعد فسيروا فى النور مادام لكم النور لئلا يدركم الظلام .. مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور.. أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كلّ من يؤمن بي لا يمكث فى الظلمة " (يو١٢: ٣٥-٤٦)*** فياربى يسوع المسيح قودنا لكيما نتبعك ونسير فى ضيائك حتى يكون لنا " ***نور الحياة " (يو٨: ١٢)*** أيها الأب السمائى نشكرك لأنك أهلتنا للميراث النورانى " ***شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور . الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت إبن محبته " (كو١: ١٢، ١٣)*** [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ٤٤-٤٦] .

وأما الآن فنور فى الرب .. هذا النور ليس من ذواتنا ولكنه من الرب أخذناه

فى سر الاستنارة (المعمودية) وسيظل السراج موقداً طالما نحن فى شركة معه لأن " *الله نور* " *(ايو١: ٥)* " *ساكناً فى نور لا يُدنَى منه* " *(اتى٦: ١٦)* تسبحة ملائكة النور " *سبحوه يا جميع ملائكته .. سبحيه يا جميع كواكب النور* " *(مز١٤٨: ٢،٣)* وهو قال لنا " *أنتم نور العالم .. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس* " *(مت٥: ١٤،١٦)* ونحن ننتظر فى النور مجيئه ساهرين يقظين " *أما أنتم أيها الأخوة فلستم فى ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص جميعكم أبناء نور وأبناء نهار . لسنا من ليل ولا ظلمة* " *(اتس٥: ٤،٥)* .

اسلكوا كأولاد نور .. نسلك كأولاد نور لأن ليل الظلمة قد مضي " *قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور* " *(رو١٣: ١٢)* .. نسلك كأولاد نور لأن " *الظلمة قد مضت والنور الحقيقي الآن يضئ* " *(ايو٢: ٨)* .. نسلك كأولاد نور فنكون أمناء فى شركتنا مع الله " *أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل* " *(أم٤: ١٨)* نسلك كأولاد نور فنكون أمناء فى معاملاتنا مع أخوتنا " *إن سلكنا فى النور كما هو فى النور فلنا شركة بعضنا مع بعض* " *(ايو١: ٧)* .. نسلك كأولاد نور فنكون أمناء فى مراقبة الحواس ولا سيما النظر " *سراج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً .. فإن كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون !؟* " *(مت٦: ٢٢،٢٣)*.. نسلك فى النور لنتأهل لشركة ميراث القديسين فى النور (كو١: ١٢) .. نسلك فى النور لنستحق سكني المدينة المنيرة التى لمعانها شبه أكرم حجر كحجر يَشْب بلُورى والخروف سراجها (رؤ٢١: ١٠،١١،٢٣) .

" لأن ثمر الروح هو فى كل صلاحٍ وبرّ وحق " (٩)

خلال الآيات (٨-١٤) التى تتحدث عن المقابلة بين النور والظلمة تأتى هذه الآية التاسعة كآية اعتراضيه توضح كيفية السلوك فى النور ، فعندما نسلك فى الصلاح والبر والحق فإننا نكون فعلاً أولاداً للنور .

لأن ثمر الروح .. جاءت فى الترجمة السينائية والاسكندرانية والفاتيكانية والترجمة الأرمنية والقبطية وهكذا تقرأ فى القطمارس الكنسي " **ثمر النور** " وهى أقرب للمعنى لأن الحديث عن النور وليس عن الروح ، والحديث يدور حول مقابلة مع الظلمة . أما ثمر الروح فإننا نجده فى رسالة غلاطية (غل ٥: ٢٢) عندما كان الرسول يذكرّ مقابلة مع أعمال الجسد (غل٥: ١٩-٢١) والنور ضروري لنمو النبات وأثماره ، فالشجرة لا تنمو ولا تثمر بدون نور الشمس وحياتنا لا تنمو ولا تثمر بدون نور المسيح . أما فى ضوء المسيح فحياتنا تصبح صلاحاً وبراً وحقاً ، ومن الجانب الآخر فإن النور لا يثمر إلاَّ فى قلب الإنسان الصالح البار الحقاني .

لأن ثمر الروح .. لم يقل ثمار لأنه هنا يشير إلى وحدة الحياة الروحية للإنسان المسيحي ، فعلاقتنا مع الله تنعكس على علاقتنا مع أنفسنا ومع الآخرين ، وأيضاً الصلاح والبرّ والحق هم وصف للنور وبهم يظهر النور كما أن الصلاح والبرّ والحق صفات للإنسان الجديد " ***المخلوق بحسب الله فى البرّ وقداسة الحق*** " *(أف٤: ٢٤)* .

فى كل صلاحٍ وبرّ وحق .. الصلاح ضد الرذيلة " ***كل خبثٍ*** " *(أف٤: ٣١)* والإنسان الصالح هو الإنسان المتمسك بالفضيلة سواء مع الذين يحبوننا أو الذين يناصبوننا العداء . وكما أن الصلاح ثمر النور فإنه أيضاً ثمر الروح القدس العامل فينا (غل٥: ٢٢) ، وإن كان الصلاح يشير إلى سلوك الإنسان الشخصي مع نفسه فإن البرّ يشير إلى سلوك الإنسان مع الله مثلما كان زكريا الكاهن وزوجته اليصابات " ***كانا كلاهما بارّين أمام الله*** " *(لو١: ٦)* وأيضاً السلوك مع الآخرين بأمانة واستقامة وعدل ، فالبر هو إيفاء الله حقه وإيفاء الناس حقوقهم .

البر + الصلاح = التقوى

أما الحق فهو الله ، والسلوك بالحق هو السلوك فى النور بمحبَّة بعيداً عن كل غش ولف ودوران ومداهنة .. فى الرب يسوع التقى الحق مع الرحمة ، والتقى

البر مع السلام " *الرحمة والحق التقيا . البرّ والسلام تلاثما . الحق من الأرض ينبت والبرّ من السماء يطلع " (مز٨٥: ١٠، ١١)* .

" **مختبرين ما هو مرضيّ عند الرب " (١٠)**

مختبرين أى مميزين وهى نفس الكلمة التى قالها الرب يسوع للجموع " *يا مراؤون تعرفون أن تُميّزوا وجه الأرض والسماء وأما هذا الزمان فكيف لا تميّزونه " (لو١٢: ٥٦)* وهذه الآية مرتبطة بالاية الثامنة " اسلكوا فى النور .. مختبرين ما هو مرضي عند الرب " فقد طالبنا بولس الرسول بالسلوك فى النور ، ولأن أعمال الظلمة كثيراً ما تخدعنا عندما تظهر فى ثياب نورانية ، والرذيلة كثيراً ما تغرنا عندما ترتدى ثوب الفضيلة ، والشيطان قد يظهر فى شكل ملاك نورانى لذلك نحتاج للتمييز الواعي والتدقيق والمتزن والتفكير العميق كما قال معلمنا بولس لأهل فيلبي " *حتى تميّزوا الأمور المتخالفة لكى تكونوا مُخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح " (فى١: ١٠)* [راجع تفسير رسالة فيلبى صـ٤٦] وقال لأهل تسالونيكى " *امتحنوا كل شئ تمسكوا بالحسن " (١تس٥: ٢١)* .

أبناء العالم يهتمون بما يرضيهم هم أولاً أما أبناء النور فإنهم يهتمون بما يرضي الله ، ولكن كيف نختبر ما هو مرضي عند الرب ؟

نختبر هذا عن طريق نور المسيح ، فهناك بعض الأقمشة التى لا نستطيع أن نتبين ألوانها ونوعياتها إلاَّ فى ضوء النهار هكذا نحن نحتاج لنور المسيح لكيما نختبر ونميز الأمور المختلطة ، ونختبر هذا فى ضوء روح الوصايا ، فالحياة المسيحية ليست مجموعة أوامر ونواهى لكنها هى الحياة التى ترضي قلب الأب المحب الذى يتوق أن يكون أولاده على أعلى مستوى فى الآداب والأخلاقيات ، ونختبر هذا أيضاً عن طريق الذهن النقى " *تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضيّة الكاملة " (رو١٢: ٢)* .

" ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبّخوها لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح " (١١، ١٢)

ولا تشتركوا في أعمال الظلمة .. طلب معلمنا بولس من أهل كورنثوس في رسالته الأولى أن لا يخالطوا الذين يمارسون أعمال الظلمة "***كتبت إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة .. إن كان أحد مدعوٌ أخاً زانياً أو طماعاً أو عابد وثنٍ أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تواكلوا مثل هذا " (١كو٥: ٩، ١١)*** وفي الرسالة الثانية أكد على هذا الأمر مُقدِماً التبرير ***" لأنه أيّة خلطة للبر والآثم . وأيّة شركة للنور مع الظلمة . وأى إتفاق للمسيح مع بليعال " (٢كو٦: ١٤، ١٥)*** فلا نشترك في أعمال الظلمة لا في العلن ولا في الخفاء لأننا أولاد نور و ***" الله نور وليس فيه ظلمة البتّة إن قلنا أن لنا شركةً معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق " (١يو٢: ٥، ٦)*** ، ولا نشترك في أعمال الظلمة لأننا صرنا شركاء الرب يسوع ***" في اللحم والدم " (عب٢: ١٤)*** وصرنا أعضاءاً مقدسة في جسده ***" ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح . أفآخُذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانيةٍ حاشا " (١كو ٦: ١٥)*** لا نشترك في أعمال الظلمة لأن العين التي رُفعت لرب السماء لا يصلح أن تُبحلق لما في يد إبليس ، واليد التي عملت الخير لا يصح أن تصنع الشر ، والعقل الذي تقدس بالأفكار المقدّسة لا يصلح أن يصير معملاً للشيطان ، والقلب الذي ظل يهفو نحو السماء لا يصح أن يتردى للهاوية ، وعلى كلٍ طالما نحن في هذا الجسد فنحن في حاجة إلى صوت إنذار السماء ***" اخرجوا منها يا شعبي لئلا تشتركوا في خطاياها ولئلا تأخذوا من ضرباتها " (رؤ١٨: ٤)*** .

ولا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة .. أعمال الظلمة طبيعتها مظلمة لا نور فيها ، فهي أعمال لا ترضي الله بل تغضبه ، وكل من يسلك فيها يهرب لئلاً يواجه النور الإلهي ***"لأن كلّ منْ يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا تُوبَّخ أعماله " (يو٣: ٢٠)*** ، والسالكون فيها هم ***"نجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام إلى الأبد " (يه١٣)*** .

وأعمال الظلمة هى بلا ثمر لأنها زوان وليست حنطة .. أنها شجرة تين مورقة بلا ثمر تستحق اللعنة .. أنها سحب خريفية بلا ماء .. أنها سراب ينتهى إلى لا شئ .. أنها رداء شنعارى لا يصلح إلاّ لأن يكون كفناً لعخان بن كرمي .. أنها بلا رجاء لأن رجاءها كاذب فهى تعد بالسعادة والفرح والنصرة والمتعة وإذ هى همّاً وغمّاً وكدّاً وتعباً وهزيمة نكراء وضياع بلا مقابل .. أنها مثل الإدمان الذى يجتذب الشباب وهو فى زهوه وجماله واعداً إياه بالسعادة وإذ به يحوّله حطاماً مُسلِماً إياه للأمراض القاتلة "***فأىُّ ثمر كان لكم حينئذٍ من الأمور التى تستحون بها الآن . لأن نهاية تلك الأمور هى الموت لأن أجرة الخطية هى موت*** " ***(رو٦: ٢١، ٢٣)*** .

بل بالحرى وبّخوها .. والأصل اليوناني لكلمة " وبخوها " يحمل معنى أكثر من التوبيخ وهو إقناع الإنسان المخطئ بخطئه لأن الصمت أمام أعمال الظلمة يعتبر رضي عنها ، فيستمر الخاطئ فى خطيته ويهلك بها ، وأيضاً يكون له التأثير السئ على المحيطين به حيث يجذبهم إلى الشر . أما كشف ظلمة هذه الأعمال فإنه ينقذ أبناؤنا وأخوتنا من براثنها ، ونحن ندين الأعمال وليس الأشخاص ، فلا ندين الخطاة ونشهر بهم لأننا كلنا تحت الضعف وإنما ندين أعمال الظلمة ، وندينها بتسليط النور الإلهي عليها بسلوكنا الصحيح ، فالسلوك الصحيح يفضح السلوك الخاطئ " ***الكل إذا توبِّخ يظهر بالنور*** " ***(أف٥: ١٣)*** فطهارة يوسف تدين كل شاب يتهاون فى طهارته ، وأمانة دانيال تدين كل إنسان يتهاون فى حق إلهه ، وشجاعة اثناسيوس الرسولي تدين كل من يتهاون فى عقيدة الآباء .. والذى فى وضع المسئولية مثل الأسقف قد يحتاج أحياناً إلى التوبيخ المباشر ليس على سبيل التشفى والعقاب والانتقام ولكن على سبيل العلاج والإصلاح والإنقاذ " ***الذين يخطئون وبّخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف*** " ***(١تي٥: ٢٠)*** .

لأن الأمور الحادثة منهم سرّاً ذكرها أيضاً قبيح .. الأمور الحادثة منهم من خطايا النجاسة وتفصيلاتها وتجرى فى السر أى فى الظلمة بعيدة عن النور مجرد

ذكرها عمل قبيح يدنس اللسان وينجس الإنسان .. أن هذه الأمور تجلب الغضب الإلهي على أبناء المعصية وتجعل الله يتخلى عنهم " ***لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم .. لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان .. أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لايليق " (رو١: ٢٤-٢٨)*** .

" **ولكن الكل إذ توبِّخ يظهر بالنور . لأن كل ما أُظهر فهو نور** " (١٣)

ولكن الكل إذا توبَّخ يظهر بالنور .. المقصود بـ " الكل " أعمال الظلمة الحادثة سرّاً ، فعندما توبَّخ بتعريضها للنور فإن النور يكشفها ويدينها ، وهذه الآية تعتبر تأكيد للآية السابقة ، فعندما نضئ كأولاد نور فى العالم فإننا نبدّد ظلمته كقول معلمنا بولس الرسول لأولاده فى فيلبى ***"لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب وسط جيل معوَّج وملتوِ تضيئون بينهم كأنوار فى العالم " (فى٢: ١٥)*** [راجع تفسير رسالة فيلبى صـ٩٨،٩٩] ، ويعتبر سر التوبة والإعتراف نور يكشف الخطايا التى تعيش فى خبايا قلوبنا فتهرب وتتبدَّد ويعاين الإنسان النور الحقيقى فيتمسك به إلى النفس الأخير .

لأن كل ما أُظهر فهو نور .. كان أهل أفسس ظلمة ولكن عندما التقوا بنور المسيح صاروا نوراً ، فعندما يُسلط نور المسيح على إنسان أو موضوع معين فإنه يُظهَر ويُكشَف على حقيقته ، فأعمال الظلمة لا تحتمل بل تهرب ، أما أعمال النور فإنها تظهر وتثبت ، ويستضئ الإنسان بنور المسيح .

" **لذلك يقول قم استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات فيضئ لك المسيح** " (١٤)

هذه الآية هى اقتباس غير مباشر من كلمة الله فى العهد القديم ولا سيما الآيات الآتية :

- ***" تحيا أمواتك تقوم الجثث . استيقظوا ترنموا ياسكان التراب " (اش٢٦: ١٩)***
  فالمسيح هو رب القيامة .
- ***" استيقظي استيقظي آلبسى عزّك يا صهيون ألبسي ثياب جمالك ياأورشليم المدينة***

المقدسة لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد أغلف ولا نجس " (اش٥٢: ١) فما دام المسيح ساكن فى النفس فهى مقدسة لا يقربها شئ دنس ولا يجرؤ أن يقتحم أرضها روح نجس .

- *" قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب قد اشرق عليك " (اش٦٠: ١)* بالمعمودية يشرق نور ومجد المسيح على النفس الجالسة فى ظلال الموت فتستضئ وتصير مجداً .
- *" ولكم أيها المتّقون إسمي تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها " (ملا٤: ٢)* فالرب يسوع هو الطبيب والدواء لكل نفس مريضة .

وغالبا هذه الآية تمثل ترنيمة من ليتورجية العماد فى العصر الرسولي " هذا القول المشجع يبدو لنا فى صورة ترنيمة تتكون من مقاطع ثلاث : استيقظ أيها النائم ، وقم من الأموات ، فيضئ لك المسيح . من الواضح أن موضع هذا التحريض هو المعمودية ، وقد لقّبته الكنيسة فى العصور اللاحقة بشعار الاستنارة ، ورأت فيه انشودة القيام من قبر الخطية ، وموت العار ، للإتحاد بالمسيح الحي [انظر رو٦: ٤ وما بعده] وهنا يُذكّر بولس من كَتَبَ إليهم رسالته بعهد المعمودية الذى قطعوه على أنفسهم ، بالسير فى نور المسيح وإنهاض أنفسهم للشهادة الحيَّة اللامعة .. أن هذا النشيد دعوة وحث من جانب المسيح يجد صداه فى قبول الدفن بالمعمودية ، والقيام من مياهها كبعث فى كيان جديد " [١٤]

وفى هذه الآية يربط معلمنا بولس الرسول بين ثلاث صور مجازية هى الاستيقاظ من النوم ، والقيامة من الأموات ، والانتقال من الظلمة إلى النور .

لذلك يقول .. من هو الذى يقول ؟ الذى يقول هو روح الله القدوس .. ولمن يقول ؟ يقول لكل نفس نائمة وغافلة عن حياتها الروحية ومصيرها الأبدي .

قم استيقظ أيها النائم .. استيقظ أيها النائم من نوم الجهل وعدم الإحساس

---

[١٤] تفسير الكتاب المقدسة – منشورات النفير حـ٦ صـ٢٩٤،٢٩٦ .

والخطية .. استيقظ لأن الوقت وقت للخلاص من أسر الشيطان " *هذا وأنكم عارفون الوقت أنها ساعة لنستيقظ من النوم . فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنَّا* " *(رو١٣: ١١)* .. لنستيقظ ولا نهرب من تحمل المسئولية بالنوم كما هرب يونان ونام فى جوف السفينة أو كما تثقل التلاميذ بالنوم فى بستان جثيمانى . بل نستيقظ ونسهر فى الصلاة و "*لا تَنمْ إذاً كالباقين بل لنسهر ونصحُ . لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون . وأما نحن الذين من نهارٍ فلنصحَ ..* " *(اتس٥: ٦-٨)* .. لنستيقظ ونحذر الملاهي والانشغالات التى تسحبنا دون أن ندرى فى نوم الخطية العميق .

وقُمْ من الأموات .. نقوم من موت الخطية لأن إلهنا حيٌ وإله أحياء "*ليس الله إله أموات بل إله أحياء* " *(تث٢٢: ٣٢)* .. نقوم من موت الخطية لأن السيد المسيح مات عنا وقام من بين الأموات .. فلماذا نظل فى قبر الخطية ؟!

فيضئ لك المسيح .. تحدث معلمنا بولس الرسول فى الآية السابقة عن النور الذى يطرد الظلمة ، وكان يقصد بالظلمة الأعمال الشريرة القبيحة ، فماذا يقصد هنا بالنور ؟ .. النور هو الرب يسوع المسيح .. هو الذى يُقيم الميت ويُشرق عليه بنوره الإلهي " *الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت إبن الله والسامعون يحيون* " *(يو٥: ٢٥)* .. الرب يسوع هو النور الذى يضئ نفوسنا ويهبنا الاستنارة الروحية " *بنورك نرى نوراً* " *(مز٣٦: ٩)* .

ثانيا : طريق الحكماء (١٥-٢١)

" ١٥ فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء ١٦ مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة ١٧ من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هى مشيئة الربّ ١٨ ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح ١٩ مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحيَّة مترنمين ومرتّلين فى قلوبكم للرب ٢٠ شاكرين كل حينٍ على كل شئ فى اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب ٢١ خاضعين بعضكم لبعضٍ فى خوف الله " (١٥-٢١) .

عاش أهل أفسس مثلهم مثل سكان منطقة أسيا الصغرى فى بيئة وثنية غاية في الفساد ، وكان على المسيحيين أن يعيشوا حياة الفضيلة وسط هذا الجو الموبوء بالخطية ، ولذلك وجه معلمنا بولس حديثه خلال الآيات (٣-١٣) لهم ولنا عن الجهاد السلبى ضد خطايا الجسد واللسان ، وهنا فى الآيات السبع التالية يحدثنا عن الجهاد الإيجابى حيث يسير بنا فى طريق الحكماء طريق إفتداء الوقت وفهم المشيئة الإلهيَّة وحياة التسبيح والشكر والخضوع ، وخلال هذه الفقرة نجد أيضاً ملامح الكنيسة الأولى كنيسة الحكمة والتدقيق والتسبيح والشكر .

" **فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء ..** " (١٥)

فانظروا .. العين المفتوحة هى التى تستطيع أن تنظر وتميّيز الرؤية أما العين التى فقدت البصيرة الروحية مهما نظرت وأطالت النظر فإنها لا ترى هوة الهلاك التى أمامها ولا تدرك المشيئة الإلهيَّة التى تبحث عن خلاصها وتسعى لإنقاذها .. إعطنا يارب العين المفتوحة لكيما ننظر ونميّز وندرك الأخطار المحيطة بنا من جانب ، ومن جانب أخر نعاين أمجاد وفرحة وحلاوة الملكوت .

فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق .. حدثنا بولس الرسول فى بداية الأصحاح عن السلوك فى المحبَّة (ع٢) ثم السلوك فى النور (ع٨) وهنا يحدثنا عن السلوك بالتدقيق ، فإن غاية الإيمان المسيحي هو السلوك المسيحي الذى يرضي الرب ، ولذلك نجد معلمنا بولس يتحدث فى هذه الرسالة عن السلوك سبع مرات حتى أن السلوك يعتبر أحد مفاتيح هذه الرسالة ، وهذه هى المرة السابعة والأخيرة التى يحدثنا فيها عن السلوك بالتدقيق ، فالإنسان المسيحي مُحمل بالكنوز العظيمة ولكنه يسير فى طريق محفوف بالمخاطر من اللصوص وقطّاع الطرق والفخاخ الشيطانية ، فأى حذر يجب أن يكون عليه ؟! . أنه مثل ربان السفينة المحمّلة بالجواهر ولكنها تبحرُ وسط الأخطار من الشعاب المرجانية من جانب ، وجبال الجليد من

جانب آخر وقراصنة البحار من جانب ثالث ، وهياج الرياح والأمواج وهلم جرا .. والرحلة طويلة تستغرق العمر كله فأي حذر يجب أن يكون عليه ربان السفينة ؟!

فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق .. تسلكون بالتدقيق كل يوم وكل ساعة وكل لحظة ، لأن التهاون فى لحظة أسقط داود فى خطايا أذاقته المرار العمر كله هو وأهل بيته ، والتهاون فى لحظة أهدرتْ قوة شمشون وصيرَّته هزءاً وسخرية لأعدائه ، والتهاون فى لحظة أسكنت نبوخذ نصر مع حيوان البر سبع سنين .. لنسلك يا أحبائى بالتدقيق مراقبين أنفسنا كل يوم جيداً ، وفى نهاية اليوم نحاسب أنفسنا أين حصاد اليوم ؟ وفى جلسات الاعتراف نحاكم أنفسنا على كل سلوك غير مسئول بلا تدقيق ، لأن مثل هذا السلوك لابد أن نجنى ثماره إن لم يكن اليوم ففى الغد القريب أو البعيد .

لا كجهلاء بل كحكماء .. هذا يذكرنا بمثل الرب يسوع عن العذارى الجاهلات والحكيمات ، وفى هذه الرسالة طلب معلمنا بولس لنا فى الأصحاح الأول روح الحكمة "***يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته***" *(أف١: ١٨)* وهنا يطلب منا أن نسير فى طريق الحكمة والحكماء ، فالسلوك بتدقيق فقط بدون حكمة لا يكفى لأنه يقود إلى مشاكل جمَّة . أما التدقيق الحكيم فإنه يحفظ للنفس جمالها وللكنيسة وحدتها .

لا كجهلاء بل كحكماء .. فالجاهل لا يقدّر عواقب الأمور لأنه لا ينظر إلاَّ تحت قدميه أما الحكيم فإن الملكوت أمام عينيه يهون عليه كل المتاعب والمصاعب مهما كانت .. الجاهل لا ينظر إلى يوم الوقوف أمام الديان العادل أما الحكيم فإن لقاء العريس السمائى بلا خجل ولا خوف هو شغله الشاغل .. الجاهل يسلك أى طريق تبدو أمامه أما الحكيم فإنه يسأل ويستشير "***هكذا قال الرب قفوا على الطريق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح ؟ وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم***" *(ار٦: ١٦)* ، والطريق هو الرب يسوع الذى قال عن نفسه "***أنا هو الطريق***" *(يو١٤: ٦)* "***إحملوا نيرى عليكم وتعلموا منى . لأنى وديع ومتواضع القلب .***"

فتجدوا راحة لنفوسكم " (مت ١١: ٢٩) .. الجاهل أحمق فى الشر يسلك أما الحكيم فإنه ذكي يهرب من الشر " *الذكيُّ يبصر الشر فيتوارى والحمقى يعبرون فيُعاقبون " (أم ٢٢: ٣)* .. الجاهل لا يقدر لرجله خطاها أما الحكيم فإنه يسمع كلام الحكيم " *مهّد سبيل رجلك فتثبت كل طرقك . لا تمل يمنةً ولا يسرةً . باعد رجلك عن الشر " (أم ٤: ٢٦، ٢٧)* فإنه يحذرنا من الضربات اليمينية والضربات اليسارية .

" مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة " (١٦)

مفتدين الوقت .. مفتدين فى الأصل اليونانى مشترين ، وهذا التعبير مأخوذ من لغة التجارة ، فالتجار الحكماء هم الذين يراقبون الأسواق باهتمام بالغ حتى متى لاحت أمامهم فرصة مناسبة للشراء يقتنصونها لكيما يحققوا الأرباح التى يهفون إليها فافتداء الوقت هو اكتساب الوقت كما قال نبوخذ نصر للمجوس والسحرة الذين فشلوا فى معرفة حلمه " *أعلم يقيناً أنكم تكتسبون وقتاً " (دا٢: ٨)* فهم كانوا يريدون افتداء الوقت لأن شر الملك قد صدر ، وقول معلمنا بولس هنا يشبه تماما قوله لأهل كولوسي " *اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج مفتدين الوقت" (كو٤: ٥)* ، فافتداء الوقت حكمة يسلك فيها الحكماء أما إضاعة الفرص فإنها جهالة يسلك فيها الجهلاء ، والسلوك بالحكمة يقتضي الاستفادة بالوقت إلى أقصي درجة ممكنة ، لأنه ما هو عمر الإنسان إلاَّ عدداً من الدقائق لو أضاعها هنا وهناك فهو يبذّر عمره بعيش مسرف ، فهذه الدقائق تساوى حياتنا على الأرض ، وبناء على هذه الحياة التى نحياها على الأرض يتقرّر مصيرنا الأبدى .

مفتدين الوقت .. لأنه يكفينا ما مضى " *لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم " (١بط٤: ٣)* ونفتدى الوقت لأننا لا نعرف كم هو الباقى من العمر " *لأنه ما هى حياتكم ؟ أنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل " (يع٤: ١٤)* .. الله لم يهبنا الوقت للعيش واللهو بل للخدمة وفعل الخير " *حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع " (غل٦: ١٠)* أما الإنسان الذى لا يحسن إستغلال الوقت لفعل الخير فإن

عدو الخير يسرق منه عمره فى ملاهى وانشغالات لا حصر لها .

مفتدين الوقت .. ما دمنا قادرين على العمل فلنعمل ولا سيما فى فترة الشباب حيث نملك القدرة على العمل وبالجهاد نمتلك الرغبة التى تدفعنا للعمل قبل أن تحلّ الشيخوخة ويفقد الإنسان قدرته على العمل مهما كانت رغبته قوية وصادقة" ***فاذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر أو تجئ السنون إذ تقول ليس لى فيها سرور" (جا١٢: ١)*** .. فلنعمل ما دام نهار لأنه "***يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل" (يو٩: ٤)*** فكم من أناس عاشوا أعماراً قصيرة صنعوا فيها أعمالاً عظيمة وكم من أناس عمَّروا فى الأرض طويلاً وأعمالهم كانت ردية ؟!

كم عاش من العمر القديس الشهيد ابانوب الذى شهد للمسيح أمام الحكام والولاة ؟!

وكم عاش من العمر ابونا منسي يوحنا الذى صارت كتبه نبراساً لنا ؟!

كم عاش من العمر ابونا بيشوى كامل الذى انشأ عدة كنائس ومدرسة للخدمة تخرج منها الأساقفة والكهنة والخدام الأمناء وما زال يعمل معنا ؟!

مفتدين الوقت .. بعد أن قالها بولس الرسول بسنوات قلائل حدث حريق روما وهبَّت موجات الإضطهاد فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية وسيق الكثيرون إلى ميدان الاستشهاد .

لأن الأيام شريرة ..يقول القديس يوحنا فم الذهب "ما معنى أن الأيام شريرة ؟ ما معنى أن الزمن شرير ؟ ليس هو الزمن فى جوهره شريراً ، ولا الأشياء التى خلقت شريرة . الشرير هو الأمور الشريرة التى تحدث فى الزمن ، فالشرور التى يصنعها الناس الأشرار فى الزمن أو فى الأيام هى التى تجعل الأيام شريرة ، ولكن أيضاً نقول أن الأيام شريرة بسبب كثرة الشرور الحادثة فيها " [١٥]

لأن الأيام شريرة... الأيام شريرة لأن الشيطان رئيس هذا العالم لا يكف عن نصب الفخاخ وحبك الشباك حولنا ، ولأن "***العالم كله وُضع فى الشرير" (ايو٥: ١٩)***

---

[١٥] تفسير أفسس عظة (١٩)-اورده د. نصحى عبد الشهيد فى شرح رسالة أفسس صـ١٢٩ .

ولذلك نصلى "*لينقذنا (الله) من العالم الحاضر الشرير" (غل١: ٤)* ومع هـــذا فإنــه بالجهاد الروحي تحوّل النعمة الإلهية الأيام العسرة الشريرة إلى أيام تعزية وفرح .

" من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هى مشيئة الربّ " (١٧)

من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء .. من أجل أنكم صرتم أبناء النور فلا يصـــح أن تخبئوا النور تحت المكيال وتسلكوا كجهلاء فتسقطون في الغباوة ، ومـــن هـــو الغبى إلاّ الإنسان الذى لا يفهم مشيئة الله ، فالرجل الغنى الذى هدم مخازنه وبنـــى مخازن أكبر وهو يقول لنفسه " *يا نفسي لك خيرات كثيرة موضوعـــة لســـنين كثـــيرة استريحى وكُلى واشربي وأخرجي" (لو١٢: ١٩)* وهو لا يعلم كم بقى له من العمـــر فاستحق أن يُدعى بالغبى "*فقال له الله يا غبى هذه الليلة تُطلب نفسك منك فهذه التـــى أعددتها لمن تكون ؟ " (لو١٢: ٢٠)* ، والغبى هو الإنسان الذى لا يفهم مشيئة الله فى خلود الإنسان إلى الأبد ولا يصدق أن هناك قيامة للأجساد قائلاً "*كيف يُقام الأمــوات وبأى جسم يأتون ؟ " (١كو١٥: ٣٥)* فاستحق أن يدعوه معلمنا بولس بـــالغبى "*يــا غبى الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت .." (كو١٥: ٣٦-٥٨)* والغبى هو الذى لا يفتدى الوقت ولا يهتم بجمع زيتاً فى مصباحه فيصر مثل العذارى الجـــاهلات صاحبـــات المصابيح المنطفئة إذ ليس لديهنّ زيتاً وسمعنّ الصوت القائل " *الحق أقول لكنّ أنـــى ما اعرفكنّ " (مت٢٥: ١٢)* ، والغبى هو الذى يعتقد أن سيده سيبطئ قدومه فيضرب العبيد رفقائه ويأكل ويشرب مع السكارى فيأتى " *سيد ذلك العبد فى يـــوم لا ينتظـــره وفى ساعة لا يعرفها . فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين هناك يكون البكـــاء وصريـــر الأسنان " (مت٢٤: ٥٠،٥١)* ، والغبى هو الذى لم يستخدم عقله وتفكيره كما يجـــب فيفقد التميّيز بين الحق والباطل وبين الصالح والطالح وبين طريق الحياة وطريـــق الموت .. ومن جميع هذه الأمثلة وأمثالها يحذرنا معلمنا بولس قـــائلا " لا تكونـــوا أغبياء " كما حذرنا منذ قليل قائلا " لا كجهلاء " .

بل فاهمين ما هى مشيئة الربَ .. من هو الإنسان الحكيم ؟ الإنسان الحكيم هو :

١- الإنسان المُدقّق . ٢- الذى يمزج التدقيق بالحكمة .

٣- الذى يفهم مشيئة الله . ٤- الذى يعمل بها .

وما هى مشيئة الرب ؟ مشيئة الله أن تسلك بتدقيق كحكماء حتى نحيا حياة القداسة التى تمجد الله ، وهى الحياة التى يريدها الله لنا " هذه هى إرادة الله قداستكم" (١تس٤: ٣) .

وكيف نكتشف مشيئة الرب ؟ نكتشف مشيئة الرب عن طريق الحواس الداخلية المدرَّبة المضبوطة على الموجات السمائية ، ونشعر أن هذه إرادة الله ومشيئته عندما نشعر بان الروح الوديع الهادئ الساكن فينا مستريحاً أما لو بكتنا ضميرنا بالروح القدس الساكن فينا فللوقت نعرف أننا لا نسلك حسب المشيئة الإلهية ، والمشيئة الإلهية تتمشى دائما وأبداً مع الوصايا الإلهية ، وأما إن كان هناك عمل ما مهما بدأ بريقه ومهما ظهرت عظمته ولكنه لا يتمشى مع الوصية فهو ضد مشيئة الرب ، ولكن إن وقفنا على مفارق الطرق ولم نعرف أيهما طريق الصلاح وأيهما طريق الضلال ولا سيما أن هناك طرقاً تبدو للإنسان مستقيمة وعاقبتها الموت ، وإن لم نتأكد أيهما طريق الحياة وأيهما طريق الموت ، فإنه لابد أن نلزم مكاننا ونرفع قلوبنا لله لكيما يكشف لنا عن طريقه الصالح ، ونلجأ إلى أب الاعتراف لكيما يعيننا على معرفة مشيئة الرب .

" ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح " (١٨)

ولا تسكروا بالخمر .. كانت من عادات شعوب هذه المنطقة إقامة الاحتفال للإله ديونسيوس إله الخمر حيث يسكرون ويعربدون ، والمؤمنون من أهل أفسس كانت تحيط بهم هذه البيئة الفاسدة ، وأيضاً كان ماضيهم يشدهم إلى ليالى السهر والسكر والمجون ، ولذلك جاءت هذه الوصية تشدَّ من أذرهم وتمنحهم القوة لضبط

النفس والسلوك فى طريق الحكماء .

ولا تسكروا بالخمر .. لأن نوح سَكر فتعرى (تك٩: ٢١) ولوط سَكر فأنجب من إبنتيه موآب وعمون مرارة نفس لبنى إسرائيل (تك١٩: ٣٢) ، وقد رسم الحكيم لوحة مأساوية للإنسان الساقط تحت ثقل هذه الخطية "***لِمَن الويل ؟ لِمَن الشقاوة ؟ لِمَن المخاصمات ؟ لِمَن الكرب ؟ لِمَن الجروح بلا سبب ؟ لمن ازمهرار العينين ؟ للذين يدمنون الخمر .. لا تنظر إلى الخمر إذ إحمرَّت حين تظهر حباتها فى الكأس وساغت مرقرقةً . فى الآخر تلسع كالحية تلدغ كالأفعوان " (أم٢٣: ٢٩-٣٢)*** .. فليست الخمر طريقاً للحكماء بل "***الخمر مستهزئة . المسكر عجَّاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم " (أم٢٠: ١)*** .. أنها جهالة تقود إلى اتلاف الجسد والفقر " ***إسمع يا إبنى وكن حكيماً وارشد قلبك فى الطريق . لا تكن بين شريبى الخمر المتلفين أجسادهم لأن السكير والمُسرف يفتقران " (أم٢٣: ١٩-٢١)*** .. أنها تدفع بالإنسان إلى إهمال بيته مفضلاً إياها عن قوت بنيه وربما عن الدواء لإبنه الوحيد المريض " ***هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمر وتاهو بالمسكر " (اش٢٨: ٧)*** لأن "***الخمر والسلافة تخلب القلب " (هو٤: ١١)*** .. " ***حقا أن الخمر غدارة " (حب٢: ٥)*** فهى ليست لأبناء ملك الملوك "***ليس للملوك يا لموئيل ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر " (أم٣١: ٤-٦)*** .

ولا تسكروا بالخمر .. أوصى يوناداب بن ركاب أولاده أن لا يشربوا خمراً فأطاعوه ، وقد إمتدحهم الله وبكَّت بنى إسرائيل بطاعة هؤلاء القوم ، ومنحهم وعده " ***لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام " (ار٣٥: ١٩)*** ، وإن كانت الشريعة قد حرَّمت على النذير فى العهد القديم الخمر والمسكر (قض١٣: ١٤) فهل إنسان العهد الجديد الذى صار مسكنا لروح الله القدوس أقل من نذير العهد القديم ؟!

ولا تسكروا بالخمر التى فيها الخلاعة .. لماذا يسكر الجهلاء بالخمر ؟ إنهم يسكرون لإغراق همومهم ومتاعبهم فى الكأس ولكن هذه الكأس تبتلع كرامتهم وصحتهم ومالهم وحياتهم الأرضية والأبدية .. انهم يسكرون لكيما يشعروا بالسعادة والنشوة وإذ بالسكر يسلمهم للترنح وفقدان الإرادة والإتزان والوقار ، فتخرج

الكلمات متلعثمة وتحمر العينان ويأتي الإنسان بأقوال وأفعال لا يمكن أن يتفوه بها أو يفعلها وهو فى وعيه حتى يصير أضحوكة للناس والشياطين .. أن المسكر يسحب الجسد للشهوات الدنيئة ويسحب النفس إلى الأهواء الرديئة .

ولا تسكروا بالخمر .. فهذه وصية الرب يسوع للحكماء " فاحترزوا لأنفسكم لئلاً تثقل قلوبكم فى خِمَار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة " (لو ٢١: ٢٤) ولا يليق بنا كأولاد النور أن نسلك فى طريق الجهلاء بل "***لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر" (رو١٣:١٣)*** وقد وُضِع السكر على قدم وساق مع الدعارة وعبادة الأوثان (غل٥: ١٩-٢١) وهل يمكن أن يتمتع السكيرون بالملكوت ؟ كلا "***لا سارقون ولا طمّاعون ولا سكيرون .. يرثون ملكوت الله" (اكو٦: ١٠) .***

وإن كان الأمر هكذا مع الخمر فكم وكم بالمخدرات ومشتقاتها الحديثة التى تقتل فى الإنسان حيويته وشخصيته وعقله وفكره وتحوّلهُ إلى سارق أو قاتل وتدمر حياته بالكامل .. كم نحتاج أن نراقب أولادنا جيداً لئلا يسقطوا فيها عن طريق أصدقاء السوء .

ولا تسكروا بالخمر .. بل امتلئوا بالروح .. لا يكتفى معلمنا بولس بالنهى عن الأمور السلبية " لا تسكروا " بل يقدم لنا ما هو إيجابى " امتلئوا بالروح " وإن كان هناك وجه شبه بين الاثنين إذ فى كلتا الحالتين يكون الإنسان واقعاً تحت مؤثر ، ولكن شتّان بين مؤثر ومؤثر .. عندما إمتلأ التلاميذ من الروح القدس يوم الخمسين ظنهم الناس أنهم سكارى ولكن شتان بين السكر وبين الإمتلاء بالروح فالنتيجة مختلفة تماماً ، فالخمر يقود إلى الخلاعة والأفعال غير المنضبطة أما الامتلاء بالروح فيقود إلى حياة الفرح والتسبيح والشهادة للمسيح بينما جميع الحواس والأفعال مضبوطة ومقدسة .. لقد نهى بولس الرسول عن السكر وأمر بالإمتلاء بالروح ، فأن كان السكر خطية فعدم الإمتلاء بالروح يعتبر أيضاً خطية

أو قل أنه يقود للخطية .

بل إمتلئوا بالروح .. الروح لا يملأ إنساناً متمسكاً بخطاياه ونجاسته عليه لكنه يملأ الإنسان التائب النادم على خطاياه .. الروح لا يملأ إنساناً يعيش فـي تسـيب وإباحية بل يملأ الإنسان الذى يسلك بتدقيق .. الروح لا يملأ إنسـاناً يسـير وفـق مشيئته البشرية بل يملأ الإنسان الذى يسير وفق المشيئة الإلهية .. الروح لا يمـلأ إنسانا قلبه ممتلئ بالعالم والعالميات بل يملأ الإنسان الذى أفرغ قلبه مـن الأهـواء والشهوات ، لأنه هذا الروح الهادئ مثل الحمامة الوديعة الطاهرة التى لا يمكـن أن تجد راحتها فى عش مدنس به أشواك .

بل امتلئوا بالروح .. هل معنى الإمتلاء بالروح أننا لم نأخذ الروح القدس من قبل ؟ كلاً .. لأننا صرنا مسكناً للروح القـدس بالمسـحة المقدسـة ، فـالمقصود بالإمتلاء بالروح هو تهيئة الجو المناسب للروح القدس ليعمل فينـا بقـوة أكـبر ، والصلوات العميقة المتواترة هي أعظم وسيلة لتهيئة الجو المناسب للـروح القـدس ليعمل فى قلوبنا. لقد حلَّ الروح القدس على الرسل الأطهار يوم الخمسين ومع هـذا ففى مواقف معينة يذكر الإنجيل أنهم امتلأوا من الروح " ***حينئذ إمتلاء بطرس مـن الروح القدس وقال ..*** " *(أع٤: ٨)* " ***وأما شاول الذى هو بولس أيضاً فامتلأ من الـروح القدس وشخص إليه وقال ..*** " *(أع١٣: ٩، ١٠)* فالإمتلاء بالروح هو السعى للمـلء الذى يهبه الروح القدس ، والروح يعطى لكل إنسان حسب إستعداده فهناك إنسـان يكتفى ببضع قطرات من فيض الروح وآخر يطلب ينبوعاً من هذا الفيـض " ***إفغـر فاك فأملأه*** " *(مز٨١: ١٠)* .

" مكلّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحيَّة مترنمين ومرتّلين فـي قلوبكم للرب " (١٩) .

خلال الآيات (١٩-٢١) نرى نتائج الإمتلاء بالروح القدس :

١- حياة التسبيح والفرح ٢- حياة الشكر الدائم ٣- حياة الإتضاع والخضوع

والآية السابقة تطابق قول معلمنا بولس الرسول لأهل كولوسي *"لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمةٍ مُعلِّمون ومنذرين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية بنعمةٍ مترنمين فى قلوبكم للرب" (كو٣: ١٦)* [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٥٨-١٦٢] ففى كولوسي نجد التسبيح ناتج عن سكنى كلمة الله فى الإنسان ، وفى أفسس نجد حياة التسبيح كثمرة من ثمار الإمتلاء بالروح القدس .

مكلّمين بعضكم بعضاً .. عندما يتكلم الأتقياء معاً فإنهم يتكلمون بإحسانات وعظائم وكلام الله " حينئذ كلَّم متَّقوا الرب كل واحد قريبهُ والرب أصغى وسمع وكُتِب أمامهُ سفر تذكرة للذين إتَّقوا الرب وللمفكرين فى إسمه " (ملا٣: ١٦) [راجع تفسير سفر ملاخى صـ٩٩-١٠١] ، ومن الجميل أنه فى نظام التسبيح فى الكنيسة يوجد خورس بحرى وأخر قبلى يسبحان بالتبادل فإحدهما يسبح والآخر يتأمل ثم يحدث العكس وهذا التسبيح يتجاوب مع التسابيح السمائية *" وهذا نادى ذاك" (اش٦: ٣)* .

بمزامير .. الصلاة بالمزامير من طقس الصلاة فى الكنيسة الرسولية الأولى *" فمتى إجتمعتم فكلّ واحدٍ منكم له مزمور " (اكو١٤: ٢٦)* ومازالت كنيستنا الأرثوذكسية تستخدم المزامير فى الصلوات ، وما صلوات الإجبية إلاَّ صلواتاً بالمزامير ، وصلوات المزامير تناسب الإنسان فى جميع حالاته ، كما أنها تملأ النفس فرحاً فيقول القديس يوحنا فم الذهب " تعلَّم أن ترتل المزامير وأنت سترى الفرح الذى سينتج من ذلك . لأن الذين يرتلون المزامير يمتلئون بالروح القدس كما أن الذين يغنون الأغانى الشيطانية يمتلئون بروح نجس " [16]

وتسابيح .. الرغبة فى التسبيح من علامات الإمتلاء بالروح القدس ، والتسبيح هو أعظم درجات الصلاة ، فهو لغة الملائكة ، ففى التسبيح ننسى طلباتنا وشكوانا وإحتياجاتنا ونذكر مجد وعظمة الله وأعماله العظيمة معنا . قال المرنم

---

[16] تفسير أفسس عظة (١٩) – أورده د. نصحى عبد الشهيد فى شرح رسالة أفسس صـ١٣٣ .

" أبارك الربَّ فى كل حين . دائماً تسبيحه فى فمى " (مز٣٤: ١) ودعانا المرنم أن ندخل للكنيسة بالتسبيح *" إعبدوا الرب بفرح . إدخلوا إلى حضرته بترنم .. إدخلوا أبوابه بحمدٍ دياره بالتسبيح إحمدوهُ باركوا اسمه " (مز١٠٠: ٢،٤)* وما أجمل قول الإنجيل عن الرب يسوع وتلاميذه بعد تقديم سر الإفخارستيا وهو مزمع أن يخرج للصلب *" ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون " (مت٢٦: ٣٠)* ، لقد كانت الكنيسة الأولى كنيسة تسبيح *" مسبحين الله " (أع٢: ٤٧)* حتى بولس وسيلا وهما فى السجن كانا *" يسبحان الله " (أع١٦: ٢٥)* وحوّل المسيحيون أرض مصر فى القرون الأولى إلى كنيسة عظيمة تُسمع فى شوارعها وحواريها صوت التسبيح والترنيم ، وحوّل الآباء الرهبان صحاريها إلى سماء لا ينقطع عنها التسبيح .

وأغاني روحيّة .. قال المرنم *" أغنّى للرب فى حياتى . أرنم لإلهي مادمتُ موجوداً . فيلذُّ له نشيدى وأنا أفرح بالرب " (مز١٠٤: ٣٣،٣٤)* فالترانيم الروحية تُعبّر عن فرحتنا وبهجة قلوبنا بالله مخلصنا *" أمسرور أحد فليرتل " (يع٥: ١٣)* ، كما أن الله يتلذّذ بسماعها كأب يفرح بأولاده الذين يتغنون بمحبته وحمايته لهم . وفى الملكوت يقف المئة اربعة واربعون ألفاً *" وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش " (رؤ١٤: ٣)* ويقف الغالبون على البحر الزجاجي معهم قيثارات الله *" وهم يرتلون ترنيمة موسي عبد الله وترنيمة الخروف قائلين .. " (رؤ١٥: ٣)* .

وأغاني روحية .. عندما يمتلئ الإنسان بالروح القدس يجد لذته فى الأغاني الروحيّة ولا يطيق سماع الأغاني العالمية البذيئة التى يتغنى بها السكارى ، ولا يستريح للموسيقى العالمية الصاخبة التى تزعج الآذان الروحيّة حتى ولو لبست ثياب الترانيم الروحية ، ولا يرتلون الترانيم التى تصاحبها الموسيقى التى تخاطب الجسد وانفعالاته بعيدة عن روح التأمل والهدوء والوداعة .. ليعط الله الحكمة لخدام المكتبات الصوتية فى كائسنا ليتبينوا الغث من الثمن ، وليفرقوا بين ما يخاطب الروح وما يخاطب الجسد .

فى قلوبكم للرب .. فالصلاة بالمزامير والتسابيح والألحان والمدائح والترانيم

يجب ألاّ تصدر من الشفاه فقط بل إحساس ولا حياة ولكنها يجب أن تكون حيَّة نابعة من قلب حي نابض بمحبَّة الفادى ، لأن الرب يسر " ***بالحق فى الباطن*** " ***(مـز ٥١: ٦)*** ولا تكن هذه الألحان بهدف الاستعراض للأصوات الجميلة أو التى تظن أنها جميلة فهى لا تتجه باتجاه أفقى لكنها ينبغى أن تتجه أولاً اتجاهاً رأسياً فتصعد إلى أعلى كرسي الآب وحينئذ يستمع بها السامعون ، وأيضاً كلما كانت التسابيح والترانيم جماعية تؤدى بحب واتضاع وانسجام كلما نقلتنا إلى جو السماء حيث لا مجال للفردية ولا للأنانية ولا لحب الظهور " ***فما هو إذاً ؟ أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضاً . أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً*** " ***(١كو١٤: ١٥)*** .

" شاكرين كل حين على كل شئ فى إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب " (٢٠)

لاشك أن حياة الصلاة والتسبيح مرتبطة دائماً بحياة الشكر ، فالأمم القديمة لم تعرف حياة الشكر ولكن بعد أن تجسد إبن الله وصار إنسانا مثلنا ومات عنا وأحياناً فإننا لا نكف عن الشكر ليلاً ونهاراً مهما كانت الظروف والأحوال .. هذا ما دعى معلمنا بولس أن يناشد أولاده فى فيلبى " ***لا تهتموا بشئ بل فى كل شئ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلَم طلباتكم لدى الله*** " ***(فى٤: ٦)*** [راجع تفسير رسالة فيلبى صـ١٧٨-١٨٠] وهذا أيضاً ما دعى معلمنا بولس لأن يطلب من أهل كولوسي " ***وكلُّ ما عملتم بقولٍ أو فعلٍ فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به*** " ***(كو٣: ١٧)*** [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٦٢-١٦٣] وأيضاً يطلب من أولاده فى تسالونيكى " ***اشكروا فى كل شئ لأن هذه هى مشيئة الله فى المسيح يسوع من جهتكم*** " ***(١تس٥: ١٨)*** وحياة الشكر هى ثمر من ثمار الإمتلاء بالروح القدس مثل حياة الصلاة والتسبيح .. أشكرك يا إلهي يا من وهبتني سر الشكر لأثبت فيك وأفرح بك وأسبحك دائماً .

شاكرين كل حين على كل شئ .. تكرار كل يفيد التاكيد والشمولية فمتى نشكر الله ؟ نشكرهُ كل حين وفى كل وقت ، وعلى أى شئ نشكرهُ ؟ نشكرهُ على

كل شئ يحدث فى حياتنا .. نشكرهُ فى السعة وأيضاً فى الضيقة .. نشكرهُ فى الرفعة وأيضاً فى الصليب . نشكرهُ فى الفرح وأيضاً فى الحزن . نشكرهُ فى السعادة وأيضاً فى الآلام . نشكرهُ فى الصحة وأيضاً فى المرض . نشكرهُ فى الحياة وأيضاً فى الموت ، وعلى حد تعبير يوحنا فم الذهب نشكر الله على كل شئ حتى على الجحيم لأنه يحفظنا فى جادة الصواب .. وقف الرب يسوع أمام قبر حبيبه لعازر يشكر الآب ، ومعلمنا بولس لم يكف عن الشكر رغم الآلام العديدة التى جاز فيها (٢كو١١: ٢٣-٣٠) ففى كل رسائله يشكر الله ، والكنيسة تعلمنا حياة الشكر أذ تضع صلاة الشكر فى مقدمة كل صلاة .

شاكرين كل حين على كل شئ .. عندما نجوز فى ظروف صعبة قد يصعب علينا تقديم الشكر ، ولكن من يثق فى أبوة الله ومحبته ويتذكر كلامه ***" أىُّ إنسان منكم إذا سألهُ إبنهُ خبزاً يعطيه حجراً ؟! وإن سألهُ سمكة يُعطيه حيَّة ؟! . فإن كنتم وأنتم اشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونهُ " (مت٧: ٩-١١)*** يستطيع أن يشكره فى كل وعلى كل ومن أجل كل حال . من يتذكر وعود الله لنا " ***هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم إبن بطنها ؟! حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك " (اش٤٩: ١٥)*** يستطيع أن يشكر كل حين على كل شئ واثق أن ***" كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله " (رو٨: ٢٨)*** .. هل كان يصلح يوسف الإبن المُدلَّل أن يدبر أمور مملكة مصر لو لم يجوز فى أتون التجارب ؟! وهل يمكن للمريض أن يتخلص من عضو فاسد يهدد حياته بدون مبضع الجراح ؟! لذلك وجب علينا الشكر فى زمن التجربة .

فى إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب .. نحن نرفع الشكر لله الذى هو الآب السماوى ونحن متحدون بالرب يسوع ، فالرب يسوع هو الوسيلة المضمونة لقبول الآب لصلواتنا ، ولذلك نحن نختم الصلاة الربانية " بالمسيح يسوع ربنا " .

" خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله " (٢١) .

هذه الآية تربط ما سبق بالجزء الثانى بما سيأتى بالجزء الثالث ، فهى حلقة وصل بين ما تحدَّث عنه معلمنا بولس من سلوك المسيحي الأدبي للشخص وبين ما سيتحدث عنه من سلوك المسيحي فى الأسرة ، ويمكن ضم هذه الآية للجزء الثالث والأخير لأنها مرتبطة به إرتباط وثيق .

خاضعين بعضكم لبعض .. ليس المقصود بالخضوع الخنوع ولكن المقصود به تقديم بعضنا بعضاً فى الكرامة " ***وادّين بعضكم بعضاً بالمحبَّة الأخويَّة مقدّمين بعضكم بعضاً فى الكرامة*** " *(رو١٢: ١٠)* ومعلمنا بطرس الرسول يوضح أن الإنسان المتواضع هو الذى يستطيع أن يخضع لأخيه "***كونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض وتسربلوا بالتواضع*** " *(ابط٥:٥)* وعندما نخضع لبعضنا البعض عندئذ تختفى الأنانية والذاتية ونصل إلى وحدانية الروح المنشودة ويستريح فينا الروح الوديع الهادئ ويملأنا بقوة ، فحياة الخضوع تعتبر ثمرة من ثمار الإمتلاء بالروح القدس مثل حياة الصلاة والتسبيح وحياة الشكر .

خاضعين بعضكم لبعض .. ليس بحكم الوظائف أو المكانة الإجتماعية بل فى حدود حقوق كل واحد ، فالزوجة تخضع للزوج ، والأولاد يخضعون للوالدين ، والقطيع يخضع للراعى . كما أن الأخذ بالمشورة يعتبر نوعاً من الخضوع والإتضاع فالأب يأخذ بمشورة زوجته الصالحة وأولاده المباركين والإنسان المتواضع يخضع لصوت الرب الذى ربما يصدر من طفل صغير .

فى خوف الله .. شرط الخضوع أن يكون حسب مشيئة الله ، وفيما يرضى الله وفى إطار مخافة الله ، وفى مخطوطات كثيرة وردت " فى خوف المسيح " فنحن نمارس الخضوع لبعضنا البعض واضعين نصب أعيننا النموذج الكامل للخضوع وهو الرب يسوع الذى تخضع له كل ركبة مما فى السماء وما على الأرض وما تحت الأرض ومع هذا فهو خضع خضوع كامل لمشيئة الآب ، وعندما يقود الكنيسة فى اليوم الأخير فإنه سيقدمها للآب مقدماً الخضوع أيضاً

" ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الإبن نفسه أيضاً سيخضع للذى أخضع لهُ الكلّ كى يكون الله الكل فى الكل " (١كو١٥: ٢٨) .

ثالثاً : بيت مؤسس على الصخر (٢٢-٣٢)

" ٢٢ أيُها النساء إخضعنَ لرجالكن كما للربِّ ٢٣ لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة . وهو مخلِّص الجسد ٢٤ ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهنّ فى كل شئ ٢٥ أيُها الرجال أحبوا نساءكم كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها . لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمةِ ٢٦ لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدّسة وبلا عيب ٢٧ كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحبُّ إمرأته يحبُّ نفسه ٢٨ فإنهُ لم يبغض أحد جسده قط بل يقوتهُ ويربيه كما الربُّ أيضاً للكنيسة ٢٩ لأننا أعضاء جسمهِ ومن لحمهِ ومن عظامهِ ٣٠ من أجل هذا يترك الرجل أباهُ وأمهُ ويلتصق بإمرأته ويكون الأثنان جسداً واحداً ٣١ هذا السرُ عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة ٣٢ وأما أنتم الأفراد فليحبُّ كل واحد امرأتهُ هكذا كنفسهِ وأما المرأة فلتَهَب رجلها " (٢٢-٣٢) .

فى هذا الجزء الثالث والأخير من هذا الأصحاح يحدثنا معلمنا بولس عن البيت المسيحى المؤسَّس على الصخر ، ودور كل عضو فيه ، وإن كان الزواج هو سنة الحياة التى وضعها الله لاستمرارية الحياة البشرية على الأرض ، فإن معلمنا بولس يربط هنا بين سرّ الزيجة المقدس وبين سرّ اتحاد المسيح بالكنيسة ، ويجعل علاقة المسيح بالكنيسة هى الأصل والأساس الذى تبنى عليه العلاقة الزوجية وليس العكس ، فكما أن المسيح رأس الكنيسة هكذا الرجل رأس المرأة ، وكما تخضع الكنيسة للمسيح هكذا تخضع الزوجة لرجلها ، وكما أن المسيح أحب الكنيسة واسلم نفسه لأجلها كذلك على الزوج أن يحب زوجته الحب الباذل ، وأيضاً الحياة الزوجية كجزء من الحياة المسيحية فهى مبنية أساساً على المحبَّة والتقدير والإحترام ، وبهذا رفع الرب يسوع الزواج إلى أعلى مستوى ، فأصبح البيت

المسيحى سراجاً منيراً فى موضع مظلم ، ومشهود له بحياة الحب والإنسجام والإستقرار لأنه مؤسّس على الصخر ، وخير شاهد لإلهه الحي .

ولقد كتب معلمنا بولس عن عظمة سرّ الزيجة فى وقت كانت فيه العلاقات الزوجية وقد وصلت للحضيض سواء بين اليهود أو اليونانيّين ، فالمرأة صارت مثل سلعةً يقتنيها الرجل ، وقد يلقيها بالطلاق أو يضيف عليها بتعدد الزوجات ، ووصل الوضع إلى أن الرجل يطلق زوجته لاتفه الأسباب فمثلاً لو وضعت فى طعامه ملحاً أكثر من اللازم ، أو لو سارت فى مكان عام دون أن تغطى رأسها ، أو تحدثت إلى بعض الرجال فى الشارع ، أو راقت له امرأة أخرى فللوقت يطلقها كاتبا لها كتاب طلاق يشهد عليه اثنان من الربيّين لكيما يكون لها الحق فى الزواج من آخر ، ويطردها من بيته وقد لا يكون لها عائلاً آخراً ولا مصدراً للرزق . أما العالم الوثنى فكان أصعب لأن الرجل له الحق فى السلوك السئ كما يحلو له بينما المرأة المحترمة تعيش فى شبه عزلة تامة وعفة كاملة ، ويحكى الشاعر الرومانى مارشيال عن زوجة تزوجت عشر مرات على التوالى ، ويحكى جوفينال عن أخرى تزوجت ثمان مرات فى مدة خمس سنوات ، ويخبرنا القديس جيروم عن سيدة تزوجت من الزوج رقم (٢٣) وهى كانت بالنسبة له الزوجة رقم (٢١) [راجع باركلي- تفسير رسالتى غلاطية وأفسس صـ٢٥٤،٢٥٥] .

ومعلمنا بولس الرسول يركز على الأسرة لأنها الخلية الأساسية فى المجتمع ، وإن كان يخاطب أولاً الجانب الأضعف فيخاطب المرأة قبل الرجل ، والأولاد قبل الآباء ، والعبيد قبل السادة ، فذاك لكيما يقضى على روح الكبرياء والمعارضة والعناد والتمرد ، وأيضاً يركز معلمنا بولس حديثه على واجبات كل عضو دون أن يتطرق إلى حقوقه ، وذلك لأن الإنسان مسئول أمام الله عن واجباته أما حقوقه فهى لدى الرب *"حقى عند الرب وعملى عند إلهي" (اش٤٩: ٤)* وملخص هذا الفصل ذكره معلمنا بولس فى آيتين فى رسالته لأهل كولوسي *" أيتها النساء*

إخضعن لرجالكنّ كما يليق فى الرب . أيُها الرجال أحبُوا نساءكم ولا تكونوا قساةً عليهنّ " (كو٣: ١٨،١٩) [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٦٤-١٦٩] . إن الله الذى يشتاق أن يكون له مكاناً فى قلوبنا يشتاق أيضاً أن يكون له مكاناً فى بيوتنا .

" أيُّها النساء إخضعنَ لرجالكنَّ كما للرب . لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة . وهو مخلص الجسد " (٢٢،٢٣)

أيُّها النساء إخضعنَ لرجالكنَّ .. يوصى معلمنا بولس الرسول بوحى الروح القدس المرأة أن تخضع لزوجها ليس خضوع العبودية والمذلة والمهانة لكنه خضوع المحبوب للمحب ، كما كانت تخضع سارة لإبراهيم بل وتدعوه سيدها وهو كان يحبها ويدعوها أميرته " *فإنه هكذا كانت قديما النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يزيّنّ أنفسهنّ خاضعات لرجالهنّ . كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعيةً إياه سيدها " (١بط٣: ٥،٦)* بينما ميكال الجاهلة التى رأت زوجها داود الملك يرقص أمام تابوت العهد " *احتقرته فى قلبها " (٢صم٦: ١٦)* .

فالزوجة الحكيمة تخضع لزوجها حباً وطوعاً واختياراً بكامل إرادتها ورغبتها ، حتى لو كانت أعلى منه فى الدرجة العلمية أو الوظيفية ، أو تفوقه فى المستوى المادى أو الإجتماعى أو الثقافى ، وحتى لو كانت تسيس هى البيت وتدبر أموره ، وحتى لو كان زوجها ينقصه الحكمة أو الذكاء أو الأمانة فى بيته ، فرغم كل هذا فإنها لا تحط من قدره ولا تحتقره ولا تشهرّ به . بل تخضع له وفى خضوعها ترفع من قدره ، وبصلاتها ترفع من شأنه ، وبدموعها تخلص نفسه " *كذلكنّ أيتها النساء كن خاضعات لرجالكنّ حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يُربَحون بسيرة النساء بدون كلمة " (١بط٣: ١)* وبطاعتها يحاكيها أولادها فتعيش الأسرة فى هدوء وسلام .

والزوجة الحكيمة ملكة فى بيتها تستطيع أن تحوّله إلى بيت للصلاة والطهارة والبركة . بيتاً مريحاً هادئاً نظيفاً مرتّباً وأجمل ما فى البيت خضوعها وطاعتها

وحبها وحنانها فيحب الزوج البيت ويحبها ، وحتى ولو كان عنيداً شرساً يتحول إلى إنسان وديع محب .

وإن كان بعض الرجال يسيئون فهم هذه الآية فيفسرونها على أنها سلطة دكتاتورية مستبدة فإنهم بهذا لا يفهمون معنى الرئاسة فى المسيحية ، فالرئاسة ليس معناها التسييد لكن معناها الخدمة الباذلة ، فالسيد المسيح وهو رأس الكنيسة وسيدها غسل أقدامها *"أنتم تدعونني معلّماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك . فإن كنت وأنا السيد والمعلّم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض"* *(يو١٣: ١٣، ١٤)* ، والحقيقة أن خضوع المرأة لا ينقص من قدرها بل يرفع من شأنها إذ تتمثل بالسيد المسيح الوديع المتواضع القلب الذى كان خاضعاً لوالديه (لو٢: ٥١) وقد أوضح الإنجيل تماماً أن المرأة ليست أقل من الرجل *"ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع" (غل٣: ٢٨) " غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب . لأنه كما أن المرأة هى من الرجل هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة " (١كو١١: ١١، ١٢)* .

كما للربّ .. ليس المقصود هنا أن تقدم الزوجة نفس الخضوع المقدَّم للرب أى خضوع العبادة ، ولكن المقصود أن خضوعها لزوجها نابع من خضوعها للرب ، فهى تخضع لزوجها بدون أى شعور بالنقص أو التدنى لأن هذا الخضوع هو إكرام وطاعة لأمر الرب الذى منح الرجل الرئاسة عليها ، فبخضوعها لزوجها ترضى إلهها ، وهذا الخضوع لا يلغى شخصيتها بل يصقلها وينميها ، وتأخذ بركة تنفيذ الوصية *"لتتعلَّم المرأة بسكوت فى كل خضوع ولكن لست آذن للمرأة أن تُعلِّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت" (١تى٢: ١١، ١٢)* فحقاً أن المرأة العاقلة التى تحافظ على بيتها هى المرأة المطيعة لزوجها *"متعقّلات عفيفات ملازمات لبيوتهنَّ صالحات خاضعات لرجالهنَّ لكى لا يُجدَّف على كلمة الله" (تى٢: ٥)* .

لأن الرجل هو رأس المرأة .. الرجل رأس المرأة لأنه خُلِق أولاً *"لأن آدم جُبِل أولاً ثم حواء" (١تى٢: ١٣)* ، ولأجله ومنه خلقت حواء *"لأن الرجل لم يُخلَق*

من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل " (١كو١١: ٩) ، ولأن الرجل أكثر تحكماً في عواطفه " *وآدم لم يُغوَ لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدّى " (١تي٢: ١٤)* وجاء الحكم الإلهي " *إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك " (تك٣: ١٦)* فهى فى حاجة إلى الرأس المفكر المدبر الذى يحميها ويكون مسئولاً عنها ، وكما أن المسيح هو رأس الرجل فهكذا الرجل رأس المرأة " *ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كلّ رجلٍ هو المسيح . وأما رأس المرأة فهو الرجل " (١كو١١: ٣)* والرأس هو مركز العقل والتفكير والقيادة والتوجيه ، وقد أوضح لنا الرب يسوع مفهوم الرئاسة عندما قال " *من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً . ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً . كما أن ابن الإنسان لم يات ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسة فديةً عن كثيرين " (مت٢٠: ٢٦-٢٨)* وإن كان الجسد لا يعيش بدون الرأس فأيضاً الرأس ليس لها كيان بدون الجسد .

كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة . وهو مخلص الجسد .. المسيح رأس الكنيسة ليس من باب التسلط ولكن لأنه هو مصدر الحياة للكنيسة ، وقول معلمنا بولس أن المسيح رأس الكنيسة تكرار لما قاله من قبل " *وأخضع (الآب) كلَّ شئ تحت قدميهِ وإيّاه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة " (أف١: ٢٢)* وهنا يرفع معلمنا بولس سرّ الزيجة إلى سرّ علاقة المسيح بالكنيسة ، وهذا شرف عظيم للزواج المسيحي . أما قوله مخلص الجسد فهو ينطبق على السيد المسيح دون الرجل لأنه هو المصدر الوحيد للخلاص من اسر الشيطان .

" ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهنَّ فى كل شئ " (٢٤)

ولكن .. للاستدراك فبالرغم أن هناك تمييز بين علاقة المسيح بالكنيسة كمخلص الجسد ، وبين علاقة الرجل بزوجته لأن السيد المسيح هو مخلص الكنيسة بينما الرجل ليس هو مصدر خلاص لزوجته ، ولكن مع هذا فكما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك تخضع النساء لرجالهنَّ ، والأصل اليوناني لفعل " تخضع " يحمل

ضمنياً معنى التطوع الإختيارى فى الخضوع النابع من المحبَّة ، فالمرأة هى قرينة الرجل أى مساوية ومعادلة له ، خلقها الله من جنبه ولم يخلقها من رجله حتى لا يدوسها بأقدامه ، ولم يخلقها من رأسه حتى لا تدوسه بأقدامها ، ومع هذه النديَّة فإنها تخضع له طوعاً واختياراً .

فى كل شئ .. تفيد الشمولية طالما الخضوع لا يتنافى مع وصايا الرب ، فالزوجة الحكيمة تخضع لزوجها فى كل شئ لأنه مسئول معها عن كل شئ ، وليس لها أن تخضع لرجلها فى بعض الأمور التى تروق لها وتسلك كما يحلو لها فى الأمور التى لا تروق لها . إنما تخضع فى كل شئ فى داخل دائرة الرب حتى تبحر سفينة الحياة بهدوء إلى ميناء الخلاص ، ويحدثنا القديس يوحنا فم الذهب عن هذا الخضوع حتى للزوج المتعب فيقول " أنت أيضاً انشغلى فقط بما يطلب منك . إظهرى نفسك أنك سهلة التطبع مع قرينكِ . فإن كنتِ حقاً تطيعين زوجكِ من أجل الله فلا تحدثينى عما يُطلب منه بل تُسألين عن تنفيذ وصيتكِ بتدقيقٍ .

من أجل الطاعة لله لا تعصى الوصية حتى وإن إحتملت أموراً مضادة . بنفس القاعدة من يحب وهو محبوب لا يكون قد صنع أمراً عظيماً . أما من يتأنى على من يبغضه فهو فوق الكل يستحق اكليلاً . هكذا إن كان زوجكِ يضايقكِ وانت تحتملينه تنالين إكليلاً مجيداً ، أما إن كان وديعاً ولطيفاً فأى شئ لك يكافئكِ عنه الله ؟! أننى لستُ بهذا آمر الأزواج لكى يكونوا عنفاء إنما أحث الزوجات أن تحتملن فظاظة ازواجهنَّ . إذ متى إهتم كل طرف بتنفيذ وصيته يتبعه رفيقه للحال . فعندما تستعد الزوجة لإحتمال حتى سلوك زوجها الخشن فإن الزوج يكف عن مضايقتها .. وبهذا يصير الكل فى ميناء امين من الأمواج "[١٧]

وما أحلى ترتيل الشماس للعروس فى صلاة الإكليل " اسمعى ياإبنة واصغى بسمعك ، وانسي شعبك وبيت ابيك ، لأن العريس راق له طهركِ ، فأنت زوجته

---

[١٧] الحب الزوجى للقمص تادرس يعقوب ملطى صـ٤٠، ٤١ .

وله تخضعين " ، وما أجمل وصية الكنيسة للعروس عندما يتلوهـا الأب الكـاهن " وأنت أيتها الإبنة المباركة العروس السعيد ها قد سمعتِ ما أوصي بـه زوجـك فيجب عليك أن تُكرّميه وتهابيه ولا تخالفى أمره ولا رأيه . بل تزيدى فى طاعتـه على ما يوصيك به اضعافاً .. يجب أن تقابليه بالبشاشة والترحاب ، ولا تضجـرى فى وجهه ، واتق الله فى سائر أمورك معه لأن الله قد أوصاكِ بالخضوع له وأمركِ بطاعته بعد والديك " (من صلوات الإكليل المقدس) .

"أيُّها الرجال أحبُّوا نساءكم كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها "(٢٥)

بعد أن أوصى معلمنا بولس النساء بالخضوع لرجالهنَّ يُذكّـر هنـا الرجـال بواجبهم نحو تقديم الحب لزوجاتهم ، ويتوسع فى شرح هذا المفهوم فيضع المقيـاس لهذا الحب وهو حب المسيح للكنيسة ، ويوضح مدى هذا الحب فـهو حـب حتـى الموت " أسلم نفسه لأجلها " وفى آيات لاحقة يوضح أيضاً أن محبَّة الرجال لنسائهم مثل محبتهم لأجسادهم فلا يبغض أحد جسده بل يقوته ويربيه (ع٢٨،٢٩) ويـترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته (ع٣١) وتعتبر الأسرة هى الترمومتر الذى يقيس سلوك الإنسان المسيحي ، فالزوج الذى يكون لطيفاً ظريفاً ودوداً حملاً وديعاً خارج بيته ، وفى بيته تجده فظاً شديداً عنيفاً يسقط تحت دينونة هذه الوصية " أيها الرجـال أحبُّوا نساءكم .. " .

أيُّها الرجال أحبُّوا نساءكم .. فى الأصل اليوناني لم يستخدم معلمنـا بولـس كلمة " erao " التى تعبر عن العاطفة الجنسية ، ولا كلمة " phileo " التى تعـبر عن العاطفة العائلية . إنما استخدم كلمةِ أغابى " agapao " التى تعبرعن المحبَّـة البعيدة تماماً من محبَّةِ الذات ، فهى لا تبحث عما لنفسها بل عما للآخـر ، فليـس المقصود بالحب هنا هو الحب الطبيعى الذى تحركه الدوافـع الطبيعيـة والفـائدة المادية والمعنوية ، ولكنه الحب المسيحي المستمد من الجنب المطعـون لأجلنا ..

حب ملؤه البذل والتضحية والحنان والتقدير بغض النظر عن استحقاق الطرف الآخر ، لأن الرجل يقدم الحب ليس من أجل الزوجة بل من أجل الرب الذى أوصاه بالزوجة خيراً ولأجل الورود تُكرَم الأشواك .

فالحب الحقيقى هو الإهتمام بالآخر ، والحب الزوجى ليس هو البحث عن الراحة ولكنه البذل من أجل الآخر ، والحياة الزوجية هى كنيسة الحب المقدس والعواطف المقدسة التى يسعى فيها كل طرف لإسعاد الآخر ، وليس بنظرة جسدانية شهوانية يشاركنا فيها الحيوان بل كجسد مقدس واحد فى الرب ، فالرجل يقدم الحب ليس مقابل طاعة الزوجة وخضوعها ، بل يقدم الحب النابع من جنب الحبيب ، وعندما تشعر الزوجة بهذا الحب الفياض فإنها تسعد وتفرح وتسر بالخضوع لزوجها عن اقتناع ورضي .

وما أجمل وصية الكنيسة للعريس يوم إكليله " يجب عليك أيها الإبن المبارك المؤيد بنعمة الروح القدس أن تتسلَّم زوجتك فى هذه الساعة المباركة بنيَّة خالصة ونفس طاهرة وقلب سليم ، وأن تجتهد فيما يعود لصالحها ، ولتكن حنوناً عليها ، وتسرع إلى ما يسر قلبها ، لأنك أصبحت مسئولاً عنها الآن من بعد والديها .. " (من صلوات سر الزيجة) .

كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة .. العلاقة بين الزوج والزوجة هى مثال لعلاقة المسيح بالكنيسة ، فالزوجة تقدم الخضوع على مثال الكنيسة ، والزوج يقدم الحب على مثال المسيح ، وحب المسيح للكنيسة هو الذى أنشأ خضوع الكنيسة له ، وهكذا محبَّة الرجل لزوجته تسهل عليها الخضوع والطاعة ، والله كعريس خطب الكنيسة لنفسه بدمه المسفوك على عود الصليب أمر واضح فى الكتاب المقدس بعهديه ، فيقول أشعياء النبي ***"لأن بعلكِ ورجلكِ ، هو صانعك رب الجنود إسمه ووليُّك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعَى"*** *(اش٥٤: ٥)* ويقول الرب ***"كفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك"*** *(اش٦٢: ٥)* وقال يوحنا المعمدان عن الرب يسوع " من

له العروس فهو العريس " (يو٣: ٢٩) وقال الرب يسوع مشيراً إلى نفسه " ***هل يستطيع بنو العريس أن ينوحوا ما دام العريس معهم " (مت٩: ١٥)*** وقال " ***يشبه ملكوت السموات إنساناً صنع عرساً لإبنه " (مت٢٢: ٢)*** وفى مثل العذارى قال " ***حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحنّ وخرجن للقاء العريس .. " (مت١٥: ١-١٠)*** وقال معلمنا بولس الرسول " ***لأنى خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عذراء عفيفة للمسيح " (٢كو١١: ٢)*** وفى سفر الرؤيا " ***لنفرح ونتهلل ونعطه المجد لأن عرس الخروف قد جاء وإمرأته هيأت نفسها " (رؤ١٩: ٧)*** ورأى يوحنا " ***المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلةً من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزيّنة لرجلها " (رؤ٢١: ٢)*** .

كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها .. فالمسيح لم يرضِ نفسه (رو١٥: ٣) لأن المحبَّة " ***لا تطلب ما لنفسها " (١كو١٣: ٥)*** إنما المسيح أرضانا " ***ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا " (رو٥: ٨)*** وقال " ***ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان " (يو٣: ١٤)*** ليس لأجل نفسه بل لأجلنا نحن لكيما ينتشلنا من عمق الخطية ويجلسنا عن يمين الآب .. أنه لم يعطنا من فيض نعمه وبركاته فقط بل أعطانا ذاته " أسلم نفسه " ، والزوج إلى أى مدى يحب زوجته ؟ .. إلى الموت ، فهو يعيش لأجلها ولو اضطرته المخاطر أن يموت من أجلها فيفعل ذلك بضمير مستريح .

ويقول القديس يوحنا فم الذهب " هل رأيت قياس خضوع (الزوجة) مثل هذا ؟ فاسمع أيضاً قياس المحبَّة (التى تضارعه) فإن أنت أردت أن تخضع إمرأتك لك كما تخضع الكنيسة للمسيح إذاً فاعتن بها بنفسك كما يعتنى المسيح بكنيسته !! فإن جدَّ الجد وصارت الأمور إلى خطورة ، واستدعى الأمر أن تضع حياتك عنها لا ترفض . فإن صنعت هذا وعانيت ما عانيت فأنت أيضاً لم تبلغ إلى ما بلغ المسيح لأنك إنما صنعت هذا بمن تحبه . بجسدك ولحمك وعظمك ، ولكن هو صنع هذا لمن رفضوه وعيَّروه وقاوموه وصلبوه " [١٨]

---

[١٨] شرح رسالة أفسس ليوحنا ذهبي الفم – أورده الأب متى المسكين فى شرح رسالة إلى أفسس صـ٣٧٤-٣٧٥.

وقال أيضاً " لقد أخضع (المسيح) الكنيسة عند قدميه من فرط عنايته ورعايته ، لا بالتهديد ولا بالارهاب أو ما يشبه ذلك . فلتعامل زوجتك هكذا ، فالرجل رأس المرأة هذا حق ، وهذا ما قاله بولس الرسول ، إلاّ أنه قال أيضاً أن الزوج يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة فلا يمارس الضغط والإرهاب ، ولكنه يضحى دائماً بأى شئ فى سبيل خيرها "[١٩]

وأيضاً قال " هل تريد أن تكون زوجتك خاضعة لك كخضوع الكنيسة للمسيح ؟ .. أن تحتمل أى آلام مهما كانت من أجلها فانك حتى إن فعلت كل هذا فأنت لم تفعل شيئا مثل المسيح ، لأنك تفعل ذلك من أجل من أنت مقترن بها فعلاً ، أما المسيح فقد بذل نفسه من أجل من كانت تبغضه وتعطيه ظهرها .. فشريكة حياتك ، وأم أطفالك ، وأساس فرحك لا ينبغى أن تعاملها بالتخويف والشدّة ، بل بالمحبّة والطباع الحسنة "[٢٠]

" لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة . لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدّسة وبلا عيب " (٢٦،٢٧) .

لكى يقدسها .. تبدأ هذه الآية بعبارة " لكى يقدّسها " وتبدأ الآية (٢٧) بعبارة " لكى يحضرها " فالهدف من التجسد والفداء تقديس الكنيسة وإحضارها لنفسه أى رفعها إلى مجده ، فلكى يقدسها اسلم نفسه للموت ***" لذلك يسوع أيضاً لكى يُقدّس الشعب بدم نفسه تألّم خارج الباب " (عب١٣ : ١٢)*** وقال ***"لأجلهم أقدّس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مُقدّسين فى الحق " (يو١٧ : ١٩)*** لقد طهرها أولاً بالمعمودية ثم قدّسها بالميرون حيث أسكن روحه القدوس فيها .. بالمعمودية تنال التطهير مرة

---

[١٩] أورده وليم باركلى فى تفسير رسالتى غلاطية وأفسس صـ٢٥٩ .

[٢٠] تفسير ذهبى الفم لرسالة أفسس عظة (٢٠) –أورده د. نصحى عبد الشهيد فى شرح رسالة أفسس ص١٣٧

واحدة أما التقديس فهو عملية مستمرة والتطهير والتقديس وجهان لعملة واحدة " *لكن اغتسلتم بل تقدّستم بل تبرّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا " (اكو٦: ١١)* ويقول الأب متى المسكين " يقدسها .. فعل تغلغلي يتغلغل كل كيانها البشرى كمن ينقعها نقعاً فى دمه ، فى قداسته ، لتتقدّس . هذا هو صميم العرس السماوى لعروس الزمان بنت الإنسان حواء الجديدة ، المقتطعة من جنب المصلوب اليمين ، خرجت من صميم عظمه ولحمه ، خرجت مغسولة بماء ودم ، خرجت من جانبه اليمين لتجلس معه عن يمين أبيه " [٢١]

مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة .. لكى يُقدّس الرب يسوع كنيسته لزم أولاً أن يُطهرها بالمعمودية التى هى شركة موته وقيامته ، فقد كانت العروس تغتسل جيداً وتضع الروائح قبل زفافها لتجد قبولاً واستحساناً لدى العريس ، وفى المعمودية يغتسل الإنسان جيداً من جميع خطاياه *"لماذا تتوانى . قُم واعتمد واغسل خطاياك "(أع٢٢: ١٦)* ويكتسب رائحة المسيح الذكيّة" *لأننا رائحة المسيح الذكيّة " (٢كو٢: ١٥)* فيجد قبولاً لدى العريس السمائى *"لا بأعمال فى برّ عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس " (تى٣: ٥)* .

مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة .. فبعد أن كانت النفس محكوماً عليها بالموت أحياها الله وطهرها وقدّسها " *أما ميلادك يوم وُلدتِ فلم تقطع سرتكِ ولم تُغسلى بالماء للتنظيف .. فمررت بكِ ورأيتكِ مدوسةً بدمكِ فقلت لك بدمكِ عيشي . قلتِ لكِ بدمكِ عيشي .. فحمّمتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتكِ بالزيت .. واكلت السميذ والعسل والزيت وجَمُلتِ جداً فصلحت لمملكة .." (حز١٦: ٤-١٤)* فالرب يسوع هو الذى يجرى الأسرار المقدسة وكثير من الأطفال المدركين أثناء عمادهم شاهدوا السيد المسيح ذاته وهو يعمدهم ، وكثير من القديسين رأوه يناول جسده ودمه لأولاده ، وهناك صور فوتغرافية التقطت لعماد بعض الأطفال وظهر الروح القدس

---

[٢١] شرح الرسالة إلى أفسس صـ٣٧٦ .

على شكل حمامة أثناء الدهن بسر الميرون المقدس .. حقاً أن أسرار الكنيسة هي أسرار حيّة ، وكم هى خسارة للإنسان الذى ينأى بنفسه عنها ؟!

مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة .. غسل الماء أى الغطس في الماء ، والكلمة هى التى ينطبق بها الآب الكاهن " أعمدك يا فلان باسم الآب والإبن والروح القدس " حسب وصية مخلصنا الصالح "***وعمدوهم باسم الاب والإبن والروح القدس" (مت٢٨: ١٩)*** فالمعمودية قائمة على هذه الكلمة ، وهى تتجاوب أيضاً مع كلمة المُعمّد نفسه فى اعترافه بالسيد المسيح إلهاً ومخلصاً .. غسل الماء ما يتم فى الظاهر ، وبالكلمة ما يتم من تطهير فى الإنسان الباطن "***مَولودين ثانيةً لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد " (١بط١: ٢٣)*** وإن كانت هذه الفقرة بالكامل تحدثنا عن واجبات المسيحي فى الأسرة ، فالأسرة لا يقوم لها كيان بدون المعمودية ، والأمر الجميل أنه فى صلوات سر الزيجة المقدس تقرأ هذه الفقرة وتأتى الصلوات متجاوبة معها " أيها السيد الحقيقى كلمة الله الأزلي الوحيد ، يا من خطبت النوع الإنساني للفرح الأبدى بتجسده المنيف المجيد ، عاقداً املاك النفوس المؤمنة بصليبه الميمون ، **ومطهراً إياها بحميم الميلاد الثانى المصون** ، واهباً لها حُلى مواهب الروح القدس ، منعماً عليها بمائدة الحياة وكأس الخلاص السرى الأنفس ، صائراً لها رأساً وراعياً ورئيساً اسمي .. " (من صلوات سر الزيجة) .

لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك .. يحضرها من العالم الحاضر الشرير ويضمها إلى ملكوته "***وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتني" (يو١٧: ٢٢)*** .. يحضرها كنيسة مجيدة "***وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء فى الفكر فى الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن . فى جسم بشريته بالموت ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه .. مُنذرين كلّ إنسانٍ ومعلّمين كلّ إنسانٍ بكل حكمةٍ لكى نُحضر كل إنسانٍ كاملاً فى المسيح يسوع " (كو١: ٢١، ٢٢، ٢٨)***
[راجع تفسير رسالة كولوسي صـ٦٥-٦٧] .

كنيسة مجيدة .. يظهر مجدها يوم زفافها " لأن *عرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها . وأعطيت أن تلبس بزاً نقياً بهياً " (رؤ١٩: ٧،٨)* فعندما تنفض الأجساد تراب الموت نقوم في مجد "*مشابهين صورة إبنه " (رو٨: ٢٩) " ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو " (ايو٣: ٢)* فأى مجد هذا ؟! وأى كنيسة مجيدة هذه ؟!

لا دنس فيها ولا غضن .. الدنس أى الفساد ، والكنيسة هى غاية الكمال ، والغضن أى التجاعيد والضعفات والتشوهات الناتجة عن الشيخوخة فالكنيسة تعيش فى نضارة دائمة وشباب بارع مستمر .. أن الآب إختارنا " *لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبَّة " (أف١: ٤)* .

أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدَّسة وبلا عيب .. بلا أى عيب سواء كان ظاهراً أو مخفياً ، فهى كنيسة بلا دنس ولا غضن وبلا عيب لأن العريس هو مصدر جمالها وشبابها وصلاحها وقداستها ، وهو يمحو كل عيب فيها " *كُلُّك جميل ياحبيبتى ليس فيك عيبة " (نش٤: ٧)* .

" كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحبُّ امرأته يحبُّ نفسه . فإنهُ لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربّيه كما الربُّ أيضاً للكنيسة . لأننا أعضاء جسمهِ ومن لحمهِ ومن عظامهِ " (٢٨-٣٠) .

كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم .. كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكيما يقدِّسها ويحضرها لنفسه كنيسة مجيدة مقدَّسة كذلك يجب على الرجال أن يفعلوا هكذا ، فبسر الزيجة يصبح الإثنان جسداً واحداً يمثل الرجل رأس هذا الجسد . إذاً فالرجل يحب زوجته لأنها صارت جسده ، فالحب هنا حب طبيعى تطوعى ليس بتكلف ولا بجهد ولا لأجل منفعة لأن كل ما يخص الزوجة هو ملك للزوج ، فلا يحبها لجمالها بل ليجعلها أكثر جمالاً ، ولا يحبها لمواهبها وإمكاناتها بل يجتهد لكيما تنمو أكثر فأكثر فى معرفة الرب .. سيظل قلب

الزوجة هو المكان الأمين الذى يجد فيه الزوج راحته ومعونته وتعزيته وتسليته كما كانت أمنا رفقة لأبينا اسحق "*وأخذ رفقة فصارت زوجة وأحبها فتعزّى إسحق بعد موت أمه*" *(تك٢٤: ٦٦)* ، فالحب الزيجي لم يمكن أن يكون له بديل "*أيأخذ إنسان ناراً فى حضنه ولا تحترق ثيابه . أو يمشي إنسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه*" *(أم٦: ٢٧، ٢٨)* .

من يحب إمرأته يحبُّ نفسه .. ليس هناك إنساناً عاقلاً يتلف أو يمزق جسده أو يسئ إليه ، فمن يسئ إلى زوجته فهو يسئ إلى نفسهِ ، ومن يهزء بامرأته فهو يهزء بنفسه ، ومن يضرب امرأته فهو يحطم نفسه .. حقاً أنه بسر الزيجة أصبح الأثنان جسداً واحداً ولكن التمايز فى الشخصيتين سيبقى لا ليكون سبباً للصراع والخصام والتنافس ، بل يبقى ليثرى العلاقة بين الزوجين وليكون هناك تكامل بينهما فما يبرع فيه الطرف الواحد دون الآخر فهو محسوب للجسد الواحد ، وحب الرجل لزوجته ليس إمتداد لمحبته لذاته إنما حب مُقدّم من أجل الرب وفى الرب .

فإنه لم يبغض أحد جسده قط .. حتى لو كان هذا الجسد يعانى من بعض الضعفات أو الأمراض ، فإن الإنسان يحتمله ويعالجه حتى يقوى ويعود إلى صحته الأولى ومحبته الأولى ، وهكذا يحتمل الزوج زوجته مقدماً لها العون والحب لكيما تتخلص من كل ضعفٍ يشوه منظر الجسد الواحد .

بل يقوته ويربّيه كما الربُّ أيضاً الكنيسة .. يقوته ويربّيه أى يهتم به ويرعاه ويقدم له القوت والأمان والحماية ودفء الحب المقدس ، فالرجل مسئول عن كل هذا ، ومن يهمل زوجته بسبب البخل هو الشح ، أو بسبب المكيفات والمزاج ، أو بسبب الكسل والتقاعس فهو مُدان أمام الله .. قال الرب فى القديم "*ربيتُ بنين ونشأتهم*" *(اش١: ٢)* ، والرب يسوع يقوت كنيسته ليس بطعام مادى بل بجسده المقدس ودمه الكريم "*انا هو خبز الحياة .. أنا هو الخُبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى ابذله من أجل حياة العالم*" *(يو٦: ٤٨، ٥١)* "*خُذُوا كلوا هذا هو جسدى*" *(مت٢٦:٢٦)*

وحتى فى الأبدية سيظل الرب يسوع مصدر الشبع والراحة لنا "*لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد .. لأن الخروف الذى فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيَّة ..*" *(رؤ٧: ١٦، ١٧)* .

لأننا أعضاء جسمه من لحمهِ ومن عظامهِ .. إتخذ السيد المسيح جسداً له من ذات طبيعتنا البشرية من لحمنا وعظامنا "*فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضاً كذلك فيهما*" *(عب٢: ١٤)* ومات بهذه الطبيعة البشرية وقام بطبيعة بشرية جديدة جسداً وروحاً "*جسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي*" *(لو٢٤: ٣٩)* وقد وهبنا هذه الطبيعة الجديدة بالمعمودية ، وسوف تصل هذه الطبيعة إلى كمال مجدها فى الأبدية "*سيغير جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده*" *(فى٣: ٢١)* .

لأننا أعضاء جسمهِ من لحمهِ ومن عظامهِ .. لماذا يعتنى الرب يسوع بنا ويقوتنا ويربّينا التربية الروحية ويقودنا إلى ملكوته ؟ .. لأننا أعضاء جسمهِ من لحمهِ ومن عظامهِ ، هكذا الزوج يهتم بزوجته التى أصبحت معه جسداً واحداً من لحمهِ ومن عظامهِ ، وقد إقتبس معلمنا بولس هذه الآية من سفر التكوين فالرب الإله أوقع ثباتاً على آدم فنام وأخرج من جنبه حواء "*وأحضرها إلى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمي*" *(تك٢: ٢٢، ٢٣)* ، والرب يسوع نام على الصليب فخرجت من جنبه حواء الجديدة .

" من أجل هذا يترك الرجل أباهُ وأمهُ ويلتصق بامرأتـه ويكـون الإثنـان جسـداً واحـداً " (٣١)

اقتبس معلمنا بولس الرسول هذه الآية أيضاً من سفر التكوين "*لذلك يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً*" *(تك٢: ٢٤)* وبهذه الآية ردَّ الرب يسوع على المعاندين لشريعة الزوجة الواحدة فقال لهم "*من بدء الخليقة ذكراً وانثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكون الأثنان*

جسداً واحداً . إذاً ليسا بعدُ إثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقـه إنسان " (مت ١٠: ٦-٩) فالزواج المسيحي لا ينفصم لأن الجسد الواحد لا ينقسم ، ولا يصلح أن يدخل بين الزوجين طرف ثالث لأنه لا يوجد رأس له جسدين ، ولا يوجد جسد له رأسين ، ومهما كانت قوة الرباط بين الإنسان ووالديه فبعد زواجه يصير رباطه مع زوجته هو الأول وهو الأقوى ، ولا يصح أن يسير الزوج فيما بعد حسب مشورة والديه أو إحداهما وبحسب هواهما ويضر بزوجته ، وأيضاً لا يصح أن يسلك الزوج وكأنه لم يرتبط بعد فيسلك حسب هواه ، وبالمثل لا يصح أن تتصرف الزوجة كما يحلو لها وكأنها لم ترتبط بعد ، فإن هذا الرباط المقدس الذى وحَّدهما يلقى بالمسئولية على كل منهما ، فالزوجة تقدم الخضوع والزوج يقدم الحب فيعيشان هذه الوحدة المقدسة ويسعدان بها . أما عندما يتنصل كل طرف من مسئوليته فإنه لا يشعر بهذا الرباط المقدس بل يشعر أنه فى وادٍ والآخر فى وادٍ .

" هذا السرُّ عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة " (٣٢)

هذا السر العظيم يعود على اقتران الرجل بزوجته أم أنه يشير إلى إرتباط المسيح بالكنيسة ؟

الحقيقة أن إتحاد المسيح بالكنيسة سرعظيم كان مخفياً ومكتوماً من قبل ، ومادام سر الزيجة على مثال اتحاد المسيح بالكنيسة فهو بالتالى سر عظيم يوّحد الله فيه الزوجين فيصيرا جسداً واحداً ، ومن يقدر أن يُوّحد الزوجين فى جسد واحد إلاَّ الذى وحَّد نفسه مع عروسه الكنيسة المجيدة فى جسد واحد ؟! ولذلك ندعوه فى كل عرس لكيما يباركه كما بارك عرس قانا الجليل وحوّل الماء إلى خمراً ممتازاً " يا الذى بارك فى عرس قانا الجليل بارك على العريس وعلى العروس " (من صلوات سر الزيجة) .

" وأما أنتم الأفراد فليحبَّ كل واحدٍ إمرأتهُ هكذا كنفسه وأما المرأة فلتَهَب رجلها " (٣٣)

هذه هى الكلمات الأخيرة ، ففى هذا العدد نجد ملخص كل ما قيل بشأن الرباط المقدس الذى يربط الزوجين ، فإن كان الرجل يحب امرأته كجسده الذى يحبه ويقوته ويربيه ويهتم به فى كل شئ ، فعلى الزوجة أن تحترم وتوقر وتهاب زوجها ، فهو رأسها الذى لا يشاركها فيه أحد .. كانت إمرأة منوح تحترم وتقدّر زوجها حتى أن رؤيتها لملاك الله لم تنسيها زوجها بل أسرعت تخبره بكل ما رأت . أما الزوجة التى تستخف بزوجها وتتندر بنقائصه أمام زميلاتها فى العمل أو أمام أقربائها فإنها تُدان بهذه الوصية التى توصيها أن تهاب له أى تقدم المخافة لزوجها ، وأن تكون ضعفاته موضع صلواتها .



١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
										١
					■			×		٢
■			■	×						٣
				■						٤
			■				■	×		٥
		■		■		■			■	٦
■							■			٧
	■	×			■				■	٨
			■	×				×		٩
					×					١٠

السؤال الأول

الكلمات الرأسية :

١-وضعت على جسد الرب – للتوضيح .

٢-يلعن – رأس المرأة .

٣- من هدايا المجوس – وظيفة العين .

٤- مصاعب – سِرْ .

٥- من أسفار العهد القديم (مبعثرة) – أداة نفى (معكوسة) .

٦- رجاء – فاز (مبعثرة) .

٧- عكس ميت – من الأمراض العصبية .

٨- من أسفار العهد القديم (مبعثرة) – رهبة (معكوسة) .

٩-لا تليق بالقديسين– متشابهان.

١٠- تجدها فى سئ –مرض جلدى (معكوسة)–من الفنون (معكوسة)

الكلمات الأفقية :

١- صفة للمتمثلين بالله .

٢- رائحة ذبيحة الله – سيحلم (مبعثرة)

٣- يعزى (معكوسة) – متشابهان .

٤- يأتى عليهم غضب الله (...المعصية) – عكس مندفع متسرع (معكوسة) .

٥- أحد الوالدين (معكوسة) – رخو – من المنتجات البترولية .

٦- ملكَة – عكس كُره .

٧- من ثمر الروح – أعمال ... لا يجب أن نشترك فيها

٨- يستخدم فى علاج الكسور – يدور .

٩- من ثمر الروح – رِفعَة (معكوسة) .

١٠- يخدعكم – فيها الخلاعة .

السؤال الثانى : أختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس .

١- نحن نحب الآخرين (طمعا فى محبتهم – لإظهار برّنا ، تمثلاً بالله) .

٢- قد ترتدى الرذيلة ثوب الفضيلة لذلك يجب أن نختبر ما هو مرضي عند (الآخرين – الله – انفسنا) .

٣- الذى لا يفهم مشيئة الله هو إنسان (متواضع – غبى – مهمل) .

٤- المرأة تخضع لرجلها لأنه (أكثر فهماً – أعظم قوة – رأسها) .

٥- الرجل يحب زوجته (لمنفعته – تنفيذاً للوصية – لتحاشي المتاعب) .

٦- المسيح احب الكنيسة (فسلم نفسه لأجلها – فأظهر مجده – فمنحها السلطة على العالم) .

السؤال الثالث : تحدث فى نقاط محدَّدة عن :

أ- دور كل من الزوجة والزوج فى البيت المؤسس على الصخر .

ب- أهــم التحديـات التــى تواجــه الاستقــرار الأســرى .

الأصحاح السادس

وما زال معلمنا بولس الرسول يستكمل رسم لوحتــه الرائعـة عـن البيـت المسيحي المؤسَّس على الصخر ، والذى يعيش فى إنسجام كامل ووحدانية الـروح فتفوح منه رائحة المسيح الذكيَّة ، وبذلك فهو خير شاهد علـى ظـلام العصـر ، فالآيات التسع الأولى من هذا الأصحاح مرتبطة إرتباط وثيق بالجزء الأخير مـن الأصحاح السابق (٥: ٢٢-٣٢) الخاصة بالأسرة كزوج وزوجة فقط ، ثم يضيـف هنا الأولاد كثمرة من الله لهذا الزواج المقدس ، وأيضاً لا يغفل العبيد كنفوس حيَّـة مقيمة فى البيت وليس كأشياء قائمة ، ولذلك يحدثنا عن :

أولاً : علاقة الأولاد بوالديهم ، فيذكر واجبات الأولاد نحو والديهم حيـث يقدمـون لهم الولاء والطاعة والإكرام (١-٣) ، وواجب الوالدين نحو أولادهـم فـلا يغيظونهم بل يربونهم فى خوف الرب وإنذاره .

ثانيا : علاقة العبيد بسادتهم حيث يخدمونهم بنية صالحة بدون رياء كمن يخدمـون الرب عالمين أن مكافأتهم من الله (٥-٨) وليعلم السادة أنهم هم أيضاً عبيـد لله الذى ليس لديه محاباة (٩) .

وفى البيت المسيحي المؤسَّس على الصخر ينبغى أن يكون الإنسان قائماً يقظـاً مجاهداً لأن عدو الخير لا يكف عن الحروب ، ولذلك يحذرنا معلمنا بولـس مـن مكايد إبليس (١٠،١١) ويوجه نظرنا إلى أن محاربتنا ليست مع لحم ودم بـل مـع السلاطين وقوات الظلمة (١٢) ويدعونا للتسلح بالأسلحة الروحيـة (١٣) فمنطقـة الحق للحقوين ، ودرع الـبر للصـدر (١٤) واستعداد إنجيـل السـلام للقدميـن (١٥) وترس الإيمان للقلب (١٦) وخوذة الخلاص للرأس وسيـف الروح للحـرب (١٧) وجندى المسيح ينبغى أن يتدرع بالصلاة لأجل نفسه (١٨) ولأجـل جميـع القديسين (١٩) بل ولأجل بولس الموثق بسلاسل من أجل الكرازة (٢٠) .

وأخيراً يُطمئن معلمنا بولس أولاده فى أفسس على أحواله (٢١،٢٢) ثم يـأتى الختام بالسلام (٢٣،٢٤) .

ويمكن تقسيم الأصحاح كالتالى :

أولاً : بيت مؤسَّس على الصخر (١–٩) .

ثانياً : الجـهـاد الـروحـى (١٠–٢٠) .

ثالثاً : سـلام وختـام (٢١–٢٤) .

أولاً : بيت مؤسَّس على الصخر (١–٩)

" ١ ايُّها الاولاد أطيعوا والديكم في الرب لان هذا حقٌ ٢ اكرم أباك وأمك التـي هـي اوَّل وصيةٍ بوعدٍ ٣ لكي يكون لكم خيرٌ وتكونوا طوال الاعمار على الارض ٤ وانتم ايها الآبـاء لا تغيظوا اولادكم بل ربُّوهم بتأديب الرب وانذاره ٥ ايها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوفٍ ورعدةٍ في بساطة قلوبكم كما للمسيح ٦ لا بخدمة العين كمن يُرضي الناس بل كعبيد المسـيح عاملين مشيئة الله من القلب ٧ خادمين بنيَّة صالحة كما للرب ليس للناس ٨ عالمين ان مـهما عمل كلُّ واحد من الخير فذلك ينالهُ من الرب عبداً كان أم حراً ٩ وانتم ايها السادة افعلوا لـهم هذه الامور تاركين التهديد عالمين ان سيّدكم أنتم أيضاً في السموات وليس عنده محاباة " (١–٩)

ورد مضمون هذا الجزء فى الرسالة إلى أهـل كولوسـي (كـو٣: ٢٠–٢٥) [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٦٨–١٧٢] ، ونحـن لا ز لنـا فـى البيـت المسيحي المؤسَّس على الصخر خاضعين بعضنا لبعض فى خوف المسيح ، وقـد بدأ معلمنا بولس حديثه مع الزوجين ، ويوماً فيوماً يرزقهما الله أولاداً مباركين يقرُّ بهم أعينهما ، فيستكمل معلمنا بولس حديثه وكما بدأه مع الزوجات كطرف أضعف هكذا يبدأ هنا حديثه مع الأولاد كطرف أضعف من الوالدين ، وإن كان فى حديثـه مع الزوجين استخدم الجانب اللاهوتي إذ مثَّل العلاقة بين الزوجين بالعلاقـة بيـن المسيح والكنيسة ، فإنه هنا يخاطب الأولاد كباراً وصغاراً ببساطة شديدة .

وفى العصور الأولي لم يكن للأولاد حق يذكر فى ظل القـانون الرومـاني ، فمنذ أن يُولَـد الإبن يمكنُ للأب أن يعتـرف بـه فيبقى حيَّاً على قيد الحياة أو لا

يعترف به فيطرح خارجاً فى الساحة الرومانية فيتعرض للمــوت أو قـد يلتقطــه البعض فيطعمونه لكيما يشب ويكبر ثم يبيعونه عبداً ، وفى خطاب يرجع تاريخــه إلى السنة الأولي قبل الميلاد جاء فيه " من ايلاريون إلى أليس زوجتــه . تحيــاتي القلبية لك ولعزيزيِّ بيروس وابولوناريون . أرجو أن تعلموا أننا لازلنا حتــى الآن فى الإسكندرية . لا تنزعجوا إذ عاد الجميع وبقيت أنا بالإسكندرية . التمس وأرجو أن تعتنوا بالطفل الصغير ، وعندما نتسلم أتعابنا سأرســل إليكـم . فــإن رزقــت بطفل-وأنا اتمنى لكِ حظاً حسناً -فإن كان ذلك الطفل ولداً ، فليحيا ، أما إن كــانت بنتاً فالقوا بها فى الخارج .. كيف يمكنني أن أنساكم . لذلــك التمــس منكـم أن لا تقلقوا "[٢٤] فالخطاب رغم أنه يفيض بالعاطفة لكن يظهر فيه جمود العواطف تجــاه الأولاد ، بل أنهم كانوا يقتلون الطفل ذو العيب الخلقى ، ويدافع ســينكا فيلســوف روما عن هذا قائلاً " نحن نذبح الثور الهائج ، ونقصف رقبة الكلب المســعور ، ونقتل الخروف المريض لئلا يعدى القطيع ، ونُغــرِق الطفــل العليــل ذو العيــب الخلقى "[٢٥] وفى ظل القانون الروماني لم يكن هناك سناً للرشــد ، فــالأب يظــل متحكماً فى إبنه مهما وصل هذا الابن إلى أرفع المناصب .

" ايُّها الاولاد أطيعوا والديكم في الرب لان هذا حقٌّ " (١)

ايُّها الاولاد أطيعوا .. فى العهد القديم كان الولد الذى لا يطيع والديه يعتــبر ولد عاق فيحكمون عليه بالعقاب الذى يصل إلى حد الموت مع الولد المــارد "***إذا كان لرجل إبن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول امه ويؤدبانه فلا يسمع لــهما . يمسكهُ ابوهُ وامهُ ويأتيان به إلى شيوخ مدينته .. فيرجمه جميع رجال مدينته بحجــارة حتى يموت . فتنزع الشرَّ من بينكم ويسمع كل إسرائيــل ويخافون " (تث٢١ : ١٨-٢١)***

---

[٢٤] أورده وليم باركلي في تفسيره لرسالتي غلاطية وأفسس صــ٢٦٤ .

[٢٥] المرجع السابق صــ٢٦٥ .

ومن يستخف بوالديه ولا يطعهما كانت تنصب عليه اللعنة "*ملعون من يستخفُّ بأبيهِ أو أمهِ ويقول جميع الشعب آمين*" *(تث٢٧: ١٦)* ، وقال الحكيم "*من سبَّ أباهُ أو أمه لينطفئ سراجهُ في حدقة الظلام*" *(أم ٢٠: ٢٠)* وفي العهد الجديد ضرب الرب يسوع المثل العملي في طاعة والديه فيقول الإنجيل "*نزل معهما وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما*" *(لو٢: ٥١)* وذلك رغم أنه قال لهما "*ألم تعلما أنهُ ينبغي أن أكون فيما لأبي*" *(لو٢: ٤٩)* فإنه أراد أن يوضح لنا أن ولاءه للآب لم يمنعه من الخضوع لهما ، وفي الأصحاح الأول من الرسالة إلى أهل رومية نجد قائمة بشعة لخطايا الوثنيين ومن بينها "*غير طائعين للوالدين*" *(رو١: ٣٠)* ومن قائمة الخطايا في الأيام المتأخرة التي يذكرها معلمنا بولس يقول "*غير طائعين لوالديهم*" *(٢تي٣: ٢)* .

أيُّها الأولاد أطيعوا .. كلمة الطاعة هنا في الأصل اليوناني هي ذات الكلمة التي أوصي بها معلمنا بولس الزوجات عندما قال لهنَّ " اخضعن " فطاعة الأولاد أي خضوعهم للوالدين خضوع اختياري ناتج من وصية الرب ، فالذي يطيع الرب يسمع وصاياه ، والذي يسمع وصايا الرب يطيع والديه ، وأيضاً نقول أن الإبن الذي يتعلم منذ صغره طاعة والديه فإنه بالتالي يطيع وصية الله بسهولة ويسر . أما الإبن الذي لا يخضع لوالديه فإنه يتمرد على كل سلطان إلهي وبشري فيهرب من طاعة الله ولا يخضع للرؤساء إلاَّ خوفاً ورياءاً .

أطيعوا والديكم في الرب .. فالطاعة هنا لأجل خاطر الرب ، وبذلك تصبح الطاعة أمراً سهلاً ومستحباً ، فلأجل طاعة الرب أطاع اسحق وسلَّم نفسه للذبح ، ولأجل طاعة الآب حمل إسحق الجديد خشبة الصليب وأطاع حتى الذبح ، ولأجل خاطر الرب يطيع الأولاد والديهم حتى لو كانوا من النوع المسيطر المتسلط مادامت الطاعة داخل دائرة " في الرب " . أما إن كانت طاعة الوالدين تتنافى مع الوصية فإن الأبناء يرفضون هذه الطاعة بضمير مستريح ، فالإبن لا يطيع الأب في إنحرافاته ، فإننا لا ننسي يوناثان الذي لم يطع أباه في الشر "*وكلَّم شاول*

يوناثان إبنهُ وجميع عبيده أن يقتلوا داود . وأما يوناثان بن شاول فسُرَّ بـــداود جــداً . فأخبر يوناثان داود قائلاً شاول ابي ملتمس قتلك .. " (١صم١٩: ١-٧) والأبنة ينبغـــي أن ترفض طاعة الأم التي تدعوها للتبرج في الملابس والخلاعة فــــي التصـــرف متمسكة بقول معلمنا بطرس الرسول "*ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع٥: ٢٩)* .

لأن هذا حق .. فهذه الطاعة تتمشي مع الوصية الإلهيـــة" *لأن هـــذا مرضـــيٌ في الرب " (كو٣: ٢٠)* ، وهي أيضاً حق طبْيعى للوالدين اللذين تعبـــا فـــي تربيـــة أولادهما ، وليس تفضل من الأولاد على والديهم .

" اكرم أباك وأمك . التي هي أوَّل وصيةٍ بوعدٍ . لكى يكون لكـــم خـــيرٌ وتكونـــوا طوال الأعمار على الأرض " (٢،٣) .

هاتان الآيتان مقتبستان من سفرى الخروج والتثنيـــة ، فقـــد ورد فـــي ســـفر الخروج الوصية الخامسة "*اكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيـــك الرب إلهك " (خر٢٠ : ٢)* وورد في سفر التثنية "*اكرم أباك وأمك كما أوصـــاك الـــرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التـــى يعطيـــك الـــرب إلـــهك " (تث٥: ١٦)* وعندما إقتبس معلمنا بولس هذه الوصية أغفل منها الجـــزء الأخـــير الخاص بالأرض " الأرض التي يعطيك الرب إلهك " لأن امالنا لـــم تعـــد تتعلـــق بأرض كنعان إنما ترنو نحو كنعان السمائية التي كانت أرض الموعد رمزاً لـــها ، فاكتفى بقوله " وتكونوا طوال الأعمار على الأرض " والـــرب يســـوع ردَّ علـــى الكتبة والفريسيين الذين يبرّرون إهمال الوالدين بحجة تقديم الشئ لله قائلاً "*فـــإن الله أوصي قائلاً إكرم أباك وأمك ومن يشتم أباً أو أمّاً فليمت موتاً . وأما أنتم فتقولـــون .. " (تث١٥: ٤،٥)* .

اكرم أباك وأمك .. في القديم عاتب الرب أورشليم على خطايا اولادها الذيـــن لم يطيعوا أباءهم "*فيكِ أهانوا أباً وأمّاً " (حز٢٢: ٧)* وفي عتاب الرب مـــع شـــعبه اتخذ وصية إكرام الوالدين كقضية مسلّم بها" *الإبن يُكرمِ أباه والعبد يُكرمِ سيدهُ . فإن*

كنت أباً فأين كرامتى وإن كنت سيّداً فأين هيبتي " (مـلا ١ : ٦) وإن كانت الوصية طالبت باحترام الاشيب والشيخ المتقدم فى الأيام "*أمام الاشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ " (لا ١٩ : ٣٢)* فكم وكم احترام الوالدين ؟! يرد على هذا معلمنا بولس الرسول قائلاً "*قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدّبين وكُنّا نهابهم " (عب ١٢ : ٩)* .

اكرم أباك وأمك .. ابصر حام أبيه نوح عرياناً فلم يسرع ليستره بل أخبر أخويه فاستحق أن يلعن فى إبنه "*ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته " (تك ٩ : ٢٥)* ولولا أن الرب سبق وبارك حام للعنه أبوه الذى لم يجرؤ أن يلعن من باركه الله ، ويعقوب لم يكرم اباه إسحق بل خدعه فتعرض لخداع أولاده له وعندما وقف أمام فرعون قال "*قليلةً ورديَّةً كانت أيام سني حياتي ولم تبلغ إلى أيام سني آبائى فى أيام غربتهم " (تك ٤٧ : ٩)* وأبشالوم الذى قام على أبيه مات فى شبابه . أما ابنة يفتاح الجلعادى فإنها تُبكّت كل هؤلاء لأنه رغم النذر الخاطئ الذى نذره أبوها بتقديمها محرقة لإله السماء الذى لا يسرّ ولا يقبل الذبائح البشرية فإنها أطاعت قائلة "*يا أبى هل فتحت فاك إلى الربّ فافعل بي كما خرج من فيك " (قض ١١ : ٣٦)* ولم تفكر فى الهرب والنجاة بحياتها ، وبنى ركاب الذين اكرموا أبيهم يوناداب واطاعوه فلم يشربوا خمراً استحقوا المكافأة من الله "*هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم وحفظتم كل وصاياه وعملتم حسب كل ما أوصاكم به . لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل . لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام " (ار ٣٥ : ١٨، ١٩)* .

اكرم أباك وأمك .. فى الآية الأولي أوصي الله بالطاعة وفى الثانية يوصي بالإكرام ، والإكرام درجة أسمي وأرفع من الطاعة ، فإن الإكرام يدخل فيه مشاعر الحب والإحترام والتوقير والطاعة وتقديم المعونة ، وإن جاء وقت يكُفّ فيه الابناء عن الطلب من أبنائهم فإنه لن يأتى وقت يكف فيه الأبناء عن إكرام والديهم حتى لو أصابتهم الشيخوخة وألقت بهم إلى الضعف والمرض وعدم الإتزان وربما الغياب عن الوعى .

اكرم أباك وأمك .. وذلك بسلوك الأبناء فى الحكمة لأن " *الإبن الحكيم يسرُّ أباه والإبن الجاهل حزن أمه* " *(أم١٠: ١)* " *والإبن الجاهل غمُّ لأبيه ومرارة للتى ولدته* " *(أم١٧: ٢٥)* بل أن " *الإبن الجاهل مصيبة على أبيه* " *(أم١٩: ١٣)* وأيضاً بالسلوك فى النجاح ، فالإبن الناجح يكرم والديه لأنه مدعاة لسرورهم وفرحهم وفخرهم أما الإبن الفاشل فهو مدعاة لحزن أمه وخزى أبيه .. أيضاً إكرام الوالدين بإعالتهم ، ولا ننسى أن الرب يسوع فى وسط آلام الموت الرهيبة لم ينسى أمه بل عهد بها ليوحنا الحبيب .

التى هى أوَّل وصيةٍ بوعدٍ .. الوصايا الأربع التى تنظم العلاقة مع الله والتى تفوق فى العظمة الوصايا الستة التالية التى تنظم العلاقة مع الآخرين لم يصحبها وعد صريح ، أما هذه الوصية الخاصة بإكرام الوالدين فهى أول وصية يصحبها وعد إلهى بإطاعة العمر ، وهى أول وصية فى اللوح الثاني ، ويقول قداسة البابا شنودة الثالث " قد يقشعر البعض منا من جريمة القتل ، ويقول " حاشا لي أن أقتل أنني لست مجرماً " ولكن الله قال " إكرم أباك وأمك " قبل أن يقول " لا تقتل " هكذا بيَّن لنا مقدار الجرم الذى يرتكبه الإنسان إذا لم يُكرِم والديه " [٢٦]

لكى يكون لكم خيرٌ وتكونوا طوال الأعمار على الأرض .. الوعد فى هذه الوصية بطول العمر يتحقق عندما يعيش الإنسان فى خير وهدوء وسلام ، فعندما تمتلئ الأيام بالخير والبركة يعيش الإنسان حياته ، وعندما يعيش الإنسان فى سلام وهدوء يشعر بيومه وجمال العشرة مع الله ، فالطول هنا ليس فى الكم لأن الإنسان عمره مُحدَّد على هذه الأرض ولكن الطول يأتي عن طريق الكيف ، ومع هذا فإن بعض الأولاد الذين يكرمون والديهم ينتقلون من هذا العالم فى سن صغير لأنهم قد أتمُّوا رسالتهم ، والرب يسوع نفسه الذى أكرم والديه صُلب فى سن الشباب لأن هناك غاية أسمي من طول العمر على الأرض وهى خلاص البشرية .

---

[٢٦] اكرم أباك وأمك صـ٨ .

" وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربُّوهم بتأديب الرب وانذاره " (٤)

وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم .. لم يخاطب معلمنا بولس الأمهات لأنهنَّ ممتلئات حباً وحناناً ، وبحكم غريزة الأمومة يحتملن أولادهنَّ ويحتضنهنَّ ، ولكنه يخاطب الآباء حتى لا تكون معاملتهم فظة لأولادهم ، فيوصيهم أن لا يعطوا أوامرهم لأولادهم من برجٍ عالٍ فى تصلف وكبرياء . إنما يطلبون منهم بحسب واتضاع وذوق رفيع ، فيسبق الطلب كلمات اللطف وتلحقه كلمات الشكر والتشجيع فيعلم الأولاد طريقة التعامل المسيحيَّة ، ويحذرهم من المعاملة السيئة لأولادهم التى تُولّد فيهم الغيظ وتقودهم إلى العناد والتمرد والعدوانية والتخريب والفشل " *أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا " (كو٣: ٢١)* .

أيُّها الآباء لا تغيظوا أولادكم .. بل ابنوا جسور الثقة بينكم وبينهم ، وصادقوهم متبعين أسلوب الحوار والإقناع وليس أسلوب الأمر والنهى " أنا قلت هذا .. بدون ليه ..اسمع الكلام وبس " ، وإن كان هذا الأسلوب يحتاج وقت أطول ومجهود أكبر إلاَّ أنه يأتي بثمر أفضل.كونوا قريبين منهم تشاركونهم طعامهم وألعابهم والتنزُّه معهم . تمتدحونهم على كل تصرف إيجابي وتوجهونهم عند كل تصرف سلبى .. تتيحون لهم الفرصة لاتخاذ القرارات وحل المشاكل التى تواجههم. احترموا أراؤهم متبعين أسلوب النصح والإرشاد وليس أسلوب الإرغام ولا سيما فى القرارات المصيرية مثل تحديد نوع الدراسة التى يرغبون فيها ، فالأبوة مسئولية قبل أن تكون سلطة ، واستمعوا لنصيحة أب الآباء وراعى الرعاة قداسة البابا شنودة الثالث " لا تظنوا أن الأبوة مجرد سلطة كلاَّ ، أنها حب وحنان وعطف . أنها البال الطويل والقلب الواسع الذى يمرح فيه الإبن ويستريح . أنها البذل والتضحية .. إذا خلت الأبوَّة من حنانها تصبح لقباً ميتاً لا حياة فيه . وإذا إهتم الأب بمجرد السيطرة ، وأشبع فى نفسه شهوة الأمر والنهي ، لمجرد الأمر والنهى ، واعتزازه بمركزه فى الأسرة ، إذاً هو حاكم وسيد وليس أباً .. دلالة

الأبوّة على الحنان والرأفة هو ما قصده الرب إلهنا عندما طلب إلينا أن ندعوه [أبانا] "[٢٧] وما أجمل احساس أيوب بهذه المسئولية " *وبكّر فى الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم . لأن أيوب قال ربما أخطأ بنىّ وجدّفوا على الله فى قلوبهم . هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام "(أى١: ٥)* .

بل ربُّوهم .. لا نستطيع أن ننكر دور الأم فى التربية ، فهى غالباً ما تكون الإشبين لطفلها أو طفلتها فى العماد ، فهى المسئولة عن تربية أولادها فى مخافة الرب ، فترضعهم لبن الإيمان عديم الغش ، وأول كلمات تضعها على أفواههم هى مناجاة الله ومناداة القديسين . تمنحهم مذاقة الجسد المقدس والدم الكريم فيثبتون فى الكرمة ، ويشتمُّون رائحة البخور الجميلة ، ويشبعون بالطقس ، ويندرجون فى مدارس التربية الكنسيَّة ، ويندمجون فى الأنشطة الكنسيَّة فينمون مثل الغروس الجدد حول جداول المياه .

بل ربُّوهم .. كانت التربية اليونانية تنصب على تنشئة أولاداً أقوياء البنية لدرجة أنهم كانوا يتركون الطفل الضعيف البنية عاريًّا على الجبال حتى الموت ، وحتى الفتيات كانوا يدربونهنَّ تدربيات رياضية شاقة لكيما ينجبنَّ أطفالاً أقوياءاً أشداءاً . أما المسيحية فقد رفعت من قدر الأطفال ، ودعت الآباء ليربّوا أبناءهم ليكون كل منهم نموذجاً مصغراً من السيد المسيح فينالوا المكافأة منه ، ويقول يوحنا فم الذهب " إن كان البعض من أجل صنعهم التماثيل وطلاء صور الملوك ينالون كرامة عظيمة ، فكم بالأكثر نقبل نحن الذين نُزيّن صورة ملك الملوك - إذ الإنسان صورة الله - ربوات البركات إذ نُقيم مثالاً حقيقياً ؟! لأن المثال الحقيقي هو فى فضيلة الروح عندما نُدرِب أولادنا أن يكونوا صالحين ودعاء ومسامحين ومحسنين ورفقاء ، وعندما نربيهم أن ينظروا إلى العالم الحاضر كلا شئ "[٢٨] .

---

[٢٧] اكرم أباك وأمك صـ٣٤ .

[٢٨] مواقف الآباء ومشاكل البنين منشورات النور بلبنان صـ٣٤، ٣٥ - أورده القمص تادرس يعقوب فى الحب العائلى صـ١٣ .

بل ربُّوهم .. ربُّوهم لكيما يقضوا طفولة سعيدة ، ويجوزوا مرحلة المراهقة بسلام ، ويدخلوا فى مرحلة النضوج ، وهذا يحتاج منكم أيها الآباء أن تتعرفوا على سمات كل مرحلة وكيفية التعامل معها .. ربُّوهم بالقدوة أكثر من الكلام .. ربُّوهم بالتشجيع أكثر من التوبيخ ربُّوهم بالنصح والإرشاد بدون توجيه التهم إليهم وبدون وضعهم فى قفص الاتهام دائما لأن أتهامهم المستمر بالبلادة والتقصير والفشل يرسّخ فى ذهنهم هذه المشاعر ويفقدون الثقة فى ذواتهم .. ربُّوهم فى هدوء وترفق وفرح وبهجة وطول أناة .. ربُّوهم روحاً ونفساً وجسداً ولا تصرفوا اهتمامكم بالجانب الجسدي من غذاء وترفيه ونجاح دراسي وتهملون الجانب الروحي ، وحذار أن تمثلوا عائقاً أمامهم فى النمو الروحي فتمنعونهم من الذهاب للكنيسة بحجة ضيق الوقت ، وتمنعونهم من الأصوام بحجة ضعف الصحة الجسدية ، وتمنعونهم من التكريس بحجة الحاجة إليهم .

بل ربُّوهم .. ولكيما تربونهم تحتاجون أن تكونوا قريبين منهم لكيما تعرفوا سلوكهم داخل الأسرة وخارجها ، وتعرفون أصدقاؤهم . أما الأب الذى ينصرف كلية إلى عمله أو يسافر بعيداً لتدبير الأموال لهم ، والأم المثقَّلة بالعمل خارج وداخل المنزل .. تُرى كيف تكون ثمرتهما ؟! .. يقول القديس يوحنا ذهبى الفم " أننا نهتم بممتلكاتنا من أجل أبنائنا . أما أبناؤنا أنفسهم فلا نبالى بهم قط ! أية سماجة هى هذه ؟! .. أتريده غنياً ؟ علمه أن يكون صالحاً .. أيتها الأمهات شكّلن (بناتكنَّ) بهذه الكيفية فإنكن بهذا تنقذهن ليس وحدهن بل وتنقذن من يتزوجن بهنَّ ، وليس فقط أزواجهن بل وأولادهن ، وليس فقط أولادهن بل وأحفادهن !! لأن الجذر الصالح يخرج أغصاناً صالحة تصير إلى حالة أفضل ، وعن هذا تنالون مكافأة ! . إذاً لنفعل الأشياء التى لا تنفع نفساً واحدة بل تفيد نفوساً كثيرة خلال النفس الواحد " [٢٩]

---

[٢٩] أورده القمص تادرس يعقوب فى كتابه الحب العائلي صـ٣٩ .

بل ربُّوهم بتأديب الرب وإنذاره .. التربية الصحيحة تربط الطفل بالرب فيكون ولاءه للرب أكثر من أى شئ آخر ، وتضعه تحت سلطان الرب فتسكن فيه مخافة الرب ، وإن كان هناك حاجة للعقاب فلابد أن يسبقهِ الإنذار، لأن الإبن قد يرتكب الخطأ دون أن يدرى ويحتاج لمن يوجهّه وينذرهُ ، ويكون العقاب بقصد الإصلاح وليس بقصد الإنتقام الشرس الذى يُخلِف وراءه شخصية محطمة جبانة تعجز عن مواجهة المجتمع ، وإذ يعجز الإبن عن تحطيم والديه فإنه يحطم ذاته انتقاماً منهم ، وحذار أن يكون العقاب أمام الناس .

" أيها العبيد اطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوفٍ ورعدةٍ فى بساطة قلوبكم كما للمسيح " (٥) .

إنتشر العبيد فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية حتى زاد عددهم فى بعض المقاطعات عن عدد الأحرار ، ويقال أن عددهم فى القرن الأول بلغ ستون مليوناً ، وكان عددهم يزداد لأن كثيرين من الذين يتعرضون للأسر فى الحروب أو من قطاع الطرق أو من قراصنة البحار كانوا يُباعون كعبيد فى سوق الرقيق ، وبالتالى فإن ليس جميع العبيد قد ورثوا العبودية عن أبائهم ، وأيضاً ليس جميعهم يتميزون باللون الأسود ، وكان العبد فى ظل الدولة الرومانية لا يُعتَبر إنساناً له حقوق بل هو شئ من الممتلكات يتصرف فيه صاحبه كما يحلو له ، فالعبد المريض ليس له الحق فى كمية الطعام التى اعتاد عليها وهو يعمل وينتج ، وفى القديم عندما غزا العمالقة مدينة صقلغ وسبوا النساء ثم سعى خلفهم داود ، فوجدوا عبداً مصرياً ريفياً مُلقى فى الحقل لم يتذوق الطعام منذ ثلاثة أيام فأطعموه ، وسأله داود "*لمن أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ فقال أنا غلام مصرى عبد لرجلٍ عماليقي وقد تركني سيدى لأنى مرضتُ منذ ثلاث أيام*" *(١صم٣٠: ١٣)* والعبد المريض ليس له الحق فى الدواء لأن ثمن الدواء قد يفوق ثمن العبد نفسه ، والعبد العجوز غير القادر على العمل يطرح

خارجاً ليموت جوعاً لأنه صار مثل الآلة المكسورة ، وكان المواطن الروماني الشريف يرى أن العمل لا يليق به إنما هو من نصيب العبيد ، ولذلك عمل العبيد فى التدريس والسكرتارية والشئون المالية والطبية حتى أصبح لهم دور بارز فى الحضارة الرومانية .

وعندما جاءت المسيحية رفعت العبد إلى درجة الأخوة ، فمعلمنا بولس يقول عن انسيموس عبد فليمون "***لا كعبد فيما بعدُ بل افضل من عبد اخاً محبوباً " (فل١٦)*** وتحدث معلمنا بولس عن الرب يسوع الذى صار عبداً لأجلنا "***لكنه أخلى نفسه اخذاً صورة عبد" (في٢: ٧)*** وكان يلذ له أن يدعو نفسه عبداً للمسيح ، وبهذا المفهوم كاد بولس الرسول أن يعتبر العبيد أعضاءاً فى البيت المسيحي ، فأدمج الوصية الخاصة بهم مع الوصية الموجهة للزوجين والأولاد .. أليسوا مع سادتهم أبناء معمودية واحدة وجميعهم أخوة فى المسيح ؟!

وقد يتساءل البعض : لماذا لم تصرح المسيحية بتحرير العبيد ؟ ويمكن إجمال الإجابة فى النقاط الآتية :

١-لأن المسيحية انصب اهتمامها على تحرير الإنسان من عبودية الشيطان.

٢- تكفل المسيحية للإنسان المسيحي النجاح مهما كانت ظروفه وأوضاعه الإجتماعية .. ألم يكن يوسف عبداً ناجحاً لأن الرب كان معه ؟! .. لقد آمن عدد كبير من العبيد وكانوا ناجحين فى عملهم حتى إرتفع ثمن العبد المسيحي عن نظيره الغير المسيحي .

٣- لم ترغب المسيحية فى نشوب ثورة دموية ، ولا سيما أنه فى تلك العصور قام العبيد بثورات متكررة .

٤- ارست المسيحية دعائم الأخوة بين العبيد والسادة وهذه ضد فكرة العبودية ، ومن دواعى فخرنا أن كتابنا المقدس قد أفرد وصايا عديدة للعبيد المؤمنين مساوياً بينهم وبين الأحرار "***دُعيت وأنت عبد فلا يهمك بل وإن استطعت أن تصير***

حرًا فاستعملها بالحرى. لأن من دُعى فى الربّ وهو عبد فهو عتيق الربّ . كذلك أيضاً الحرُّ المدعوُّ هو عبد للمسيح . قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس " (اكو٧: ٢١-٢٣) أى لا تستعبدوا أنفسكم لأحد حتى لو كانت أجسادكم مستعبدة

٥- لقد وضعت المسيحية بذرة تحرير العبيد ولكن تربة البشرية الصلبة الجامدة المتبلدة هى التى تأخرت حتى أينعت هذه الثمرة على يد " ابراهام لنكولن ".

وإن كان عهد العبيد قد مرَّ وزال وانتهت تجارة الرقيق ، فإن هذا النص ينطبق الآن على العمال ورب العمل ، وعلى الموظفين ورؤساؤهم ، فهو إذاً ليس نصاً عاطلاً بل عاملاً وفاعلاً فى نفوس الكثيرين يرشدهم إلى جدة الصواب .

أيها العبيد أطيعوا سادتكم .. وكلمة " أطيعوا " المستخدمة هنا فى الأصل اليوناني هى ذات الكلمة التى استخدمها بولس الرسول وهو يوصي الزوجات لإطاعة أزواجهنَّ ، وهى أيضاً المستخدمة لخضوع الأولاد لأبائهم ، فهذه الطاعة تُقدم فى قناعة وحب ، ولذلك يطلب منهم معلمنا بولس أن يجتهدوا لكيما يرضوا سادتهم فى كل شئ " والعبيد أن يخضعوا لسادتهم ويرضوهم فى كل شئ "(تي٢: ٩) وذلك حتى لا يُفترى على إسم الله الذى يؤمنون به " ***جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه " (اتي٦: ١)*** ومعلمنا بطرس يطلب منهم أن يقدموا الخضوع والهيبة لأسيادهم مهما كانوا قساة لأن إخلال طرف بالتزاماته لا يعطي المبرر لتملص الطرف الآخر من واجباته " ***أيها الخدَّام كونوا خاضعين بكل هيبةٍ للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء أيضاً " (ابط٢: ١٨)*** .

أطيعوا سادتكم حسب الجسد .. الكلمة اليونانية التى استخدمها معلمنا بولس للتعبير عن السيد هى " كيريوس " ذات الكلمة التى أُطلقت على السيد المسيح ذو الحب والحنان والرأفة والشفقة ، ولم يستخدم كلمة " دسبوت " التى تصف الحاكم المستبد القاسي ، وهنا يوجه معلمنا بولس نظر العبيد إلى أرواحهم الحرة التى ليس لسادتهم سلطان عليها ، فكل سلطانهم فى حدود الجسد تلك الصدفة الخارجية التى

تحوى اللؤلؤة الكثيرة الثمن أى الروح وهذه تخضع لسلطان الرب الإله الذى اشترانا بدمه ، وهذه العبودية ستنتهى بخلع هذا الجسد ثم يقوم الإنسان الأمين فى حرية ومجد عظيم ، وقد يفوق العبد سيده فى هذا المجد .

بخوفٍ ورعدةٍ فى بساطة قلوبكم كما للمسيح .. طلب معلمنا بولس من العبيد أن يطيعوا سادتهم بخوف ورعدة ليس خوفاً ورعباً من العقاب البدني ولكن احتراماً وتقديراً لهؤلاء السادة وطاعة وخضوعاً للسيد المسيح ، والخضوع يكون فى بساطة بدون خداع ولا احتيال لأن المسيح الرب عيناه تخترقان أستار الظلام .

" لا بخدمة العين كَمَنْ يُرضي الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب " (٦)

لا بخدمة العين كَمَنْ يُرضي الناس .. "خدمة العين " فى الأصل اليوناني كلمة واحدة مركَّبة تعبر عن العبد الذى يربط عمله بعين سيده التى ترقبه ، فالدافع الذى يحركه هو تحاشئ العقاب لا غير ، فهو عبد ذليل يخدم وعيناه ترقبان عينى سيده الأرضي . أما العبد المسيحي فهو يعمل بأمانة وإخلاص وحب بغض النظر عمن يراه من الناس ، وهكذا الإنسان المسيحي سواءً كان عاملاً أو موظفاً فهو لا يربط عمله بعين رئيسه التى تراقبه ، بل يهتم بعمله ويبذل أقصي جهده شاعراً أنه يقدم هذا العمل لله وليس للناس ، وأكثر من هذا يشعر أن الرب يسوع الذى غسل أقدام تلاميذه يعمل معه . إن هذا يا صديقى يذكرنى بأحد الشباب الذى كان يتعب كثيراً فى عمله إذ يقوم بتوزيع بعض المنتجات على " التروسكل " ، وفى مرة وهو يدفع التروسكل فى طريق صاعد لأعلى سقط على الأرض هو والتروسكل والمنتجات التى يحملها ، وقبل أن يمتلئ قلبه بالحزن والغضب والتذمر لمح الرب يسوع ساقطاً معه على الأرض فامتلأ قلبه فرحاً وقام ليستكمل عمله برضي وسعادة ، وسيدة كانت تخدم المرضي رغم كبر سنها ، وبينما هى تغسل ملابس أحد

المرضي المقعدين بدون تأفف وإذ بالرب يسوع يمد يده ويغسل معها هذه الملابس غير النظيفة .. لك المجد ياربي يا من تهتم بعملي مهما كان حقيراً .

لا بخدمة العين كَمَنْ يُرضي الناس .. وأيضاً " يُرضى الناس " في الأصل اليوناني كلمة واحدة مركّبة تعبر عن الاهتمام بارضاء الناس حتى لو كان رضاؤهم يتعارض مع رضاء الله "*أفاستعطف الآن الناس أم الله ؟ أم أطلب ان ارضي الناس . فلو كنت بعدُ أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح" (غل١: ١٠)* فالخادم ينبغي أن ينصب إهتمامه على إرضاء الله أولاً وأخراً ، ولا يكن المحرك والدافع له نظرة الأب الكاهن له ورأى أمين الخدمة فيه ، ولا يحول خدمته إلى محاولة لتحقيق وإثبات الذات أمام المخدوّمين واضعاً عينيه أنه عبد للمسيح ، وهذا ينطبق على كل إنسان في مكان عمله ومجال خدمته .

بل كعبيد المسيح .. وهنا يقدم معلمنا بولس الحافز للعبيد لكيما يكونون أمناءاً في خدمتهم . أنه يسمو بالعبيد من عبيد للناس إلى عبيد للمسيح الرب الإله ، وعبد المسيح هو الإنسان الذى تحرّر من عبودية الشيطان ، وأيضاً تحرر من الخوف ، وكل ما يعمله لتمجيد إسم الله .

عاملين مشيئة الله من القلب .. إذاً العمل يُقدّر بمدى مطابقته لمشيئة الله ، والعبد الذى يعمل مشيئة الله أفضل بما لا يقاس من السيد الذى لا يعمل مشيئة الله ، والرب يسوع المثال الكامل الذى نتبع أثر خطواته قد علمنا هذا" *لأني قد نزلت من السماء لأعمل لا مشيئتي بل مشيئة الذى أرسلني" (يو٦: ٣٨)* .

" خادمينْ بنيّة صالحة كما للرب ليس للناس " (٧)

هذه الآية والآية اللاحقة تفسران نهاية الآية السابقة " عاملين مشيئة الله من القلب" فالقلب هو موضع النية ، ومتى كان القلب صالحاً فالنية بالتالى تكون صالحة.

خادمين بنيّة صالحة .. لقد اخترق معلمنا بولس حاجز العمل الظاهري

ووصل إلى الدافع الداخلي للعمل هل هو إرضاء السيد الأرضي أم أنــه إرضــاء للسيد السمائي ؟ والعبد الذى مات ضميره بدأ معلمنا بولس يوقظه ثانية مؤكداً علــى النية والضمير ، وهكذا كل عامل وموظف مسيحي ينبغى أن يؤدى عملــه بــدون ضجر ولا تذمر ولا حقد بل يعمل بنية صالحة برضي واقتناع واحساس أن عملــه مقدم للرب وليس لصاحب العمل الذى لا يوفيه حقه .

كما للرب ليس للناس .. العمل الذى يقوم به الإنسان بأمانة يحتسبه الله كأنــه مُقدَم له شخصياً ، وإن كان رب العمل لا يكافئه عليه كما يجب فإن الــرب الإلــه العادل لابد أن يكافئه بطريقة أو بأخرى سواء فــى هــذه الأرض أو فــى الأرض الجديدة ، ولذلك فى حديث معلمنا بولس الرسول هذا يضع السيد المســيح كــهدف ثلاث مرات :

١- " أيها العبيد اطيعوا سادتكم .. كما المسيح " .

٢- " لا بخدمة العين .. بل كعبيد المسيح " .

٣- " خادمين بنية صالحة كما للرب .

" عالمين أن مهما عمل كلُ واحدٍ من الخير فكذلك ينالهُ من الربّ عــبداً كــان أم حرّاً " (٨)

يرفع هنا معلمنا بولس الرسول نظر العبيد وكل العاملين إلى الحياة المســتقبليَّة فالحياة ليست فى هذه الأرض فحسب بل أنها ممتدة إلى العالم الآخر ، فإن لم يجــد الإنسان الأمين هنا كلمة شكر ، ولم يحصد غير النقد والتوبيخ فليعلم يقيناً أنه سينال أجرة عمله من الرب ، والمكافأة الحقيقية هى التى تدوم إلى الأبد ***" نعِمًا أيها العبــد الصالح والأمين .. " (مت٢٥: ٢١)*** ، فهذه الآية تهب العزاء لكــل إنســان تحــت نيرٍ لأن الجميع سيقفون فى صف واحد أمام منبر المسيح العادل ***" لأنــه لابــد أننــا جميعا نُظهَر أمام كرسي المسيح لينالَ كل واحدٍ ما كان بالجسد بحســب ما صنــع خيراً***

كان أم شرًا " (٢كو٥: ١٠) ولذلك فنصيب العبد الأمين أفضل بما لا يقاس فبنصيب السيد المتهاون حتى لو كان فى العالم سيد الأسياد ورئيس الرؤساء وعظيم العظماء وزعيم الزعماء ومثال وقدوة للكثيرين *"لا تضلُّوا . الله لا يُشمخ عليه . فإن الذى يزرعه الإنسان إيّاه يحصد أيضاً " (غل٦: ٧)* .

" وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور تاركين التهديد عالمين أن سيّدكم أنتم أيضاً فى السموات وليس عنده محاباة " (٩)

لا يلقى الإنجيل بالمسئولية على طرف واحد دون الآخر ، وإن كان بدأ بحض الطرف الضعيف على الإلتزام بواجباته فإنه لم يحابِ الطرف القوى بل ذكّره أيضاً بواجباته .

وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الأمور .. ليس المقصود أن يقوم السادة بعمل العبيد ، ولكن المقصود أن يعاملونهم بخوف الله وبساطة قلب ونية صالحة وضمير مستقيم ، وإن كان سيد الأسياد هو الذى شدَّ وسطه وانحنى ليغسل أرجل العبيد ، ويقول القديس يوحنا فم الذهب " ما هى هذه الأمور ؟ " خادمين بنية صالحة " على أى الأحوال لم يقل فعلاً " اخدموهم " بل بوضوح أظهر هذا المعنى ، فالسيد نفسه هو خادم (لعبده) .. آه ، أيُ سيد قدير هذا الذى يشير إليه هنا ؟! "[٣٠]

تاركين التهديد .. كأن السادة يكثرون من لغة التهديد والتخويّف لعبيدهم بينما كانت الوصية *" لا تتسلط عليه بعنف بل اخشي إلهك " (لا٢٥: ٤٣)* ، وأيضاً فى هذا العصر كثيراً ما يستخدم رب العمل هذه اللغة الغير إنسانية مع العاملين معه . أما المعاملة الإنسانية برقة القلب والمحبة والكلمة الطيبة فإنها تقود العامل أو الموظف إلى الإخلاص والتفاني فى العمل فى العلن والخفاء أيضاً .. ألم يكن لإبراهيم عبيداً

[٣٠] اورده القمص تادرس يعقوب فى تفسير رسالة أفسس صـ١٥٠ .

كثيرين؟ كيف كان يعاملهم ؟ ألم يأتمن عبده لعازر الدمشقى على زواج إبنه الوحيد ؟ وهوذا بولس الرسول يزرع العلاقات الإنسانية التى كانت منعدمة بين السادة والعبيد ويرفعها إلى مستوى علاقة الله بنا ، إذ ونحن عبيده أحبَّنا وسلَّم ذاته عنا .

عالمين أن سيّدكم أنتم أيضاً فى السموات وليس عنده محاباة .. قال معلمنا بولس للعبيد " عالمين أن مهما عمل واحد فذلك يناله من الرب " وهنا يقول للسادة " عالمين أن سيّدكم أنتم أيضاً فى السموات " فهو يوجه نظر العبيد والسادة للرب الواحد يسوع المسيح الذى ينظر بعين واحدة بلا محاباة للعبيد والسادة على السواء لأن الكل صنعة يديه "***وصنع من دم واحدٍ كلَّ أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض*** " ***(أع١٧: ٢٦)*** .. فهو السيد العالى فى السموات "***لأن فوق العالي عالياً يلاحظ والأعلى فوقهما*** " ***(جا٥: ٨)*** وهو الديان الذى يأتى من السموات ***(١تس٤: ١٦ ، ٢تس١: ٧)*** وهو الذى ليس عنده محاباة "***لأنه ليس عند الربّ إلهنا ظلم ولا محاباة ولا إرتشاء*** " ***(٢أي١٩: ٧)*** وقال معلمنا بطرس "***أن الله لا يقبل بالوجوه*** " ***(أع١٠: ٣٤)*** ولا يفلت من يده ظالم "***وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة*** " ***(كو٣: ٢٥)*** .

ثانياً : الجهاد الروحي (١٠-٢٠)

" ١٠ أخيراً ياأخوتى تقوّوا فى الرب وفى شدّة قوته ١١ البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تثبتوا ضدَّ مكايد ابليس ١٢ فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحمٍ بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات ١٣ من أجل ذلك إحملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تقاوموا في اليوم الشرير وبعد ان تتمّموا كلَّ شيء ان تثبتوا ١٤ فاثبتوا ممنطقين احقاءكم بالحق ولابسين درع البرّ ١٥ وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام١٦ حاملين فوق الكل ترس الايمان الذي به تقدرون ان تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة ١٧ وخذوا خُوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله ١٨ مصلّين بكل صلاةٍ وطلبةٍ كلَّ وقتٍ في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبةٍ وطلبةٍ لأجل جميع القديسين ١٩ ولأجلي لكي يُعطىَ لي كلام عند إفتتاح فمي لأعلم جهاراً بسرّ الانجيل ٢٠ الذي لأجلهِ أنا سفير في سلاسل.لكي أجاهر فيهِ كما يجب أن أتكلم " (١٠-٢٠) .

بعد أن أمضينا وقتاً لطيفاً فى البيت المسيحي المؤسَّس على الصخر ، ورأينا فيه الزوجة المؤمنة المطيعة الخاضعة لزوجها برضي واقتناع ، بعد أن إرتضت أن تُسلِّم نفسها له لكيما يقود سفينة حياتها ويبذل نفسه من أجلها ويسرع إلى ما يسر قلبها ، ورأينا ثمرة البطن من الرب تنمو مثل غروس الزيتون الجدد حول المائدة يملأون البيت بهجة وسعادة وتسبيحاً وصلاة يقدمون الطاعة والخضوع لوالديهم الذين يقدمون حياتهم من أجلهم قدوةً ومثالاً وبذلاً وتضحية ، ورأينا العبيد كأعضاء حيَّة فى جسد المسيح يخدمون بجد ونشاط وأمانة وحب ، لا بخدمة العين ولكن كأنهم يخدمون الرب ذاته ، والسادة يشفقون عليهم ويترفقون بهم .. كم كنا نود أن نطيل البقاء فى هذا الجو الهادئ الصافى المنعش المملؤ نعمة وسلاماً وحباً ووئاماً وثقة وإيماناً نتمتع بتسابيح الملائكة مع البشر فى سيمفونية رائعة ترتفع أمام العرش الإلهي ، ولكن إذ بمعلمنا بولس الرسول ينقلنا نقلة مفاجئة إلى ميدان الحرب وساحة الجهاد حيث صليل السيوف والسهام الملتهبة ناراً .. أنه يريد أن يخبرنا بأن الحياة ليست كلها عذبة دافئة ، وليست هى فرحة بالتجلى دائمة ، ولكن لابد من الحروب ولابد من صليب الجلجثة .

ولاشك أن بولس الرسول وهو يسجل هذه الفقرة وإذ هو سجين ترتبط يمناه بيسري الجندى الرومانى بسلسلة لابد أنه تأمل كثيراً فى منظر الجندى الروماني فى ساحة الوغى وربط هذا المنظر بما يجب أن يكون عليه جندى المسيح .

وقد يكون لاح أمامه يشوع بن نون واقفاً منبهراً أمام رئيس جند الرب ***" وحدث لما كان يشوع عند اريحا أنة رفع عينيه ونظر وإذا برجلٍ واقف قبالته وسيفه مسلول بيده " (يش٥: ١٣)*** وذلك قبل أن يدخل يشوع بشعب الله إلى أرض كنعان ليخوضوا حروباً شرسة مع شعوب الأرض ويلمسوا قوة الله العجيبة التى أسقطت أسوار أريحا ، وبعد أن أمر الرب يشوع فصنع سكاكين من صوان وختن بنى إسرائيل فاختتنوا فى الجلجال ودحرجوا عنهم عار مصر (يش٥: ٢-٩) ، والختان رمز المعمودية . إذاً الحروب الروحيَّة تبدأ من المعمودية عندما يجحد الإنسان

الشيطان وكل طرقه الرديَّة ونواميسه الشريرة وأفكاره المُضلَّة ، فلا يتركه الشيطان بل يظل يتعقبه ويثير عليه الحروب ، وليس للإنسان طاقة لرد هذه الهجمات الشيطانية إلاَّ بالمعونة الإلهيَّة وسلاح الله الكامل الذى يشمل :

١- التمسك بالحق .
٢- الإكتساء ببرّ الإنجيل .
٣- السعى لنشر إنجيل السلام .
٤- التمتع بالخلاص .
٥- التمسك بالإيمان القويم .
٦- التسلح بكلمة الله .
٧- الصلاة الدائمة الحارة .

ويقتصر دورنا فى هذه الحرب غالبا على الثبات فى حصوننا لأننا نقوم بالدفاع أكثر من الهجوم ، ولذلك وردت كلمة " اثبتوا " فى هذه الفقرة ثلاث مرات (ع١١،١٣،١٤) وهى تعتبر الكلمة المحورية التى يدور حولها هذا الفصل .

" أخيراً ياأخوتى تقوّوا فى الرب وفى شدّة قوته " (١٠)

أخيراً ياأخوتى .. أخيراً تعنى " بقى لي أن أقول " فبعد أن كتبت لكم ما أريد من جانب تعليمي وجانب عملى ، واسديت النصح والإرشاد لكل مجموعة منكم على حدة ، أريد أن أكتب لكم عن موضوع يخصنا جميعاً وهو الجهاد الروحي ضد قوات الظلمة فنحن نخوض حرب شرسة حامية الوطيس على عدو شرس وأسد جريح تتعرَّض مملكته للإنهيار ، فمن منا ياأحبائى لا يتعرَّض لمحاربات شرسة من عدو الخير سواء زوج أو زوجة أو أولاد أو سادة أو عبيد ؟! وحقا قال د.ق إبراهيم سعيد " فمع أن الخلاص بالنعمة إلاَّ أن هذا لا يعفى المؤمن من الجهاد الروحي لأن " ملكوت الله يغصب " وإن كان البار بالجهد يخلص فالخاطئ والفاجر أين يظهران ؟ " [٣١]

أخيراً ياأخوتي .. لم يذكر بولس الرسول لقب أخوتي فى هذه الرسالة إلاَّ

---

[٣١] شرح أفسس - إبراهيم سعيد صـ٤٣٨-٤٣٩ .

فى هذا المكان مُشيراً بهذا أننا جميعاً تحت الضعف نحتاج للمعونة الإلهيَّة ، فيناديهم " ياأخوتي " فى الإيمان حتى وإن كنت لم ألتقي بكم من قبل ولم أتعرَّف عليكم.. " ياأخوتى " الذين تعيشون فى زماني وفى كل زمان ومكان لأنكم وُلدِتم من ذات البطن " جرن المعمودية " التى وُلِدت أنا منها .

تقوَّوا فى الرب .. سرُّ القوة هو الإلتصاق بالرب " ***إسم الرب برج حصين يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع*** " *(أم١٨ : ١٠)* وروح الله القدوس هو مصدر القوة " ***لكنكم ستنالون قوَّة متى حلَّ الروح القدس عليكم*** " *(أع١ : ٨)* ، وهذه الوصية "تقوَّوا" وصية واجبة مستمرة ، فلا ننال هذه القوة مرة واحدة لكننا ننالها بصفة مستمرة من الرب المصلوب الفاتح ذراعيه والواقف على باب القلوب يقرع ، وهو مستعد أن يمنحنا القوة بحسب غناه فى المجد "***لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيَّدوا بالقوة بروحهِ فى الإنسان الباطن*** " *(أف٣: ١٦)* والإنسان الحكيم هو من يدرك ضعفه وحاجته للقوة الإلهيَّة " ***إختار الله جُهَّال العالم ليخزي الحكماء . واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء*** " *(١كو١: ٢٧)* فإن لم نأخذ هذه القوة المجانيَّة فلن تكون لنا حجة عندما يسحقنا الشيطان لأن قوة الله متاحة لمن يريد وذراع الله ممتدة لمن يرغب . أما الذين يعتمدون على قوتهم الذاتية فإنهم يتعرضون للفشل ، والذين يعتمدون على حماسهم الشخصي مثلهم مثل الذين يوقدون ناراً غريبة على مذبح الرب .

تقوَّوا فى الرب .. إن كان الشيطان هو القوى فالرب يسوع هو الأقوى هكذا قال معلمنا الصالح " ***حينما يحفظ القويُّ داره متسلحاً تكون أموالهُ فى أمان . ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبهُ وينزع سلاحهُ الكامل الذى اتَّكل عليه ويوزع غنائمه*** " *(لو١١: ٢١،٢٢)* .. حقاً أن الأعداء أشداء أقوياء جبابرة ، وحقاً أن رئيس خلاصنا هو الأقوى فهو ضابط الكل ، وحقاً عندما نتذرع بقوة الله ونقاوم إبليس يهرب منا " ***قاوموا إبليس فيهرب منكم*** " *(يع٤: ٧)* .

تقوّوا فى الرب .. كيف نتقوى فى الرب ؟

عندما نثبت فى الرب ثبات الأغصان فى الشجرة وثبات الجريد فى النخلة فإن الرياح لا تقوى علينا .. عندما نرفض كل أفكار الشيطان ومشورته فلن يجد له فينا موضعاً .. عندما نقاطع كل بضائعه التى يعرضها علينا لن يكون له سلطاناً علينا ***" رئيس هذا العالم يأتى وليس له فيّ شئ " (يو١٤: ٣٠)*** وقال الحكيم ***" النفس الشبعانة تدوس العسل " (أم٢٧: ٧)*** وقال القديس اغسطينوس " وقفت على قمة هذا العالم عندما أصبحت لا أخاف شيئا ولا أشتهي شيئاً " فالشجاعة ورفض الشهوات ورفض الأفكار والإغراءات والعروض الشيطانية أول بأول يشل حركة الشيطان فلا يقوي علينا بنعمة المسيح .

تقوّوا فى الرب وفى شدّة قوته .. شدّة قوته التى أشار إليها معلمنا بولس فى بداية الرسالة فهى قدرة الله الفائقة التى أقامت الرب يسوع من الأموات ، فنحن نحتاج لذات القوة وعندما نحتمي بها نصير مثل الوبار الضعيف الذى يضع بيوته فى الصخر فيجد الحماية والأمان ***" الوبار طائفة ضعيفة ولكنها تضع بيوتها فى الصخر " (أم٣٠: ٢٦)*** وعندما نلتصق بصخر الدهور نكون فى أمان .

تقوّوا فى الرب وفى شدّة قوته .. يردّدها بولس الرسول الجبار فى الحروب والعملاق فى الصراع مع مملكة الظلمة .. يردّدها بعد أن اختبرها سنوات عديدة وهو يتجه شرقاً وغرباً يهدم حصون العدو التى بناها وحصنها وسجن فيها آلاف وملايين الأنفس على مدار مئات السنين ، فأتي بولس الرسول بشدة قوة الرب يسوع وبشّر من أورشليم إلى الليريكون بما فيها روما بل وبيت قيصر نفسه وأطلق بقوة الله أسرى الحصون ***" إذ اسلحة محاربتنا ليست جسديّة بل قادرة بالله على هدم حصون " (٢كو١٠: ٤)*** .

" البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تثبتوا ضدَّ مكايد ابليس " (١١)

البسوا سلاح الله الكامل .. كلمتى " السلاح الكامل " وردت فى اليونانية كلمة واحدة لتعبر عن وحدة السلاح ككل فلا يأخذ الإنسان جزءاً من هذا السلاح ويترك الآخر ، لأن هذا السلاح الكامل هو الرب يسوع " **ألبسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات** " (رو١٣: ١٤) وقال القديس ايرونيموس " إن من يقرأ هذا الفصل ويقابله بما يماثله فى الكتاب المقدس فلا مفر له من أن يخرج بهذه الحقيقة الواضحة ، وهى أن الرب يسوع هو المحارب ، وإنه هو نفسه السلاح الكامل " [٣٢]

البسوا سلاح الله الكامل .. سلاح الله الكامل هو اسم الرب الذى احتمى به الفتى داود فى مواجهة جليات الجبار " ***أنت تأتى إليَّ بسيف وبرمح وبترس . وأنا آتي إليك بإسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل*** " *(١صم١٧: ٤٥)* ودعى معلمنا بولس هذا السر " ***بسلاح البر*** " *(٢كو٦: ٧)* و " ***أسلحة النور*** " *(رو١٣: ١٢)* و " ***درع الإيمان والمحبة*** " *(١تس٥: ٨)* وسلاح الله يقدمه الله لمن يريد ويحتاج إليه مجاناً ، وليس على الإنسان إلاَّ أن يتقلده فقط ويتقدم لعرس ابن الملك ، ولا يكون مثل الإنسان الذى لم يرتدى ثياب العرس التى يهبها الملك مجاناً فتعرض للطرد من حفل العرس .. هذا هو سلاح الله الكامل صليب ماسياس الذى به نهزم العدو كما هزم قسطنطين أعداءه . أما سلاح الإنسان فهو سلاح ناقص لأنه أى إنسان يستطيع أن يهزم قوات الظلمة بقوته الذاتية أو حكمته البشرية ؟! .. هذا ما لم وما لن يحدث لأن الشيطان أقوى وأحكم بما لا يقاس من الإنسان المعتمد على ذاته .. لذلك دعنا ياصديقي نتمسك بقوة أقنوم الحكمة لكيما يكون لنا نصرة وحياة أبدية فى ملكوته .

لكى تقدروا أن تثبتوا ضدَّ مكايد إبليس .. غاية حمل سلاح الله الكامل هو الثبات حتى النهاية أمام مكايد إبليس ، والصورة هنا ليست صورة هجوم لكنها

---

[٣٢] شرح افسس – إبراهيم سعيد صـ٤٤٠، ٤٤١ .

صورة دفاع للنفس المتحصنة بإسم الرب ضد مكايد إبليس ، ولا يصلح للإنسان المسيحي أن يقف على الحياد أو يكون بينه وبين إبليس مهادنة أو سلام لأنه هو المستهدف فى الحرب الدائرة بين الله وإبليس ، ومعنى التخلى عن الحرب ورفع الراية البيضاء هو الاستسلام لجهنم النار وضياع مستقبل الإنسان الأبدي .

لكى تقدروا أن تثبتوا ضدَّ مكايد إبليس .. فكل حروب إبليس تستهدف خروج الإنسان من دائرة الله الحصينة ، ومتى نجح إبليس فى هذا فإنه يقتنص النفس بسهولة ، وفى حروبه هذه لا يقدم لنا الخطايا الكبيرة الظاهرة إنما يدفع بالثعالب الصغيرة المفسدة للنفس ، وهو بارع فى التمويه والخداع والمراوغة والمناورة ، فيلبس الخطية ثوب الفضيلة والباطل ثياب الحق " ***ولا عجب . لأن الشيطان نفسه يغير شكله فى شبه ملاك نور " (٢كو١١: ١٤)*** وهو نهاز للفرص ومستغل للمناسبات فيستغل مناسبات الأفراح لكيما يجذب الإنسان للمسرات الجسدية والانحلال الخلقي ، ويستغل مناسبات الأحزان ليجذب النفس إلى اليأس وصغر النفس ، ويجيد استخدام عنصر المفاجأة فيطرح أمامنا فى ظروف غير متوقعة أموراً مفاجئة تثير الغرائز بشدة مثل غريزة الغضب والإنتقام والحقد والشهوة والخوف .. إلخ ، ولا يكف عن الإلحاح والزن على الودان الذى هو كما يقولون أقوى من السحر ، وهو خبير بالحروب لا ينعس ولا ينام ليلاً ولا ونهاراً ، ولا يملّ ولا يكلّ فى الحروب .. أنه جبار بأس أسقط إبراهيم أب الآباء فى خطية الكذب ، وموسي الحليم فى خطية الغضب ، وأعد لداود مرنم إسرائيل الحلو إمرأة عارية تستحم على السطح وهذا أمر غير عادى وبعث فى نفس داود الملل والسأم وعندما صعد على السطح أكسَب إبليس هذه المرأة جمالاً فتّاناً وجاذبية إبليسية فكانت النقطة السوداء فى حياة داود التى جرت عليه وبالاً وخراباً وفضيحة وعاراً .. لذلك ياأحبائي ليس لنا إلاَّ أن نتحصن فى القوة الإلهيَّة حيث الأمان والاطمئنان " ***حبيب الرب يسكن لديه آمناً . يستره طول النهار وبين منكبيه يسكن " (عد٣٣: ١٢)*** .

" فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر على أجناد الشرّ الروحيَّة فى السماويَّات " (١٢)

فإن مصارعتنا .. كانت الحرب قديماً تنشب بين الأطراف المتصارعة على مرآي البصر حيث تستخدم السهام والرماح والمنجنيق وهذه جميعها قد تصيب وقد تخطئ ، وأحياناً تلتحم الجيوش شاهرة السيوف فى حرب رهيبة لذلك دُعيت الحرب بالملحمة ، وأحياناً تتحطم السيوف فيدخل الخصمان فى صراع حتى يصرع أحدهما الآخر وهذه المصارعة هى أشد أنواع القتال وهو ما نواجهه من قبل قوات الظلمة وأجناد الشر .

ليست مع دمٍ ولحمٍ .. إشارة إلى أن مصارعتنا ليست مع البشر لكنها مع القوات الروحيَّة الساقطة ، وقد استخدم الرب يسوع والإنجيل تعبير " لحماً ودماً " للتعبير عن الإنسان (مت١٦: ١٧، غل١: ١٦) فإن قام الناس علينا فهذا ليس منهم ولكن من عدو الخير الذى يحركهم ، ولذلك تصلى الكنيسة لله ليحمينا من الشياطين الذين ليسوا هم من دمٍ ولحمٍ قبل الأعداء من البشر " وقيام الأعداء الخفين والظاهرين انزعها عنا وعن سائر شعبك وعن موضعك المقدس هذا " (صلاة الشكر) .

بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم .. كان الرؤساء والسلاطين من الرتب الملائكية (كو١: ١٦) ولكنهم تكبروا فانفصلوا عن الله وسقطوا . أما الذين لم يسقطوا فهم الذين تحلوا بالاتضاع حتى أنهم يتعلمون حكمة الله من خلال معاملته مع الكنيسة كما رأينا من قبل (أف٣: ١٠) ، ولذلك فإن هؤلاء القوات الذين سقطوا وقد فقدوا رتبتهم ولم يفقدوا قوتهم يفرحون بكل إنسان يتكبَّر وينتفخ فيضمونه إلى صفوفهم ويعلمونه الكبرياء على أصولها التى هى أسرع الطرق للهاوية ، ودعاهم الكتاب ولاة هذا العالم نظراً لسلطانهم على أبناء العالم ، ودُعي إبليس " *برئيس فارس* " *(دا١٠: ١٣)* و " *رئيس اليونان* " *(دا١٠: ٢٠)* .

- **على ظلمة هذا الدهر** .. قوات إبليس هى قوات الظلمة التى لا تحب النور بل

تهرب منه لأن النور هو الله .. قوات الظلمة فى الظلمة تعيش ، وقد حوّلت هذا الدهر إلى ظلمة أما نهايتها فهى الظلمة الخارجية .. قوات الظلمة التى قادت المعركة ضد الرب يسوع. " *هذه ساعتكم وسلطان الظلمة* " *(لو٢٢: ٥٣)* وانتهت المعركة بصلب إبن الله والذى الحق بهذه القوات هزيمة نكراء إذ فى ظلمة الصليب " *جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه* " *(كو٢: ١٥)* وإن كان أبناء هذا الدهر هم أبناء الظلمة فإن أبناء المسيح هم " *أولاد النور*" *(أف٥: ١٨)* وفى النور يعيشون .. فيأولاد النور تمسكوا بالنور الحقيقي حتى تنقشع ظلمة هذا الدهر ويشرق علينا فجر القيامة ، وإن كان طول الكفاح قد أضناكم فاستريحوا فى محاجي النور ، وإن كانت أسلحة الرؤساء والسلاطين والولاة نالت منكم حتى نزف الكثير من دمكم فهوذا رئيس خلاصنا واقفاً مترقباً يقدم لنا جسده المقدس ودمه الكريم حياة لأنفسنا .

على أجناد الشرّ الروحيَّة فى السماويَّات .. أجناد الشرّ تعبير عن الكثرة والخطورة ، فإنهم لا يكفُّون عن الحرب لكيما يسلبوننا البركات الروحيَّة التى باركنا بها الله (أف١: ٣) بل لكيما يُقصونا عن السموات .. حقاً أن حروبهم شرسة ولا سيما أننا لا نرى هؤلاء الأجناد ولا نعرف كم عددهم ولا قوتهم ولا خططهم ، ولكننا نثق تماماً أن إلهنا هو الأقوى لأنه ضابط الكل بما فى هذا الكل من أجناد الشرّ الروحيَّة ، فهو " ***فوق كل رياسةٍ وسلطانٍ وقوةٍ وسيادةٍ وكل إسم يُسمىَّ ليس فى هذا الدهر فقط بل فى المستقبل أيضاً*** " *(أف١: ٢١)* وهو الذى قال " ***على هذه الصخرة أبنى كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها*** " *(مت١٦: ١٨)* ولا يأخذ أحد على خاطره من بولس الرسول الذى وضع أمامنا هذه الصورة البشعة لقوات الظلمة ، فهو لم يقصد قط أن يحطم معنوياتنا ، ولكنه قصد أن يحذرنا وينبهنا وحتى لا يستخف أحد بقوة العدو الذى نواجهه ، لأنه من ضمن حروبه الخبيثه والخطيرة أنه يوهم البعض بعدم وجوده وأنه لا يوجد شيطان ولا غيره .

" من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تقاوموا في اليوم الشرير وبعد ان تتمّموا كل شيء ان تثبتوا " (١٣)

من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل .. من أجل قوة الأعداء ومن أجل ضعف طبيعتنا البشرية لذلك لابد من الإلتجاء إلى سلاح الله البتار .. من أجل مصارعتنا مع أجناد الشرّ الروحيَّة فمن الضروري جداً أن نحمل سلاح الله الكامل وبالكامل واثقين أننا نصارع عدواً مهزوماً ، ولا نلقى باسلحتنا مهما أظهر من صراعات وخيالات وزئير وألاعيب شيطانية محاولاً إخافتنا وزعزعتنا وفرض سطوته علينا وسلاح الله الكامل يتكرَّر في الآيتين (١١،١٣) للتأكيد على ضرورته وانه لا نصرة بدونه .

لكى تقدروا أن تقاوموا .. نحن لا نقاوم الشر حسب وصية الرب يسوع لنا ***" لا تقاوموا الشرّ " (مت٥: ٣٩)*** ولكننا نحمل سلاح الله الكامل ونقاوم الشرير منبع كلّ شر ***" اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعهُ هو . فقاوموه راسخين في الإيمان " (١بط٥: ٨،٩)*** ونظل نقاومه حتى يهرب من أمامنا ***" قاوموا إبليس فيهرب منكم " (يع٤: ٧)*** حتى يكون لنا نصيباً مع الغالبين ***" وهم غلبوهُ بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبُّوا حياتهم حتى الموت " (رؤ١٢: ١١)*** .

تقاوموا في ذلك اليوم الشرير .. إبليس لا يكف عن مقاومتنا فى وقت مناسب وغير مناسب ، والمعركة مستمرة طوال الحياة فى هذا ***" العالم الحاضر الشرير " (غل١: ٤)*** لأن ***" العالم كلّهُ قد وُضع في الشرير " (١يو٥: ١٩)*** والأيام شريرة ***" مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة " (أف٥: ١٦)*** أما اليوم الشرير فهو الذى يفوق الأيام الشريرة شراً . يوم تهجم قوات الظلمة فى موجات متتابعة كما حدث مع أيوب الصديق وكقول المثل " أن المصائب تأتى تباعاً " وذلك لكيما يفقد الإنسان اتزانه ، وقد يطول اليوم الشرير إلى شهور وسنين وقد تتخلى عنا العناية الإلهيَّة بينما هى ترقبنا بدقة حتى يشتد عودنا ونجوز التجربة بنجاح ونكلَّل ، وفى اليوم

الشرير نحتاج للتوسل والصلاة مع أرميا النبي الباكي "*ليخزَ طاردىَّ ولا أخزَ أنـــا . ليرتعبوا هم ولا أرتعب أنا . أجلب عليهم يوم الشر واسحقهم سحقاً مضاعفــاً* " *(ار١٧: ١٨)* وعموماً فإن التجربة مهما طالت فهى لا تستغرق إلاَّ وقتـــاً محـــدداً وهـــو اليـــوم الشرير .. كان أشرّ يوم على الأرض يوم أن رُفِع البار على صليب العار ، ولكـــن ذاك البار حوّل ذلك اليوم الشرير إلى أعظم يوم فى التاريخ فهو يوم الخلاص مـــن سلطان الشيطان ، وكم كانت هناك أيام شريرة فى حياة معلمنا بولس الرسول يـــوم ضُرِب بالعصي ويوم رُجِم ويوم انكسرت به السفينة .. إلخ ولكن فى جميعها يعظـم إنتصارنا بالذى أحبنا .

وبعد أن تتمّموا كلَّ شئ أن تثبتوا .. بعد أن تنجحوا فى مقاومة عدو الخـــير عليكم أن تثبتوا فى مواقعكم ساهرين يقظين لأنه سيعود إليكم "*فارقه إلـــى حيـن*" *(لو٤: ١٣)* .

" فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البرّ " (١٤)

تصف الآيات (١٤-١٧) أسلحة الجندى المسيحي الروحية مـــن حـــقٍ وبـــرٍ وسلامٍ وإيمانٍ وتمتع بالخلاص فى أسلوب مقبول إذ يشبهها بزى الجندي الرومـــاني الذى كان معروفاً جيداً فى ذاك الزمان ، وأيضاً ما زال للآن هذا الزى ماثلا أمـــام أعيننا من خلال ما نُقِل إلينا من صور ، فمنطقة الحق تشد الحقوين ، ودرع الـــبر يحمي الصدر ، وحذاء استعداد إنجيل السلام يُثبّت القدمين وينشر السلام ، وتـــرس الإيمان يحمي الإنسان ضد سهام إبليس الملتهبة ، وخُوذة الخلاص تقى الرأس مـــن حرب الأفكار ، وسيف الروح للدفاع وأيضاً للهجوم على العدو فى أوكاره ، وجـــاء ترتيب هذه الأسلحة حسب ترتيب ارتداءها من الأول للأخير .

فاثبتوا .. يبدأ معلمنا بولس حديثه عن السلاح الروحي بالثبات ، فبدون الثبات يترك الإنسان ميدان الجهاد ويهرب ، وبذلك يصير صيداً سهلاً لقوات الظلمة لذلـــك يدقق الكتاب على الثبات "*اسهروا واثبتوا فى الإيمان*" *(كو١٦: ١٣)* .

ممنطقين أحقاءكم بالحقّ .. كان الجندى الروماني يمنطق حقويه بمنطقة من الجلد عليها صفائح من الحديد أو الفولاذ ، وفى هذه المنطقة كان يعلق سيفه (٢صم٢٠: ٨) والمنطقة هىَ أول ما يرتديه الجندى المتأهب للقتال ، فارتداء المنطقة يعنى الاستعداد فعندما أكل بنو إسرائيل الفصح كانت الوصية "*تأكلونه أحقاؤكم مشدودة وأحذيتكم فى أرجلكم*" *(خر١٢: ١١)* وإيليا النبي "*شدّ حقويه وركض أمام أخاب*" *(امل١٨: ٤٦)* فاستطاع أن يركض من الكرمل إلى يزرعيل ، ويوحنا المعمدان كان يلبس "*منطقة من جلد على حقوية*" *(مر١: ٦)* .

ممنطقين أحقاءكم بالحقّ .. الأحقاء تمثل القوة لذلك قال اشعياء النبي عن الرب يسوع "*يكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه*" *(اش١١: ٥)* ولأن السلاح هنا يشير إلى الرب نفسه لذلك قال معلمنا بولس " ممنطقين أحقاءكم بالحقّ " ومن هو الحق غير الرب يسوع الذى قال عن نفسه "*أنا هو الطريق والحق والحياة*" *(يو١٤: ٦)* ؟! .. الله هو الحق وكلامه كلام حق "*إن سمعتم كلمة الحق*" *(أف١: ١٣)* وكلام الله الحق يُقدّس الإنسان "*قدسهم فى حقك . كلامك هو حق*" *(يو١٧:١٧)* والتناول من جسده المقدس ودمه الكريم هو حق "*لأن جسدى مأكل حق ودمي مشرب حق*" *(يو٦: ٥٥)* .

ممنطقين أحقاءكم بالحقّ .. كما تحيط المنطقة بحقوى الجندى هكذا يجب أن يحيط الحق بجندى المسيح فى كل أمور حياته دون خداع ولا رياء ولا مظهرية "*ها قد سررت بالحق فى الباطن*" *(مز٥١: ٦)* . بلَ يشتدّ بالحق كما يشتدّ الجندى بالمنطقة ، والمنطقة تساعد الجندى على سرعة الحركة وقوة الأداء، وتكسبه نشاطاً وتماسكاً وانضباطاً ، وتقيه من الخطر فى المنطقة التى تغطيها ، والتمنطق بالحق يحمي جندى المسيح من التسيب والتراخي والإهمال وعدم المبالاة والانحلال والشهوات والأهواء واللذات التى تعرقل الحركة ، فلا يصح مثلاً إنساناً يرتدى جلباباً طويلاً فى ساحة الوغى ليصارع جنوداً أشداءاً يمتازون برشاقة الحركة

وسرعة الأداء ، وأيضاً الجندي لا يخلع منطقته إلاّ وقت النوم فسيسرا نام فى وقت القتال فقتلته إمرأة ياعيل (قض٤: ٢١) وارتداء المنطقة وبقية أجزاء السلاح يجب أن يتم قبل المعركة وليس أثناءها ولا بعدها ، وبما أن هجوم العدو مباغت ويصعب التنبؤ به لذلك على الإنسان المسيحي أن يتمسك بأسلحته الروحية حسب وصية الرب يسوع "***لتكن احقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة " (لو١٢: ٣٥)*** كما أن معلمنا بطرس يوصينا " ***لذلك منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين " (١بط١: ١٣)*** .

ولابسين درع البرّ .. كان الجندي الروماني يلبس الدرع الذى يحمي المنطقة من الرقبة حتى قرب الركبتين ، وكان الدرع يتكون من زرد أو حراشيف معدنية تسمح للجندى بالحركة والانثناء ، وتقيه من ضربات السهام وطعنات السيوف ، وفى الأوقات المتأخرة كان الدرع يتكون من جزئين ليغطى الصدر والظهر أيضاً ، فهو مثل القميص الواقى من الرصاص الذى يرتديه الزعماء فى المحافل العامة .

ولابسين درع البرّ .. وكما قال القديس ايريناؤس أن السلاح يشير للرب يسوع فإن درع البرّ يشير للرب يسوع لأنه مكتوب " **الرب برُّنا** " (ار٢٣: ٦) فهو الذى يحمينا من ضربات السهام والرماح الشيطانية ، وأيضاً درع البر يمثل حياة الفضيلة والإستقامة والتمسك بالمسيح "***طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ لأنهم يُشبعون" (مت٥: ٦)*** . كما أن درع البر يحمي القلب الذى هو مركز العواطف والأحاسيس والمشاعر والحب ، فخلع البر من حياتنا يعطى إبليس منفذاً ليوجه طعناته القاتلة إلى قلوبنا ، ولذلك جاءت وصية بولس الرسول لتلميذيه تيموثاوس وتيطس بأتباع البرّ والحياة بالبرّ "***وأما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البرّ " (٢تي٢: ٢٢) " أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبرّ والتقوى فى العالم الحاضر" (تي٢: ١٢)*** .

" حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام " (١٥) .

س١ : هل يعتبر الحذاء من أسلحة الجندى ؟

لا تتعجب يا صديقى لأنه قد تتوقف نتيجة المعركة على الأحذية التى يرتديـــها الجنود ؛ فإن لم تكن أحذية متينة وثابتة فى أقدام المحـــاربين فقـد تقودهـم إلـــى الهزيمة ، فالجندى يحتاج للحذاء القوى لكيما يركض فى الميدان يلتقى بغريمـــه أو يناوره أو يفرً ويكرً ، ولكيما تكون حركته سريعة وثباته قويـــاً ، ولكيمـــا يســلك المسالك الوعرة ، ويدوس على الصخور المدبَّبة والنتوءات البارزة الحادة القاطعــة ، ويسلك الطرق الجبلية ، ولذلك فإن النعال العسكرية مدعَّمة بمسامير تبرز رؤوســها لتزيدها متانة وقوة .. لقد سار شعب الله فى البرية أربعين سنة ولم تبلى أحذيتـــهم ، وفى سفر حزقيال يقول الرب للنفس البشرية *" البستك مطـــرَّزة ونعلتـكِ بـــالتُّخس "* *(حز١٦: ١٠)* علامة الجمال والحماية ، ونحن فى سيرنا فى برية هذا العالم نحتــاج بالضرورة أن نحتذى بإنجيل السلام . أى تكون طرقنا ومسالكنا وسـلوكنا بحســب مبادئ إنجيل السلام .

س٢: كيف يتفق إنجيل السلام مع حالة الحرب المعلنة ؟

أن جندى المسيح الذى يواجه حروب مملكة الظلمة هو فى أمس الحاجة إلـــى سلام الإنجيل ليملاء قلبه ويملك عقله حتى يستطيع أن يثبت ضد مكايد إبليس . أمـا لو فقد هذا الجندى سلامه فمعنى هذا أن العدو قد قوى عليه ، فبالرغم أننا نعيـــش فى حالة حرب لا هوادة فيها مع عدو الخير ولكن سلام الله يمنحنا الثبات فى ميدان المعركة ويحفظ لنا هدؤنا *" قد كلَّمتكم بهذا ليكون لكم فىَّ سلام.فى العالم سيكون لكـــم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم " (يو١٦: ٣٣)* .

حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام .. إنجيل الســلام يحمـل لنـــا مبـــادئ المصالحة مع الله والناس ، ومبادئ الأخوة والمحبة والتسامح والاحتمال وطول الأنـــاة *" إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس " (رو١٢: ١٨)* *" وعبد الــرب لا يجــب أن يخاصم بل يكون مترفقـاً بالجميع صالحاً للتعليم صبوراً على المشقَّـات " (٢تي٢: ٢٤)*

والسلام يعيننا على بناء حياتنا الروحية "***فلنعكف إذاً على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض***" *(رو١٤: ١٩)* ونحن نحمل إنجيل السلام لكل نفس متخاصمة مع الله أو مع أخوتها "***ما أجمل على الجبال قدمى المُبشّر المخبر بالسلام المُبشّر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك***" *(اش٥٢: ٧)* فالإنجيل بالطبيعة يُولّد فى النفس الطاقة التى تدفعها لنشر نور السلام فى ظلمة هذا الدهر .

" حاملين فوق الكلّ ترس الإيمان الذي به تقدرون ان تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة " (١٦) .

حاملين فوق الكلّ ترس الإيمان .. " فوق الكلّ" أى بالإضافة إلى كل ما ذكر من الأسلحة السابقة تسلحوا بترس الإيمان ، وكان الترس قديماً يُصنع من الخشب الخفيف ليسهل حمله ، ومغطى بطبقات من الجلود السميكة التى تُمسّح بالزيت وتُصقَل جيداً "***قوموا أيها الرؤساء وامسحوا المِجَنّ***" *(اش٢١: ٥)* أو بصفائح معدنية سميكة ، وأحياناً كان يصنع من النحاس.أما سليمان فقد صنع الأتراس من الذهب "***وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان . فعمل رحبعام عوضاً عنها أتراس نحاس***" *(١مل١٤: ٢٦، ٢٧)* وللترس مقبض من الداخل يقبض عليه الجندى بيده اليسرى ويحمل سيفه باليمني ، وكان الترس له أحجام مختلفة فالصغير المستدير يُسمّى " مِجَنٌ " أما الكلمة المستخدمة هنا فهى تخص الترس المستطيل الذى يحمي معظم جسم الإنسان ويبلغ طوله نحو أربعة أقدام وعرضه قدمان ونصف .

وإن كان السلاح هنا يشير إلى الرب يسوع كقول القديس ايرونيموس فإنه من الواضح جداً أن الترس يشير لله الذى قال لإبراهيم "***لا تخف يا إبرام . أنا ترس لك***" *(تك١٥: ١)* وقال داود "***أما أنت يارب فترس لي***" *(مز٣:٣)* وفى نشيده قال عن الرب "***ترس هو لجميع المحتمين به***" *(٢صم٢٢: ٣١)* .

حاملين فوق الكلّ ترس الايمان .. الإيمان فى مواعيد الله وفى قوة الله وفى تدبيرات الله .. الإيمان الذى يبدأ بالمعرفة التى تتغلغل فى المشاعر والوجدان فتصل إلى القلب وتتحول إلى إيمان يمنحنا قوة وثباتاً ، فالإيمان له عينان تنظران إلى ما وراء الزمن ، والإيمان يُثبّت أنظارنا نحو السماء فنرى مع اليشع النبي " *الذين معنا أكثر من الذين معهم " (٢مل٦: ١٦)* وإن كان الله معنا فمن علينا ؟! والإيمان لا يُقهر " *الحقَّ أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبَّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شئ غير ممكن لديكم " (مت١٧: ٢٠)* .

الايمان الذي به تقدرون ان تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة .. كان الأعداء يلصقون بالسهام مواد قابلة للاشتعال مثل ألياف الكتان الجاف ويغمسونها بالقار ، ويشعلونها قبل إطلاقها ولاسيما عند الهجوم على القرى والمدن والسفن فيشعلون الحرائق بواسطتها ويربكون الصفوف ، وهكذا يفعل إبليس ضد أولاد الله فسهامه " *سهام جبّار مسنونة من جمر الرتم " (مز١٢٠: ٤)* أنها مسنونة من جهنم وهى أشكال وألوان من تجديف وكفر وتذمر وضجر وكبرياء وانتقام وأفكار قاتلة ومشورات اخيتوفليَّة ورغبات فاسدة .. إلخ والجميع مُعرَّضون لها ولكن الإنسان المؤمن يصدّ هذه السهام بسهولة بينما الضعيف الإيمان يكتوى بنيرانها ، وهذه السهام الشيطانية التى تنطلق من فوهة الجحيم عندما تصطدم بترس الإيمان تنطفئ وتفقد تأثيرها هكذا فعل أبطال الإيمان إذ " *اطفأوا قوَّة النار نجوا من حدّ السيف تقوُّوا من ضعفٍ صاروا أشدَّاء فى الحرب هزموا جيوش غرباء " (عب١١: ٣٤)* .

" وخذوا خُوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله " (١٧)

وخذوا .. إذاً هناك من يعطى ، فمن هو ؟! أنه الله أن يسلمنا سلاحه الكامل ، فهوذا يده ممتَّدة بالمعونة والقوة والخلاص وليس على الإنسان إلاَّ أن يمدَّ يده بإيمان ويتسلم السلاح فيجد عوناً فى حينهِ .

وخذوا خُوذة الخلاص .. الخُوذة هى غطاء الرأس وتصنع من الحديد أو النحاس (١صم١٧: ٣٨) وأحيانا كانت تُزين بعرف أو ريش ، والخوذة تحمى الرأس مركز التفكير والإدراك والتصرف ، وقال أشعياء عن رئيس خلاصنا " ***فلبس البرَّ كدرع وخوذة الخلاص على رأسه " (اش٥٩: ١٧)*** لقد لبس خُوذة الخلاص وصنع خلاصاً هذا مقداره ، وترك لنا هذه الخوذة التى تقينا من الضربات القاتلة الموجهة للرأس ، فالمقصود بخُوذة الخلاص هنا هو تقبل بركات الخلاص التى يقدمها لها مخلصنا الصالح ، وأيضاً الخُوذة تعبير عن اليقين بالخلاص "***لأننى عالم بمن آمنت ومؤقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم " (٢تي١: ١٢)*** فالمولود أعمى ايقن أنه الآن أبصر " ***قال أخاطئ هو . لست أعلم . إنما أعلم شيئاً واحداً أنى كنت أعمي والآن أبصر " (يو٩: ٢٥)*** أما الإنسان الذى يفقد يقينه فى الخلاص فيصير صيد سهل لعدو الخير ، والخلاص ليس عملية تمت فى الماضى "***الذى خلصنا ودعانا دعوةً مقدَّسة " (٢تي١: ٩)*** فحسب لكنه عملية مستمرة "***بالنعمة أنتم مخلَّصون " (أف٢: ٨) " فبالأولي كثيراً ونحن مُصالحون نخلص بحياته " (رو٥: ١٠) " تمّموا خلاصكم بخوف ورعدة " (في٢: ١٢)*** وسيكمُل خلاصنا فى المجيء الثاني "***فننتظر مخلّصاً هو الرب يسوع المسيح . الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده " (في٣: ٢١) " سيظهر ثانية بلا خطيةٍ للخلاص للذين ينتظرونه " (عب٩: ٢٨)*** فهل الذين يعتقدون أن الخلاص بالنسبة للإنسان يتم فى لحظة ، فهل معنى هذا أنهم سيخلعون خُوذة الخلاص وهم فى ساحة الجهاد ؟!

وسيف الروح الذى هو كلمة الله .. السيف هو السلاح الوحيد من بين الأسلحة التى ذكرها معلمنا بولس الرسول ويستخدم فى الدفاع والهجوم أيضاً ، والسيف هو كلمة الله "***لأن كلمة الله حيَّة وفعَّالة وأمضى من كل سيفٍ ذى حدّين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميّزة أفكار القلب ونياته " (عب٤: ١٢)*** ودُعيت كلمة الله بسيف الروح لأن الروح القدس هو مصدر الوحي والإلهام فى الكتاب المقدس وهو الناطق فى الأنبياء .

وسيف الروح الذى هو كلمة الله .. وقد علمنا الرب يسوع كيف نهزم إبليس بكلمة الله ، ففى التجربة على الجبل جاوب إبليس قائلاً " ***مكتوب .. مكتوب أيضاً .. لأنه مكتوب*** " *(مت٤: ١-١٠)* وسرُّ نجاح أبطال الإيمان والشهداء هو تمسكهم بكلمة الله وتبحرهم فيها وتأملهم فى قوتها .. لقد استطاعت كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بسيف الروح أن تقطع كل ألسنة البدع والهرطقات على مر العصور والأزمان ، وخير شاهد على هذا سيف الروح فى يد أثناسيوس وكيرلس وديسقورس ..

" مصلّين بكلّ صلاة وطلبةٍ كلَّ وقتٍ في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبةٍ وطلبةٍ لاجل جميع القدّيسين " (١٨)

هنا يختم معلمنا بولس حديثه عن الأسلحة بالصلاة ، فبعد أن تحدث عن منطقة الحق ودرع البر وإنجيل السلام وترس الإيمان وخوذة الخلاص وسيف الروح يأتى أخيراً الحديث عن الصلاة كأعظم سلاح للمجاهد الروحي ، ولذلك يذكرها الرسول فى النهاية ليس لأنها تحتل المركز الأخير ولكن لأهميتها العظمي ولكيما تثبت فى ذهن القارئ والمستمع ، وإن كانت أجزاء السلاح السابقة تعتبر هبة من الله وتمثل عمل الله مع الإنسان فإن الصلاة تمثل العمل البشرى الذى يقدمه الإنسان الأمين لله .

وفى هذه الآية يركز معلمنا بولس الرسول على ملامح الصلاة من خلال خمس صفات لها وهى :

١- الصلاة بكل أشكالها وأنواعها سريَّة وجهريَّة ، فردية وجماعية ، ارتجالية وطقسية

٢- فى كل وقت .

٣- فى الروح أى بفعل الروح القدس .

٤- حارة فى سهر ولجاجة .

٥- من أجل جميع القديسين .

مصلّين .. تأتي فى صيغة الأمر مثلها مثل ما سبق " تقووّا .. ألبسوا .. احملوا . فأثبتوا .. لابسين .. حاذين .. حاملين .. خذوا .. مصلين " (١٠-١٨) فليس هناك وقت لإضاعته لأن الوقت حرج والأيام شريرة والحرب منصوبة والعدو شرس ومكائده بلا عدد لذلك لابد من النزول إلى ساحة الجهاد ، ولذلك جاءت الكلمات قوية آمرة حاسمة .

بكلّ صلاةٍ وطلبةٍ .. الصلاة أشمل وأعم فهي تشمل الشكر والتسبيح والطلبة ، والصلاة هى الصلة مع الله .. هى الجلوس معه .. هى التمتع بعشرته .. هى بث المشاعر والانفعالات وهواجس النفس ومخاوفها وأفراحها وانتصاراتها إليه .. هى التى تربطنا بمركز القيادة .. هى التى تحمل مشاكلنا وتضعها عند قدميه .. هى مناجاة كل نفس متضايقة ، وكل صلاة بإيمان لها استجابتها السريعة كقول الملاك ***" يا دانيال أيها الرجل المحبوب .. سُمِع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك " (دا١٠: ١١،١٢).*** أما الطلبة فهى من أجل كل عضو من أعضاء المسيح .

كلّ وقتٍ .. هناك أوقات للصلاة المنظّمة أى الطقسية سواء فى البيت أو الكنيسة حيث يتفرغ الإنسان من كل اهتمام آخر ويقف أو يسجد فى خشوع أمام الله ، وهناك الصلوات المتواترة السهمية التى يرسلها الإنسان فى كل وقت للسماء مثلما فعل نحميا وهو واقف أمام ملك فارس ***" فصليتُ إلى إله السماء " (نح٢: ٤)*** ومن نوعية هذه الصلوات الأخيرة " صلاة يسوع " ياربى يسوع المسيح أعنى .. ياربى يسوع المسيح إرحمنى .. أشكرك ياربى يسوع المسيح ، وهذه الصلاة أوصانا بها الرب يسوع ***" ينبغى أن يُصلَّى كل حين ولا يُملّ " (لو١٨: ١)*** وأوصانا بها معلمنا بولس الخبير فى الحروب الروحية ***" صلّوا بلا انقطاعٍ " (١تس٥: ١٧)*** .

فى الروح .. أى أن يكون جو الصلاة فى الروح القدس " مصلّين فى الروح القدس " (يه٢٠) فالروح القدس هو المُلهِم بالصلاة وهو الذى يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها ***" الروح أيضاً يعين ضعفاتنا . لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن***

الروح نفسهُ يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها " (رو٨: ٢٦) فلا تكفِ الصلاة بيقظة العقل ولكن الروح القدس هو الذى يهب الصلاة حياة ومذاقاً فيخرج المزمور من الفم حياً كما كانت صلوات القديس مكسيموس تخرج على شكل ألسنة ناريَّة .

وساهرين لهذا بعينه بكّل مواظبةٍ وطلبةٍ .. تكرَّرت نفس الطلبة فى الرسالة إلى كولوسي *" واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر " (كو٤: ٢)* [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٧٥-١٧٨] فيجب كسر حاجز الاستعجال واللهوجة فى الصلاة ، وقد ضرب الرب يسوع مثل الأرملة وقاضي الظلمة ثم عقَّب قائلاً *"أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم . أقول لكم أنه ينصفهم سريعاً " (لو١٨: ٧،٨)* وضرب أيضاً الرب يسوع المثل العملي لنا إذ كان يمضي الليل كله فى الصلاة *" قضى الليل كلَّه فى الصلاة لله " (لو٦: ١٢)* أما الحد الأدنى الذى عاتب عليه تلاميذه فهو الصلاة لمدة ساعة *" اما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟! . اسهروا وصلوا لئلاَّ تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف " (مت٢٦: ٤٠، ٤١)* .

لأجل جميع القدّيسين .. الصلاة التى ليست لأجل الذات والمنفعة الشخصية بل هى من أجل جميع القديسين هى أسمى أنواع الصلوات ، فهى تعبر عن وحدانية الروح والأحساس بالآخرين من مرضي ومتعبين ومحتاجين ومسافرين ومتضايقين ومتألمين ومظلومين ومسبيين ومربوطين برباطات الشياطين ، فهكذا تُعلِمنا أمنا الكنيسة فى صلوات الأواشي (الطلبات) بالقداس الإلهي إذ تطلب من أجل الكل حتى غير المؤمنين حتى الزروع والثمار ومياه الأنهار وأهوية السماء .. إلخ .. حقاً أن الإنسان المؤمن هو عضو حي فى جسد المسيح المقدس فهو يحس ببقية الأعضاء ويصلى من أجلها وأيضاً يطلب مؤازرة بقية الأعضاء له بالصلوات والطلبات ، وهكذا كان معلمنا بولس الرسول يصلى من أجل المؤمنين فى كل

مكان ، وأيضاً كان يطلب صلواتهم من أجله .. تُرى لو فعل هكذا كـل مسـيحيو العالم ألا يجد الضعيف قوة والخائر معونة والنائم يقظة والضائع خلاصاً ؟!

" **ولأجلي لكي يُعطىَ لي كلام عند افتتاح فمي لأُعلم جهاراً بسـرّ الإنجيـل . الذي لأجلهِ أنا سفير في سلاسل لكي أجاهر فيهِ كما يجب ان أتكلـم** " (١٩-٢٠) . نفس المعنى يتكرَّر فى الرسالة إلى كولوسي " مُصلّين فى ذلك لأجلنا نحن أيضـاً ليفتح الرب لنا باباً للكلام لنتكلم بسرّ الإنجيل الذى من أجله أنا مُوثق أيضاً . كـي أظهرهُ كما يجب أن أتكلـم " (كـو٤: ٣،٤) [راجـع تفسـير رسـالة كولوسـي صـ١٧٨-١٨١] .

لأجلي .. ما أجملها كلمة تعبر عن شخصية بولس المتضعة ، فهو العظيم فـى الرسل كاروز الأمم لسان العطر فيلسوف المسيحية الذى عاين أمجاد السماء يطلـب صلوات الآخرين من أجله .. أليس هذا درساً قوياً يخرجنا مـن ذواتنـا ويشـعرنا بالضعف والحاجة إلى صلوات الآخرين ، فقول معلمنا بولس هنا ليس تمثيـلاً ولا مظهريَّة لكنه يشعر بعضويته فى الجسد الواحد لذلك فهو يصلى مـن أجـل الكـل ويطلب صلوات الكل من أجله ، فقد طلب أكثر من مرة من أهل تسالونيكي "***أيـها الأخوة صلُّوا لأجلنا " (١تس٥: ٢٥) " أخيراً أيها الأخوة صلُّوا لأجلنا لكي تجرى كلمـة الرب وتتمجَّد كما عندكم أيضاً " (٢تس٣: ١)*** وقال لأهل كورنثـوس "***وأنتـم أيضـاً مساعدون بالصلاة لأجلنا " (٢كو١: ١١)*** وقد صلى فى هذه الرسالة مرتين لأجل أهل أفسس ، والآن جاء دورهم ليصلوا من أجله .. حقا أن الصلوات من أجـل خـادم الرب لها قوتها وبركتها لأن الذى يصلى يُحسب شريكاً للخادم الذى يخدم .

ولأجلي لكي يُعطى لي كلام عند افتتاح فمي .. فعهدنا ببولس الرسول أنـه لا يحتسب نفسه ولا يطلب شيئاً لذاته ، فهو لم يطلب راحة شخصية وعودة إلى العائلة والديار ، ولم يطلب أن يفك الرب أسره ويعيد إليه حريته السليبة لكيما يمـلأ العالم

بشارة وكرازة وتعليماً . لكنه يطلب من أجل أن يعطيه الرب كلاماً عند افتتاح الفم كلام حكمة وفطنة ليبشر بالإنجيل فى روما عاصمة العالم كله .

لأعلم جهاراً بسرّ الإنجيل .. فأعلم بشجاعة وقوة لا أخفى شيئاً بسبب الحرص والخوف .. أُعلِم بإنجيل الغرلة الذى أئتمنى الله عليه .. أُعلم بالسرّ المكتوم منذ الأزل وأُعلن أن الله يقبل الجميع ولا يحابى بالوجوه .. أُعلِم رغم مكايد إبليس العديدة وحروبه الشرسه "***والآن يارب انظر إلى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة***" *(أع٤: ٢٩)* وهنا نلتقى بالمرة السادسة والأخيرة لكلمة " سرّ " التى ترددت فى الرسالة وكانت لها معانيها المتمايزة .

الذى لأجله أنا سفير فى سلاسل .. سفير الدولة يتكلم بلسان الدولة معلناً ليس آرائه الشخصية بل آراء الدولة التى يمثلها ، وهكذا مُعلناً بولس الرسول يعلن لنا آراء وأحكام ومبادئ ملكوت السموات . وإن كان سفير الدولة يحظى بالإكرام والتقدير والتبجيل لكن معلمنا بولس سفير السماء أُحيط بالسلاسل والقيود والضعف داخل السجن مثله مثل مسيحه الذى لم يكن له أين يسند رأسه ، بينما القوات السمائية تسبحه فإن هيرودس كان يسخر منه ، واليهود يستهزئون به وهو مرفوعاً عرياناً على صليب العار .

لكى أجاهر فيه كما يجب أن أتكلّم .. فهذه كل اشتياقات رسول الأمم أن يجاهر بالإنجيل للأمم جميعاً لكى تصل كلمة الحياة إلى كل إنسانٍ وليعلم كل إنسان أن له مكاناً معدّاً فى الملكوت السمائى .

ثالثاً : سلام وختام (٢١-٢٤)

" ٢١ ولكن لكي تعلموا انتم أيضاً احوالي ماذا أفعل يعرّفكم بكل شيء تيخيكُس الأخ الحبيب والخادم الامين في الرب ٢٢ الذي أرسلتهُ إليكم لهذا بعينهِ لكي تعلموا أحوالنا ولكي يعزي قلوبكم ٢٣ سلام على الأخوة ومحبَّة بايمانٍ من الله الآب والرب يسوع المسيح ٢٤ النعمة مع

جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فسادٍ .آمين . كُتِبتْ الى أهل افسس من رومية على يد تيخيكس " (٢١-٢٤) .

" ولكن لكي تعلموا انتم أيضاً أحوالي ماذا افعل يعرّفكم بكل شيء تيخيكُس الأخ الحبيب والخادم الأمين في الرب ٢٢ الذي أرسلتهُ إليكم لهذا بعينهِ لكي تعلموا أحوالنا ولكي يعزي قلوبكم " (٢١،٢٢) .

تكرَّر نفس المعنى فى الرسالة إلى أهل كولوسي " ***جميع أحوالي سيعرّفكم بها تيخيكُس الأخ الحبيب والخادم الأمين والعبد معنا فى الرب . الذى أرسلتهُ إليكم لهذا عينه ليعرف أحوالكم ويعزّى قلوبكم " (كو٤: ٧،٨)*** [راجع تفسير رسالة كولوسي صـ١٨٥ـ١٨٨] وقد ظهرت محبة معلمنا بولس الرسول لأولاده الذين يتلهفون لسماع أخباره والاطمئنان عليه ، ولذلك أوفد لهم ممثلاً شخصياً هو الأخ الحبيب والخادم الأمين تيخيكُس ليسلمهم الرسالة ، ويطمئنهم على أبيهم الروحي الذى كتب الرسالة لفائدتهم ولم يرد ان يزحمها بأخباره الشخصية بل ترك هذه المهمة لتيخكُس له لينقل لهم صورة حيَّة عن أحوال المعلم وخدمته وتقدم رسالة الإنجيل ، وأيضاً لكيما يعزى قلوب أهل أفسس بتلك الأخبار الطيبة التى يتمجد فيها اسم الله ، وكم كان تيخكُس خادماً محظوظاً إذ حمل معه ثلاثة كنوز عظيمة وهى الرسائل إلى أفسس وكولوسي وفليمون .

" سلام على الاخوة ومحبَّة بايمانٍ من الله الآب والرب يسوع المسيح ٢٤ النعمة مع جميع الذين يحبون ربنا يسوع المسيح في عدم فسادٍ .آمين " (٢٣،٢٤) .

بدأ معلمنا بولس الرسول رسالته بالنعمة والسلام وختمها هكذا أيضاً بالإضافة إلى المحبة بإيمان ، فالرسالة كلها تدور حول النعمة والسلام ، فالنعمة الإلهيَّة هى التى رفعتنا من الموت إلى الحياة ومن الأرض إلى السماء ، والمسيح هو سلامنا الذى جمع الكل فى نفسه ليخلق إنساناً جديداً يصالحه مع السماء .

ولم يرد فى نهاية الرسالة سلام لأشخاص معينين بالإسم لأنها ستصل ليس إلى مدينة أفسس فقط بل إلى كل كنائس وادى ليكوس ، ولذلك جاءت التحية الختامية تحمل طابع التعميم والسلام لجميع الأخوة الذين يحبون الرب يسوع فى كل أن ومكان محبة بلا فساد . محبة حيَّة خالدة أبديَّة أقوى من الموت .. محبة بعيدة عن كل تعليم فاسد .. محبَّة منزهَّة عن الفساد مثل الميراث المُعَد لنا الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ لنا فى السموات (١بط١: ٤) ولكن لماذا حصر بولس الرسول النعمة فى الذين يحبون الرب يسوع ؟ لأن الذين لا يحبوا الرب يسوع أى الرافضون لوصاياه لا يستطيعوا أن يقبلوا نعمته ، وهكذا يأتى الختام مشابهاً لختام رسالة كورنثوس الأولى *" إن كان أحد لا يحبُ الرب يسوع المسيح فليكن أناثيما . ماران آثا " (١كو١٦: ٢٢)* .

وبعد أن دون معلمنا بولس الرسول رسالة السماء هذه بأشهر قليلة أُطلِق سراحه فذهب يكرز ويبشر فى كل مكان بكل قوة وجبروت ، حتى قُبِض عليه ثانية وأُقتيد للإعدام ، وإن كانت حياة حبيبنا بولس قد أنتهت بالسيف فى روما ، وانطلقت روحه لتعاين الأمجاد السمائية التى كان يهفو إليها وسجل بعضها فى هذه الرسالة ، فإن كلماته مازالت تعمل وتخدم وتتاجر وتربح نفوس كثيرة للملكوت .

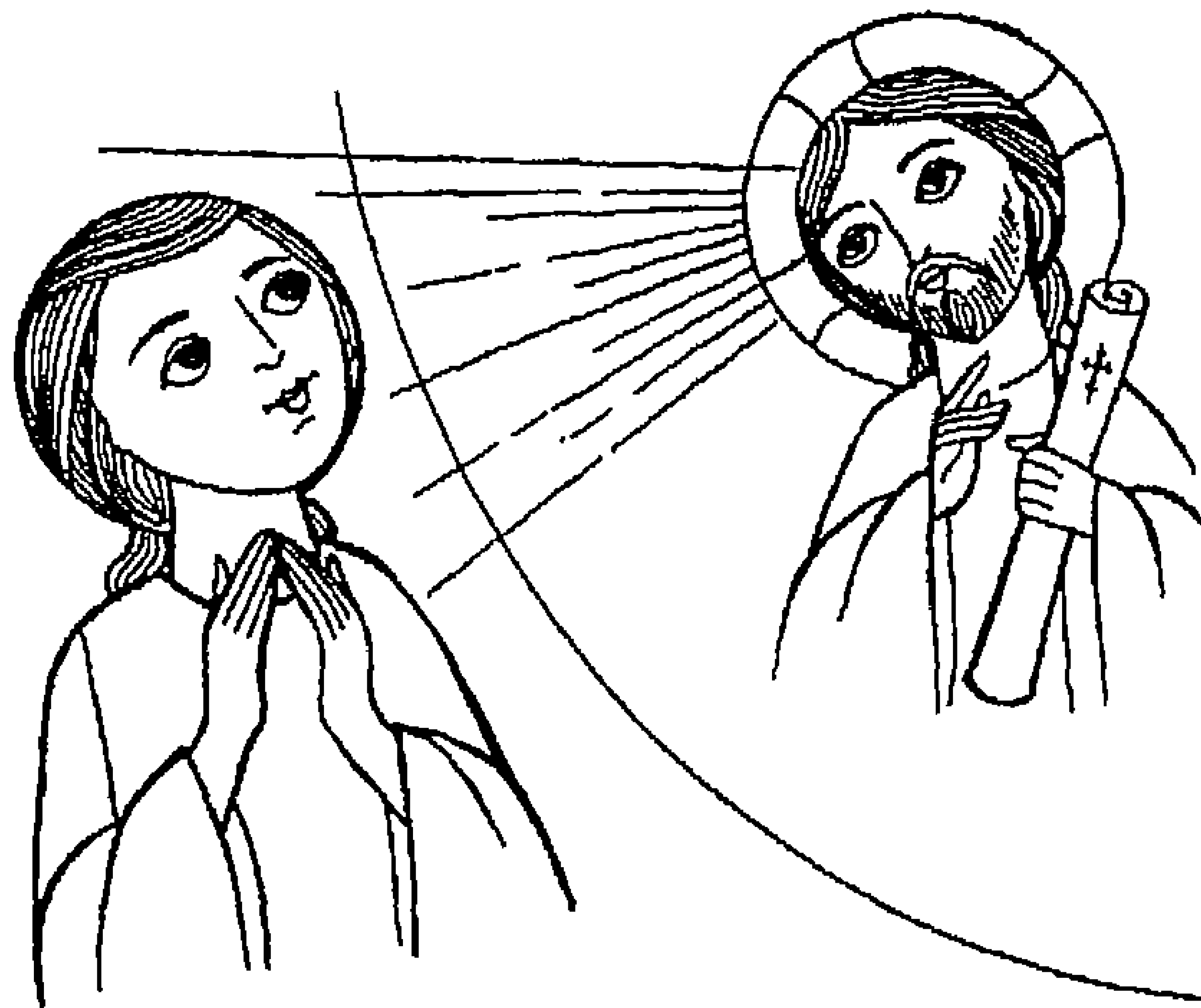
اذكرنى يا أبى القديس أمام عرش النعمة شاكراً الله عنى الذى أعانني لإستكمال هذه المهمة الشاقة ، والتى كنتُ أظنُ أننى سأنجزها خلال فترة الصوم المقدس وإذ بها تمتدُ إلى هذا اليوم ، وبعد أن سجلت عبارتي الأولى يوم ٢٠٠٠/٤/٨م أثر أحساسى بضعفى وجسامة المسئولية ، وقد عبر الصوم ولم انتهى إلاَّ من أصحاح واحد فسجلت على صورة بولس الرسول " يا بولس الرسول .. عن جهل دخلتُ إلى أفسس .. فأين معونتك للخطاة الذين أولهم أنا " يلذ لي أن أسجل الآن عبارتى الثانية " يا كاروز الأمم ولسان العطر .. اليوم أفرح لأن

الرب قد عظم الصنيع معنا فصرنا فرحيــن ، وأننــى أقــرُّ بمديونتــى لعشــرات المفسرين القدماء والمحدثين الذين سبقوني فى ذات الــدرب ، فــانتفعت بأقوالــهم وأفكارهم التى فتحت إمامي أفاقاً أخرى .. ياربى يسوع المسيح دشن هــذا العمــل ليكون لمجد اسمك القدوس أمين . واذكرني فى يوم الزحمة " .

١٠ هاتــور سنة ١٧١٧ش

١٩ نوفمبــر سنة ٢٠٠٠م

شهادة العذارى الخمسين وأمهم صوفية بالرها



السؤال الأول : كلمات متقاطعة

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
	■									١
										٢
					■		■			٣
				■					■	٤
	■									٥
		■			■		■			٦
	■							■		٧
			■	■						٨
					■	■			■	٩
		■								١٠

الكلمات الرأسية :

١- أمتد (معكوسة) – وصف الرسول نفسه أنه .... فى سلاسل .

٢- طائفة أوصاها الرسول بطاعة ساداتها – ضعف .

٣- ثلثى تقى – ثلثى حفل – أشار (معكوسة)

٤- الغد (مبعثرة) – بمعنى إلهى .

٥- متشابهان – سارق (معكوسة) – للتوجع

٦- مادة قاتلة – فى الحساب – أداة تعريف .

٧- ملوى (مبعثرة) – إلهام وأرشاد من الله – متشابهان .

٨- كذب – حصل على .

٩- أداة استفهام (معكوسة) – عكس كسب .

١٠- نحاربها بسلاح الله الكامل .

الكلمات الأفقية :

١- وصية للآباء تجاه الأبناء .

٢- طلب الرسول الصلاة من أجلهم ومن أجله – فى زهر الطاولة

٣- فعل أمر – اتحدث (معكوسة) .

٤- صديق (معكوسة) – مريم (مبعثرة) .

٥-كلمة الله .

٦-مع الشماس (معكوسة)- طاعة الوالدين هى.....(معكوسة) -أداة نفى

٧- صفة لتيخيكس وصفه بها الرسول .

٨- المدينة التى كتبت فيها الرسالة – أربك .

٩- ضمير غائب – إبليس (مبعثرة) .

١٠- عاملين مشيئة الله ....

السؤال الثانى : ضع علامة صح أمام الإجابة الصحيحة وعلامة خطأ أمام الإجابة الخاطئة مع تصحيح الخطأ .

١- الدافع لخضوع الأولاد لوالديهم تحاشي العقوبة ( )

٢- يكرم الأبناء أبناءهم إذا أحبوهم وبذلوا من أجلهم كل شئ ( )

٣- الأب الذى يحب ابنه يوبخه على كل تصرف خطأ ( )

٤- تربية الأبناء هو الإهتمام بصحتهم الجسدية والنفسية والتفوق الدراسي فقط ( )

٥- على العامل أن يراقب عيني الله مثل عين رب العمل ( )

٦- طلب بولس الرسول الصلاة لينقذه الرب من أسره ( )

السؤال الثالث :

أ- لماذا لم تلغى المسيحية نظام الـرق ؟

ب- ما هى مشتملات سـلاح الله الكامل ؟

*** اقرأ وافهم – كتابنا المقدس :**

أولا : عهـــد قديـــم :

١– سفـــر عزرا ٢– سفر نحميا ٣– سفـــر ملاخـــى

ثانيا : عهـد جـديـد :

١– رسالة أفسس ٢– رسالة فيلبى ٣– رسالة كولوسى ٤– رسالة فيلمون

*** اقرأ وافهم – مجموعة ايمان كنيستنا :**

١– الكتاب المقدس .. هل يعقل تحريفـــه ؟

٢– انجيل برنابا .. هـــل يعقل تصديقـــه ؟

٣– التثليث والتوحيد .. هـــل ضد العقـــل ؟

٤– التجســـد الالهـــى .. هـــل له بديـــل ؟

٥– الوهية المسيح .. من يخفى الشمـــس ؟

٦– الصلـــيب .. هــــل ننجـــو بدونـــه ؟

٧– الخـــروف الضال .. وكـــيف يضـــل ؟

٨– أوان الحقيقـــــة .. مـــن ينكـــر النور ؟

*** مجموعة استقامة كنيستنا تشمل على :**

١. البـــدع والهرطقـــات فـــى القـــرون الخمســـة الأولـــى .

٢. يــــا اخوتنــــا الكاثوليـــك .. متـــى يكون اللقـــاء ؟

٣. يـــــا اخوتنـــا البروتستانـــت .. هلمـــوا نتحـــاور .

جـــ١ فـــــى المـــاضـــــى .

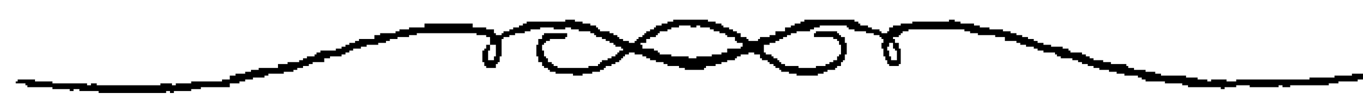
جـــ٢ طوائــــف شتـــى محتجـــه .

جـــ٣ احتجـــاجـــــات وردود .

٤. الأدفنتست .. ظلمـــــة الموت .

٥. شهـــود يهـــوه .. هوة الهلاك .

٦. المذاهـــب المنحرفـــــة .





قداسة البابا شنودة الثالث يحمل رأس شهيد من أخميم



صدر من هذه المجموعة :

من العهد القديم : ١- عزرا ٢- نحميا ٣- ملاخي

من العهد الجديد : ١- أفسس ٢- فيلبي ٣- كولوسي ٤- فليمون

الثمن : ٤٧٥ قرش